الكامل في التاريخ

للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف "بابن الأثير" الجزري الملقب بعز الدين
المتوفى سنة "٦٣٠" هـ

من سنة ١ لغاية سنة ٢٩ للهجرة

تحقيق
أبي الفداء عبد الله القاضي

المجلد الثاني

منشورات
لنشر كتب السنة والجماعة
بيروت - لبنان



دار الكتب العلمية

الطبعة الرابعة
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0046-7



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر هجرة النبي ﷺ

لما تتابع أصحاب رسول الله ﷺ بالهجرة أقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به من ذلك وتخلف معه علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق، فلما رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصيّ بن كلاب وتشاوروا فيها فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من أهل نجد سمعتُ بخبركم فحضرتُ وعسى أن لا تعدموا مني رأياً.

وكانوا عتبة، وشيبة. وأبا سفيان، وطعيمة بن عدي وحبيب بن مطعم. والحارث بن عامر، والنضر بن الحارث، وأبا البختري بن هشام وربيعة بن الأسود، وحَكيم بن حزام، وأبا جهل. ونُبَيْهاً، ومنبهاً ابني الحجاج، وأمية بن خلف وغيرهم فقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما كان وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأياً.

فقال بعضهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله، فقال النجدي: ما هذا لكم برأي لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم، فقال آخر: نخرجه وننفيه من بلدنا ولا نبالي أين وقع إذا غاب عنا، فقال النجدي: ألم تروا حُسْنَ حديثه وحلاوة منطقه؟ لو فعلتم ذلك لحلَّ على حي من أحياء العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم، فقال أبو جهل: أرى أنْ نأخذ من كل قبيلة فتى نسيباً ونعطي كل فتى منهم سيفاً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه،

فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ورضوا منا بالعَقْل(١)، فقال النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي. فتفرقوا على ذلك.

فأتى جبريل النبي ﷺ، فقال: لا تَبِتْ الليلة علىٰ فراشك، فلما كان العتمة اجتمعوا علىٰ بابه يرصدونه متىٰ ينام فيثبون عليه، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: لعلي بن أبي طالب نَمْ على فراشي واتشح ببردي الأخضر فنم فيه فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه وأمره أن يؤدي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فجعله على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من ﴿يسٓ وَالقُرآن الحكيم﴾ إلى قوله ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(٢) ثم انصرف فلم يروه فأتاهم آت، فقال: ما تنتظرون؟

قالوا: محمداً. قال: خيبكم الله خرج عليكم ولم يترك أحداً منك إلا جعلَ على رأسه التراب وانطلق لحاجته.

فوضعوا أيديهم على رؤوسهم فرأوا التراب وجعلوا ينظرون فيرون علياً نائماً وعليه بُرْد النبي ﷺ فيقولون: إنّ محمداً لنائم فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا(٣)، فقام عليّ عن الفراش فعرفوه وأنزل الله في ذلك ﴿وَإِذْ يمكرُ بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾(٤) الآية، وسأل أولئك الرهط علياً عن النبي ﷺ، فقال: لا أدري أمرتموه بالخروج فخرج.

فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه ونجى الله رسوله من مكرهم وأمره بالهجرة.

---

(١) أي الدية.

(٢) يسٓ: ١ : ٩.

(٣) وسبب المانع لهم من التقحم عليه في الدار مع قِصَر الجدار وهم إنما جاؤوا لقتله ما ذكر في الخبر أنهم هَمُّوا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض والله: إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا إنما تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج أهـ. من السهيلي (م).

(٤) الأنفال: ٢٠.

وقام عليٌّ يؤدي أمانة النبي ﷺ ويفعل ما أمره.

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ لا يخطئه أحد طرفي النهار أن يأتي بيت أبي بكر إما بكرة وإما عشية حتى كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة أتانا بالهاجرة، فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء هذه الساعة إلا لأمر حدث، فلما دخل جلس على السرير وقال: أخرج مَن عندك. قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك؟ فداك أبي وأمي. قال: إن الله قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: الصحبة.

فبكى أبو بكر من الفرح فاستأجرا عبدالله بن أريقط من بني الديل بن بكر وكان مشركاً يدلهما على الطريق، ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ غير أبي بكر وعلي وآل أبي بكر فأما علي فأمره رسول الله ﷺ أن يتخلف عنه حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده ثم يلحقه. وخرجا من خَوْخَة[١] في بيت أبي بكر في ظهر بيته ثم عمدا إلى غار بثور[٢] فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبدالله أنْ يتسمع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلاً وأمر عامر بن فهيرة مولاه أنْ يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء فأقاما في الغار ثلاثاً وجعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم، وكان عبدالله بن أبي بكر إذا غدا من عندهما أتبع أثره بالغنم حتى يعفي أثره، فلما مضت الثلاث وسكن الناس أتاهما دليلهما ببعيريهما فأخذ رسول الله ﷺ أحدهما بالثمن فركبه وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما[٣] ونسيت أنْ تجعل لهما عِصَاماً فحلّت نطاقها[٣] فجعلته عصاماً وعلقت السفرة به وكان يقال لأسماء «ذات النطاقين» لذلك.

ثم ركبا وسارا وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة يخدمهما في الطريق فساروا ليلتهم ومن الغد إلى الظهر ورأوا صخرة طويلة فسوَّىٰ أبو بكر عندها مكاناً ليقيل فيه

---

(١) الخَوْخَة: كوة في البيت تؤدي إليه الضوء. والخوخة ـ أيضاً ـ: باب صغير وسط باب كبير نُصب حاجزاً بين دارين.

(٢) غار ثَوْر: غار في جبل ثور وهو جبل بمكة.

(٣) السفرة: جراب يوضع فيه طعام المسافر والعصام: الرباط.

(٤) النِّطَاق: حزام يشد به الوسط.

رسول الله ﷺ وليستظل بظلها فنام رسول الله ﷺ وحرسه أبو بكر حتى رحلوا بعد ما زالت الشمس وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي ﷺ دِيَة فتبعهم سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم المدلجي[١] فلحقهم وهم في أرضٍ صلبة فقال أبو بكر: يا رسول الله أدركنا الطلب.

فقال: ﴿لَاتَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٣] ودعا عليه رسول الله ﷺ فآرتطمت[٣] فرسه إلى بطنها وثار مِنْ تحتها مثل الدخان فقال: ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك عليّ أن أرد عنك الطلب.

فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم، فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى فقال: يا محمد قد علمت أنّ هذا من دعائك عليّ فآدع لي ولك عهد الله أنْ أرد عنك الطلب.

فدعا له فخلص وقرب من النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله خذ سهماً من كنانتي وإنّ إبلي بمكان كذا فخُذْ منها ما أحببت. فقال: لا حاجة لي في إبلك.

فلما أراد أن يعود عنه قال له رسول الله ﷺ كيف بك يا سراقة إذا سُوِّرْتَ بسوارَيْ كِسْرَىٰ قال: كسرى بن هرمز، قال: نعم. فعاد سراقة فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلا قال: كفيتم ما ههنا ولا يلقى أحداً إلا رَدّه. قالت: أسماء بنت أبي بكر: لما هاجر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فقالوا: أين أبوك؟ قلت: لا أدري. فرفع أبو جهل يده فلطم خدي لطمة طرح قُرْطِي[٤] وكان فاحشاً خبيثاً.

ومكثنا ملياً لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ؟ حتى أتى رجل من الجن من أسفل مكة والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أمّ معبد

---

(١) هو سراقة بن مالك بن جُعْشُم بن مالك بن عمرو الكناني المدلجي، أبو سفيان. مات سنة ٢٤ هـ أول خلافة عثمان، وقيل بعد عثمان.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) ارتطم: احتبس. (القاموس).

(٤) القُرْط. ما يعلق في شحمة الأذن من الحلي.

هما نزلا بالهدى واغتديا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيالقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجاري وسُودد
ليهن بني كعب مكانُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد[١]

قالت: فلما سمعنا قوله عرفنا أنّ وجهه كان إلى المدينة وقدم بهما دليلهما[٢] قباء فنزل على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين كادت الشمس تعتدل فنزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف، وقيل نزل على سعد بن خيثمة وكان عزباً وكان ينزل عنده العزاب من أصحاب النبي ﷺ: وكان يقال لبيته: بيت العزاب والله أعلم.

ونزل أبو بكر على خبيب بن أساف بالسُّنح[٣] وقيل: نزل على خارجة بن زيد أخي بني الحارث بن الخزرج. وأما علي فإنه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة. فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه، فقال النبي ﷺ ادعوا لي علياً قيل: لا يقدر أن يمشي فأتاه النبي ﷺ واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمَرَّها على قدميه فلم يشتكهما بعدُ حتى قُتِل، ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها[٤]. فرأى إنساناً يأتيها كلّ ليلة ويعطيها شيئاً فاستراب بها

---

(١) وأورد السهيلي زيادة وهي:
سلوا أختكم عن شاتكم وإنائها ... فإنّكم إنْ تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها بحالب ... يرددها في مصدر ثم مورد
وقد جاوب على هذا الصوت بعد ذلك حسان بقصيدته التي أولها:
لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقد سر من يسري إليهم ويغتدي

(٢) وقد ذكر ابن هشام في سيرته أنه سلك بهم طريق أسفل مكة، ثم مضى بهم على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلكوا على أسفل أَمَج، ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخزار، ثم سلك بهما ثنيّة المَرَة، ثم سلك بهما القفا، ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مَرْجِح من ذي العضوين ثم بطن ذي كَشْر، ثم أخذ بهما على الحد أحد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة نعهن، ثم على العباديد، ثم الفاجة، ثم هبط بهما العَرْج، ثم ثنية العائر حتى هبط بهما بطن ريم، حتى قدما قباء.

(٣) السُّنح: إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر رضي الله عنه وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة.

(٤) الذي في ابن هشام أنَّ المرأة كانت في قباء وأنّ علياً نزل على كلثوم بن هدم الأوسي وكان شيخاً كبيراً أول من مات من مسلمي الأنصار.

فسألها عنه فقالت: هو سهل بن حُنَيْف[١] قد علم أني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إليّ ويقول احتطبي بهذه، فكان علي يذكر ذلك عن سهل بن حنيف بعد موته.

وأقام رسول الله ﷺ بقُبَاء[٢] يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة، وقيل: أقام عندهم أكثر من ذلك والله أعلم.

وأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

قال ابن عباس: ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبىء يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين؛ وهاجر يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين، واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد أن أوحي إليه، فقال أنس وابن عباس رضي الله عنهم من رواية أبي سلمة عنه وعائشة: أنه أقام بمكة عشر سنين ومثلهم قال من التابعين ابن المسيب والحسن وعمرو بن دينار، وقيل: أقام ثلاث عشرة سنة قاله ابن عباس من رواية أبي حمزة وعكرمة أيضاً عنه ولعل الذي قال أقام عشر سنين أراد بعد إظهار الدعوة فإنه بقي سنين يسيرة، ومما يقوي هذا القول قول صرمة بن أبي أنس الأنصاري:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى صديقاً مُواتيا[٣]

فهذا يدل على مقامه ثلاث عشرة سنة، لأنه قد زاد على عشر سنين، فلو كان خمس عشرة لصح الوزن وكذلك ست عشرة وسبع عشرة، وحيث لم يستقم الوزن بأن يقول ثلاث عشرة قال بضع عشرة ولم ينقل في مقام زيادة على عشر سنين إلا ثلاث عشرة وخمس عشرة، وقد روي عن قتادة قول غريب جداً وذلك أنه قال: نزل القرآن

---

(١) هو سهل بن حُنَيْف بن واهب بن العُكَيم بن ثعلبة بن مجدعة الأنصاري الأوسي، أبو سعد. شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وثبت يوم أحد معه ﷺ وكان بايعه يومئذ على الموت وكان يرمي بالنبل عن النبي ﷺ، وشهد مع علي صفين وولاه بلاد فارس، ومات بالكوفة سنة ٣٨ هـ.

(٢) قُبَاء: قرية قُرْب المدينة على ميلين منها ـ وهي مساكن بني عمرو بن عَوْف من الأنصار، وفيها مسجد التقوى.

(٣) ثوى: أقام. مواتياً: موافقاً.

على النبي ﷺ بمكة ثماني سنين ولم يوافقه غيره[1].

ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة

فمن ذلك تجميعه ﷺ بأصحابه الجمعة في اليوم الذي نزل فيه من قباء في بني سالم في بطن واد لهم: وهي أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الاسلام وخطبهم وهي أول خطبة، وكان رجل من قُباء يريد المدينة فركب ناقته وأرخى زمامها فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا: هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة فيقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مِرْبَد[2] لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو من بني النجار، فلما بركت لم ينزل عنها ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها بـه، فالتفتت خلفهـا ثم رجعت إلى مبركهـا أول مرة فبـركت فيه ووضعت جرانها[3] فنزل عنها رسول الله ﷺ واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحله وسأل رسول الله ﷺ عن المربد فقال معاذ بن عفراء هو ليتيمين لي وسأرضيهما من ثمنه فأمر به رسول الله ﷺ أنْ يبنى مسجداً، وقام عند أبي أيوب حتىٰ بنى مسجده ومساكنه.

وقيل: إن موضع المسجد كان لبني النجار فيه نخل وحرث وقبور المشركين فقال رسول الله ﷺ: ثامنوني به. فقالوا: لا نبغي به إلا ما عند الله.

فأمر به فبنى مسجده وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والأنصار وهو الصحيح. وفيها بني مسجدُقُبَاء. وفيها أيضاً توفي كلثوم بن الهدم، وتوفي بعده أسعد بن زُرَارَة وكان نقيب بني النجار فاجتمع بنو النجار وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً فقال لهم: أنتم إخواني[4] وأنا نقيبكم. فكان فضيلة لهم. وفيها مات أبو أحيحة بالطائف، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي بمكة مشركين. وفيها بنىٰ النبي ﷺ بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر؛ وقيل: بسبعة أشهر في ذي

---

(١) لعله حذف المدد الطويلة المتقطعة فإنّ الوحي انقطع ثلاث سنين فإذا لاحظنـا ذلك نجد كثيراً وافقوه لربما أن المؤلف أحدهم (م).

(٢) المِرْبَد : موقف الإبل ومَحْبِسها ، وهو أيضاً : ما يجفف فيه التمر . جمعه : مَرابِد .

(٣) جرانها : عنقها .

(٤) كذا في المطبوعة ، ولعلها (أخوالي) .

القعدة وقيل: في شوال وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين، وقيل: ابنة سبع سنين. وفيها هاجرت سَوْدَة بنت زَمْعَة زوج رسول الله ﷺ وبناته ما عدا زينب، وهاجر أيضاً عيال أبي بكر ومعهم ابنه عبدالله وطلحة بن عبيدالله. وفيها زيد في صلاة العصر ركعتان بعد مقدمه المدينة بشهر. وفيها ولد عبدالله بن الزبير وقيل: في السنة الثانية في شوال، وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، وكان النعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة وقيل: إن المختار بن أبي عبيد، وزياد بن أبيه ولدا فيها. وفيها علىٰ رأس سبعة أشهر عقد رسول الله ﷺ لعمه حمزة لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليتعرضوا لِعِيْر قريش فلقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقده. وفيها أيضاً عقد لواء لعبيدة بن الحارث بن المطلب وكان أبيض يحمله مِسْطَح بن أثاثة فآلتقىٰ هو والمشركين فكان بينهم الرمي دون المسايفة، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين بمكة فخرجا مع المشركين يتوصلان بذلك فلما لقيهم المسلمون إنحاز إليهم.

وقال بعضهم: كان لواء أبي عبيدة أول لواء عقده وإنما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض، وكان علىٰ المشركين أبو سفيان بن حرب، وقيل: مُكرز بن حفص بن الأخيف، وقيل عكرمة بن أبي جهل.

و (الأخيف) بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحتها.

وفيها عقد لواء لسعد بن أبي وقاص وسَيَّره إلى الأبواء[١]، وكان يحمل اللواء المقداد بن الأسود وكان مسيره في ذي القعدة وجميع من معه من المهاجرين فلم يلق حرباً.

جعل الواقدي هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة، وجعلها ابن إسحاق في السنة الثانية فقال: علىٰ رأس اثني عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة خرج غازياً واستخلف على المدينة سعد بن عبادة فبلغ وَدَّان[٢] يريد قريشاً وبني

---

(١) الأبواء: قرية بين مكة والمدينة.

(٢) قرية جامعة بين مكة والمدينة في نواحي الفرع، بينها وبين الأبواء ثمانية أميال قريب من الجحفة لضمرة وغفار وكنانة.

ضمرة من كنانة وهي غزاة الأبواء بينهما ستة أميال فوادعته فيها بنو ضمرة ورئيسهم مخشي بن عمرو ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وذكر ابن إسحاق بعد هذه الغزوة غزوة عُبيدة بن الحارث ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب. وفيها كان غزوة بوطة[١]، خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه في شهر ربيع الآخر يعني سنة اثنتين يريد قريشاً حتى بلغ بُواطَ من ناحية رضوى وكان في عير قريش أمية بن خلف الجمحي في مائة رجل ومعهم ألفان وخمسمائة بعير فرجع ولم يلق كيداً، وكان يحمل لواء رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ[٢].

(بُوَاط) بضم الباء الموحدة وبالطاء المهملة. وفيها غزا رسول الله ﷺ غزوة العُشَيْرة من ينبع في جمادى الأولى يريد قريشاً حين ساروا إلى الشام فلما وصل العشيرة وادع بني مدلج وحلفاءهم من ضمرة ورجع ولم يلق كيداً، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وكان يحمل لواءه حمزة. وفي هذه الغزوة كنى النبي ﷺ علياً أبا تراب في قول بعضهم. وفيها أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة[٣] فخرج رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز وكان لواؤه مع علي واستخلف علىٰ المدينة زيد[٤] بن حارثة[٥]. وفيها بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في سرية ثمانية رهط فرجع ولم يلق كيداً. وفيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلىٰ رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فقال: ما أحسن ما تدعو إليه سأنظر في أمري ثم أعود فلقيه عبدالله بن أبيّ المنافق فقال كرهت قتال الخزرج فقال أبو قيس: لا أسلم إلى سنة فمات في ذي القعدة.

---

(١) بُوَاط: جبال جُهَيْنة على أبراد من المدينة.

(٢) انظر في الغزوة: سيرة ابن هشام ٣/٢١ ـ عيون الأثر لابن سيد الناس ١/٢٢٦.

(٣) أي: حواشيها.

(٤) في الأصول: يزيد بن حارثة ـ وهو غلط صححناه من سيرة ابن هشام، والحلبية، وتسمى هذه الغزوة بدر الصغرى، أو غزوة سفوان (م).

(٥) أنظر في الغزوة: سيرة ابن هشام ٣/٢١ ـ عيون الأثر ١/٢٢٦: ٢٢٧.

ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة

وفي هذه السنة غزا رسول الله ﷺ في قول بعض أهل السير غزوة الأبواء، وقيل: ودّان وبينهما ستة أميال واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة سعد بن عبادة وكان لواؤه أبيض مع حمزة بن عبد المطلب وقد تقدم ذكرها. وفيها زوج علي بن أبي طالب فاطمة في صفر.

ذكر سرية عبدالله بن جحش

أمر رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو فتجهز فلما أراد المسير بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبدالله بن جحش في جمادى الآخرة معه ثمانية رهط من المهاجرين، وقيل: اثنا عشر رجلاً وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يكره أحداً من أصحابه ففعل ذلك ثم قرأ الكتاب وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف فيرصد قريشاً ويعلم أخبارهم فأعلم أصحابه فساروا معه وأضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبدالله ونزل بنخلة فمرت عير لقريش تحمل زبيباً وغيره فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فأشرف لهم عُكاشة بن محصن وقد حلق رأسه فلما رأوه قالوا: عمار لا بأس عليكم ـ وذلك آخر يوم من رجب ـ فرمى واقد بن عبدالله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان والحكم وهرب نوفل وغنم المسلمون ما معهم، فقال عبدالله بن جحش: إن لرسول الله ﷺ خمس ما غنمتم وذلك قبل أن يفرض الخمس، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون وأول خمس في الإسلام، وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعير والاسرى إلى المدينة.

فلما قدموا قال لهم رسول الله ﷺ: ما أمرتُكم بقتالٍ في الشهر الحرام؟!

فوقف العير والأسيرين فسقط في أيديهم وعنّفهم المسلمون، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام.

وقالت اليهود: تفائل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبدالله، عمر وعمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٌ فِيْهِ﴾[1] الآية فلما نزل القرآن وفرج الله عن المسلمين قبض رسول الله ﷺ العير وكانت أول غنيمة أصابوها وَفَدَىٰ رسول الله ﷺ الأسيرين فأما الحكم فأقام مع رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر معونة، وقيل كان قتلهم عمرو بن الحضرمي وأخذ العير آخر يوم من الجمادى وأول ليلة من رجب.

وفيها صُرِفَت القبلة من الشام إلىٰ الكعبة، وكان أول ما فرضت القبلة إلى بيت المقدس والنبي ﷺ بمكة وكان يحب آستقبال الكعبة وكان يصلي بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه ذلك وكان يؤثر أنْ يصرف إلى الكعبة فأمره الله أن يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، وقيل: على رأس ستة عشر شهراً في صلاة الظهر. وفيها أيضاً في شعبان فرض صوم شهر رمضان وكان لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم. وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين. وفيها خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد وكان ذلك أول خرجة خرجها وحملت بين يديه العَنَزَة[2] وكانت للزبير وهبها له النجاشي وهي اليوم للمؤذنين في المدينة.

---

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) العَنَزَة: عصا في رأسها سنان الرمح قدر نصف الرمح.

ذكر غزوة بدر الكبرى

وفي السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في سابع عشرة، وقيل: تاسع عشرة وكانت يوم الجمعة.

وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي وإقبال أبي سفيان بن حرب في عِيْر لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلًا أو أربعون، وقيل: قريباً من سبعين رجلًا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهري، وعمرو بن العاص فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ندب المسلمين إليهم وقال: هذه عِيْر قريش فيها أموالهم فآخرجوا إليها لعل الله أنْ ينفلكموها، فآنتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك لأنهم لن[1] يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان قد سمع أن النبيّ ﷺ يريده فحذر، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة يستنفر قريشاً ويخبرهم الخبر فخرج ضمضم إلى مكة.

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فقصتها علىٰ أخيها العباس واستكتمته خبرها قالت: رأيت راكباً على بعير له واقفاً بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث قالت: فأرىٰ الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد فمثل بعيره على الكعبة ثم صرخ مثلها ثم مثل بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة عظيمة وأرسلها فلما كانت بأسفل الوادي ارفضت فما بقي بيت من مكة إلا دخل فلقة منها؛ فخرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقه فذكرها له واستكتمه ذلك فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الخبر فلقي أبو جهل العباس فقال له: يا أبا الفضل أقبل إلينا.

---

(١) كذا في المطبوعة. ولعلها: لم.

قال: فلما فرغتُ من طوافي أقبلت إليه فقال لي: متى حدثت فيكم هذه النبية؟

وذكر رؤيا عاتكة، ثم قال: ما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم فستربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقاً وإلا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: فما كان مني إليه إلا أني جحدت ذلك وأنكرته فلما أمسيت أتاني نساء بني عبد المطلب وقلن لي: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أنْ يقع في رجالكم وقد تناول نساءكم ولم تنكر عليه ذلك قال قلت: والله كان ذلك ولأتعرضن له فإن عاد كفيتكموه. قال: فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أحب أنْ أدركه فرأيته في المسجد فمشيت نحوه أتعرض له ليعود فأوقع به فخرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت: ما باله قاتله الله أكل هذا فرَقاً من أن أشاتمه؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً علىٰ بعيره قد جدّعه، وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أدري إنْ تدركوها الغوث الغوث فشغلني عنه وشغله عني قال: فتجهز الناس سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة[١] وعزم أمية بن خلف الجمحي على القعود فإنه كان شيخاً ثقيلاً بطيئاً فأتاه[٢] عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار وما يتبخر به وقال: يا أبا علي

---

(١) وذلك في مقابلة ماله عليه من الدين وقدره أربعة آلاف درهم بسبب الربا وأفلس فاستأجره بها ، كذا في السير (م) .

(٢) بل سبب ذلك كما رواه البخاري في صحيحه في غزوة بدر أنّ سعد بن معاذ سيد الأوس كان صديقاً لأمية بن خلف وكان أمية إذا مَرّ بالمدينة نزل على سعد وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً فنزل على أمية بمكة فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أطوف بالبيت .

فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان مَنْ هذا الذي معك ؟ فقال ؛ هذا سعد . فقال له أبو جهل : لا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً.

فقال له سعد ، ورفع صوته عليه ـ : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليه منه طريقك على المدينة .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي .

فقال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنهم قاتلوك .

قال: بمكة. قال: لا أدري.

استجمر فإنما أنت من النساء. فقال: «قبحك الله وقبح ما جئت به»، وتجهز وخرج معهم.

وعزم عتبة بن ربيعة أيضاً على القعود فقال له أخوه شيبة: إنْ فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض مع قومك فمشىٰ معهم فلما أجمعوا علىٰ المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث فخافوا أنْ يؤتوا من خلفهم فجاءهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي وكان من أشراف كنانة وقال: أنا جار لكم فأخرجوا سراعاً وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل: كانوا ألف رجل وكانت خيلهم مائة فرس فنجا منها سبعون فرساً وغنم المسلمون ثلاثين فرساً وكان مع المشركين سبعمائة بعير، وكان مسير رسول الله ﷺ لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وقيل: أربعة عشر؛ وقيل: بضعة عشر رجلاً، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين، وقيل: ثلاثة وثمانون والباقون من الأنصار؛ فقيل جميع من ضرب له رسول الله ﷺ بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ومن الأوس أحد وسبعون رجلاً ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

ولم يكن فيهم غير فارسين أحدهما المقداد بن عمرو الكندي ولا خلاف فيه، والثاني قيل: كان الزبير بن العوّام، وقيل كان مرثد بن أبي مرثد[1]، وقيل المقداد وحده.

= ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية إلى أهله قال:
يا أم صفوان ألم تري إلى ما قال لي سعد. قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أنّ محمداً أخبرهم أنهم قاتلي. قال: بمكة. قال: لا أدري.
فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.
فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، قال؛ أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلّفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا عنك. فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير مكة، ثم قال أمية؛ يا أم صفوان جهزيني.
فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي! قال؛ لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً.
فلما خرج أمية لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله الله تعالى ببدر.

(١) هو مرثد بن أبي مرثد الغنوي (ت ٣ هـ): شهد هو وأبوه بدراً، آخى النبي ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، وتوفي في غزوة الربيع.

وكانت الإبل سبعين بعيراً فكانوا يتعاقبون عليها، البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين النبي ﷺ وعليّ ، وزيد بن حارثة بعير، وبين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعير، وعليّ مثل هذا، وكان فرس المقداد اسمه «سبحة» وفرس الزبير اسمه «السيل»، وكان لواؤه مع مصعب بن عمير بن عبد الدار ورايته مع علي بن أبي طالب.

وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة الأنصاري فلما كان قريباً من الصفراء بعث بُسَيْس بن عمرو. وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ وترك الصفراء يساراً وعاد إليه بسيس بن عمرو يخبره أنّ العِيْر قد قاربت بدراً ولم يكن عند رسول الله ﷺ والمسلمين عِلْم بمسير قريش لمنع عِيرهم، وكان قد بعث علياً والزبير وسعداً يلتمسون له الخبر ببدر فأصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بني الجحجاح، وأبو يسار غلام بني العاص فأتوا بهما النبي ﷺ وهو قائم يصلي فسألوهما فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكَرِه القوم خبرهما وضربوهما ليخبروهما عن أبي سفيان فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وفرغ رسول الله ﷺ من الصلاة وقال: إذا صدقاكم ضربتموها، وإذا كذباكم تركتموها! صدقا أنهما لقريش أخبِرَاني أين قريش؟

قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترىٰ بالعَدْوة القُصْوَى. فقال رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالا: كثير، قال: كم عدتهم؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون؟ قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً. قال: القوم بين التسعمائة إلى الألف. ثم قال: لهما: فمَنْ فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد، وأبو البختري بن هشام، وحَكيم بن حِزَام، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث وزَمْعَة بن الأسود، وأبو جهل، وأمية بن خلف، ونُبَيْه، ومُنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد وُدّ.

فأقبل رسول الله ﷺ على أصحابه وقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

ثم استشار أصحابه فقال أبو بكر، فأحسن، ثم قال عمر فأحسن، ثم قام

المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله آمْض لِمَا أَمَرَكَ الله فنحنُ معك، والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُون﴾[1] ولكن آذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سِرْتَ بنا إلى بِرْك الغَمَاد[2] ـ يعني مدينة الحبشة ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه».

فدعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليَّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار لأنهم كانوا عدته للناس وخاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة وليس عليهم أن يسير بهم فقال له سعد بن معاذ: «لكأنك تريدنا يا رسول الله».

قال: أجل. قال: قد آمنا بك، وصدّقناك، وأعطيناك عهودنا، فآمض يا رسول الله لِمَا أُمِرْتَ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا الخبر فخضته لنخوضنه معك وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً، إنا لصُبُرٌ عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينُك فَسِرْ بنا على بَرَكة الله.

فسار رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا فَإِنّ الله قد وَعَدَنِي إحدى الطائفتين، والله لكَأَنّي أنظر إلى مصارع القوم. ثم انحط علىٰ بدر فنزل قريباً منها.

وكان أبو سفيان قد ساحل[3] وترك بدراً يساراً ثم أسرع فنجا فلما رأى أنه قد أحرز عِيْرَه أرسل إلى قريش وهم بالجُحْفَة[4] إن الله قد نَجّىٰ عيركم وأموالكم فآرجعوا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً ـ وكان بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام ـ فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجُزُرَ، ونُطْعِمَ الطعام، ونسقي الخمر. وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً. فقال الأخنس بن

---

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) بِرْك الغماد: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر.

(٣) أي: سار محاذياً لساحل البحر.

(٤) الجُحْفَة: كانت قرية كبيرة على طريق مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مكة والشام إنْ لم يمروا على المدينة، وسميت بالجحفة لأنّ السيل جَحَفَها، بينها وبين البحر ستة أميال.

شُرَيْق الثقفي وكان حليفاً لبني زهرة وهم بالجحفة: يا بني زُهْرَة قد نَجَّىٰ اللهُ أموالكم وصاحبكم فٱرجعوا، فرجعوا فلم يشهدها زُهْرِيّ ولا عَدَوِيّ وشهدها سائر بطون قريش، ولما كانت قريش بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال: إني رأيتُ فيما يرى النائم رجلاً أقبل علىٰ فَرَسٍ ومعه بَعِير له فقال: قتل عتبة، وشيبة، وأبو جهل ـ وغيرهم ممن قتل يومئذ ـ ورأيته ضرب لَبَّة بعيره ثم أرسَله في العسكر فما بقي خباء إلا أصابه من دمه. فقال أبو جهل: وهذا أيضاً نبي من بني المطلب سيعلم غداً مَن المقتول!

وكان بين طالب بن أبي طالب وهو في القوم وبين بعض قريش محاورة فقالوا: والله قد عرفنا أنّ هواكم مع محمد، فرجع طالب إلىٰ مكة فيمن رجع، وقيل: إنما كان خرج كرهاً فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذي يقول:

يا رب إمّا يغزون طالب	في مِقْنَب[١] من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب	وليكن المغلوب غير الغالب

ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادي وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا [٢] فأصاب رسول الله ﷺ واصحابه منه ما لَبَّد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشاً منه ما لم يقدروا علىٰ أن يرحلوا معه فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزله فقال: الحُبَاب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله فإنّ هذا ليس لك بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنىٰ ماء سواه من القوم فننزله ثم نُغَوِّرُ ما وراءه من

---

(١) المِقْنَب: كمنبر ـ من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثمائة.

(٢) الدهس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب.

القلب [١] ثم نبني عليه حوضاً ونملأه ماء فنشرب ماء ولا يشربون ثم نقاتلهم [٢]. ففعل رسول الله ﷺ ذلك.

فلما نزل جاءه سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله نبني لك عريشاً [٣] من جَرِيْد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقـىٰ عدونا فإنْ أعزنا الله وأظهرنا الله عليهم كان ذلك مما أحببناه وإنْ كانت الأخرىٰ جلست على ركائبك فلحقتَ بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم ولو ظنوا أنك تلقـىٰ حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويحاربون معك.

فأثنى عليه خيـراً، ثم بُني لرسـول الله ﷺ عريش، وأقبلت قـريش بخيلائهـا وفخرها، فلما رآها قال: « اللهم هذه قريش قد أقبلتْ بخيلائها وفخرها، تحادُّك [٤] وتُكَذِّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم [٥] الغداة.

ورأىٰ عتبة بن ربيعة علىٰ جمل أحمر فقال: إنْ يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يطيعوهُ يُرشدوا. وكان خُفاف بن أيماء بن رحضة الغفاري أو أبوه أيماء بعث إلى قريش حين مروا به آبناً له بجزائر أهداها لهم وعرض عليهم المدد بالرجال والسلاح.

فقال قريش: إنْ كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف وإنْ كنا نقاتل الله كما زعم محمد فما لأحدٍ بالله طاقة.

---

(١) القُلُب جمع قَلِيب وهو البئر.

(٢) ضعيف ؛ قـال العلامـة النقاد محمـد ناصـر الدين الألباني في نقده لأحاديث فقه السيـرة للغـزالي ٢٤٠ هـ ١ :

« رواه ابن هشـام ٢/٦٦ عن ابن اسحاق قـال : « حـدثت عن رجـال من بني سلمـة أنهم ذكـروا أن الحُبَاب. . . » وهذا سند ضعيف لجهالة الوساطة بين ابن اسحاق والرجال من بني سلمة، وقد وصله الحاكم ٣/١٢٦ : ١٢٧ من حديث الحباب وفي سنده من لم أعرفه.

قال الذهبي في تلخيصه : قلت : حديث منكر وسنده (كذا الأصل ولعله سقط منه « واهٍ » أو نحوه).

ورواه الأموي من حديث ابن عباس ـ كما في البداية ٣/٢٦٧ ـ وفيه الكلبي وهو كذاب » . أ هـ .

(٣) العريش : ما يستظل به .

(٤) تُحَادُّك : تعاديك.

(٥) أي : لقهم الحين ـ يعني حين هلاكهم .

فلما نزلت قريش أقبل جماعة، منهم حكيم بن حزام حتى وردوا حوض النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: آتركوهم. فما شرب منه رجل إلا قتل يومئذ إلا حكيم نجا علىٰ فرس له يقال: له الوجيه، وأسلم بعد ذلك فحسُنَ اسلامه وكان يقول إذا اجتهد في يمينه؛ لا والذي نجّاني يوم بدر. ولما اطمأنت قريش بعثوا عمرو بن وهب الجمحي ليحزر المسلمين [١] فجال بفرسه حولهم ثم عاد فقال: هم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولقد رأيت البلايا [٢] تحمل المنايا نواضح [٣] يثرب تحمل الموت الناقع، ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله لا يُقتل رجلٌ منهم إلا يقتل رجلاً منكم فإذا أصابوا أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك فَرُوا رأيكم.

فلما سمع حَكيم بن حَزام ذلك مشى في القوم فأتىٰ عتبة بن ربيعة فقال: « يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها هل لك أن لا تزال تُذْكَر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ »

قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلتُ علىٰ دمه وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فلا أخشىٰ أن يفسد أمر الناس غيره.

فقام عتبة في الناس فقال: إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً والله لئن أصبتموهم لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته. قال حكيم بن حزام: فانطلقت إلى أبي جهل فوجدته قد نثل درعاً [٤] وهو يهيئها فأعلمته ما قال عتبة فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال لكن رأىٰ ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع إلى مكة بالناس وقد رأيتُ ثأرك بعينك فأنشد خفرتك ومقتل أخيك.

---

(١) أي: يعرف مقدارهم.

(٢) بلايا: جمع بلية وهي الناقة والدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت.

(٣) جمع ناضح وهي الفاقة التي يستقى عليها.

(٤) أي: أخرج.

فقام عامِر وصرخ: واعمراه واعمراه، فحمِيَتْ الحربُ واستوثق الناس علىٰ الشر فلما بلغ عتبة قول أبي جهل « انتفخ سحره » قال: سيعلم المُصَفِّرُ استه من انتفخ سَحره أنا أم هو؟ ثم آلتمس بيضة يدخلها رأسَه فما وجد من عظم هامته فاعتجر [١] ببرد له وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان سيىء الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه، أو لأموتن دونه.

فخرج إليه حمزة فضربه فأطنّ قدمه [٢] بنصف ساقه فوقع علىٰ الأرض ثم حبا إلى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه، وتبعه حمزة فضربه حَتّىٰ قتله في الحوض. ثم خرج عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة ودَعُوا إلى المبارزة، فخرج إليهم عوف ومُعوّذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة كلهم من الأنصار، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار. فقالوا: أكفاء كِرام وما لنا بكم من حاجة؟ ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا. فقال النبي ﷺ: قُم يا حمزة، قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا علي، فقاموا، ودنا بعضُهم من بعض فبارز عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان أمير القوم عتبة، وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أنْ قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه، وكر حمزة وعليّ علىٰ عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قُطِعَتْ رجله فلما أتوا به النبي ﷺ قال: « ألستُ شهيداً يا رسول الله »؟ قال: نعم، قال: « لو رآني أبو طالب لعلم أننا أحق منه بقوله:

ونسلمه حتىٰ نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل.

ثم مات، وتزاحف القومُ ودنا بعضُهُم من بعض وأبو جهل يقول: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه [٣] وكان رسول الله

---

(١) الاعتجار: لف العمامة.

(٢) أي: أطارها.

(٣) وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ إنْ تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين ﴾ (الأنفال: ١٩).

ﷺ قد أمر أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال: إنْ اكتنفكم القوم فانضحوهم (١) عنكم بالنبل، ونزل في العريش ومعه أبو بكر وهو يدعو ويقول:

اللهم إنْ تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض، اللهم انجزلي ما وعدتني »، ولم يزل حتى سقط رداؤه فوضعه عليه أبو بكر ثم قال له:

كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. واغفى رسول الله ﷺ في العريش إغفاءة، وانتبه ثم قال: يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع! وانزل الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم ﴾ (٢) الآية، وخرج رسول الله ﷺ، وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّون الدُّبُر ﴾ (٣) وحرض المسلمين وقال:

والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة.

فقال: عمير بن الحمام الأنصاري وبيده تمرات يأكلهن « بَخٍ بَخٍ ما بيني وبين أنْ أدخل الجنة إلا أن يقتُلني هؤلاء »! ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قُتِلَ.

ورُمِيَ مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل؛ ثم رُمِيَ حارثة بن سراقة الأنصاري فقتل، وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل، واقتتل الناس قتالاً شديداً، فأخذ رسول الله ﷺ حِفْنَة من التراب ورمى بها قريشاً وقال: « شاهت الوجوه »، وقال لأصحابه: « شُدُّوا عليهم »، فكانت الهزيمة فقتل الله من قَتَل من المشركين، وأسر من أسَرَ منهم.

ولما كان رسول الله ﷺ في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كَرَّةَ العدو فرأى رسولُ الله

---

(١) أي: أرموهم.
(٢) الأنفال: ٩.
(٣) القمر: ٤٥.

ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس من الأسر، فقال له رسول الله ﷺ: لكأنك تكره ذلك يا سعد؟

قال أجل: يا رسول الله أول وقعة أوقعها الله بالمشركين كان الإثخان [١] أحبّ أليّ من استبقاء الرجال. وكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح وقريش محيطة به يقولون: لا يخلص إلى أبي الحكم. قال معاذ: فجعلته مِنْ شأني فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي فتعلقت بجلدة من جثتي فقاتلت عامة يومي وإني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها رجلي، ثم تمطيت حتى طرحتها. وعاش معاذ إلى زمان عثمان رضي الله عنه.

ثم مر بأبي جهل مُعَوَّذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رَمَق [٢] ثم مر به ابن مسعود وقد أمر رسول الله ﷺ أن يُلْتَمس في القتلى فوجده بآخر رَمَق قال: فوضعت رجلي على عُنُقِهِ ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال وبما أخزاني؟ أأعمد من رجل قتلتموه؟! أخبرني لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله.

فقال له أبو جهل: لقد ارتقيت يا رُوَيْعِيَّ الغنم مرتقىً صعباً. قال: فقلتُ إني قاتِلُك.

قال: ما أنت بأول عَبْدٍ قَتَلَ سيده أما إنّ اشد شيء لقيته اليوم قتلك إياي وألا قتلني رجل من المطيبين الأحلاف. فضربه عبد الله فوقع رأسُه بين رجليه، فحمله إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله.

وكان عبد الرحمن بن عوف قد غنم أذراعاً فمر بأمية بن خلف وابنه علي فقالا له: نحن خيرٌ لك من هذه الأدراع. فطرح الأدراع وأخذ بيده وبيد ابنه ومشىٰ بهما. فقال له

---

(١) الإثخان: كثرة القتل.

(٢) الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال:

إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا بن أخي وما تصنع به؟

قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه.

فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله. قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء.

أمية: مَن الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: حمزة بن عبد المطلب. قال أمية: هو الذي فَعَلَ بنا الأفاعيل. ورأى بلالُ أميةَ ـ وكان يعذبه بمكة فيخرج به إلى رَمْضَاء مكة فيضجعه علىٰ ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال: أحدٌ أحدٌ ـ فلما رآه بلال قال: **أمية رأس الكفر؟! لا نجوتُ إنْ نجا**، ثم صرخ: يا أنصار الله رأسُ الكفر رأسُ الكفر، أمية بن خلف، لا نجوتُ إنْ نجا.

فأحاط بهم المسلمون وقَتَل أمية وابنه علي، وكان عبد الرحمن يقول: « رحم الله بلالاً ذهبت أدراعي وفَجَعَني بأسيرَيَّ».

وقُتِل حنظلة بن أبي سفيان بن حرب قتله علي بن أبي طالب.

ولما انهزم المشركون أَمَرَ النبي ﷺ أن لا يُقْتَل أبو البختري بن هشام لأنه كان أخف القوم على رسول الله ﷺ وهو بمكة؛ وكان ممن اهتم في نقض الصحيفة فلقيه المُجَذَّر [١] بن زياد البَلْوِيّ حليف الأنصار ومعه زميل له، فقال له: إن رسول الله قد نهىٰ عن قتلِك. فقال: وزميلي. فقال المجذر: لا والله. قال: إذا والله لأموتن أنا وهو، ولا تتحدث نساء قريش أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. فقتل ثم أخبر رسول الله ﷺ بخبره. وجيءَ بالعباس أسره أبو اليُسر وكان مجموعاً [٢]، وكان العباس جسيماً. فقيل لأبي اليسر: كيف أسرتَه؟ قال: أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك بهيئة كذا وكذا.

فقال رسول الله ﷺ: لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم. ولما أمسى العباس مأسوراً بات رسولُ الله ﷺ ساهراً أول ليلة، فقال له أصحابه: يا رسول الله مالك لا تنام. فقال: سمعتُ تضوُّر [٣] العباس في وَثَاقِهِ فمنع مني النوم. فقاموا اليه فأطلقوه. فنام رسول الله ﷺ. وقد كان رسول الله ﷺ قال لاصحابه يومئذ: قد عرفت رجالاً من بني هاشم وغيرهم أُخْرِجُوا كُرْهاً فمَن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومَنْ لقيَ العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه أخرج كرهاً[٤]، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل أبناءنا وآباءنا وإخواننا ونترك العباس! والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف.

---

(١) المجذر: ـ على وزن معظَّم ـ واسمه عبدالله.

(٢) أي: صغير الجثّة.

(٣) أي تلوّيه وتألمه وتقلّبه ظهراً لبطن.

فبلغ النبي ﷺ فقال لعمر: يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حذيفة أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟

فقال أبو حذيفة: لا أزال خائفاً من تلك الكلمة ولا يكفِّرها عني إلا الشهادة فقُتل يوم اليمامة شهيداً.

وقد كان رسول الله ﷺ قال لأصحابه: قد رأيت جبريل وعلىٰ ثناياه النَّقْع[١]. فقال رجل من بني غفار: أقبلت أنا وابن عم لي فصعدنا جبلاً يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننظر لمن تكون الدائرة فننتهب فدنت منا سحابة فسمعت فيها حمحمة الخيل وسمعتُ قائلاً يقول: أقدِم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فمات مكانه، وأما أنا فكِدْت أهلك فتماسكت. وقال أبو داود المازني، إني لاتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أنْ يصل سيفي إليه فعرفتُ أنه قتله غيري. وقال سهل بن حنيف: كان أحدُنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف. فلما هَزَم الله المشركين وقُتل منهم من قتل وأُسر من أسر أمر رسول الله ﷺ أنْ تطرح القتلىٰ في القَلِيْب فطرحوا فيه إلا أمية بن خَلَف فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا به ليخرجوه فتقطع وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه، ولما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله ﷺ، وقال:

« يا أهل القَلِيب بِئْسَ عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدَّقني الناس ».

ثم قال: يا عُتْبة، يا شيبة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام ـ وعَدَّد مَنْ كان في القليب ـ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقاً. فقال له أصحابه: أتكلم قوماً موتى! فقال: ما أنتم بأسمع لِمَا أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أنْ يجيبوني.

ولما قال ﷺ لأهل القليب ما قال رأىٰ في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكراهية وقد تغير فقال: لعلك قد دَخَلَك من شأن أبيك شيءٌ؟ قال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي وفي مصرعه ولكنه كان له عقلٌ وحِلْمٌ وفَضْلٌ فكنتُ أرجو له الاسلام، فلما رأيت ما مات عليه من الكفر أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر فجمع ما في العسكر فٱختلف المسلمون، فقال مَن جمعه:

---

(١) النَّقْع: الغبار الساطع.

هو لنا. وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: والله لولا نحن ما أصبتموه نحن شَغَلْنَا القومُ عنكم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ وهو في العريش: والله ما أنتم بأحق به منا لقد رأينا أنْ نأخذ المتاع حين لم يكن له مَنْ يمنعه. ولكن خفنا كَرَّةَ العدو علىٰ رسول الله ﷺ فقمنا دونه. فنزع الله الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله ﷺ، فقسّمها بين المسلمين علىٰ سواء، وبعث رسول الله ﷺ عبدَ الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، وزيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة من المدينة، فوصل زيد وقد سَوُّو التراب علىٰ رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ وكانت زوجة عثمان بن عفان خلفه رسول الله ﷺ عليها وقسم له، فلما عاد رسول الله ﷺ لقيه الناس يهنئونه بما فتح الله عليه، فقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري: إنْ لقينا الأعجائز صلعاً[١] كالبدن المعقلة[٢] فنحرناها فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: يا بن أخي أولئك الملأ من قريش، وكان في الأسرىٰ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، فأمر علي بن أبي طالب بقتل النضر فقتله بالصفراء، وأمر عاصمَ بن ثابت بقتل عُقْبَة بن أبي مَعَيْط؛ فلما أرادوا قتله جزع من القتل، وقال: مالي أُسوة بهؤلاء ـ يعني الأسرى ـ؟ ثم قال: يا محمد مَنْ للصِّبْيَة؟ قال: النار. فقتله بعرق الظبية صبراً[٣].

وكان في الأسرى سُهَيْل بن عمرو أسره مالك بن الدُّخْشَم[٤] الأنصاري، فلما أتى به النبي ﷺ قال عمر بن الخطاب: دعني انزع ثنيتيه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ـ وكان سهيل أعلم ـ[٥].

فقال رسول الله ﷺ: دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه. فكان مقامه ذلك عند موت النبي ﷺ، وسنذكره عند خبر الردة إنْ شاء الله.

ولما قدم به المدينة قالت له سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ: أعطيتم بأيديكم كما

---

(١) جمع: صلعاء وهي التي انتثر شعرها من الهرم والشيخوخة.

(٢) أي: المقيدة.

(٣) أخرجه البيهقي ٦/٣٢٣ قتل الصبر يقال لمن يقتل بغير حرب وإنما يحبس ثم يقتل.

(٤) هو مالك بن الدُّخْشَم بن مالك بن غنم بن عوف.
شهد العقبة، وبدر في قول، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ فأحرق مسجد الضرار هو ومعن بن عدي.

(٥) أي: مشقوق الشفة العليا.

تفعل النساء! ألا متم كراماً. فسمع رسول الله ﷺ قولها فقال لها: يا سودة علىٰ الله وعلى رسوله [١]؟

فقالت: يا رسول الله ما مَلَكْتْ نفسي حين رأيتُه أنْ قلتُ ما قلتُ. وقال رسول الله ﷺ: استوصوا بالأسرىٰ خيراً. وكان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه.

فكان أول من قَدِمَ مكة بمصاب قريش الحيسمان بن أياس الخزاعي فقالوا: ما وراءك؟

قال: قُتِلَ عتبة وشيبة، وأبو الحكم، ونُبَيْه، ومنبه ابنا الحجاج، وعَدّد أشراف قريش. فقال صفوان بن أمية: والله إنْ يعقل [٢] فاسألوه عني. فقالوا: ما فعل صفوان. قال: هو ذاك جالس في الحِجْر وقد رأيت أباه وأخاه حين قُتِلَا. ومات أبو لهب بمكة بعد وصول خبر مقتل قريش بتسعة أيام، وناحت قريش علىٰ قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيَشْمَتْ محمدٌ وأصحابه، ولا تبعثوا في فداء أسراكم لا يشتط عليكم محمد. وكان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة، وعقيل، والحارث. وكان يحب أن يبكي على بَنِيْه فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة فقال لغلامه وقد ذهب بصره: اُنْظُرْ هل أُحِلَّ البكاء لِعليِّ أبكي على زمعة فإنّ جوفي قد احترق. فرجع إليه، وقال له: إنما هي امرأة تبكي علىٰ بعير لها أضلّته فقال:

أتبكي أنْ يضل لها بعيرٌ	ويمنَعُهَا من النوم السهود!
ولا تبكي على بكرٍ ولكن	علىٰ بدرٍ تقاصرتْ الجدود!
على بدر سراة بني هُصَيْص	ومخزوم ورهط أبي الوليد [٣]
فبكي إن بكيت علىٰ عقيل	وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمى [٣] جميعاً	فما لا بي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم أناس	ولولا يوم بدر لم يسودوا

---

(١) رواية ابن هشام: أعلى الله ورسوله تحرضين؟

(٢) أي: لا يعقل.

(٣) هذا البيت والبيتان اللذان بعده مجرورات والذي يظهر انهامدخلة في هذه القصيدة، ولا حاجة لأن تقول في القصيدة إقواء وهو اختلاف المجرى بكسر وضم فذلك لو كان بيت واحد أما وقد اتفقت ثلاثة أبيات فالأظهر أنها وحدها قصيدة وكذلك الثلاثة المرفوعة. (م).

يعني أبا سفيان.

ثم إنّ قريشاً أرسلتْ في فِدَاء الأسارى، فأول من فُدِيَ أبو وداعة السهمي فداه ابنه المطلب، وفدىٰ العباس نفسه. وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وحليفه عتبة بن عمرو بن جَحدم أمره رسول الله ﷺ بذلك، فقال: لا مال لي. فقال له رسول الله ﷺ: أين المال الذي وضعته عند أم الفضل وقلت لها: إنْ أصبتُ فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا. قال: والذي بعثك بالحق ما عَلِم به أحدٌ غيري وغيرها وإني لأعلم أنك رسول الله. وفدىٰ نفسه وابنَيْ أخويه وحليفه، وكان قد أخذ مع العباس عشرون أوقية من ذهب، فقال: آحسبها في فدائي. فقال النبي ﷺ: لا ذاك شيء أعطاناه الله عز وجل.

وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان أسره علي فقيل: لابيه آفدِ عَمْراً. فقال: لا أجمع عليَّ دمي ومالي يقتل ابني حنظلة وأفدي عمراً فتركه ولم يفكّه ثم إن سعد بن النعمان الأنصاري خرج إلى مكة معتمراً فأخذه أبو سفيان وكانت قريش لا تعرِض لحاج ولا معتمر فحبسه أبو سفيان ليفدي به عمراً ابنه وقال:

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه ... تفاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو لئام أذلة ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فمشى بنو عمرو بن عوف إلىٰ النبي ﷺ فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان ففادوا به سعداً.

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وكان مِنْ أكثر رجال مكة مالاً وأمانة وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة زوج رسول الله ﷺ فسألته أن يزوِّجه زينب ففعل قبل أنْ يوحىٰ إليه، فلما أوحيَ إليه آمنت به زينب وكان رسول الله ﷺ مغلوباً بمكة لم يقدر أن يفرّق بينهما، فلما خرجت قريش إلىٰ بدر خرج معهم فأُسر فلما بعثت قريش في فداء الأسارىٰ بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها معها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: «إنْ رأيتم أنْ تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فآفعلوا». فآطلقوا لها أسيرها وردوا القلادة وأخذ رسول الله ﷺ عليه أن يرسل زينب إليه بالمدينة وسار إلى مكة، وأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه ورجلاً من

الأنصار ليصحبا زينب من مكة، فلما قدم أبو العاص أَمَرَها باللحاق بالنبي ﷺ فتجهزت سراً وأركبها كنانة بن الربيع أخو أبي العاص بعيراً وأخذ قوسه وخرج بها نهاراً فسمعتْ بها قريش فخرجوا في طلبها فلحقوها بذي طُوىً وكانت حاملاً فطرحت حملها لَمّا رِيْعَتْ[1] لخوفها، ونثر كنانة أسهمه ثم قال: والله لا يدنو مني أحدٌ إلا وضعتُ فيه سهماً.

فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال: خرجَت بها علانية فيظن الناس أنّ ذلك عن ذُلٍّ وضعفٍ منا ولعمري ما لنا في حبسها حاجة فارجعْ بالمرأة ليتحدث الناس أنّا رددناها.

ثم أَخْرَجَهَا ليلاً وسَلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله ﷺ فأقامت عنده فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بأمواله وأموال رجال من قريش فلما عاد لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأخذوا ما معه وهرب منهم، فلما كان الليل أتىٰ إلى المدينة فدخل علىٰ زينب فلما كان الصبح خرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة فكبّر وكبّر الناس فنادتْ زينب من صفة النساء: أيها الناس إنّي قد أجرتُ أبا العاص.

فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده ما علمتُ بشيءٍ من ذلك وإنه ليجيرُ علىٰ المسلمين أدناهم. وقال لزينب: لا يخلصنّ إليك فلا يحل لك. وقال للسرية الذين أصابوه: إنْ رأيتم أن تردوا عليه الذي له فإنّانحب ذلك وإنْ أبيتم فهو فيءُ الله الذي أفاءه عليكم وأنتم أحق به.

قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، فردوا عليه ماله كله حتى الشِّظَاظ. ثم عاد إلى مكة فرّد علىٰ الناس مالهم وقال لهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما منعني من الاسلام عنده إلا تخوّف أنْ تظنوا أنما أردتُ أكلَ أموالكم. ثم خرج فقدم على النبي ﷺ فرّد عليه أهله بالنكاح الأول، وقيل بنكاحٍ جديد.

وجلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد بدر وكان شيطاناً ممن كان يؤذي النبي وأصحابه، وكان ابن وهب في الأسارىٰ فقال صفوان: لا خيرَ في العيشِ بعد مَنْ أصيب ببدر. فقال عمير: صدقتَ ولولا دَيْنٌ عليَّ وعيالٌ أخشىٰ ضيعتهم لركبتُ

(١) وسبب ترويعها كما ذكره أصحاب السيد أن هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى هو أول من أدركها فروعها بالرمح وهي في هودجها فطرحت ما في بطنها (م).

إلى محمد حتى أقتله. فقال صفوان: دينُك عليّ وعيالُك مع عيالي أسوتهم. فسار إلى المدينة فقدمها فأمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب بإدخاله عليه، فأخذ عمر بحمالة سيفه، وقال لرجال معه من الأنصار: آدخُلوا على رسول الله ﷺ وآحذروا هذا الخبيث. فلما رآه رسول الله ﷺ قال لعمر: اتركه، ثم قال: ادن يا عمير ما جاء بك. قال: جئتُ لهذا الأسير. قال: أصدُقْني. قال: ما جئتُ إلا لذلك. قال: بل قعدتَ أنت وصفوان وجَرَىٰ بينكما كذا وكذا. فقال عمير: أشهدُ أنك رسول الله هذا الأمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فالحمد لله الذي هداني للاسلام فقال رسول الله ﷺ: فَقّهوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن وأطلقوا له أسيره. ففعلوا. فقال: يا رسول الله كنتُ شديدَ الأذىٰ للمسلمين فأُحِبُّ أنْ تأذن لي فاقدم مكة فأدعو إلى الله وأوذي الكفار في دينهم كما كنت أوذي أصحابك. فأذن له فكان صفوان يقول أبشروا الآن بوقعة تأتيكم تنسيكم وقعة بدر، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الله فاسلم معه ناس كثير وكان يؤذي من خالفه.

وقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سُهَيْل بن عمرو وكان رسول الله ﷺ يشاور أبا بكر وعمر وعلياً في الأسارى فأشار أبو بكر بالفداء، وأشار عمر بالقتل فمال رسول الله ﷺ إلى الفداء[1] فأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيم ﴾[2] وكان الأسرى سبعين فَقُتِل من المسلمين عقوبة بالمفاداة[3] يوم أُحُد سبعون وكسرتْ رباعية رسول الله ﷺ وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وانهزم أصحابه فأنزل الله تعالى ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾[4]، وكان جميع من قتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين[5] وثمانية من الأنصار[6].

---

(١) في المطبوعة: (القتل)! ـ خطأ.

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) هذا الكلام باطل ويرده صريح الآية وهو قوله تعالى ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم ... ﴾ وهذا يفيد امتناع العذاب فكيف يقع بعد ذلك في أحد!

(٤) آل عمران: ١٦٥.

(٥) وهم: عبيدة بن الحارث بن المطلب ـ وعمير أخو سعد بن أبي وقاص الزهري ـ وذو الشمالين، وعاقل بن بكير من بني سعد، ومهجع عبد عمر بن الخطاب، وصفوان بن بيضاء الفهري (م).

(٦) وهم: سعد بن خيثمة، وبشر بن عبد المنذر، ويزيد بن الحارث بن فسحم، وعمير بن الحمام الحرامي، ورافع بن المعلى ومعاذ ومعوّذ ابنا عفراء، وحارثة بن سراقة.

وردّ رسـول الله ﷺ جماعـةً آستصغرهم منهم: عبـد الله بن عمر، ورافـع بن خَدِيج، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وأسيد بن ظهير،[١] وضرب رسول الله ﷺ لثمانية نفر بسهم في الأنفال لم يحضروا الوقعة منهم عثمان بن عفان كان رسول الله ﷺ خلفه على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، لمرضها وطلحة بن عبيدالله، وسعيد بن زيد كان أرسلهما يتجسسان خبر العير، وأبو لُبَابة خلفه على المدينة، وعاصم بن عَدِيّ خلفه علىٰ العالية، والحارث بن حاطب رده إلى بني عمـرو بن عوف لشيء بلغـه عنهم، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء، وخوات بن جبير كسر في بدر أسفل سيفه ذي الفقار وكان لمنبه بن الحجاج ـ وقيل: كان للعاص بن منبه ـ قتله عليّ صبراً وأخذ سيفه ذا الفقار فكان للنبي ﷺ فوهبه لعلي.

(رَحَضَة) بفتح الراء المهملة والحاء المهملة والضاد المعجمة. و (الحُبَار) بضم الحاء المهملة والباء الموحدة. (أُسَيد بن ظهير) بـضم الهمزة والظاء المشالة و (خَدِيج) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة.

---

(١) كذا في الطبري وكتب السير ـ وهو الصواب ، وفي الأصول : أسيد بن حضير وهو خطأ لانه كان من النقباء عن بني عبد الأشهل يوم العقبة الثانية .

ذكر غزوة بني قَيْنقَاع [1]

لَما عاد رسول الله ﷺ من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح اللهُ عليـه وبغوا ونقضوا العهد وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بني قينقاع. فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش وأسلموا فإنّكم قد عرفتم أني نبيٌ مرسلٌ، فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيتَ قوماً لا عِلْمَ لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصةً. فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه. فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع فجلستْ عند صائغ لأجل حليّ لها، فجاء رجل منهم فخل[2] درعها إلى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت بَدَتْ عورتها فضحكوا منها، فقام إليه رجلٌ من المسلمين فقتله[3] ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ وتحصنـوا في حصونهم فغزاهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا علىٰ حُكْمِهِ فكُتِّفُوا وهو يريد قتلهم وكانوا حلفاء الخزرج فقام إليه عبدالله بن أُبيّ بن سلول فكلمه فيهم فلم يجبه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فرأىٰ الغضب في وجه رسول الله ﷺ، فقال: ويحك أرسِلْني. فقـال: لا أرسلك حتى تحسن إلىٰ مواليّ أربعمـائة حـاسر وثلاثمائة دارع[4] قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداةٍ واحدة وإني والله لأخشىٰ الدوائر؛ فقال النبي ﷺ: هُمْ لك خلوهم لعنهم الله ولعنهُ معهم. وغنم رسول

---

(١) انظر: ابن سيد الناس ١/٢٩٤ : ٢٩٦ ـ ابن هشام ٣/١٣٧ : ١٣٨ ـ . . .

(٢) في الأصول: (فحل) ـ بالحاء المهملة ـ خطأ، وفي ابن هشام (فعقده إلى ظهرها).
فخل؛ أي جمع أسفل درعها إلى أعلاه بشوكة (م).

(٣) في ابن هشام زيادة: فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه فوقع الشر.

(٤) الحاسر: ما لا درع له.
الدارع: الذي عليه درع.

الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم من مال ولم يكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة، وكان الذي أخرجهم عُبَادة بن الصامت الأنصاري فبلغ بهم ذِبَاب[١]ثم ساروا إلى أذرعات من أرض الشام، فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتى هلكوا، وكان قد استخلف علىٰ المدينة أبا لبابة وكان لواء رسول الله ﷺ مع حمزة، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخَمَّسها، وكان أول خُمس أخذه رسول الله ﷺ في قول. ثم انصرف رسول الله ﷺ وحضر الأضحىٰ وخرج إلىٰ المصلىٰ فصلى بالمسلمين، وهو أول صلاة عيد صلاها، وضَحَّىٰ فيه رسول الله ﷺ بشاتين، وقيل: بشاة وكان أول أضحى رآه المسلمون، وضحى معه ذوو اليَسَار، وكانت الغزاة في شوال بعد بدر، وقيل: كانت في صفر سنة ثلاث وجعلها بعضهم بعد غزوة الكدر.

(ذِباب) بكسر الذال المعجمة وباءين موحدتين.

---

(١) قال ياقوت: ذِباب ـ بالكسر ـ جبل بالمدينة. وقال: ذكره الحازمي بكسر أوله، وعن العمراني. (ذُبَاب) بوزن الذباب الطائر، وفي البكري أيضاً بضم أوله.

ذكر غزوة الكُدْر [١]

قال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة اثنتين، وقال الواقدي: كانت في المحرم سنة ثلاث، وكان قد بلغ النبي ﷺ اجتماع بني سليم علىٰ ماء لهم يقال له « الكُدْر »[٢] فسار رسول الله ﷺ إلى الكدر فلم يلق كيداً[٣] وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وعاد ومعه النعم والرعاء، وكان قدومه في قول لعشر ليال مضين من شوال، وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بني سليم وغطفان فقتلوا فيهم، وغنموا النعم، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر، وعادوا منتصف شوال.

(الكُدْر) بضم الكاف وسكون الدال المهملة.

---

(١) أنظر : ابن سيد الناس ١/٢٩٧ : ٢٩٨ ـ ابن هشام ١٣٥/٣ : ١٣٦ .

(٢) قرقرة الكُدْر : قيل بناحية المعدن ، قريبة من الأرحضية بينهما وبين المدينة ثمانية بُرُد .

(٣) أي : حرباً.

ذكر غزوة السويق[1]

كان أبو سفيان قد نذر بعد بَدْر أنْ لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه حتى جاء المدينة ليلاً واجتمع بسلاَّم بن مِشْكَم سيد النَّضِيْر فعلم منه خبر الناس، ثم خرج في ليلته فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة فأتوا العُرَيض فحرقوا في نخلها، وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له، واسم الأنصاري: معبد بن عمرو ، وعادوا ورأى أنْ قد بَرّ في يمينه. وجاء الصريخ فركب رسول الله ﷺ وأصحابه، فأعجزهم وكان أبو سفيان وأصحابه يُلقون جُرُبَ السويق يتخففون بها للنجاء وكان ذلك عامة زادهم فلذلك سميت غزوة السويق، ولما رجع رسول الله ﷺوالمسلمون، قالوا: يا رسول الله ﷺ أنطمع أنْ تكون لنا غزوة. قال: نعم، وقال أبو سفيان بمكة وهو يتجهز:

كروا على يثرب وجمعهم ... فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القليب كان لهم ... فإنّ ما بعده لكم دُوَل
آليت لا أقرب النساء ولا ... يمسُّ رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيروا قبائل الأوس والـ ... ـخزرج إنّ الفؤاد يشتعل

فأجابه كعب بن مالك بقوله:

يا لهف أم المسبحين على ... جيش ابن حرب بالحرة الفشل
إذا يطرحون الرحال[2] من شيم الطـ ... ـير ويرقى لقنة الجبل

---

(١) انظر : ابن سيد الناس ١/٢٩٦ : ٢٩٧ ـ ابن هشام ٣/١٣٦ .

(٢) الرحال جمع رحل : ما يوضع على ظهر البعير وفي الأصول : رجال ـ بالجيم ـ غلط (م).

جاؤوا بجمع لوقيس مبركه   ما كان إلا كمفحص الدئل[١]
عار من النصر والثراء ومن   أبطال أهل البطحاء والأسل

وفي ذي الحجة منها مات عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع ، وجعل رسول الله ﷺ على رأس القبر حَجَراً علامة لقبره. وقيل: إن الحسن بن علي ولد فيها. وقيل: إن علي بن أبي طالب بنىٰ بفاطمة على رأس اثنين وعشرين شهراً، فإذا كان هذا صحيحاً فالأول باطل.

وفي هذه السنة[٢] كتب المعاقلة وقربه بسيفه.

(سلّام) بتشديد اللام[٣] و (مِشْكَم) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف. و (العُرَيْض) بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره ضاد معجمة واد بالمدينة.

* * *

---

(١) مِفْحَص : المكان الذي يتخذه الطائر ليجثم فيه (م) .
الدُّئل : دويبة كابن عرس. (م). .

(١) هذه العبارة منقولة من الطبري محرفة ، ونصها فيه : (وقيل إنّ في هذه السنة كتب رسول الله ﷺ المعاقل فكان معلقاً بسيفه) .
والمعاقل : الديات جمع معقُلة . والذي فهمته من ذلك أنّ رسول الله أمر بكتابة الديات أي في العمد وشبهه والخطأ ، وعلق الكتاب بسيفه ، والمذكور في الأصل تحريف . (م) .

(٣) ومثله القسطلاني قد ضبطه بالتشديد ، ولكن الشعر الذي أورده ابن هشام في سيرته لابي سفيان بن حرب يفيد التخفيف بحسب الوزن وهو :

سقاني فرواني كميتا مدامة   على عجل مني سلام بن مشكم

ورأيت في شرح السيرة للخشني ما نصه : أراد أن يقول سلام بتشديد اللام لكنه خففه لضرورة الشعر (م) .

ودخلت السنة الثالثة من الهجرة

في المحرم سنة ثلاث. سمع رسول الله ﷺ أنّ جَمْعاً من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، وبني محارب بن حفص، تجمعوا ليصيبوا من المسلمين فسار إليهم في أربعمائة وخمسين رجلًا، فلما صار بذي القَصة لقي رجلًا من ثعلبة فدعاه إلى الاسلام فأسلم وأخبره أنّ المشركين أتاهم خبره فهربوا إلى رؤوس الجبال فعاد ولم يلق كيداً، وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة. وفيها في جمادى الاولى غزا بني سليم ببُحْرَان، وسبب هذه الغزوة أنّ جمعاً من بني سليم تجمعوا ببحران من ناحية الفرع، فبلغ ذلك النبي ﷺ فسار إليهم في ثلاثمائة فلمّا بلغ بحران وجدهم قد تفرقوا فانصرف ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

(القَصة) بفتح القاف والصاد المهملة . (وبُحْران) بالباء الموحدة والحاء المهملة الساكنة.

ذكر قتل كعب بن الأَشْرَف اليهودي

وفي هذه السنة قتل كعب بن الأشرف وهو أحد بني نبهان من طَيِّىء، وكانت أمه من بني النضير وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش فسار إلىٰ مكة وحَرَّض علىٰ رسول الله ﷺ وبكىٰ أصحاب بدر، وكان يشبب بنساء المسلمين(١) حتى آذاهم، فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله ﷺ: من لي من ابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري: أنا لك به، أنا أقتله. قال: فافعل إنْ قدرتَ على ذلك. قال: يا رسول الله

---

(١) التشبيب : ذِكر أيام اللهو والشباب ، والتشبيب بالمرأة التغزل بحسنها .

لا بد لنا ما نقول[١]. قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حلٍّ من ذلك.

فاجتمع محمد بن مسلمة، وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة، والحارث بن أوس بن معاذ ـ وكان أخا كعب من الرضاعة ـ وعباد بن بشر، وأبو عَبْس بن جبر. ثم قدّموا إلى ابن الاشرف أبا نائلة فتحدث معه ثم قال له:[٢] يا بن الأشرف إني قد جئتُك لحاجة فأكتمها عليّ. قال: افعل. قال: كان قدوم هذا الرجل شُؤْماً على العرب، قطع عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت البهائم. فقال كعب: قد كنتُ أخبرتك بهذا، قال: أبو نائلة: وأريد أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك قال: ترهنوني أبناءكم[٣]. قال: أردت أن تفضحنا إنّ معي أصحابي على مثل رأيي تبيعهم وتحسن ونجعل عندك رَهْناً من الحلقة ما فيه وفاء ـ وأراد أبو نائلة بذكر الحلقة وهي السلاح أنْ لا ينكر السلاح إذا جاء مع اصحابه ـ فقال: إنّ في الحلقة لوفاء.

فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم فأخذوا السلاح وساروا إليه، وشيّعهم النبي ﷺ إلى بقيع الغرقد، ودعا لهم فلما آنتهوا إلى حصن كعب هتف به أبو نائلة وكان كعب قريب عهد بعُرْس فوثب إليه وعليه ملحفة وتحدثوا ساعة وسار معهم إلى شِعْب العجوز، ثم إن أبا نائلة أخذ برأس كعب وشَمّ بيده وقال: ما رأيت كالليلة طيباً أَعْرَف قط، ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى آطمأنّ كعب ثم مشى ساعة وأخذ بفود[٤] رأسه، ثم قال: اضربوا عدوّ الله فاختلفتْ عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئاً. قال محمد بن مسلمة: فذكرتُ مغولاً[٥] في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحةً لم يبق حولنا حصنٌ ألا

---

(١) ولا يخفى أنّ هذا الحديث الشريف أساس لترجيح المصلحة العامة ونسيان كل ما سواها من الشخصيات فإنّ كعب بن الأشرف لما كان عقبة كؤوداً في سبيل نشر الدعوة إلى الله ولم يمكن قتله إلا بالتناول من رسول الله ﷺ والطعن في الإسلام فأباح لهم ذلك، ولا شيء أعظم من هذه الفسحة، ولو عقل المسلمون لعلموا أنّ مصلحة الإسلام فوق كل شيء ويسامح لأجله كل شيء (م).

(٢) الذي في صحيح البخاري ٥/١١٥ : ١١٦ أنه محمد بن مسلمة الأنصاري.

(٣) الذي في صحيح البخاري : (أرهنوني نساءكم. قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ! قال : فأرهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسبّ أحدهم فيقال: رُهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأمة).

قال سفيان : يعني السلاح.

(٤) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن وناحية الرأس.

(٥) المِغْوَل : حديدة تجعل في وسط السوط فيكون لها غلافاً وشبه مشتمل إلا أنه أدق وأطول منه ونصل طويل أو سيف دقيق له قفا (م).

أُوقِدَتْ عليه نار، قال: فوضعته في ثُنته[١] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدوُّ الله وقد أُصيب الحارث بن أوس بن معاذ أصابه بعض أسيافنا. قال: فخرجنا على بُعاث وقد أبطأ علينا صاحِبُنَا فوقفنا له ساعة وقد نزفه الدم، ثم أتانا فآحتملناهوجئنا به للنبي ﷺ فأخبرناه بقَتْل عدوّ الله، وتَفَلَ علىٰ جُرْح صاحبنا وعُدْنَا إلى أهلينا فأصبحنا وقد خافت يهود لِوَقْعَتِنا بعدو الله فليس بها يهوديّ إلّا وهو يخاف علىٰ نفسه. قال: وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فآقتلوه ». فوثب محيصة بن مسعود[٢] علىٰ ابن سُنَيْنَةُ اليهوديّ وهو من تجار يهود فقتله وكان يبايعهم، فقال له أخوه حويصة وهو مشركٌ: يا عدو الله قتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله، وضربه. فقال محيصة. لقد أمرني بقتله مَنْ لو أمرني بقتلك لقتلتك. قال: فوالله إنْ كان لأول إسلام حويصة، فقال: إنّ ديناً بلغ بك ما أرى لعجب ثم أسلم.

(عَبْس ابن جبر) بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة. و (جبر) بالجيم والباء الموحدة و (سُنَيْنَة) تصغير سن.

وفي ربيع الأول منها تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبي ﷺ وبنىٰ بها في جمادى الآخرة. وفيها ولد السائب بن زيد[٣] ابن أخت نمير. وقال الواقدي وفيها غزا رسول الله ﷺ غزوة أنمار، يقال لها: دوام وقد ذكرنا قول ابن اسحاق قبل ذلك. وفيها كان غزوة الفَرْدة وكان أميرها زيد بن حارثة، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً، وكان من حديثها أنّ قريشاً خافت من طريقها التي كانت تسلك إلى الشام بعد بدر فسلكوا طريق العراق فخرج منهم جماعة. فيهم صفوان بن أمية، وأبو سفيان وكان عظيم

---

(١) الثُّنَية ـ بالضم ـ هي العانة أو مريطاء ما بينها وبين السرة والذي في ابن جرير الثندوه وهي لحم الثدي أو حلمته.

(٢) هو محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة الأنصاري ، الأوسي ، أبو سعد .
بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام وشهد أحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد كلها (أنظر : أسد الغابة ٥ / ١٢٠ ـ تجريد ٢ /٦٣) .

(٣) كذا في المطبوعة ابن زيد ـ وهو ابن يزيد :
هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود ، وقيل السائب بن يزيد بن سعيد بن عائذ بن الأسود ، ابن أخت النمر، أبو يزيد. توفي سنة ٨٠ وقيل ٨٢. (أنظر : أسد الغابة ٢ / ٣٢١ : ٣٢٢).

تجارتهم الفضة، وكان دليلهم فرات بن حيان من بكر[١] بن وائل فبعث رسول الله ﷺ زيداً فلقيهم على ماء يقال له الفردة فأصاب العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدِمَ بها على رسول الله ﷺ وكان الخُمْس عشرين ألفاً، وقَسّم الأربعة أخماس على السوية وأُتي بفرات بن حيان أسيراً فأسلم فأطلقه رسول الله ﷺ.

(الفردة) ماء بنجد وقد اختلف العلماء في ضبطه فقيل فَرْدة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة وبه مات زيد الخيل ويرد ذكره، وضَبَطه ابن الفرات في غير موضع قردة بالقاف، وقال ابن إسحاق: وسيّر زيد بن حارثة إلى الفَرَدة ماء من مياه نجد ضبطه ابن الفرات أيضاً بفتح الفاء والراء فإن كانا مكانين وإلا فقد ضبط ابن الفرات أحدهما خطأ.

ذكر قَتْل أبي رافع

في هذه السنة، في جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلّام بن أبي الحُقَيْق اليهودي، وكان يظاهر كعبَ بن الأشرف على رسول الله ﷺ، فلما قُتل كعب بن الأشرف وكان قتلته من الأوس. قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله ﷺ - وكانا يتصاولان تصاول الفَحْلين - فتذاكر الخزرج مَنْ يعادي رسول الله ﷺ كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخَيْبر فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله فأذن لهم فخرج إليه من الخزرج عبد الله بن عَتِيْك[٢] وسمعود بن سنان[٣]، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة[٤]، وخزاعي بن الأسود[٥] حليف لهم وأمّر عليهم عبد الله بن عَتِيْك فخرجوا حتى

---

(١) في الأصول: ابن بكر - وهو خطأ صححناه من ابن جرير وغيره (م).

(٢) هو عبدالله بن عتيك الأنصاري، أخو جابر بن عتيك الأوسي من بني مالك بن معاوية، وهو أحد قتلة أبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي. قتل باليمامة شهيد ١٢. (أنظر: أسد الغابة ٣/٣٠٦).

(٣) مسعود بن سنان الأسلمي، حليف بني غنم، من بني سلمة من الأنصار، شهد أحداً وقتل يوم اليمامة. (أنظر أسد: ٥/١٦٢).

(٤) أبو قتادة: هو الحارث بن ربعي بن بلدمة بن خناس بن عبيد بن غنم الخزرجي السلمي. قيل كان بدرياً، وروي أنّ رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك، في شعره وبشره. وقال؛ أفلح وجهك. (انظر: اسد الغابة ٦/٢٥٠).

(٥) هو خزاعي بن أسود الأسلمي حليف الأنصار، كان ممن سار إلى قتل أبي رافع. (انظر اسد الغابة ١/١٠١، ٢/١٣١).

قدِمُوا خيبر فأتوا دار أبي رافع ليلاً، فلم يَدَعُوا باباً في الدار إلا أغلقوه علىٰ أهله وكان في عُلية فآستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نفس من العرب يلتمسون المِيْرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه.

فدخلوا، فلما دخلوا أغلقوا باب العُلية ووجدوه علىٰ فراشه وابتدروه، فصاحت المرأة فجعل الرجل منهم يريد قتلها فيذكر نهي النبي ﷺ إياهم عن قتل النساء والصبيان فيُمْسك عنها، وضربوه بأسيافهم، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه، حتى أنفذه، ثم خرجوا مِنْ عنده، وكان عبد الله بن عَتِيْك سيء البصر فوقع من الدرجة فوثئت[1] رجله وثأ شديداً، فآحتملوه واختفوا وطلبتهم يهود في كل وجه فلم يروهم فرجعوا إلى صاحبهم فقال المسلمون: كيف نعلم أنّ عدو الله قد مات؟ فعاد بعضهم ودخل في الناس فرأىٰ الناس حوله وهو يقول: لقد عرفتُ صوت ابن عَتِيْك ثم قلت؟ أين ابن عتيك. ثم صاحت امرأته وقالت: مات والله. قال: فما سمعتُ كلمةً ألذّ إلى نفسي منها، ثم عاد إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وسمع صوت الناعي يقول: انعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، وساروا حتى قدموا على النبي ﷺ، واختلفوا في قتله، فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيافكم» فجاؤوا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس، هذا قتله، أرىٰ فيه أثر الطعام.

وقيل في قتله[2]: إن رسول الله ﷺ بعثَ إلى أبي رافع اليهودي وكان بأرض الحجاز رجالاً من الأنصار وأمّر عليهم عبدالله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ فلما دنوا منه غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، فقال عبد الله بن عَتِيْك لأصحابه: أقيموا مكانكم، فإني أنطلق وأتلطّف للبواب لعلي أدخل. فآنطلق فأقبلَ حتّىٰ دنا مِن الباب فتقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته فهتف به البواب إنْ كنتَ تريد أنْ تدخل فآدخل فإني أريد أن أغلق الباب. فدخل، وأغلق الباب، وعَلّق المفاتيح علىٰ وتد، قال: فقمتُ فأخذتها ففتحتُ بها الباب وكان أبو رافع يَسْمَر عنده في علالي له، فلما أراد النوم ذهب عنه السمار فصعدتُ إليه فجعلتُ كلما فتحتُ باباً أغلقته علىٰ مِنْ داخل، فقلت: إنْ علموا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله. قال: فآنتهيت إليه فإذا هو في

---

(١) الوثء، والوثاءة، وصم يصيب اللحم لا يبلغ العظم أو توجع فيه بلا كسر.

(٢) هذه الرواية واقعة لما في صحيح البخاري ١١٥/٥ : ١١٦ ط. الشعب

بيتٍ مظلم وسط عياله لا أدري أين هو؟ فقلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنى عني شيئاً وصاح فخرجت من البيت غير بعيد ثم دخلتُ عليه فقلت: ما هذا الصوت؟ قال: لأمك الويل إنّ رجلاً في البيت ضربني بالسيف. قال: فضربته فأثخنته فلم أقتله ثم وضعتُ حد السيف في بطنه حتى أخرجته من ظهره، فعرفتُ أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب وأخرج حتىٰ آنتهيتُ إلى درجة فوضعت رجلي وأنا أظن أني انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة وانكسرت ساقي فعصبتُها بعمامتي وجلست عند الباب فقلت: والله لا أبرح حتى أعلم أقتلته أم لا. فلما صاح الديك قام الناعي فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز فآنطلقتُ إلى أصحابي فقلت: النجاء قد قَتَل الله أبا رافع، فآنتهيت إلىٰ النبي ﷺ فحدثته فقال: آبسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأنّي لم أشتكها قط، قيل: كان قتل أبي رافع في ذي الحجة سنة أربع من الهجرة والله أعلم.

(سلّام) بتشديد اللام و (حُقَيْق) بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى تصغير حق.

وفيها تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب في شعبان، وكانت قبله تحت (خُنَيْس) ـ بضم الخاء المعجمة وبالنون المفتوحة وبالياء المعجمة باثنتين من تحت وبالسين المهملة ـ وهو ابن حذافة السهمي فتوفي فيها.

ذكر غزوة أُحُد[1]

وفيها في شوال لسبع ليال خلون منه كانت وقعة أُحُد، وقيل للنصف منه. وكان الذي أهاجها وقعة بدر، فإنه لما أُصِيْب من المشركين مَن أصيب ببدر مشىٰ عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بها فكلموا أبا سفيان؛ ومن كان له في تلك العير تجارة وسألوهم أنْ يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله ﷺ ليدركوا ثأرهم منهم ففعلوا وتجهز الناس وأرسلوا أربعة نفر وهم عمرو بن العاص، وهبيرة بن أبي وهب، وابن الزبعرى وأبو عزة الجمحي، فساروا في العرب ليستنفروهم، فجمعوا جمعاً من ثقيف وكنانة وغيرهم واجتمعت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وتهامة، ودعا جبير بن مُطْعَم غلامه وَحْشِيّ بن حرب وكان حبشياً يقذف بالحربة قلّما يخطىء فقال له: اخرج مع الناس فإنْ قتلت عم محمد بعمي طعيمة بن عَدِيّ فأنت عتيق، وخرجوا معهم بالظُّعُن[2] لئلا يفروا، وكان أبو سفيان قائد الناس فخرج بزوجته هند بنت عتبة وغيره من رؤساء قريش، خرجوا بنسائهم، خرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، وخرج صفوان بن أمية ببريرة ـ وقيل: برزة بنت مسعود الثقفية أخت عروة بن مسعود وهي أمّ ابنه عبد الله بن صفوان ـ وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أمّ ولده عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعد؛ وهي أمّ بنيه

---

(١) أنظر: ابن سيد الناس ٢/٢ : ٢٥ ـ ابن هشام ١٤٥/٣ : ١٧٢.

(٢) الظُّعُن: الهوادج والمراد به النساء هنا.

مسافع والجلاس وكلّاب وغيرهم، وكان مع النساء الدفوف يبكين علىٰ قتلىٰ بدر يحرِّضْنَ بذلك المشركين.

وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصاري وكان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس ـ وقيل: كانوا خمسة عشر ـ وكان يَعِدُ قريشاً أنه لو لقيَ محمداً لم يتخلف عنه من الأوس رجلان فلما آلتقى الناس بأُحُد كان أبو عامر أول من لقيَ في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر. فقالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. فقال: لقد أصاب قومي بعدي شَرٌّ. ثم قاتلهم قِتَالاً شديداً حتى راضخهم بالحجارة.

وكانت هند كلما مرّت بوحشيّ أو مر بها قالت له: يا أبا دُسْمَة[1] أشف واستشف ـ وكان يكنى أبا دُسْمَة ـ فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة علىٰ شفير الوادي مما يلي المدينة. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال: إنّي رأيتُ بَقَراً فأوّلتُها خيراً، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثلماً[2]، ورأيتُ أنّي أدخلتُ يدي في دِرْعٍ حصينة فأوّلتها المدينة فإنْ رأيتم أنْ تقيموا بالمدينة وتَدَعُوهم فإنْ أقاموا اقاموا بشرِّ مقام وإنْ دخلوا علينا قاتلناهم فيها.

وكان رأيُ عبد الله بن أُبَيّ بن سلول مع رَأْي رسول الله ﷺ يكره الخروج، وأشار بالخروج جماعةٌ ممن استشهد يومئذ وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وخرج رسول الله ﷺ حِين صلىٰ الجمعة فآلتقوا يوم السبت نصف شوال فلما لَبس رسول الله ﷺ سلاحه وخرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج إلى قريش وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ ونشير عليه، فالوحيُ يأتيه فيه فآعتذروا إليه وقالوا: اصنع ما شئت. فقال: «لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته[3] فيضعها حتى يقاتل».

فخرج في ألف رجل واستخلف علىٰ المدينة ابن أم مكتوم فلما كان بين المدينة وأُحد عاد عبد الله بن أُبيّ بثُلُث الناس. فقال: أطاعهم وعصاني وكان من تبعه أهل النفاق

---

(١) الدُّسْمة: بضم الأول وسكون الثاني غبرة إلى سواد كما يقول الناس اليوم للأسود يا أبا سمرة (م).
(٢) ثلما: أي شَقّاً. وثلم السيف: صيره غير ماضي القطع.
(٣) اللأمة: لباس الحرب.

والريب واتّبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يُذكّرهم الله أن لا يخذلوا نبيهم. فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وانصرفوا. فقال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم. وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة فسار في حرّة بني حارثة وبين أموالهم، فمر بمال رجل من المنافقين يقال له: مربع بن قيظى وكان ضرير البصر، فلما سمع حِسّ رسول الله ﷺ ومن معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول: إنْ كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي وأخذ حفنة من تراب في يده، وقال: لو أعلم أني لا أصيب غيرك لضربت به وجهك، فابتدروه ليقتلوه، فقال النبي ﷺ: «لا تفعلوا فهذا الأعمى، أعمى البصر وأعمىٰ القلب»، فضربه سعد بن زيد بقوسٍ فشجّه، وذبّ فرس بذنبه فأصاب كلّاب[1] سيف صاحبه فاستله، فقال له رسول الله ﷺ: سيوفكم فإني أرى السيوف سَتُسَلُّ اليوم.

وسار رسول الله ﷺ، حتى نزل بعدوة الوادي، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وكان المشركون ثلاثة آلاف. منهم سبعمائة دارع، والخيل مائتي فرس، والظعن خمس عشرة امرأة، وكان المسلمون مائة دارع، ولم يكن من الخيل غير فرسين فرس لرسول الله ﷺ، وفرس لأبي بردة بن نيار[2]، وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة، فردّ زيد بن ثابت، وابن عمر، وأسيد بن ظهير[3] والبراء بن عازب، وعرابة بن أوس، وأبا سعيد الخدري، وغيرهم، وأجاز جابر بن سَمُرَة، ورافع بن خَديج.

وأرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول: خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا إلى قتالكم. فردوا عليه بما يكره، وتعبى[4] المشركون، فجعلوا علىٰ ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، وكان لواؤهم مع بني عبد الدار، فقال لهم أبو سفيان: إنما يؤتىٰ الناسُ من قِبَل راياتهم فإمّا أن تَكْفُونا وإما أن تُخَلُّوا بيننا وبين اللواء، يحرضهم بذلك. فقالوا: ستعلم إذا ٱلتقينا كيف نصنع، وذلك أراد.

---

(١) الكلاب: بالتشديد والتخفيف المسمار في قائم السيف أو ذؤاب السيف (م).

(٢) هو أبو بردة هانىء بن نيار شهد الفتح وكانت معه راية حارث بن الحارث وشهد مع علي بن أبي طالب حروبه، توفي أول خلافة معاوية.
(أسد الغابة ٦/٣٠ : ٣١).

(٣) هو أسيد بن ظُهَيْر بن رافع بن عدي بنَ زيد الأوسي الأنصاري، (أنظر أسد الغابة ١/ ١١٤).

(٤) تعبًا.

واستقبل رسول الله ﷺ المدينة وترك أُحُداً خلف ظهره، وجعل وراءه الرماة، وهم خمسون رجلاً وأمّر عليهم عبد الله بن جبير[١] أخا خوّات بن جبير وقال له: آنضحْ عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خَلْفِنَا إنْ كانت لنا أو علينا، **واثبت مكانك لا نؤتين من قبلك**.

وظاهر رسول الله ﷺ بين دِرْعَيْن وأعطىٰ اللواء مُصْعَب بن عُمَيْر وأمّر الزبير على الخيل ومعه المقداد، وخرج حمزة بالجيش بين يديه، وأقبل خالد وعكرمة، فلقيهما الزبير والمقداد فهزما المشركين، وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان، وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين، وقال: يا معشر أصحاب محمد إنّكم تزعمون أنّ الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل أحدٌ منكم يعجّله سيفي إلى الجنة أو يعجلني سيفه إلى النار؟

فبرز إليه علي بن أبي طالب فضربه عليّ فقطَعَ رجله فسقط وآنكشفتْ عورتُه، فناشده الله والرحم فتركه فكبّر رسول الله ﷺ وقال لعليّ: ما مَنَعَكَ أنْ تُجْهِزَ عليه قال: إنّه ناشدني الله والرحم فاستحييت منه. وكان بيد رسول الله ﷺ سيف فقال: مَنْ يأخذه بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دُجَانة[٢] فقال: وما حقُّهُ يا رسول الله؟ قال: تضرب به العَدُوَّ حتى ينحني. قال: أنا آخُذُه. فأعطاه إياه. وكان شجاعاً، وكان إذا أعلم بعصابةٍ له حمراء علم الناسُ أنه يقاتل ـ فعصب رأسه بها وأخذ السيف وجعل يتبختر بين الصفين فقال رسول الله ﷺ: «إنها مِشْيَة يبغضها الله إلا في هذا الموطن[٣]». فجعل لا يرتفع له شيءُ إلا حَطمه حتى انتهى إلى نسوة في سفح الجبل معهن دفوف لهن فيهن امرأة تقول:

---

(١) هو عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن أمرؤ القيس، الأوسي الأنصاري. شهد العقبة، وبدراً وقتل يوم أحد. (أنظر أسد الغابة ٣/١٩٤).

(٢) هو سماك بن خرشة، وقيل سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبدوُد بن زيد الخزرجي الأنصاري، أبو دجانة.

شهد بدراً وكان من الأبطال الشجعان، دافع عن الرسول يوم أحد، وشهد اليمامة، وشرك في قتل مسيلمة.

(أنظر أسد: ٦/٩٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٧/١٢٣.

نحن بنات طارق نمشي على النمارق[١] مشي القطا البوارق
والمسك في المفارق والدرُّ في المخانق[٢] إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِق
ونفرشُ النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق[٣]

وتقول أيضاً :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار[٤] ضرباً بكل بتار

فرفع السيف ليضربها ثم أكرم سيف رسول الله ﷺ أنْ يضرب به امرأة، وكانت المرأة هند والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرِّضْنَ.

واقتتل الناس قتالاً شديداً وأمعن[٥] في الناس حمزة وعلي وأبو دجانة في رجالٍ من المسلمين، وأنزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين، وهرب النساءُ مُصَعِّدات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون. فلما نظر بعض الرماة إلى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النَّهْبَ، وثبتت طائفة وقالوا: نطيع رسول الله ونثبت مكاننا فأنزل الله تعالى: ﴿مِنْكم مَنْ يُرِيْدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَن يُرِيْدُ الآخِرَةَ﴾[٦] يعني اتّباع أمر رسول الله ﷺ. قال ابن مسعود: وما علمت أنّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت الآية. فلما فارق بعض الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قِلَّةَ مَنْ بقيَ من الرماة، فحملَ عليهم فقتلهم وحملَ على أصحاب النبي ﷺ مِنْ خلفهم فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم، وقد كان المسلمون قَتَلُوا اصحاب اللواء فبقي مطروحاً لا يدنو منه أحد، فأخذته عَمْرة بنت علقمة الحارثية فرفعته فاجتمعت قريش حوله وأخذه صواب[٧] فقتل عليه، وكان الذي قتل أصحاب اللواء عليّ ـ قاله أبو رافع، قال: فلما

(١) النمارق ؛ جمع نمرقة ، وهي الطنفسة فوق الرحل .
(٢) المخانق : أراد الأعناق .
(٣) الوامق : المحب .
(٤) تريد الذين يحمون أعقاب الناس . والبتار: السيف القاطع .
(٥) أي : أبعد في القتل .
(٦) آل عمران : ١٥٢ .
(٧) ولذلك عَيّر حسان بن ثابت بقوله في عمرة الحارثية :

فلولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب

قتلهم أبصر النبي ﷺ جماعةً من المشركين فقال لعلي: آحمل عليهم، ففرّقهم وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل فيهم، فقال جبريل: يا رسول الله هذه المواساة. فقال رسول الله ﷺ: «إنّه مِنّي وأنا منه». فقال جبريل: «وأنا منكما»، قال: فسمعوا صوتاً: «لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتىً إلاّ عَلِيّ»[1].

وكسرتْ رباعية[2] رسول الله ﷺ السُّفْلَىٰ وشقَّت شفته وكَلِمَ[3] في وجنته وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قمئة بالسيف وكان هو الذي أصابه ـ وقيل أصابه عتبة بن أبي وقاص، وقيل: عبد الله بن شهاب الزهري جد محمد بن مسلم، وقيل: إن عتبة بن أبي وقاص وابن قمئة الليثي الأدرمي من بني تيم بن غالب [4] وكان أدرم ناقص الذقن وأُبيّ بن خلف الجمحي، وعبد الله بن حميد الأسدي أسد قريش تعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته وأما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته. وأما ابن قمئة فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يطق أن يقطع فسقط رسول الله ﷺ فجحشت ركبته [5]، وأما أُبَيّ بن خلف فشد عليه بحربة فأخذها رسول الله ﷺ منه وقتله بها، وقيل: بل كانت حربة الزبير أخذها منه، وقيل: أخذها من الحارث بن الصمة، وأما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الانصاري.

ولما جرح رسول الله ﷺ جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: «كيف يفلحُ قومٌ خضبوا وَجْهَ نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله»؟[6].

وقاتل دونه نفر خمسة من الأنصار فقُتِلُوا، وترّس [7] ابو دجانة [8] رسول الله ﷺ

---

(١) قال في المقاصد: هو أثره واهٍ.
أنظر في نقده: اللآلي المصنوعة ١/١٨٩ ـ كشف الخفاء ٢/٥٠٦ : ٥٠٧.

(٢) الرباعية: السن بين الثنية والناب وهي أربع أسنان. رباعيتان في الفك الأعلى ورباعيتان في الفك الأسفل.

(٣) كَلِم: جُرِح.

(٤) في الأصول: تميم بن غالب ـ وزهو خطأ (م).

(٥) أي: خُدِش جلد ركبته.

(٦) يتفق عليه: أخرجه البخاري ٥/١٢٧ ـ مسلم الجهاد رقم ١٠٤.

(٧) تَرَّسَ: أي صيّر نفسه ترساً يقيه النبل.

(٨) وفي صحيح البخاري: أنّ أبا طلحة هو الذي جوب عليه بجحفة أي ترس، ولا مانع من التعدد (م).

بنفسه فكان يقع النبل في ظهره وهو منحنٍ عليه، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ يناوله السهم ويقول: آرم فِدَاكَ أبي وأمي، وأصيبتْ يومئذ عين قتادة بن النعمان [١] فردّها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه.

وقاتل مصعب بن عمير ومعه لواء المسلمين فقُتِلَ قَتَله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه النبي ﷺ فرجع إلى قريش، وقال: قتلتُ محمداً فجعل الناس يقولون: قُتل محمد، قُتل محمد، ولما قُتِل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليّ بن أبي طالب. وقاتلَ حمزة حتى مرَّ به سباع بن عبد العزى الغبشاني، فقال له حمزة: هَلُمَّ إليّ يا بن مُقَطِّعَة البظور وكانت أمه أم أنمار خَتّانة بمكة فلما آلتقيا ضربه حمزة فقتله. قال وحشي: إني والله لأنظر إلى حمزة وهو يهد الناس بسيفه هَذّاً ما يلقىٰ شيئاً يمر به إلا قَتَلَه، وقتل سِباع بن عبد العزى قال: فهززتُ حربتي ودفعتُها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجتْ من بين رجليه، وأقبل نحوي فقُلِب فوقَعَ فأمهلته حتى مات، جئتُ فأخذت حربتي ثم تنحيتُ إلى العسكر، فرضيَ الله عن حمزة وأرضاه.

وقَتَل عاصم بن ثابت مسافع بن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة بسهمين فحُمِلاَ إلى أمهما سلافة [٢] وأخبراها أنّ عاصماً قتلهما فنذرتْ إنْ أمكنها الله من رأسه أنْ تشرب فيه الخمر.

وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مع المشركين وطلب المبارزة فأراد أبو بكر أن يبرز إليه فقال رسول الله ﷺ: شم سيفك وأمتعنا بك، وانتهى أنس بن النضر [٣] عم أنس بن مالك إلى عمر وطلحة في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم فقال: «ما يحبسكم»؟

قالوا: قد قُتِل النبي ﷺ! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات

---

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سَوَاد الأوسي، الأنصاري.
شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وأصيبت عينيه يوم بدر وقيل يوم أحد وقيل الخندق، فردها النبي ﷺ. توفي سنة ٢٣.
(أنظر: اسد الغابة ٣٨٩/٤ : ٣٩١).

(٢) في الأصول: سلامة، وهو خطأ.

(٣) هو أنس بن النضر بن ضمضم. الأنصاري، وهو ابن عم أنس بن مالك رضي الله عنه وقيل فيه قوله ﷺ (إنّ من عباد الله مَنْ لو قسم على الله تعالى لأبرّه).
(انظر: أسد الغابة ١٥٥/١ : ١٥٦).

عليه.

ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل فوُجد به سبعون ضربة وطعنة، وما عرفه إلا اخته عرفته بحسن بنانه.

وقيل: إن انس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون لما سمعوا أنّ النبي ﷺ قُتل: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبيّ بن سلول ليأخذ لنا أَمَاناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا. فقال لهم أنس: يا قوم إنْ كان محمد قد قتل فإنّ رب محمد لم يقتل، فقاتلوا علىٰ ما قاتل عليه محمد، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل.

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك قال: فناديتُ بأعلىٰ صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله حيّ لم يُقْتَل فأشار إليه «أنصت» [١] فلما عَرِفه المسلمون نهضوا نحو الشِّعْب ومعه علي، وأبو بكر، وعمر، وطلحة، والزبير، والحارث بن الصمة وغيرهم، فلما أسند إلى الشِّعب أدركه أبيّ بن خلف، وهو يقول: يا محمد لا نجوتُ إنْ نجوتَ. فعطف عليه رسول الله ﷺ فطعنه بالحربة في عنقه، وكان أُبَيّ يقول بمكة لرسول الله ﷺ إنّ عندي العود فرساً أعلفه كل يوم فَرَقاً من ذرة أقتلك عليه، فيقول له النبي ﷺ: «بل أنا أقتلك إنْ شاء الله تعالى»، فلما رجع إلى قريش وقد خَدَشَه رسول الله ﷺ خدشاً غير كبير قال: قتلني محمد. قالوا: والله ما بك بأس. قال: إنه قد كان قال لي «أنا أقتلك» فوالله لو بصق عليّ لقتلني فمات عدوّ الله بسَرَف [٢].

وقاتل رسول الله ﷺ يوم أحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فني نبله، وانكسرتْ سية [٣] قوسه، وانقطع وتره.

ولما جُرّح رسول الله ﷺ جعلَ عليّ ينقل له الماء في درقته من المِهْراس [٤] ويغسله فلم ينقطع الدم فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي وأحرقتْ حصيراً وجعلت علىٰ

---

(١) أمره ﷺ بالإنْصات لئلا يعرف مكانه المشركون فيجتمعون عليه ـ وهو جريح ـ ليقتلوه.

(٢) سَرَف موضع على ستة أميال من مكة من طريق مرو، وقيل سبعة وتسعة، واثنا عشر، بنى به رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث وفيه ماتت.

(٣) هو ماء بجبل أحد، وبجنبه دفن حمزة بن عبد المطلب أسد الله رضي الله عنه.

(٤) هو ما عطف من طرفي القوس.

الجرح مِنْ رماده فانقطع الدم.

ورمى مالك بن زهير الجشمي النبي ﷺ فاتّقاه طلحة بيده. فأصاب السهم خنصره، وقيل: رماه حبان بن العرقة فقال: حِسّ [١] فقال رسول الله ﷺ لو قال: باسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون إليه. وقيل: إنّ يده شُلّت إلا السبابة والوسطى والأول أثبت.

وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «ليس لهم ان يَعْلُونَا»، فقاتلهم عمر وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوهم ونهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة ليعلوها وكان عليه درعان فلم يستطع فجلس تحته طلحة حتى صعد فقال رسول الله ﷺ: «أوجبَ طلحة».

وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين. فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص، فأقاموا به ثلاثاً ثم أتوا النبي ﷺ فقال لهم حين رآهم، لقد ذهبتُم فيها عريضة.

والتقى حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة، وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود وهو ابن شعوب فدعاه أبو سفيان فأتاه فضرب حنظلة فقتله فقال رسول الله ﷺ: «إنّه لتغسله الملائكة، فسلوا أهله» فسُئِلَتْ صاحبته. فقالت: خرج وهو جنب سمع الهائعة [٢] فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسّلته الملائكة».

وقال أبو سفيان: يذكر صبره ومعاونة بن شعوب إياه على قتل حنظلة.

ولو شئت نجتني كميت [٣] طِمرّة [٤] ولم أحمل النعماء لابن شعوب
فما زال مُهري مَزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدّعي يا آل غالب وادفعهم عني بركن صليب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل ولا تسأمي من عبرة بنحيب
أباك وأخواناً لنا قد تتابعوا وحق لهم من عبرة بنصيب

(١) هو كلمة كانوا يقولونها عند مس الألم (م).
(٢) الهائعة: الصوت تفزع منه وتخاف من عدو (م).
(٣) الفرس الذي خالط لون حمرته سواد (م).
(٤) الطمر: الفرس الجواد، أو الطويل القوائم الخفيف أو المستعد للعدو (م).

وسليّ الذي قد كان في النفس أنني ... قتلت من النجار كلّ نجيب
ومن هاشم قرماً نجيباً [١] ومصعباً [٢] ... وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو أنني لم أشف منهم قرونه ... لكانت شجا [٣] في القلب ذات نُدوب

فأجابه حسان بقوله:

ذكرتُ القروم الصيد [٤] من آل هاشم ... ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم ... عشاء وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه ... وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصي علياً فراعه ... بضربة عضب بله بخضيب

ووقعت هند وصواحباتها علىٰ القتلىٰ يمثِّلْن بهم واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدماً [٥] وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وَحْشِيًّا، وبقرتْ عن كبد حمزة فلاكَتْهَا فلم تستطع أنْ تسيغها فلفظتها.

ثم أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال: أفي القوم محمد؟ ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً؟ ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطاب؟ ثلاثاً. ثم ٱلتفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا. فقال عمر: كذبتَ أي عدو الله قد أبقى اللهُ لك ما يخزيك. فقال: آعْلُ هُبَل، آعْلُ هُبَل. فقال رسول الله ﷺ: «قولوا اللهُ أعلىٰ وأجلّ». فقال أبو سفيان: إنّ لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم. فقال رسول الله ﷺ: قولوا الله مولانا ولا مولىٰ لكم. فقال أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً. قال عمر: اللهم لا وإنه ليسمع كلامك. فقال: أنت أصدق من ابن قمئة. ثم قال: هذا بيوم بدر والحرب سِجَال، أمَا إنّكم ستجدون في قتلاكم مثلة والله ما رضيتُ ولا سخطتُ ولا نهيتُ ولا أمرتُ.

---

(١) أراد حمزة رضي الله عنه.
(٢) أراد مصعب بنَ عُمَير صاحب لواء النبي ﷺ. (م).
(٣) أي: حزناً.
(٤) أي الملوك المتكبرين (م).
(٥) جمع خدمة الخلخال (م).

واجتاز به الحليس بن زبان سيد الأحابيش وهو يضرب في شِدْق [١] حمزة بزج الرمح ويقول: ذق عُقق. فقال الحُلَيس: يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه كما ترون لحماً. فقال أبو سفيان: اكتمها عني فإنها زلة. وكانت أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ونساء من الأنصار يسقين الماء فرماها حِبانَ [٢] بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها فضحك، فدفع النبي ﷺ إلىٰ سعد بن أبي وقاص سهماً وقال: ارمه. فرماه فأصابه فضحك النبي ﷺ، وقال: « استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك، وسدد رميتك ». ثم انصرف أبو سفيان ومن معه، وقال: إنّ موعدكم العام المقبل. ثم بعث رسول الله ﷺ علياً في أثرهم، وقال: آنظر فَإنْ جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإنْ ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجِزَنَّهُم. قال علي: فخرجت في أثرهم فآمتطوا الإبل وجنبوا الخيل يريدون مكة، فأقبلت اصيح [٣] ما أستطيع أن أكتم وكان رسول الله ﷺ أمره بالكتمان. وأمر رسول الله ﷺ رجلاً أنْ ينظر في القتلىٰ فرأى سعد بن الربيع الأنصاري وبه رَمَق فقال للذي رآه: « أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزىٰ نبياً عن أمته، وأبلغ قومي السلام وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إنْ خلص إلى رسول الله ﷺ أذى وفيكم عين تطرف ». ثم مات. ووُجد حمزة ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده ومُثِّلَ به فجدع أنفه وأذناه فحين رآه رسول الله ﷺ قال: « لولا أنْ تحزن صفية أو تكون سُنَّة بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلهن بثلاثين رجلاً منهم. وقال المسلمون: لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله في ذلك ﴿ وإنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عِوقِبْتُم به ﴾ [٤] الآية فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثْلة.

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ لأبنها الزبير : « لتردها لئلا ترىٰ ما

---

(١) الشِّدْق : جانب الفم مما تحت الخد ، وكانت العرب تمتدح رحابة الشدقين لدلالتها على جهارة الصوت .

(٢) في الأصول : حفانة ـ وهو خطأ صححناه من السيرة الحلبية ، والقاموس ، وضبط المؤلف في آخر العروة يفيد ذلك (م) .

(٣) كذا في ابن جرير وغيره ، وفي الأصول أصفح وهو لا معنى له (م) .

(٤) النحل : ١٢٦ .

بأخيها حمزة فلقيها الزبير فأعلمها بأمر النبي ﷺ فقالت: إنه بلغني أنه مُثّل بأخي وذلك في الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ».

فأعلم الزبير النبيَّ ﷺ بذلك فقال: خَلِّ سبيلها. فأتته وصَلَّت عليه واسترجعت، وأمر رسول الله ﷺ به فدُفن.

وكان في المسلمين رجل اسمه قزمان وكان رسول الله ﷺ يقول إنه من أهل النار فقاتل يوم أحد قتالاً شديداً فقتل من المشركين ثمانية أو تسعة، ثم جرح فحُمل إلىٰ داره، وقال له المسلمون. أبشر قزمان. قال بم أبشر! وأنا ما قاتلتُ إلا عن أحساب قومي. ثم اشتد عليه جرحه فأخذ سهماً فقطع رواهشه [1] فنزف الدم فمات، فأخبر رسول الله ﷺ فقال: أشهد أني رسول الله. وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق اليهودي قال ذلك اليوم ليهود: يا معشر يهود لقد علمتم أنّ نصر محمد عليكم حق. فقالوا: إنّ اليوم يوم السبت. فقال: لا سبت. وأخذ سيفه وعدته وقال: إنْ قتلت فمالي لمحمد يصنع به ما يشاء. ثم غدا فقاتل حتى قتل. فقال رسول الله ﷺ: « مخيريق خير يهود » [2].

وقتل اليمان أبو حذيفة قتله المسلمون وكان رسول الله ﷺ رفعه وثابت بن قيس بن وقش مع النساء فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان: ما ننتظر أفلا نأخذ أسيافنا فنلحق برسول الله ﷺ لعل الله أنْ يرزقنا الشهادة؟ ففعلا ودخلا في الناس ولا يعلم بهما؛ فأما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فآختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي أبي. فقالوا: والله ما عرفناه. فقال: يغفر الله لكم. وأراد رسول الله ﷺ أنْ يَدِيَه فتصدق حذيفة بدِيَته علىٰ المسلمين.

واحتمل بعض الناس قتلاهم إلى المدينة،فأمر رسول الله ﷺ بدفنهم حيث صُرِعُوا، وأمر أنْ يدفن الإثنان والثلاثة في القبر الواحد وأنْ يقدّم إلى القبلة أكثرهم قرآناً وصلىٰ عليهم، فكان كلما أُتِيَ بشهيد جعل حمزة معه، وصلى عليهما، وقيل: كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلي عليهم.

ونزل في قبره عليّ، وأبو بكر، وعمر، والزبير، وجلس رسول الله ﷺ على حفرته.

---

(١) الراهشان : عِرْقَان في باطن الذراعين أو الرواهش عروق ظاهر الكف . قاموس (م) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/٢٤٥ ، ١٠/٨٧ (ترتيب) .

وأمر أنْ يُدْفَن عمرو بن الجموح، وعبد الله بن حرام في قبر واحد وقال: كانا متصافيين في الدنيا.

فلما دفن الشهداء انصرف رسول الله ﷺ فلقيته حمنة بنت جحش [(١)] فنعى لها أخاها عبد الله فاسترجعت له ثم نعىٰ أخاها حمزة فاستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت؛ فقال: « إن زوج المرأة منها لبمكان ».

ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح فذرفت عيناه بالبكاء وقال: «لكن حمزة لا بواكي له»[(٢)]. فرجع سعد بن معاذ إلى دار بني عبد الأشهل فأمر نساءهم أنْ يذهبن فيبكين على حمزة.

ومرّ رسول الله ﷺ بآمرأة من الأنصار قد أصيب أبوها وزوجها فلما نُعِيا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه، فلما نظرت إليه قالت: كُلُّ مصيبةٍ بعدك جلل. وكان رجوعه الى المدينة يوم السبت يوم الوقعة.

(نِيار) بالنون المكسورة والياء تحتها نقطتان وآخره راء.

و(جُبَيْر) بضم الجيم تصغير جبر، و (خَوَّات) بالخاء المعجمة والواو المشددة وبعد الألف تاء فوقها نقطتان، و (حِبان) بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة وآخره نون، و (الحُلَيْس) بضم الحاء المهملة تصغير حلس: وزبان: بالزاي والباء الموحدة وآخره نون.

---

(١) حَمْنَة بنت جَحْش أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكانت ممن قال في الإفك على عائشة رضي الله عنها.
(انظر أسد الغابة ٦٩/٧ : ٧١) .

(٢) أخرجه ابن ماجة رقم ١٥٩١ ـ والحاكم في المستدرك ٣٨١/١ ، ١٩٥/٣ ـ. والبيهقي ٧٠/٤ ، والطبراني في الكبير ١٩٥/٣ ، وعبد الرزاق رقم ٦٦٩٤ .

ذكر غزوة حَمْرَاءُ الأسد

لما كان الغد من يوم الأحد أَذَّنَ مؤذن رسول الله ﷺ بالغزو، وقال: « لا يخرج معنا إلا مَنْ حضر بالأمس ».

فخرج ليظن (١) الكفار به قوة، وخرج معه جماعة جرحىٰ يحملون نفوسهم وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد ـ وهي من المدينة علىٰ سبعة أميال ـ فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ومر به معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم، ومشركهم عيبة نصح (٢) لرسول الله ﷺ بتهامة، وكان معبد مشركاً فقال: يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابك. ثم خرج من عند النبي ﷺ فلقيَ أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلىٰ رسول الله ﷺ ليستأصلوا المسلمين بزعمهم فلما رأى أبو سفيان معبداً. قال: ما وراءك؟

قال: محمدٌ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جَمْعٍ لم أرَ مثله، قد جمع معه مَنْ تخلّف عنه وندموا على ما صنعوا، وما ترحل حتىٰ ترىٰ نواصي الخيل.

قال: فوالله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم. قال: إنّي أنهاك عن هذا. فثنى ذلك (٣)أبا سفيان ومَنْ معه، ومر بأبي سفيان ركبٌ من عبد القيس. فقال لهم: بلّغوا عني محمداً رسالة وأُحَمّل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ. قالوا: نعم. قال: أخبروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم.

فمروا بالنبي ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه فقال ﷺ: حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) أي: ليعلم.

(٢) يريد: موضع سره.

(٣) معناه: صرفه وردّه.

ثم عاد إلى المدينة، وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبأبي عزة عمرو بن عبيد الله الجمحي، وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد، ساروا وتركوه نائماً وكان أبو عزة قد أُسِرَ يوم بدر فأطلقه رسول الله ﷺ بغير فداء لأنه شكا إليه فقراً وكثرة عيال فأخذ رسول الله ﷺ عليه العهود أنْ لا يقاتله ولا يُعِيْن علىٰ قتاله فخرج معهم يوم أُحُد وحرّض على المسلمين فلما أُتِيَ به رسول الله ﷺ، قال له: يا محمد امنن عليّ. قال: المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. وأمر به وقتل.

وأما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وهو الذي جَدَعَ أنف حمزة ومثّل به مع من مثل به وكان قد أخطأ الطريق فلما أصبح أتىٰ دار عثمان بن عفان فلما رآه قال له عثمان: أهلكتني وأهلكت نفسك. فقال: أنت أقربهم مني رَحِماً وقد جئتك لتجيرني. وأدخله عثمان داره وقصد رسول الله ﷺ ليشفع فيه فسمع رسول الله ﷺ، يقول: إنّ معاوية بالمدينة فاطلبوه، فأخرَجُوه من منزل عثمان وانطلقوا به إلى النبيّ ﷺ، فقال عثمان: والذي بعثك بالحق ما جئت الا لأطلب له أماناً فَهِبْه لي.

فوهبه له وأجّله ثلاثة أيام، وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه فجهزه عثمان وقال له: ارتحل. وسار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد وأقام معاوية ليعرف أخبار النبي ﷺ. فلما كان اليوم الرابع قال النبي ﷺ: إن معاوية أصبح قريباً ولم يبعد فأطلبوه فطلبه زيد بن حارثة وعمار فأدركاه بالحماة فقتلاه، وهذا معاوية جد عبد الملك بن مروان بن الحكم لأمه..

وفيها قيل: ولد الحسن بن علي في النصف من شهر رمضان. وفيها علقت فاطمة بالحسين وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً.

وفيها حملت جميلة بنت عبد الله [١] بن أُبَيّ عامر [٢] غسيل الملائكة في شوال.

---

(١) عبارة المؤلف مرتبكة وغير صحيحة وأصلها في الطبري هكذا، وفيها حملت فيما قيل جميلة بنت عبدالله بن أبي بعبدالله بن حنظلة بن أبي عامر في شوال.

أقول: وعبدالله هذا هو الذي خلع طاعة يزيد بن معاوية وبايعه أهل المدينة بالإمرة ووجه يزيد إلى المدينة مسلم بن عقبة في جيش، وكانت النهاية وقعة الحرة المشؤومة (م).

(٢) هي جميلة بنت عبدالله بن أُبَيّ بن سلول تزوجها حنظلة بن عامر فقتل عنها يوم أحد، ثم خلف عليها ثابت بن قيس بن شماس فمات عنها، ثم خلف عنها مالك بن الدخشم.

(أنظر أسد الغابة ٧/٥٤).

ودخلت السنة الرابعة من الهجرة

ذكر غزوة [1] الرجيع

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع، وكان سببها أنّ رهطاً من عَضل والقارة قدموا علىٰ النبي ﷺ فقالوا: إنّ فينا إسلاماً فآبعث لنا نفراً يفقهوننا في الدين ويقرؤننا القرآن. فبعث معهم ستة [2] نفر وأمّر عليهم عاصم بن ثابت [3] - وقيل: مرثد بن أبي مرثد - فلما كانوا بالهَدْأة [4]، غدروا واستصرخوا عليهم حَيًّا من هُذَيل يقال لهم: بنو لحيان [5] فبعثوا لهم مائة رجل فالتجأ المسلمون إلى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافر، اللهم خَبِّر نبيك عنا، وقاتَلَهُم هو ومرثد، وخالد بن البكير، ونزل إليهم ابن الدثنة، وخُبَيْب بن عدي [6] ورجل آخر فأوثقوهم. فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أتبعكم فقتلوه.

وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة فباعوهما بمكة فأَخَذَ خبيباً بنو الحارث بن عامر بن

---

(١) تسمية المصنف ليوم الرجيع بغزوة فيه نظر وهو في هذا الكتاب يسلك هذا الصنع كثيراً فلا يعني المعنى الاصطلاحي لـ (غزوة).

(٢) في البخاري : إنهم عشرة . قال السهيلي وهو أصح .

(٣) هو عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عصمة الأنصاري الأوسي شهد بدراً .
(أسد الغابة ٣/١١١/١١٢) .

(٤) الهَدأة : بلدة بأعلى مر الظهران .

(٥) بنو لحيان عشيرة من هذيل الشمال تقيم في الجهة الشرقية من مكة .
انظر :(قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ٣٠٢ ـ الرحلة الحجازية للبتنوني ص ٥٢ ـ تاريخ سينا لنعوم شعير ٦٦٤) .

(٦) هو خُبَيْب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة الأنصاري الأوسي شهد بدراً .
(أنظر أسد الغابة ١/ ١٢٠ : ١٢١) .

نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأُحُد فأخذوه ليقتلوه بالحارث فبينما خبيب عند بنات الحارث استعار مِنْ بعضهنّ موسيّ يستحد بها للقتل فدب صبي لها فجلس على فخذ خبيب والموسى في يده فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتخشين أنْ أقتله. إنّ الغدر ليس من شأننا. فكانت المرأة تقول: ما رأيتُ أسيراً خيراً من خبيب؛ لقد رأيته وما بمكة ثمرة وإنّ في يده لقطفاً من عنب يأكله ما كان ألا رزقاً رزقه الله خبيباً. فلما خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال: ردوني أُصَلّي ركعتين، فتركوه فصلاهما فجَرْت سُنَّةُ لمن قُتِلَ صبراً، ثم قال خبيب: لولا أنْ تقولوا جزع لزدتُ، وقال أبياتاً منها:

وَلَسْتُ أبـالي حين أُقْتَـلُ مـسلمـاً ... علىٰ أي شِقٍّ كـان في اللهِ مصـرعي
وَذَلِـكَ فِـي ذَاتِ الإلٰـه وإنْ يَشَـأْ ... يبـارك علىٰ أوصـال شلو ممـزع[١]

اللهم أحصِهِم عدداً واقتلهم بدداً[٢] ثم صلبوه. وأما عاصم بن ثابت فإنهم أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وكانت نذرتْ أنْ تشرب الخمر في رأس عاصم لأنه قتل ابنيها بأحد فجاءت النحل فمنعته، فقالوا: دعوه حتىٰ يُمْسي فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً، وكان عاهد الله أنْ لا يمسّ مشركاً ولا يمُسُّه مشركٌ فمنعه الله في مماته كما منع في حياته، وأمّا ابن الدثنة فان صفوان بن أمية بعث به مع غـلامه نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبنيه فقال نسطاس: أنشدك الله أتحب أنّ محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك. قال: ما أحب أنّ محمداً الآن مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله نسطاس.

(خُبَيْب) بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة أيضاً. و(البُكَيْر) بضم الباء الموحدة تصغير بكر .

ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان

ولما قُتِلَ عاصم وأصحابه بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلىٰ مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب، قال عمرو: فخرجت أنا ومعي

---

(١) الأوصال: جمع وصل وهو العضو، والشِّلو ـ بالكسر الجسد وممزع مقطّع .
(٢) أي متفرقين، وفي رواية: ولا تبق منهم أحداً (م).

بعيرٌ لي وبرجل صاحبي علة فكنت أحمله علىٰ بعيري حتى جئنا بطن يأجج[١] فعقلنا بعيرنا في فناء شِعْب وقلت لصاحبي: انطلق بنا إلى دار أبي سفيان لِنقتله فإنْ خشيتَ شيئاً فآلحق بالبعير فآركبه، وآلحق برسول الله ﷺ وأخبره الخبر وخَل عني فإني عالمٌ بالبلد.

فدخلنا مكة ومعي خنجر قد أعددته إنْ عاقني إنسان ضربتُه به فقال لي صاحبي: هل لك أنْ نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين فقلتُ: إنّ أهلَ مكة يجلسون بأفنيتهم وأنا أُعْرَفُ بها فلم يزل بي حتى أتينا البيت فطُفْنا وصلينا ثم خرجنا فمررنا بمجلس لهم فعرفني بعضُهم فصرخ بأعلىٰ صوته هذا عمرو بن أمية. فثار أهلُ مكة إلينا وقالوا: ما جاء إلاّ لشَرٍّ، وكان فاتكاً متشيطناً في الجاهلية.

فقلت لصاحبي: النجاء هذا والله الذي كنت أحذر، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل فآنج بنفسك فخرجنا نشتد حتىٰ صعدنا الجبل فدخلنا غاراً فبِتْنَا فيه ليلتنا ننتظر أنْ يسكن الطلب. قال: فوالله إني لفيه إذْ أقبل عثمان بن مالك التيمي يختل بفرس له فقام علىٰ باب الغار فخرجتُ إليه فضربته بالخنجر تحت الثدي فصاح صيحة أسمَع أهل مكة، فأقبلوا إليه ورجعتُ إلى مكاني فوجدوه وبه رَمَق فقالوا: مَنْ ضربك؟ قال: عمرو بن أمية. ثم مات ولم يقدر يخبرهم بمكاني وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي فاحتملوه، ومكثنا في الغار يومين حتىٰ سكن عنا الطلب، ثم خرجنا إلىٰ التنْعيم فإذا بخشبة خبيب، وحوله حرس فصعدتُ خشبته فاحتللته واحتملته علىٰ ظهري فما مشيتُ به إلا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي؛ فطرحتُه فاشتدوا في أثري فأخذتُ الطريق فأعيوا ورجعوا وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي ﷺ فأخبره، وأما خبيب فلم يُرَ بعد ذلك، وكأن الأرض ابتلعته. قال: وسرتُ حتىٰ دخلتُ غاراً بضَجَنَان[٢] ومعي قوسي وأسهمي فبينا أنا فيه إذ دخل عليَّ رجلٌ من بني الدئل أعور طويل يسوق غنماً فقال: مَنْ الرجل؟ قلت: من بني الدئل فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنى ويقول:

---

(٣) بالهمزة وجُيمين مكان من مكة على ثمانية أميال، قاله الأصمعي. وقال غيره: موضع صلب فيه خبيب بن عدي الأنصاري أ هـ. معجم البلدان ولعل الأخير أقرب لانه يفيد أنه بجوار مكة كما تفيده عبارة المؤلف (م).

(٢) جبل بتهامة.

ولستُ بمسلم ما دمتُ حياً ولستُ أدينُ دين المسلمينَا

ثم نام فقتلته أسوأ قِتْلَة ثم سرتُ فإذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان أَمْرَ رسول الله ﷺ، فرميتُ أحدهما بسهمٍ فقتلته، واستأسرتُ الآخر فقدمتُ علىٰ النبي ﷺ وأخبرتُه الخبر فضحك حتىٰ بَدَتْ نواجذه ودعا لي بخير.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال في شهر رمضان، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها، وولى المشركون الحج في هذه السنة.

ذكر بئر مَعُونَة

في هذه السنة في صَفَر قتل جمع من المسلمين ببئر معونة، وكان سبب ذلك أنّ أبا بَرَاء بن عازب بن عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة سيد بني عامر بن صعصعة قدم المدينة وأهدى للنبي ﷺ هدية فلم يقبلها، وقال: يا أبا براء لا أقبلُ هديةَ مشرك، ثم عَرَضَ عليه الإسلام، فلم يبعد عنه ولم يسلم، وقال: إنّ أمركَ هذا حسن، فلو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك لرجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ أخشىٰ عليهم أهل نجد. فقال أبو براء: أنا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً فيهم المنذر بن عمر والأنصاري، والحارث بن الصمة، وحَرَام بن مِلْحَان، وعامر بن فُهَيْرة وغيرهم ـ قيل: كانوا أربعين ـ فساروا حتى نزلوا ببئر معونة[1] من أرض بني عامر، وحرة بني سليم فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر إلى الكتاب وعدا علىٰ حرام فقتله. فلما طعنه قال: الله أكبر فزتُ ورب الكعبة.

واستصرخ بني عامر فلم يجيبوه وقالوا: لن نخفر أبا براء فقد أجارهم، فاستصرخ بني سليم، عصية، ورعل، وذكوان، فأجابوه وخرجوا حتى أحاطوا بالمسلمين، فقاتلوهم حتىٰ قُتِلُوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد الأنصاري، فإنهم تركوه وبه رَمَق فعاش حتىٰ قُتِلَ يوم الخندق. وكان في سرح القوم عمرو بن أمية ورجلٌ من الأنصار فرأيا الطير تحوِّم على العسكر فقالا: إنّ لها لشأناً فأقبلا ينظران فإذا القوم صرعىٰ وإذا الخيلُ واقفة فقال عمرو: نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاري: لا أرغب بنفسي عن موطن فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل، فأخذوا عمرو بن أمية أسيراً، فلما

---

(١) هو بئر بين أرض بني عامر وحرة بني سليم وقيل هي من جبال يقال لها أبلة من طريق المصعد من المدينة إلى مكة .

علم عامر أنه من مَعَدّ أطلقه، وخرج عمرو حتى إذا كان بالقرقرة لقيَ رجلين من بني عامر فنزلا معه ومعهما عقد من رسول الله ﷺ ولم يعلم به عمرو فقتلهما ثم أخبر النبي ﷺ الخبر فقال له: لقد قتلت قتيلين لأدينهما، ثم قال رسول الله ﷺ هذا عمل أبي براء، فشق عليه ذلك. وكان فيمن قتل عامر بن فهيرة[1]، فكان عامر بن الطفيل يقول: مَنْ الرجل منهم لما قُتِل رُفِعَ بين السماء والأرض؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة. وقال حسان بن ثابت يحرِّض بني أبي براء علىٰ عامر بن الطفيل:

بني أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء ... ليخفره وما خطأٍ كعمد

في أبياتٍ له، فقال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعاً كل وجه ... خفارة ما أجار أبو براء

في أبيات أخرى. فلما بلغ ربيعة بن أبي براء ذلك حمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه فقال: إنْ متُّ فدمي لعمي. وأنزل الله عز وجل في أهل بئر معونة قرآناً ﴿ بَلِّغُوا قومَنَا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ﴾ثم نسخت.

(مَعُونَة) بفتح الميم وضم العين المهملة وبعد الواو نون، و (حرام) بالحاء المهملة والراء و(مِلْحَان) بكسر الميم وبالحاء المهملة.

ذكر إجلاء بني النضير

وكان سبب ذلك أن عامر بن الطفيل أرسل إلىٰ النبي ﷺ يطلب دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ـ وقد ذكرنا ذلك ـ فخرج النبي ﷺ إلى بني النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، فقالوا: نَعَم نُعِيْنُك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض وتآمروا علىٰ قتله وهو جالس إلى جنب

---

(١) هو مولى أبي بكر الصديق يكنى أبا عمرو. كان مولوداً من مولودي الأزد مملوك للطفيل بن عبدالله بن سخبرة أخي عائشة لأمها.
كان من السابقين للاسلام، أسلم قبل دخول النبي لدار الأرقم بن أبي الأرقم ـ أسلم وهو مملوك وحسن إسلامه، وعذب في الله فاشتراه أبو بكر فاعتقه. شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة.
(أسد الغابة ٣/١٣٦ : ١٣٧).

جدار فقالوا: مَن يعلو هذا البيت فيُلْقِي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب له عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك سَلّام بن مِشْكَم وقال: هو يعلم. فلم يقبلوا منه، وصعد عمرو بن جحاش، فأتىٰ الخبر من السماء إلى رسول الله ﷺ بما عزموا عليه، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتىٰ آتيكم وخرج راجعاً إلىٰ المدينة، فلما أبطأ قام أصحابه في طلبه فأخبرهم الخبر، وأمر المسلمين بحربهم، ونزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وأحرق وأرسل إليهم عبد الله بن أُبَيّ وجماعة معه أنْ آثْبُتُوا وتمنعوا فإنا لن نسلّمكم وإنْ قوتلتم قاتلنا معكم وإنْ خرجتم خرجنا معكم وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا النبي ﷺ أنْ يجليهم ويكف عن دمائهم على أنّ لهم ما حملت الإبل من الأموال إلّا السلاح فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم مَنْ سار إلى الشام، فكان ممن سار إلى خيبر كنانة بن الربيع وحُيَيّ بن أخطب، وكان فيهم يومئذ أم عمر وصاحبة عُرْوَة بن الورد التي ابتاعوا منه[1] وكانت غفارية. فكانت أموال النضير لرسول الله ﷺ وحده يضعها حيث شاء، فقسمها علىٰ المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حُنَيْف وأبا دُجانة ذكرا فقراً فأعطاهما ولم يُسْلِم من بني النضير إلا يامين بن عمير بن كعب وهو ابن عم عمرو بن جحاش، وأبو سعيد بن وهب وأحرزا أموالهما. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وكانَتْ رايته مع عليّ بن أبي طالب.

(سلّام) بتشديد اللام ، و (مشكم) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والكاف.

---

(١) أي إنّ بني النضير ابتاعوا أم عمرو من عورة بن الورد بحيلة كما هو دأب اليهود. حكى قصتها السهيلي في السيرة.

غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بني النضير شهري ربيع ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتىٰ نزل نخلاً وهي غزوة الرقاع سميت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به، فيه سواد وبياض وحمرة؛ فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلقيَ المشركين ولم يكن قتال وخاف الناس بعضهم بعضاً فنزلت صلاة الخوف، وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف، وهو مستقصىٰ في كتب الفقه، وجاء رجل من محارب إلىٰ النبي ﷺ فطلب منه أنْ ينظر إلى سيفه فأعطاه السيف فلما أخذه وهزّه قال: يا محمد أما تخافني. قال: لا قال: أما تخافني وفي يدي السيف. قال: لا. يمنعني الله منك. فردّ السيف إليه[1] وأصاب المسلمون امرأة منهم وكان زوجها غائباً فلما أتى أهله أخبر الخبر فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبي ﷺ دماً وخرج يتّبع أثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ فقال: من يحرسنا الليلة؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فأقاما بفم شِعب نزله رسول الله ﷺ واضطجع المهاجري وحرس الأنصاري أول الليل وقام يصلي، وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنه ربيئة القوم[2] فرماه بسهم، فوضعه فيه فانتزعه وثبت قائماً يصلي، ثم رماه بسهم آخر فأصابه فنزعه وثبت يصلي، ثم رماه بالثالث فوضعه فيه فآنتزعه، ثم ركع وسجد، ثم أيقظ صاحبه وأعلمه فوثب، فلما رآهما الرجل علم أنهما عَلِمَا به، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال: سبحان الله ألا أيقظتني أول ما رماك. قال: كنتُ في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها فلما تابع عليّ الرمي أعلمتُك وأيم الله لولا خوفي أن أُضَيِّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ

---

(١) قال ابن هشام في السيرة وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قومٌ أنْ يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (المائدة ١١).

(٢) الربيئة: الطليعة.

بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها[١] وقيل إنّ هذه الغزوة كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة.

(١) وفي العودة من هذه الغزوة اشترى الرسول من جابر بنّ عبدالله جمله بأوقية وصار يسرع بعد أن كان يبطىء في المشي فلما وصلوا المدينة أمر بلالاً أن يؤديه أوقية وزيادة وأعاد إليه جمله أيضاً (م).

ذكر غزوة بدر الثانية

وسُمِّيَتْ أيضاً غزوة السويق، وفي شعبان منها خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعادِ أبي سفيان بن حرب حتى نزل بدراً فأقام عليها ثماني ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة إلى مَرّ الظهران[1] ـ وقيل: إلى عُسفان ـ ثم رجع ورجعتْ قريش معه فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق[2]، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن رواحة. وفيها تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة. وفيها أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود. . وفيها في جمادى الأولى مات عبد الله بن عثمان بن عفان، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ، وصلّى عليه رسول الله وكان عمره ست سنين. وفيها ولد الحسين بن علي بن أبي طالب في قول، وولي الحج فيها المشركون.

---

(١) مَر الظهران، موضع على مرحلة من مكة.

(٢) يطلق على ما يصنع من الحنطة والشعير وعلى الخمر وهو المراد هنا.

الأحداث في السنة الخامسة من الهجرة

فيها تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهي ابنة عَمَّته كان زوّجها مولاه زيد بن حارثة، وكان يقال له: زيد بن محمد فخرج رسول الله ﷺ يريده، وعلى الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فأعجبته[١]، وكرّهت إلى زيد فلم يستطع أن يقربها، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: أرابك فيها شيء؟ قال: لا والله، فقال له رسول الله ﷺ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾[٢] ففارقها زيد وحلت، وأنزل الوحي على النبي ﷺ فقال: مَنْ يبشر زينب، إن الله قد زوجنيها؟ وقرأ عليهم قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ ﴾ الآية. فكانت زينب تفخر علىٰ نسائه وتقول زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء. وفيها كانت غزوة دومة الجندل[٣]، في ربيع الأول، وسببها أنه بلغ النبي ﷺ أنّ بها جمعاً من المشركين فغزاهم فلم يَلْقَ كيداً، وخلّف على المدينة سباع بن عَرفطة الغفاري وغنم المسلمون إبلاً وغنماً وجدتْ لهم، وماتت أم سعد بن عبادة وسعد مع النبي ﷺ في هذه الغزاة. وفيها وادع رسول الله ﷺ عُيَيْنة بن حصن الفزاري أنْ يرعىٰ بتغلمين وما والاها.

(عُيَيْنَة) بضم العين تصغير عين.

---

(١) هذه الرواية باطلة زورها الملاحدة اختلقتها أذهان أعداء المسلمين، وقد تغلغلت في نفوس العلماء من حيث لا يعلمون فافتكروا في رواية الخبر فاتخذوه أساساً واعرضوا عن أن الله تعالى أعمله أنها قد صارت له زوجاً.

والعجيب من ابن الأثير مع جلالة قدره ينقل هذه الرواية المزيفة التي هي طعن صريح في رسول الله ﷺ.

وقد قلد فيها ابن جرير قبله وقد وقع كلاهما في هوة الضلالة من حيث لا يشعر ولو عرضت كل الرواية على كتاب الله تعالى لما قدم أحد على هذا الأفك العظيم. (م ـ بتصرف).

(٢) الأحزاب : ٣٧ .

(٣) انظر ابن سيد الناس ٢/٥٤ : ٥٥ .

ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

وكانت في شوال، وكان سببها أنّ نفراً من يهود من بني النضير، منهم سلام بن أبي الحُقَيْق، وحُيَيّ بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وغيرهم حَزَّبُوا الأحزاب علىٰ رسول الله ﷺ فقدموا علىٰ قريش بمكة فدعوهم إلىٰ حرب رسول الله ﷺ وقالوا: نكون معكم حتى نستأصله. فأجابوهم إلى ذلك ثم أتوا علىٰ غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنّ قريشاً معهم على ذلك فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في مرة، ومِسعر بن رخيلة الأشجعي في أشجع.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أمر بحفر الخندق وأشار به سَلْمَان الفارسي وكان أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حُرّ، فعمل فيه رسول الله ﷺ رغبة في الأجر وحَثًا للمسلمين وتسلل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله ﷺ فأنزل الله في ذلك: ﴿ قَدْ يَعْلَم اللهُ الَّـذِيْنَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُم لِواذاً ﴾[1] الآية، وكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة لحاجة لا بد منها يستأذن رسول الله ﷺ فيقضي حاجته ثم يعود، فأنزل الله تعالى: ﴿ إنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ ﴾[2] الآية، وقسم الخندق بين المسلمين فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان كُلٌّ يدعيه أنّه منهم، فقال رسول الله ﷺ: « سلمان منا سلمان منا أهل البيت »[3].

وجعل لكل عشرة أربعين ذراعاً فكان سلمان وحذيفة والنعمان بن مُقَرِّن، وعمرو بن عوف وستة من الأنصار يعملون فخرجت عليهم صخرة كسرت المِعْوَل فأعلموا النبي ﷺ فهبط إليها ومعه سلمان فأخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة حَتَّىٰ لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبَّر رسول الله ﷺ والمسلمون. ثم الثانية كذلك، ثم الثالثة كذلك ثم خرج وقد

---

(١) النور: ٦٣.

(٢) الفتح: ١٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ٢٠٠ (تهذيب) ـ والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٩٨ ـ والطبراني في الكبير ٦/ ٢٦١.

صدعها فسأله سلمان عما رأى من البرق فقال رسول الله ﷺ: أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى، وأخبرني جبريل أنّ أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحُمْر من أرض الشام والروم وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني أنّ أمتي ظاهرة عليها فأبشروا، فاستبشرو المسلمون وقال المنافقون: ألا تعجبون يعدكم الباطل، ويخبركم أنّه ينظر من يثرب الحيرة، ومدائن كسرى، وإنها تُفْتَح لكم، وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا فأنزل الله ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[١] فأقبلت قريش حَتَّى نزلت بمجتمع الأسيال من رَومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وتهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم حتى نزلوا إلى جنب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فجعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف فنزل هناك، ورفع الذراريّ والنساء في الآطام.

وخرج حُيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد سيد قريظة وكان قد وادع رسول الله ﷺ علىٰ قومه فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له وقال: إنك امرؤٌ مشؤم وقد عاهدتُ محمداً ولم أر منه إلا الوفاء. قال حيي: يا كعب قد جئتُك بعز الدهر وببحرٍ طامٍّ جئتُك بقريش وقادتها وسادتها، وغطفان بقادتها وقد عاهدوني أنهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه. قال كعب: جئتني بذُلِّ الدهر وبجهام[٢] قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء، ويحك يا حُيَيّ دعني ومحمداً ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب[٣] حتى حَمَلَه على الغدر بالنبي ﷺ ففعل ونكث العهد، وعاهده حيي إنْ عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أنْ أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك.

فعظم عند ذلك البلاء وآشتد الخوف وأتاهم عدوهم مِنْ فوقهم ومِنْ أسفل منهم ونجم النفاق من بعض المنافقين، وأقام رسول الله ﷺ والمشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلّا الرمي بالنبل، فلمّا اشتد البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري قائدي غطفان فأعطاهما

---

(١) الأحزاب: ١٢.

(٢) هو النعيم الذي لا مطر فيه.

(٣) ذروة البعير وغاربه معروفان جعلا مثلاً لازالته عن رأيه.

ثلث ثمار المدينة على أنْ يرجِعُوا بمن معهما عن رسول الله ﷺ فأجابا إلى ذلك، فاستشار رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فقالا: يا رسول الله شيءٌ تحب أنْ تصنعه أم شيءٌ أمرك الله به أو شيء تصنعه لنا؟ قال: بل لكم رأيتُ العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة فأردتُ أنْ أكسر عنكم شوكتهم، فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهم على الشرك ولا يطمعون أنْ يأكلوا منا تمرة إلاّ قِرًى أو بَيْعاً فحين أكرمنا الله بالاسلام نعطيهم أموالنا! ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فترك ذلك رسول الله ﷺ. ثم إنّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدوَد أحد بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله، وضِرار بن الخطاب الفهري خرجوا على خيولهم وآجتازوا ببني كنانة وقالوا: تجهزوا للحرب وستعلمون مَن الفرسان.

وكان عمرو بن عبدوَد قد شهد بدراً كافراً وقاتل حتى كثرتْ الجراح فيه ولم يشهد أحداً وشهد الخندق معلماً حتى يُعْرَفَ مكانه، فأقبل هو وأصحابه حتى وقفوا على الخندق ثم تيمموا مكاناً ضيقاً فآقتحموه فجالت بهم خيولهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر من المسلمين فأخذوا عليهم الثغرة[1] وكان عمرو قد خرج معلماً فقال له علي: يا عمرو إنك عاهدتَ أن لا يدعوك رجلٌ من قريش إلىٰ خصلتين إلا اخذت إحداهما. قال: أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى الله والاسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني ادعوك إلى النزال. قال: والله ما أُحبّ أنْ أقتلك. قال علي: ولكني أحب أنْ أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك فنزل عن فرسه وعقره ثم أقبل على عليّ فتجاولاَ وقتله عليّ وخرجت خيلهم منهزمة، وقتل مع عمرو رجلان قتل عليّ أحدهما وأصاب آخر سهم فمات منه بمكة.

ورُمِيَ سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله رماه حِبان بن قيس بن العرقة بن عبد مناف من بني هُصَيص بن عامر بن لؤي، والعرقة أمه، وإنما قيل لها: العرقة لطيب ريح عرقها وهي قِلابة بنت سعيد بن سعد بن سَهم وهي جدة خديجة أُم أبيها، أو هي أم عبد

---

(١) وروى السهيلي عن ابن سحاق أن عمراً دعا المسلمين للمبارزة وعرض رسول الله ﷺ الأمر ثلاث مرات ولا يقوم إلا عليّ كرم الله وجهه ففي الثالثة. قال له: إنه عمرو. قال: وإنْ كان عمراً فنزل إليه وقتله وكبر فكبر المسلمون فرحاً بقتله.

مناف بن الحارث جد أبيه، فلما رمَىٰ سعداً قال: خُذْها وأنا ابن العرقة. فقال النبي ﷺ: عرق الله وجهك في النار. ولم يُقطع الأكحل من أحد الأمات فقال سعد: اللهم إنْ كنت أبقيت مِنْ حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحبّ إليّ أن أقاتلهم من قوم آذوا نبيك وكذبوه، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا فٱجعلها لي شهادة ولا تُمِتْني حتى تقر عيني من بني قريظة، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية.

وقيل: إن الذي رمى سعداً هو أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم، فلما قال سعد ما قال: انقطع الدم، وكانت صفية عمة النبي ﷺ في فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان فيه مع النساء لأنه كان جباناً قالت: فأتانا آتٍ من اليهود فقلت لحسان: هذا اليهودي يطوفُ بنا ولا نأمنه أنْ يدل على عوراتنا فٱنزل إليه فٱقتله فقال: والله ما أنـا بصاحب هذا قالت: فأخذتُ عموداً ونزلتُ إليه فقتلته، ثم رجعتُ فقلت لحسان: انزل إليه فَخُذْ سَلْبَه فإنني يمنعني منه أنه رجل.

فقال: والله ما لي بسلبه من حاجة، ثم إن نُعَيْم بن مسعود الأشجعي أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمتُ ولم يعلم قومي فمُرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ إنما أنت رجلٌ واحد فخذِّلْ عنا ما استطعت فإنّ الحرب خَدْعَة. فخرج حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية فقال لهم: قد عرفتم وُدي إياكم، فقالوا: لست عندنا بمتهم، قال: قد ظاهرتم قريشاً وغطفان علىٰ حرب محمد وليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون علىٰ أن تتحولوا منه وإنّ قريشاً وغطفان إن رأوا نهزة[1] وغنيمة أصابوها وإنْ كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم بِهِ إنْ خلا بكم، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم ثقة لكم حتى تناجزوا محمداً. قالوا: أشرت بالنُّصْح.

ثم خرج حتىٰ أتىٰ قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم وُدّي إياكم وفراقي محمداً، وقد بلغني أنّ قريظة ندموا، وقد أرسلوا إلى محمد هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأجابهم أنْ نعم، فإنْ طلبتْ قريظة منكم رُهُناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً.

---

(١) النُّهزة: الفرحة. قاموس.

ثم خرج حتىٰ أتىٰ غطفان فقال: أنتم أهلي وعشيرتي وقال لهم: مثل ما قال لقريش وحذّرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس كان من صنع الله لرسوله أن أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان وقالوا لهم: أنا لسنا بدارِ مُقَام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً. فأرسلوا إليهم أنّ اليوم السبت لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً ثقة لنا فإنا نخشىٰ أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل ونحن ببلاده.

فلما أبلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش وغطفان: والله لقد صدق نعيم بن مسعود فأرسلوا إلى قريظة: إنا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً، فقالت قريظة عند ذلك: إنّ الذي ذكر نعيم بن مسعود لَحَقّ. وخذل الله بينهم.

وبعث الله عليهم ريحاً في ليالٍ شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم، فلما انتهى إلى النبي ﷺ اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلاً فقال: انطلق إليهم وآنظر حالهم ولا تُحْدِثَن شيئاً حتى تأتينا. قال حذيفة: فذهبتُ فدخلتُ فيهم والريح وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل لا يقر لهم قِدر ولا بناء ولا نار، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش ليأخذ كُلُّ رجل منكم بيد جليسه. قال: فأخذتُ بيدِ الرجل الذي بجانبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان. ثم قال أبو سفيان: والله لقد هلك الخف والحافر وأخلفتنا قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون فآرتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب علىٰ ثلاث قوائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ أنّي لا أحدث شيئاً لقتلته. قال حذيفة: فرجعتُ إلى النبي ﷺ وهو قائم يصلي في مِرْط[1] لبعض نسائه فأدخلني بين رجليه وطرح عليَّ طرف المرط فلما سَلَّم أخبرتُه الخبر، وسمعتْ غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم، فلما عادوا قال رسول الله ﷺ: « الآن نغزوهم ولا يغزونا » فكان كذلك حتى فتح الله مكة.

---

(١) المِرْط: كساء من خز أو صوف، أو كتان تتزربه وتتلفع به المرأة ـ وجمعه مروط.

ذكر غزوة بني قريظة

لما أصبح رسول الله ﷺ عاد إلى المدينة ووضع المسلمون السلاح وضرب على سعد بن معاذ قُبّة في المسجد ليعوده من قريب، فلما كان الظهر أتى جبريل النبي ﷺ فقال: أقدْ وضعتَ السلاح؟ قال: نعم. قال جبريل: ما وَضَعت الملائكةُ السلاح إنّ الله يأمُرُكَ بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم. فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى: مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلا في بني قريظة. وقدّم علياً إليهم برايته وتلاحق الناس ونزل رسول الله ﷺ وأتاه رجال بعد العشاء الأخيرة فصلوا العصر بها وما عابهم رسول الله ﷺ، وحاصر بني قريظة شهراً أو خمساً وعشرين ليلة فلما آشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن تبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر[1] - وهو أنصاري من الأوس - نستشيره. فأرسلُه، فلما رأوه قام إليـه الرجال وبكى النساء والصبيان فرقَّ لهم فقالوا ننزل على حكم رسول الله. فقال: نعم وأشار بيده إلى حَلْقه إنّه الذبح. قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى عرفتُ أنّي خُنْتُ الله ورسوله، وقلت: والله لا أقمتُ بمكـانٍ عصيتُ الله فيه. وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله ﷺ.

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال الأوس: يا رسول الله افعل في موالينا مثل ما فعلتَ في موالي الخزرج يعني بني قينقاع وقد تقدم ذكرهم، فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ؟ قالوا بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حِمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أباعمرو أحسِنْ إلى مواليك، فلما كثروا عليه قال: قد

---

(١) هو أبو لبابة رفاعة بن عبد المنذر، الأنصاري. كان نقيباً شهد العقبة وسار مع النبي إلى بدر فرده إلى المدينة فاستخلفه عليها.

(انظر اسد الغابة ٦/٢٦٥ : ٢٦٧).

آن لسعد أنْ لا تأخذَهُ في اللهِ لومةَ لائم. فعلم كثيرٌ منهم أنه يقتلهم فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم أو قال: خيركم[١] فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا: يا أبا عمرو أحسِن إلى مواليك فقد رد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيهم إليّ. قالوا: نعم. فآلتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبي ﷺ وغض بصره عن رسول الله إجلالاً وقال: وعلىٰ مَنْ هـا هنا العهـد أيضاً. فقالوا: نعم. وقال رسول الله ﷺ نعم. قال: فإنّي أحكم أنْ تقتل المقاتلة، وتُسْبى الذرية والنساء، وتقسّم الأموال. فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

ثم استُنْزِلوا فحبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضَرَب أعناقهم فيهـا وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد سيدهم وكانـوا ستمائـة أو سبعمائـة، وقيل: مـا بين سبعمائة وثمانمائة، وأُتي بحيي بن أخطب وهو مكتوف فلما رأى النبي ﷺ قال: والله ما لُمْتُ نفسي في عداوتك، ولكن مَنْ يخذل الله يخذل. ثم قال للناس: إنه لا بأس بأمر الله كتابٌ[٢] وقَدَر، وملحمةٌ كُتِبَتْ علىٰ بني اسرائيل. فأُجلس وضربتْ عنقه، ولم تقتل منهم إلا امرأة واحدة قتلت بحَدَثٍ أحدثته[٣]، وقتلت أرفعة بنت عارضة منهم، وأسلم منهم[٤] ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسيد بن عبيد.

ثم قسّم رسول الله ﷺ أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل ممن ليس له فرس سهم، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً وأخرج منها الخُمس. وكان أول فيء وقع فيه السهمان والخمس، وآصطفى رسول الله ﷺ لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بني قريظة فأراد أن يتزوجها فقالت: اتركني في مِلْكِكَ فهو أخف عليّ وعليك. فلما انقضى أمر قريظة انفجر جُرْح سعد بن معاذ واستجاب الله

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ١٥٦، وأحمد ٦/١٤١ ـ ١٤٢.
وبنحوه أخرجه البخاري ٤/١٧٥، وأبو داود ٥٢١٥، وأحمد ٢/٢٢، ٧١.

(٢) في الأصول: كتاف ـ وهو غلط (م).

(٣) وهي أنها طرحت رحا على خلاد بن سويد فقتله فقتلت. (سيرة ابن هشام) (م).

(٤) قال ابن هشام في السيرة: إنهم ليسوا من بني قريظة وإنما هم من بني هدل ونسبهم فوق ذلك وهم بنو عم. أ هـ (م).

دعاءَه وكان في خيمته[١] التي في المسجد فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وقالت عائشة : سمعت بكاء أبي بكر وعمر عليه وأنا في حجرتي ، وأما النبي ﷺ فكان لا يبكي على أحد كان إذا آشتد وجده أخذ بلحيته، وكان فتح قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة . وقتل من المسلمين في الخندق ستة نفر، وفي قريظة ثلاثة نفر.

---

(١) الذي في سيرة ابن هشام أنها خيمة رفيدة ممرضة جرحى المسلمين (م) .

ودخلت سنة ست من الهجرة

ذكر غزوة بني لحيان

في جمادى الأولى منها خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خُبَيْبَ بن عدي وأصحابه وأظهر أنّه يريد الشام ليصيب من القوم غرة، وأغذ السير حتى نزل علىٰ غُرَان منازل بني لحيان وهي بين أَمَج، وعسفان، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعسفان تخويفاً لأهل مكة وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم عاد قافلاً.

(غُرَان) بضم الغين المعجمة وفتح الراء وبعد الالف نون، و(أَمَج) بفتح الهمزة والميم وآخره جيم.

ذكر غزوة ذي قَرَد

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة فلم يُقم إلا أياماً قلائل حتى أغار عُيَيْنة بن حصن الفزاري في خيل غطفان علىٰ لقاح النبي ﷺ، وأول مَنْ نذر بهم سَلَمة بن الأكوع الأسلمي. هكذا ذكرها أبو جعفر بعد غزوة بني لحيان عن ابن اسحاق والرواية الصحيحة عن سلمة أنها كانت بعد مَقْدِمِهِ المدينة منصرفاً من الحديبية، وبين الوقعتين تفاوت. قال سلمة بن الأكوع: أقبلنا مع النبي ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية[1] فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلامه وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري قد أغار علىٰ ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه قلت: يا رباح هذه الفرس فأبلغها طلحة وأخبر النبي ﷺ أنّ

---

(١) وهي الموافقة لرواية مسلم في صحيحه.

المشركين قد أغاروا على سرحه. ثم استقبلت الأَكَمة[١] فناديتُ ثلاث أصوات « يا صباحاه » ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول :

خـذهـا وأنـا ابـن الأكـوع والـيـوم يـوم الـرضـع[٢]

قال: فوالله ما زلتُ أرميهم وأعقر بهم فإذا خرج إليّ فارس قعدتُ في أصل شجرة فرميته فعقرتُ به وإذا دخلوا في مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم فما زلتُ كذلك حتى ما تركتُ من ظهر رسول الله ﷺ بعيراً إلا جعلته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه وألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بردة يستخفون بها لا يلقون شيئاً إلا جعلتُ عليه أمارة أي علامة حتى تعرفه أصحاب رسول الله ﷺ حتىٰ إذا انتهوا إلى مضايق من ثنية أتاهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ممداً فقعدوا يتضحون[٣] فلما رآني قال: من هذا؟ قالوا: لقينا منه البَرْح[٤] وقد استنقذ كلّ ما بأيدينا فما برحتُ مكاني حتى أبصرتُ فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر أولهم الأخرم الأسدي واسمه مُحرز بن نضلة من أسد بن خزيمة. وعلى اثره أبو قتادة؛ وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندي فأخذت بعنان الأخرم[٥] وقلت: أحذر القوم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه. فقال: يا سلمة إنْ كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة. قال: فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحوّل عبد الرحمن على فرس الأخرم، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فانطلقوا هاربين، قال سلمة : فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو علىٰ رجليّ حتى ما أرىٰ ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً وعدلوا قبل غروب الشمس إلى غارٍ فيه ماء يقال له: ذو قَرَد ليشربوا منه وهم عِطاش فنظروا إليّ أعدو في آثارهم فاجليتهم عنه فما ذاقوا منه قطرة، قال: واشتدوا في ثنية ذي أبهر[٦] فأرشُقُ

---

(١) الأكَمَة : التل ـ الجمع : آكام .

(٢) اي اليوم يوم هلاك اللئام وهم الرضع .

(٣) أي : يتغدون .

(٤) الشدة والشر .

(٥) في الأصول : أحزم ـ وهو خطأ (م) .

(٦) ثنية ذي أبهر : اسم جبل في الحجاز .

وفي الأصول : بيت وهو لحن صححناه من صحيح مسلم (م) .

بعضهم بسهم فيقع في نُغض كتفه[1] فقلت:

خـذهـا وأنـا ابـن الأكـوع والـيـوم يـوم الـرضـع

وأرادوا فرسين على ثنية فجئت بهما أقودهما إلى النبي ﷺ ولحقني عمي عامر بسطيحة فيها مذقة[2] من لبن وسطحية فيها ماء فتوضأتُ وصليتُ وشربتُ ثم جئتُ إلى النبي ﷺ وهو علىٰ الماء الذي أجليتهم عنه بذي قَرَد، وإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الأبل التي استنقذتُ من العدو وكل رمح وكل بردة وإذا بلال قد نحر لهم ناقة من الإبل وهو يشوي منها. فقلت: يا رسول الله خلني أنتخب مائة رجل فلا يبقى منهم عين تطرف. فضحك وقال: إنهم ليقرون بأرض غطفان، فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غباراً فقالوا: أُتِيْتُم فخرجوا هاربين. فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل، ثم أردفني وراءه علىٰ العضباء راجعين إلىٰ المدينة فبينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً فقال: ألا من مُسَابق مراراً، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ائذن لي فلأسَابق الرجل. قال: إنْ شئت. قال: فطفرت[3] فعدوتُ فربطت عليه شرفاً أو شرفين استبقي نفسي، ثم عدوتُ في أثره فربطتُ عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعتُ حتى ألحقه فأصكه بين كتفيه فقلت: سبقتُك والله، قال: أنا أظن. فسبقته إلى المدينة فلم نمكث بها إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلىٰ خيبر. وفي هذه الغزوة نودي يا خيل الله اركبي ولم يكن يقال: قبلها.

(قَرَد) بفتح القاف والراء.

---

(١) النغض: هو العظم الرقيق على طرف الكتف سمي بذلك لكثرة تحركه (م).

(٢) أي: شربةٌ من اللبن الممزوج أي المخلوط بالماء (م).

(٣) أي: وثبت وقفزت.

ذكر غزوة بني المصطلق من خزاعة

ذكرتُ هذه الغزوة بعد غزوة ذي قَرَد، وكانت في شعبان من السنة سنة ست، وكان بلغ رسول الله ﷺ أنّ بني المصطلق تجمَّعُوا له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار - أبو جويرية زوج النبي ﷺ - فلما سمع بهم خرج إليهم فلقيهم بماء لهم يقال له: المُرَيْسِيْع[1] بناحية قديد فٱقتتلوا فٱنهزم المشركون، وقُتِلَ من قُتِلَ منهم؛ وأصيب رجلٌ من المسلمين من بني ليث بن بكر اسمه هشام بن صبابة أخو مقيس بن صُبابة أصابه رجل من الأنصار بسهم من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدوّ فقتله خطأ. وأصاب رسول الله ﷺ سبايا كثيرة فقسمها في المسلمين، وفيهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لأبن عم له فكاتبته عن نفسها فأتت رسول الله ﷺ فٱستعانته في كتابتها فقال لها: هل لك على خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله. ففعل وسمع الناس الخبر فقالوا: أصهار رسول الله فأعتقوا أكثر من مائة بيت مِن أهل بني المصطلق فما كانت امرأة أعظم بركة علىٰ قومها منها.

وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه فٱزدحم هو وسنان الجهني حليف بني عوف من الخزرج علىٰ الماء فٱقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث السن فقال: أو قد فعلوها؟ قد كاثرونا في بلادنا، أما والله ﴿ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾[2] ثم أقبل علىٰ مَنْ حضره من قومه فقال: هذا ما

---

(١) هو ماء من ناحية قديد إلى الساحل.

(٢) المنافقون: ٨.

فعلتم بأنفسكم أحللتموهم ببلادكم وقاسمتموهم أموالكم والله لـو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادك، فسمع ذلك زيد فمشى به إلى النبي ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من غزوهِ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله مُرْ به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ كيف إذا تحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل. فآرتحل في ساعةٍ لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه، فلقيه أُسَيْد بن حضير فسلّم عليه وقال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة لم تكن تروح فيها؟ فقال: أو ما بلغك ما قال عبد الله بن أبيّ؟ قال: وماذا قال؟ قال: زعم إنْ رَجَعَ إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال أسيد : فأنتَ والله تُخْرِجُهُ إنْ شئت فإنك العزيز وهو الذليل.

ثم قال: يا رسول الله آرفق به فوالله لقد مَنَّ اللهُ بك وإنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً. وسمع عبد الله بن أُبَيّ أنّ زيداً أعلم النبيَّ ﷺ قوله فمشى إلىٰ رسول الله ﷺ فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، وكان عبد الله في قومه شريفاً فقالوا: يا رسول الله عسىٰ أنْ يكون الغلام قد أخطأه.وأنزل الله ﴿ إذَا جَاءَكَ المُنَافِقُون ﴾[1] تصديقاً لزيد، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأُذُن زيد وقال: هذا الذي أوفىٰ الله بأذنه. وبلغ عبد الله بن أبيّ بن سلول ما كان من أمر أبيه فأتىٰ النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فإنْ كنتَ فاعِلاً فمُرْنِي به فأنا أحمل إليك رأسه، وأخشى أنْ تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال النبي ﷺ: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا، فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثاً عاتبه قومه وعنّفوه وتوعدوه فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم: كيف ترى ذلك يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لأرعدت له أنف لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلته؟ فقال عمر : أمرُ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. وفيها قَدِمَ مقيس بن صُبابة مسلماً فيما يظهر فقال: يا رسول الله جئت مسلماً وجئت أطلب دية أخي وكان قتل خطأ، فأمر له بدية أخيه هشام بن صَبَابة وقد تقدم ذكر قتله آنفاً، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا علىٰ قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتداً فقال:

---

(١) المنافقون : ١ .

شفى النفس أنْ قد بات في القاع مسنداً تضـرّج ثـوبيـه دمـاء الأخـادع[1]
وكـانت همـوم النفس من قبـل قتله تلم فتحميني وطـاء المضـاجـع
حـللت بـه نـذري وأدركت ثـؤرتي وكـنـت إلـى الأصنـام أول راجـع

(مِقْيَس) بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء تحتها نقطتان، و (صبابة) بصاد مهملة وبباءين موحدتين بينهما ألف، و (أُسيد) بهمزة مضمومة، و (حُضَير) بضم الحاء المهملة وفتح الضاد.

حديث الأفك

وكان حديث الإفك في غزوة بني المصطلق، لما رجع رسول الله ﷺ فكان ببعض الطريق قال أهل الافك ما قالوا، وكان من حديثه ما روي عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه فخرج سهمي فخرج بي معه. وكان النساء إذْ ذاك إنما يأكلن العلقة لم يتفكهن[2] باللحم وكنت إذا وصل بعيري جلستُ في هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحّلون بعيري فيحملون الهودج وأنا فيه فيضعونه علىٰ ظهر البعير ثم يأخذون برأس البعير ويسيرون. قالت: فلما قفل رسول الله ﷺ من سفره ذلك وكان قريباً من المدينة بات بمنزل بعض الليل ثم ارتحل هو والناس وكنت قد خرجتُ لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي من جَزع[3] ظفار آنسل من عُنُقي ولا أدري، فلما رجعتُ آلتمستُ العقد فلم أجده وأخذ الناس في الرحيل فرجعتُ إلى المكان الذي كنتُ فيه آلتمسه فوجدته، وجاء القوم الذين يرحلون بعيري فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا.

ورجعتُ إلى المعسكـر ومـا فيـه من داع ولا مجيب، فتلففت بـجلبـابـي واضطجعت في مكاني وعرفتُ أنهم يرجعون إليّ إذا افتقدوني . قالت: فـوالله إني

---

(١) هي عروق في القفا ، وإنما هما أخدعان جمعهما مع ما يليهما.

(٢) كذا بالأصول ، وفي الطبري : لم يهبجن من هيجه إذ أورمه أي لم يصرن وارمات الأبدان باللحم وهو الموافق لرواية البخاري في صحيحه لم يهبلهن أي يجعلهـن وارمات منتفخات ولا وجه لما في الأصل إلا أن تكون من تفكه إذا تمتع وتلذذ كما في القاموس أي يرونه فخراً (م) .

(٣) الجزع : الخرز اليماني وظفار اسم مدينة لحمير باليمن .

لمضطجعة إذْ مَرّ بي صفوان بن المُعَطّل[١] السلمي وقد كان تخلف عن العسكر لحاجته فلم يبت مع الناس فلما رأى سوادي أقبل حتىٰ وقف عليّ فعرفني، وكان رآني قبل أنْ يُضْرَبَ الحجاب، فلما رآني استرجع وقال: ما خلفكِ؟ قالت: فما كَلَّمْتُه ثم قَرَّبَ البعير وقال: آركبي فركبتُ، وأخذ برأس البعير مسرعاً، فلما نُزل الناس واطمأنوا آطلع الرجل يقود بي فقال أهل الأفك: ما قالوا، فارتعج[٢] العسكر ولم أعلم بشيء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فاشتكيت شكوىٰ شديدة وقد انتهى الحديث إلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ أبويّ ولا يذكران لي منه شيئاً إلا أني أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعض لُطْفِهِ فكان إذا دخل عليّ وأمي تمرضني قال: كيف تِيْكُم؟ لا يزيد علىٰ ذلك، فوجدت في نفسي مما رأيتُ من جفائه لي فآستأذنته في الانتقال إلى أمي لتمرضني فأذِنَ لي وانتقلت ولا أعلم بشيء مما كان حتى نقهت[٣] من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة. قالت: وكنا قوماً عَرَباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف نعافها ونكرهها إنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلة فخرجتُ ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مِسْطَح ابنة أبي رهم بن المطلب، وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق قالت: فوالله إنها لتمشي إذ عثرت في مرطها فقالت: تَعِسَ مسطح. قالت: قلت لعمر الله بئسما قلتِ لرجلٍ من المهاجرين قد شهد بدراً. قالت: أو ما بلغك الخبر؟ قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان. قالت: فوالله ما قدرتُ على أنْ أقضي حاجتي، فرجعتُ فما زلتُ أبكي حتى ظننتُ أنّ البكاء سيصدع كبدِي، وقلت لأمي: تحدَّث الناسُ بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟؟ قالت: أي بنية خَفِّضي عليك فوالله قَلَّما كانت آمرأةٌ حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلَّا كثرن وكثر الناس عليها، قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس فخطبهم ولا أعلم بذلك، ثم قال: أيها الناس ما بال رجالٌ يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمتُ عليه إلاّ خيراً وما دخل بيتاً من بيوتي إلا معي.

وكان كِبَر ذلك عند عبد الله بن أبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال

---

(١) هو صفوان بن المعطل بن رَبَيْضة بن خزاعي بن محارب بن مرة السلمي.
شهد الخندق والمشاهد بعدها. وكان شجاعاً خيراً فاضلاً قتل في غزوة أرمينية.
(انظر أسد الغابة ٣/ ٣٠ : ٣١).

(٢) أي: اضطرب، واقلق.

(٣) أي برئت.

مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أنّ زينب أختها كانت عند رسول الله ﷺ فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لاختها، فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير: يا رسول الله ﷺ إنْ يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك. فقال سعد بن عبادة، والله ما قلتَ هذه المقالة إلّا وقد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا، فقال أسيد: كذبت ولكنك منافق تجادلُ عن المنافقين. وتثاورَ الناس[1] حتى كاد يكون بينهم شر، ونزل رسول الله ﷺ ودعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما فأما اسامة فأثنىٰ خيراً، وأما عليّ فقال: إنّ النساء لكثير وسَل الخادم تَصْدُقْك. فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً وهو يقول: اصدُقِي رسول الله فقالت: والله ما أعلم إلّا خيراً، وما كنتُ أعيبُ عليها شيئاً إلا إنها كانت تنام عن عجينها فتأتي الداجنُ[2] فتأكله.

ثم قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي وامرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: يا عائشة: إنه قد كان ما قد بلغكِ من قولِ الناس فإنْ كنتِ قارفتِ سوءاً فتوبي إلى الله. قالت: فوالله لقد تقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرتُ أبواي أنْ يجيباه فلم يفعلا فقلت: ألا تجيبانه! فقالا: والله ما ندري بما نجيبه وما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل علىٰ أبي بكر تلك الأيام.

فلما أن استعجما عليّ بكيتُ ثم قلت: والله لا أتوبُ إلىٰ الله مما ذكرتَ أبداً والله لئن أقررتُ ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدقني ولئن أنكرتُ لا تصدقونني. ثم التمست اسم يعقوب فلم أجده فقلتُ: ولكني أقول كما قال أبو يوسف: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[3]. ولَشَأْنِي كان أصغر في نفسي أنْ ينزل الله فيّ قرآناً يتلى ولكني كنت أرجو أنْ يرىٰ رؤيا يكذب الله بها عني قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ من مجلسه حتى جاء الوحي فسجي بثوبه فأما أنا فوالله ما فزعتُ ولا باليت قد عرفتُ أني بريئة وأنّ الله غير ظالمي، وأما أبواي فما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسهما

---

(١) أي: تواثبوا.

(٢) الداجن: كل ما ألف البيوت وأقام بها من حيوانات وطيور.

(٣) يوسف: ٨٣.

فَرَقاً(١) من أنْ يحقق الله ما قال الناس. قالت: ثم سرِيَ عن رسول الله ﷺ وإنه ليتحدر عنه مثل الجُمَان(٢) فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك. فقلت: بحمد الله.

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وذكر لهم ما أنزل الله فيّ من القرآن، ثم أمر بِمِسْطَح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا بواحدهم. وحلف أبو بكر لا ينفق على مِسْطح أبداً فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُو الفَضْلِ مِنْكم ﴾(٣) الآية، فقال أبو بكر: إني أُحِبُّ أن يغفرَ اللَّهُ لي. ورجع إلى مسطح نفقته. ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما كان يقول فيه فضربه ثم قال:

تلق ذباب السيف عني فإنني ... غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

فوثب ثابت بن قيس بن شماس فجمع يديه إلى عنقه وانطلق به إلى الحارث بن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ضرب حساناً وما أراه إلا قتله. فقال عبد الله: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت. قال: لا والله قال: لقد اجترأت أطلِق الرجل فأطلقه. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال صفوان: هجاني يا رسول الله وآذاني فضربته. فقال رسول الله ﷺ لحسان: أحسِن يا حسان. قال: هي لك يا رسول الله فأعطاه رسول الله ﷺ عوضاً منها بيرحاء وهي قصر بني حُديلة بالحاء المهملة وأعطاه سيرين أمةً قبطية وهي أخت مارية أم ابراهيم بن رسول الله فولدت له ابنه عبد الرحمن. وكان صفوان حصوراً لا يأتي النساء ثم قتل بعد ذلك شهيداً.

(مسطح) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبالطاء والحاء المهملتين.

ذكر عُمْرة الحديبية

في هذه السنة خرج رسول الله ﷺ معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة ـ وقيل: ألف

(١) أي : خوفاً .
(٢) الجُمَان : اللؤلؤ .
(٣) النور : ٢٢ .

وخمسمائة، وقيل: ثلاثمائة ـ وساق الهَدْيَ معه سبعين بَدَنة ليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً للبيت، فلما بلغ عُسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذي طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً، وقد قدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ـ وقيل: إن خالداً كان مع النبي ﷺ مسلماً وأنه أرسله فلقي عكرمة بن أبي جهل فهزمه والأول أصح ـ ولما بلغه بسر ما فعلت قريش قال رسول الله ﷺ: « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس » فإنْ هم أصابوني كان الذي أرادوا وإنْ أظهرني الله دخلوا في الاسلام وافرين!، والله لا أزال أجاهدهم علىٰ الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[١]

ثم خرج علىٰ غير الطريق التي هُمْ بها وسلك ذات اليمين حتى سلك ثنية المُرَار[٢] على مهبط الحديبية فبركت به ناقته، فقال الناس: خلأت[٣] فقال: « ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا يدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ».

ثم قال للناس: آنزلوا فقالوا: ما بالوادي ماء ينزل عليه. فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش الماء بالريّ حتىٰ ضرب الناس عنه بعطن، وكان اسم الذي أخذ السهم ناجية بن جندب بن عمير سائق بدن النبي ﷺ فبينما هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه خزاعة وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من تهامة، فقال: تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي أعداد مياه الحديبية وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال النبي ﷺ: « إنا لم نأت لقتال أَحَدٍ ولكنا جئنا معتمرين وإن شاءت قريش ماددناهم مدة ويخلّوا بيني وبين الناس وإنْ أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم علىٰ أمري هذا حتى تنفرد سالفتي». فانطلق بديل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: إنّ هذا الرجل عرض عليكم خطة رُشْد فاقبلوها دعوني آته. فقالوا: آته. فأتاه وكلمه فقال له: يا محمد جمعتَ أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك

---

(١) السالفة: مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة. قاموس.

(٢) بضم الميم وتخفيف الراء في صحيح مسلم.

(٣) أي: حرنت ولم تمش.

لتفضها[١] بهم إنهاقريش قد خرجت معها العوذ المطافيل[٢]، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله أنك لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد تكشفوا عنك غدا.

فقال أبو بكر: امصص بظر اللات[٣] أنحن ننكشف عنه! قال: من هذا يا محمد؟ قال النبي ﷺ: هذا ابن أبي قحافة. فقال: أما والله لولا يَدٌ كانت لك عندي لكافأتك بها[٤]، ثم جعل يتناول لِحْيَة رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد فجعل يقرع يده إذا تناولها ويقول له: آكْفُفْ يدك قبل أن لا تصل إليك. فقال عروة: مَن هذا يا محمد؟ قال النبي ﷺ: هذا ابن أخيك المغيرة، فقال: أي غدر وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس؟ وكان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك وهرب، فتهايج الحيان بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة فودىٰ عروة للمقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الأمر ـ وطال الكلام بينهم. فقال له النبي ﷺ نحو مقالته لبديل، فقال له عروة: يا محمد، أرأيت إن استأصلتَ قومك فهل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وجعل يرمق أصحاب النبي ﷺ فوالله لا يتنخم النبيُّ نخامة إلّا وقعت في كَفِّ أحدهم فدلك بها وجهه وجلده، وإنْ أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه، وما يحِدُّون النظر إليه تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه وقال: أي قوم قد وفدتُ علىٰ كسرىٰ وقيصر والنجاشي فوالله ما رأيت مَلِكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، وحَدّثهم ما رأىٰ وما قال النبي ﷺ. فقال رجل[٥] من كنانة: دعوني آته فقالوا ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ: هذا فلان وهو من قومٍ

---

(١) وفي الأصول: «لبعض فعل بهم» وهو تصحيف لا معنى له، وقد صححناه من أصله سيرة ابن هشام (م).

(٢) العوذ المطافيل: هي النياق الحديثة النتاج يتبعها أطفالها قد عُلِّقَتْ عليها التعاويذ (م).

(٣) البظر: الهنة التي تقطع من فرج المرأة عند الختان والأوشاب الاخلاط بمعنى الأوباش، وبيضة الرجل أهله وقبيلته، ولتفصنها لتكسرها واللات الصنم (م).

(٤) الذي في الطبري. لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك (م).

(٥) هذه العبارة فيها سقط وتحريف وصححناها من أصلها من ابن جرير وقد كانت هكذا: «فقال رجل هذا فلان وهو من كنانة اسمه الحليس بن علقمة وهو سيد الأحابيش دعو لي آتيه. فلما رآه النبي ﷺ قال: من قوم يعظمون البدن. ولا معنى له كما ترى (م).

يعظمون البُدُن فآبعثوها له فبعثت له واستقبله قوم يُلَبُّون فلما رأىٰ ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أنْ يُصَدُّوا عن البيت.

وقيل: إنّ قريشاً بعثت إليه الحليس بن علقمة وهو سيد الأحابيش فلما رآه النبي ﷺ قال: إنّ هذا من قوم يتألهون فآبعثوا الهَدْيَ في وجهه حتى يراه. فلما رأىٰ الهَدْيَ رجع إلى قريش ولم يصل إلى النبي ﷺ فقال: يا قوم قد رأيتُ ما لا يحل صَدّه الهدي في قلائده. فقالوا: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك. فقال: والله ما على هذا حالفناكم أنْ تَصُدُّوا عن البيت مَنْ جاء مُعَظِّماً له، والذي نفسي بيده لتخلُنَّ بين محمد وبين البيت أو لأنفرنّ الأحابيش نفرة رجل واحد. قال: فقالوا: مَهْ كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا. فقام رجل منهم يقال لهمكرز بنحفص فقال: دعوني آته. فقالوا: آفعل. فلما أشرف على النبي ﷺ قال: لأصحابه: هذا رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سُهَيْل بن عمرو فلما جاء قال النبي: سَهُلَ أمركم.

وقال ابن اسحاق: إنّ قريشاً إنما بعثت سهيلاً بعد رسالة رسول الله ﷺ مع عثمان بن عفان، قال: لما رجع عروة بن مسعود إلى قريش بعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش على جمل له يقال له: الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش وخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ عمر ليرسله إلى مكة، فقال: ليس بمكة من بني عدي مَن يمنعني وقد علمت قريش عداوتي لها وغِلظتي عليها وأخافها علىٰ نفسي، فأرسِلْ عثمان فهو أعزّ بها مني، فدعا عثمان فأرسله ليبلغ عنه فآنطلق فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فأجاره فأتىٰ أبا سفيان، وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ، فقالوا لعثمان حين فرغ من أداء الرسالة: إنْ شئتَ أنْ تطوف بالبيت فطُفْ به فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به النبي ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبَلَغ النبي ﷺ أنه قد قُتِل فقال: لا نبرح حتى نناجز القوم، ثم دعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وهي سمرة لم يتخلف منهم أحد إلا الجدّ بن قيس وكان أول من بايعه رجل من بني أسد يقال له: أبو سنان، ثم أتى الخبر أن عثمان لم يقتل.

ثم بعثت قريش سُهَيْل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى النبي ﷺ ليصالحه على أنْ يرجع عنهم عَامهُ ذلك، فأقبل سهيل إلى النبي ﷺ وأطال معه الكلام وتراجعا،

ثم جرى بينهم الصلح، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم. فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال: لعلي امح رسول الله. فقال: لا أمحوك أبداً. فأخذه رسول الله ﷺ وليس يحسن أنْ يكتب فكتب موضع رسول الله محمد بن عبد الله، وقال لعلي لتبلين بمثلها، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن الناس، وإنه من أتى منهم رسول الله بغير إذن وليه رده إليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم يردّوه عليه ومن أحب أنْ يدخل في عهد رسول الله دخل، ومن أحب أنْ يدخل في عهد قريش دخل، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وأنْ يرجع رسول الله ﷺ عنهم عامه ذلك فإذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلَتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً، وسلاح الراكب السيوف في القِرَب لا تدخلها بغيرها. فبينا النبي ﷺ يكتب الكتاب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وكانَ أصحاب النبي لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل أخذه، وقال: يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أنْ يأتيك هذا. قال: صدقتَ، وأخذه ليرده إلى قريش، فصاح أبو جندل يا معشر المسلمين أردّ إلى المشركين ليفتنوني عن ديني!

فزاد الناس شراً إلى ما بهم فقال له رسول الله ﷺ: احتسب، فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد أعطينا القوم عهودنا على ذلك فلا نغدر بهم. قال فوثب عمر بن الخطاب يمشي مع أبي جندل ويقول له: آصبر وآحتسب فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، وأدنىٰ قائم السيف منه رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه. قال: فبخل الرجل بأبيه ونفذت القضية، وشهد جماعة علىٰ الصلح من المسلمين؛ فيهم أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، وجماعة من المشركين، فلما فرغ النبي ﷺ من قضيته قال: قوموا فآنحروا ثُمّ آحلقوا فما قام أحدٌ حتى قال ذلك مراراً فلما لم يقم أحد منهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: يا نبي الله آخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك وتحلق شعرك. ففعل، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً للازدحام فما فتح في الاسلام

قبله فتح كان أعظم منه حيث أمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فدخل في الاسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه الأزهر بن عبد عوف، والأخنس بن شريق وبعثا فيه رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقال له رسول الله ﷺ: قد علمتَ أنّا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً ولا يصلح الغدر في ديننا. فآنطلق معهما إلى ذي الحليفة فجلسوا وأخذ أبو بصير سيفَ أحدهما فقتله به وخرج المولى سريعاً إلى النبي ﷺ فأخبره بقتل صاحبه ثم أقبل أبو بصير فقال: يا رسول الله قد وَفّت ذمتك وأنجاني الله منهم. فقال رسول الله ﷺ «ويل أمه مسّعر حرب لو كان له رجال»(١) فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج أبو بصير حتى نزل بناحية ذي المروة على ساحل البحر على طريق قريش إلى الشام، وبلغ المسلمين الذي كانوا حبسوا بمكة ذلك فخرجوا إلى أبي بصير، منهم أبو جندل فآجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً فضيّقوا علىٰ قريش يعترضون العير تكون لهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فآواهم رسول الله ﷺ، وفيها نزلت (سورة الفتح). وهاجر إلى رسول الله ﷺ نسوة مؤمنات فيهن أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط فجاء أخواها عمارة والوليد يطلبانها فأنزل الله ﴿ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا ترجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّار ﴾ الآية، فلم يرسل آمرأة مؤمنة إلى مكة، وأنزل الله ﴿ وَلا تُمسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ ﴾(٢) فطلّق عمر بن الخطاب امرأتين له إحداهما قريبة بنت أبي أمية، والثانية أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعي وهما مشركتان. فتزوج أم كلثوم أبو جهم بن حذيفة بن غانم.

(بُسْر) بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وآخره راء، (بَصير) بالباء الموحدة المفتوحة والصاد المهملة المكسورة والياء الساكنة تحتها نقطتان وآخره راء أيضاً. (وأَسِيْد) بفتح الهمزة وكسر السين و (جارية) بالجيم وآخره راء أيضاً، و (الحُلَيْس) بضم الحاء المهملة وفتح اللام وبعده ياء تحتها نقطتان وآخره سين مهملة.

وفيها كانت عدة من سرايا وغزوات :

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٧/٣ .

(٢) الممتحنة : ١٠

(منها سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن) في أربعين رجلاً إلى الغمر فيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب فنذر بهم القوم فهربوا فسعت الطلائع فوجدوا مائتي بعير فأخذوها إلى المدينة وكانت في ربيع الآخر.

(ومنها سرية محمد بن مسلمة) أرسله رسول الله ﷺ في عشرة فوارس في ربيع الأول إلى بني ثعلبة بن سعد فكمن القوم له حتى نام هو وأصحابه وظهروا عليهم فقتل أصحابه ونجا هو وحده جريحاً.

(ومنها سرية أبي عُبَيْدة بن الجَرَّاح) إلى ذي القَصَّة في ربيع الآخر في أربعين رجلاً فهرب أهله منهم في الجبال وأصابوا نعماً ورجلاً واحداً أسلم فتركه رسول الله ﷺ.

(ومنها سرية زيد بن حارثة) بالجموم فأصاب امرأة من مزينة اسمها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فأصابوا نعماً وشاء وأسرىٰ وكان فيهم زوجها فأطلقها رسول الله ﷺ وزوجها معها.

(ومنها سرية زيد أيضاً إلى العيص) في جمادى الأولى، وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع واستجار بزينب بنت النبي ﷺ فأجارته وقد تقدم ذكره في غزوة بدر.

(ومنها سرية أيضاً إلى الطرف) في جمادى الآخرة إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربوا منه وأصاب من نعمهم عشرين بعيراً، وغاب أربع ليال.

(ومنها سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمى) في جمادى الآخرة. وسببها أنّ رفاعة بن زيد الجذامي، ثم الضبي قدم علىٰ النبي ﷺ في هدنة الحديبية وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً وأسلم فحسن إسلامه، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الاسلام فأسلموا ثم ساروا إلى حرة الرجلاء؛ ثم إن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من الشام من عند قيصر وقد أجازه بمال وكساه حتى إذا كان بأرض جذام أغار عليه الهنيد بن عوض[١] وابنه عوض بن الهنيد الضليعيان وهو بطن من جذام فأخذا كل شيء معه فبلغ

---

(١) عوض يحتمل أن يكون بفتح العين وسكون الواو سمي باسم صنم كان يعبد في الجاهلية. ويحتمل أن يكون بكسر العين المهملة وفتح الواو (م).

ذلك نفراً من بني الضُّبَيْب قوم رفاعة ممن كان أسلم فنفروا إلى الهنيد وابنه فلقوهم واقتتلوا فظفر بنو الضبيب واستنقذوا كلّ شيء أُخِذَ من دحية وردوه عليه، فخرج دحية حتىٰ قدم علىٰ النبي ﷺ فأخبره خبره فأرسل رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة في جيش فأغاروا بالفضافض وجمعوا ما وجدوا من مال وقتلوا الهنيد وابنه، فلما سمع بذلك بنو الضبيب رهط رفاعة بن زيد سار بعضهم إلى زيد بن حارثة فقالوا: إنا قومٌ مسلمون. فقال زيد: فاقرأوا أم الكتاب فقرأها حسان بن ملة.

فقال زيد: نادوا في الجيش إنّ الله حرم علينا ما أخذ من طريق القوم التي جاؤوا منها وأراد أنْ يسلم إليهم سباياهم فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب أنْ يحتاط فتوقف في تسليم السبايا فقال: هم في حكم الله ونهىٰ الجيش أنْ يهبطوا واديهم وعاد أولئك الركب الجذاميون إلى رفاعة بن زيد وهو بكراع ربّة لم يشعر بشيء من أمرهم فقال له بعضهم: إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرهن كتابك الذي جئت به فسار رفاعة، والقوم معه إلى المدينة وعرض كتاب رسول الله ﷺ فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقالوا: لنا من كان حياً ومن قتل فهو تحت أقدامنا! يعنون تركوا الطلب به فأجابهم إلىٰ ذلك وأرسل معهم علي بن أبي طالب إلى زيد بن حارثة فردّ على القوم مالهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة تحت الرحل وأطلق الأسارى.

(ربّة) بالراء والباء الموحدة (والضُّبَيْب) بضم الضاد المعجمة تصغير ضب، وقيل: هو بفتح الضاد وكسر الباء وآخره نون نسبة إلى ضبية.

(ومنها سرية زيد أيضاً إلى وادي القرى) في رجب

(ومنها سرية عبد الرحمن ابن عوف إلى دَوْمَة الجندل) في شعبان وقال له رسول الله: إنْ أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم، فأسلموا فتزوج عبد الرحم تماضر بنت الأصبغ رئيسهم وملكهم وهي أم أبي سلمة.

(ومنها سرية علي بن أبي طالب إلى فَدَك)[1] في شعبان في مِائة رجل وذلك أنّ رسول الله ﷺ بلغه أنّ حياً من بني سعد قد تجمعوا له يريدون أنْ يمدوا أهل خيبر فسار

---

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أفادهما أفاءها الله تعالى على رسول الله عليه السلام صلحاً. فيها عين فوارة ونخل.

إليهم عليّ فأصاب عيناً لهم فأخبره أنه سار إلى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم على أنْ يجعلوا لهم تمر خيبر.

(ومنها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة) في رمضان وكانت عجوزاً كبيرة فلقي زيد بني فزارة بوادي القرى فأصيب أصحابه وارتث[١] زيد من بين القتلى فنذر أنْ لا يمس ماء من جنابة حتى يغزو فزارة فبعثه رسول الله ﷺ إليهم فلقيهم بوادي القرى فأصاب منهم وقتل وأسر أم قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر عجوز كبيرة وبنتاً لها فربط أم قرفة بين بعيرين فشقاها نصفين، وقدم على النبي ﷺ بآبنتها وكانت لسلمة بن الأكوع فأخذها رسول الله ﷺ منه هبة وأرسلها إلى حزن بن أبي وهب فولدت له عبدالله بن حزن وأما سلمة بن الأكوع فإنه جعل أمير هذه السرية أبا بكر فروي عنه أنه قال: امّر رسول الله ﷺ علينا أبا بكر فغزونا ناساً من بني فزارة فشننا عليهم الغارة صلاة الصبح فأخذت منهم جماعة وسقتهم إلى أبي بكر، وفيها امرأة من بني فزارة معها بنت لها من أحسن العرب فنفلني أبو بكر بنتها فقدمتُ المدينة فلقيتُ النبي ﷺ بالسوق فقال لي: يا أبا سلمة لله أبوك هَبْ لي المرأة. فقلت والله لقد أعجبتني وما كشفتُ لها ثوباً. فسكت ثم عاد من الغد فوهبتها له فبعث بها إلى مكة ففادى بها أسارى من المسلمين.

(ومنها سرية كرز بن الفهري[٢] إلى العرنيين) الذين قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الابل في شوال من سنة ست وبعثه رسول الله في عشرين فارساً.

وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أفلح أخت عاصم فولدت له عاصماً فطلقها وتزوجها بعده يزيد بن جارية، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لأمه.

(جارية) بالجيم وبعد الراء ياء تحتها نقطتان.

وفيها أجدب الناس جدباً شديداً فآستسقى رسول الله ﷺ بالناس في رمضان.

* * *

---

(١) ارتث على المجهول حمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق. القاموس (م).

(٢) هذا هو الذي عليه الاكثرون كما قاله الحلبي في السيرة ولكنه عقد الباب تحت عنوان سرية سعيد بن زيد (م).

ذكر مكاتبة رسول الله ﷺ الملوك

وفيها بعث رسول الله ﷺ الرسل إلى كسرىٰ، وقيصر، والنجاشي، وغيرهم وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المقوقس بمصر، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وأرسل دِحْيَة إلى قيصر، وأرسل سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وبعث عبد الله بن حُذَافة إلىٰ كسرى، وأرسل عمرو بن أمية الضمريّ إلىٰ النجاشي، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوىٰ أخي عبد القيس، وقيل: إنّ إرساله كان سنة ثمان والله أعلم.

فأما المقوقس فإنّه قبل كتاب النبي ﷺ وأهدىٰ إليه أربع جوار، منهن مارية أم ابراهيم بن رسول الله ﷺ. وأما **قيصر** وهو هرقل فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ وجعله بين فخذيه وخاصرته، وكتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتاب يخبره شأنه فكتب إليه صاحب رُوْمِيَّة إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه فآتبعه وصدِّقه، فجمع هرقل بطارقة الروم في الدسكرة[٢] وغلقت أبوابها ثم اطلع عليهم من علية وخافهم على نفسه وقال لهم: قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه وإنه والله النبي الذي نجده في كتابنا فهلم فلنتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. فنخروا نخرة رجل واحد، ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا فقال: ردوهم عليّ وخافهم على نفسه، وقال لهم: إنما قلتُ لكم ما قلتُ لأنظر كيف صلابتكم في دينكم؟ وقد رأيت منكم ما سرني فسجدوا له، وانطلق وقال لدحية: إني لأعلم أنّ صاحبك نبي مرسل، ولكني أخاف الروم علىٰ نفسي، ولولا ذلك لاتبعته فآذهب إلى ضغاطر الأسقف الأعظم في الروم وآذكر له أمر صاحبك وآنظر ما يقول لك، فجاء دحية وأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ فقال له ضغاطر: والله إن صاحبك نبيٌّ مرسل؛ نعرفه بصفته، ونجده في كتابنا، ثم أخذ عصاه وخرج علىٰ الروم وهم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم: قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فوثبوا عليه فقتلوه. فرجع دحية إلى هِرقل وأخبره الخبر قال: قد قلت: إنا نخافهم على أنفسنا. وقال: قيصر للروم: هلموا نعطيه الجزية فأبوا فقال: نعطيه أرض سورية وهي الشام ونصالحه فأبوا، وآستدعىٰ هرقل أبا سفيان وكان تاجراً إلى الشام في الهدنة فحضر عنده ومعه جماعة من

---

(١) الدسكرة: اسم لقرى متعددة في العراق والعجم.

قريش أجلسهم هرقل خلفه، وقال: إني سائله فإنْ كذب فكذبوه.

فقال أبو سفيان: لولا أنْ يؤثَـرَ عني الكذب لكـذبت، فسألـه عن النبي قال: فصغَّرتُ له شأنه فلم يلتفتْ إلى قولي، وقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو أوسطنا نسباً، قال: هل كان من أهل بيته من يقول مثل قوله؟ قلت لا. قال: فهل له فيكم ملك سلبتموه إياه؟ قلت: لا. قال: فمن اتبعه منكم؟ قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء. قال: فهل يحبه من يتبعه ويلزمه أو يقليه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه، قال: فكيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: سجال يدال علينا وندال عليه، قال: هل يغدر؟ قال: فلم أجد شيئاً أغمز به غيرها قلت: لا ونحن منه في هدنة لا نأمن غدره. قال: فما التفت إليها قال أبو سفيان: فقال لي هرقل: سألتك عن نسبه فزعمت أنه من أوسط الناس وكذلك الأنبياء وسألتكِ هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبه به؟ فزعمت أن لا ،فسألتك هل سلبتموه ملكه فجاء بهذا لتردوا عليه ملكه؟ فزعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه فزعمتَ أنهم الضعفاء والمساكين وكذلك أتباع الـرسل، وسألتك عمن يتبعه أيحبه أم يفارقه؟ فزعمت أنهم يحبونه ولا يفارقونه. وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك هل يغدر؟ فـزعمت أن لا ولئن صدقتَني ليغلبن على ما تحت قدميّ هاتين ولوددتُ أني عنده فأغسل قدميه، آنطلِق لشأنك. قال: فخرجتُ وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرىٰ وأقول أي عباد الله لقد أَمَر أمر ابن أبي كبشة[١] أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم! قال: وقدم عليه دحية بكتاب النبي ﷺ: « بسم الله الرحمن الرحيم. مِن محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مـرتين وإنْ توليت فـإن إثم الأكارين[٢] عليك.

وأما الحارث بنِ أبيِ شمر الغساني فأتاه كتاب رسول الله ﷺ مع شجاع بن وهب فلما قرأه عليهم قال: من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه. فلما بلغ قوله رسول الله ﷺ قال بادَ مُلكه.

وأما النجاشي فإنه لما جاءه كتاب النبي ﷺ آمن به واتبعه وأسلم علىٰ يد جعفر بن

---

(١) يقصد النبي ﷺ.
(٢) أي: الفلاحون.

أبي طالب وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر، وأرسل إليه رسول الله ﷺ ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتوفي بالحبشة فخطبها النجاشي إلىٰ رسول الله ﷺ فأجابت وزوجها وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار، فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله ﷺ أم حبيبة قال: ذاك الفحل لا يقدع أنفه[١].

وأما كسرى فجاءه كتاب رسول الله ﷺ مع عبد الله بن حذافة فمزّق الكتاب فقال رسول الله ﷺ: «مزق ملكه» وكان كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام علىٰ من تبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإني أدعوك بدعاء الله وإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم وإن توليت فإن إثم المجوس عليك»، فلما قرأه شَقَّه قال: يكتب إليّ بهذا وهو عندي!

ثم كتب إلى باذان وهو باليمن أن آبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به! فبعث باذان بابويه وكان كاتباً حاسباً ورجلاً آخر من الفرس يقال له: خرخسره وكتب معهما يأمره بالمسير معهما إلى كسرى، وتقدم إلى بابويه أن يأتيه بخبر رسول الله ﷺ وسمعتْ قريش بذلك ففرحوا، وقالوا: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل، فخرجا حتىٰ قَدِمَا علىٰ رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: ويلكما مَنْ أمركما بهذا. قالا: ربنا. يعنينان الملك. فقال: لكن ربي أمرني أن أعفيَ لحيتي وأقص شاربي، فأعْلَمَاه بما قدما له، وقالا: إنْ فعلتَ كَتَبَ باذان فيك إلىٰ كسرىٰ وإنْ أبيتَ فهو يهلكك ويهلك قومك. فقال لهما رسول الله ﷺ: آرجعا حتى تأتيان غداً.

وأتىٰ رسول الله ﷺ الخبر من السماء إنّ الله قد سلط علىٰ كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وليلة كذا فدعاهما رسول الله ﷺ وأخبرهما بقتل كسرى. وقال لهما: قولا له إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر، وأمرهما أن

---

(١) يقال قدعت الفحل وهو أن يكون غير الكريم فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرمح، أو غيره حتى يرتدع وينكف ويروى بالراء.

يقولا لباذان: أسلِم فإن أَسْلَمَ أقرّه علىٰ ما تحت يده وأملكه علىٰ قومه، ثم أعطى خرخسره منطقة ذهب وفضة أهداها له بعض الملوك. وخرجا فقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك وإني لأراه نبياً ولننظرن فإنْ كان ما قال: حقاً فإنه لنبي مرسل، وإنْ لم يكن فنرىٰ فيه رأينا. فلم يلبث باذان أنْ قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وأنّه قتله غضباً للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ويأمره بـأخذ الطاعة له باليَمن وبالكف عن النبي ﷺ، فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء من فارس، وكانت حِمْير تسمي خرخسره صاحب المعجزة والمعجزة بلغة حمير المنطقة.

وأما هوذة بن علي فكان ملك اليمامة فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلىٰ الإسلام وكان نصرانياً أرسل إلىٰ النبي ﷺ وفداً فيهم مُجاعة بن مرارة والرجّال بن عنفوة يقول له: إنْ جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره وإلا قصد حربه. فقال رسول الله ﷺ: «لاولا كرامة، اللهم آكفنيه». فمات بعد قليل.

وأما مجاعة والرجال فأسلما وأقام الرجال عند رسول الله ﷺ حتى قرأ سورة البقرة وغيرها وتفقه وعاد إلى اليمامة فآرتدَّ، وشهد أنّ رسول الله أشرك مسيلمة معه فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة.

(مُجّاعة) بضم الميم وتشديد الجيم، و(الرجّال) بالجيم المشددة، وقيل: بالحاء المهملة المشددة، و(عُنْفُوَة) بضم وسكون النون وضم الفاء وفتح الواو.

وأما المنذر بن ساوى والي البحرين: فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الاسلام أو الجزية وكانت ولاية البحرين للفرس فأسلم المنذر بن ساوى وأسلم جميع العرب بالبحرين، فأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنهم صالحوا العلاء والمنذر علىٰ الجزية من كل حالم دينار ولم يكن بالبحرين قتال إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح. وولي الحج في هذه السنة المشركون، وفي هذه السنة ماتت أم رومان وهي أم عائشة زوجة النبي ﷺ.

ودخلت سنة سبع

ذكر غزوة خيبر

لما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم وسار إلى خَيْبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرم سنة سبع واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فمضى حتى نزل بجيشه بالرجيع(١) ليحول بين أهل خيبر وغطفان لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله ﷺ، وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهود عليه ثم خافوا المسلمين أنْ يخلفوهم في أهليهم وأموالهم فرجعوا ودخلوا بين رسول الله ﷺ ويهود، فسار رسول الله ﷺ وقال في مسيره لعامر بن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: آحدُ لنا فنزل وحداهم يقول:

والله لـولا الله مـا اهـتـديـنـا ... ولا تـصـدقـنـا ولا صـلـيـنـا
فـأنـزلـن سـكـيـنـة عـلـيـنـا ... وثـبـت الأقـدام إن لاقـيـنـا

فقال له رسول الله ﷺ: رحمك الله. فقال له عمر: هَلاَّ أمتعتنا به يا رسول الله ـ وكان إذا قالها لرجل قُتل ـ فلما نازلوا خيبر بارز عامر فعاد عليه سيفه فجرحه جرحاً شديداً فمات منه فقال الناس: إنه قتل نفسه فقال سلمة ابن أخيه للنبي ﷺ ما قالوا فقال: كذبوا بل له أجره مرتين، فلما أشرف عليها قال لأصحابه: قفوا. ثم قال: « اللهم ربَّ السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها آقدموا بسم الله » ، وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها، ونزل على خيبر ليلاً ولم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم ومكاتلهم فلما

---

(١) الرجيع اسم مكان وهو ماء لهذيل قرب الهرة بين مكة والطائف ، والرجيع واد قرب خيبر .

رأوه عادوا وقالوا: محمد والله محمد والخميس معه يعنون الجيش. فقال النبي ﷺ «الله أكبر خَرِبَتْ خيبر. إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِيْن﴾ ثلاثاً.

ثم حصرهم وضيّق عليهم وبدأ بالأموال يأخذها مالاً مالاً ويفتحها حصناً حصناً، فكان أول حصن افتتحه حصن ناعم وعنده قتل محمود بن سلمة ألقيت عليه منه رحى فقتلته، ثم القموص حصن بني أبي الحُقَيْق، وأصاب منهم رسول الله ﷺ سبايا، منهم صفية بنت حُيَيّ بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وبنتي عم لها فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، وفشت السبايا في المسلمين، وأكلوا لحوم الحُمُر الأنسية، فنهاهم رسول الله ﷺ عنها، وكان الزبير بن باطا القرظيّ قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية، يوم بُعَاث فأطلقه، فلما كان الآن أتاه ثابت فقال له: أتعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: أريد أنْ أجزيك بيدك عندي، قال: إنّ الكريم يجزي الكريم، فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: كان للزبير عندي يد أريد أنْ أجزيه بها فهَبْه لي فوهبه له، فأتاه فقال له: إنّ النبي ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك، قال: شيخٌ كبير لا أهلَ له ولا ولد.

فاستوهب ثابت أهله وولده، من رسول الله ﷺ فوهبهم له، فقال: الزبير أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فاستوهب ثابت ماله من رسول الله ﷺ فوهبه له فمنّ عليه بالجميع. فقال الزبير: أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صقيلة يتراءى فيها عذارى الحيّ كعب بن أسد؟ قال: قتل، قال: فما فعل سيداً لحاضر والبادي، حيي بن أخطب؟ قال: قُتل: قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا كررنا عزال بن سموال؟ قال: قُتل. قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا. قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ما ألحقتني بهم، فوالله ما في العيش بعدهم خير فقتله، ثم افتتح رسول الله ﷺ حصن الصعب ـ وهو أكثرها طعاماً وودكا ـ[١] ثم قصد حصنهم الوطيح والسلالم وكانا آخر ما افتتح حاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة، فخرج منه مرحب اليهودي وقد جمع سلاحه، وهو يقول:

قد علمتْ خيبر أني مَرحب شاكي السلاح بطل مجرّب

(١) الودك الدسم فيشمل السمن والشحم المذاب.

أطعن أحيـانـاً وحينـاً أضـرب إذا الـليـوث أقبلت تـلتـهـب

كـان حِمـاي كـالحمى لا يـقـرب

وسأل المبارزة فخرج إليه محمد بن مسلمة وقال: أنا والله الموتور الثائر. قتلوا أخي بالأمس، فأقره رسول الله ﷺ بمبارزته وقال: اللهم أعِنهُ عليه، فخرج إليه فتقاتلا طويلاً، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة، فضربه فأتقاه بالدرقة، فوقع سيفه، فيها فعضَّت عليه وأمسكت، فضربه محمد بن مسلمة حتى قتله، ثم خرج بعده أخوه ياسر وهو يقول:

قـد علمت خيبـر أنّي يـاسـر شـاكي السلاح بـطل مغـاور

وطلب المبارزة، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقتله الزبير، وقيل: إن الذي قتل مرحباً وأخذ الحصن علي بن أبي طالب، وهو الأشهر والأصح. قال بريدة الأسلمي: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة[١] فيلبث اليوم، واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته، فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة ـ وليس ثَمَّ علي كان قد تخلف بالمدينة لرمدٍ لحقه ـ فلما قال رسول الله ﷺ: مقالته هذه تطاولت لها قريش ورَجَا كل واحد منهم أنْ يكون صاحبَ ذلك فأصبح فجاء عَليّ علىٰ بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهي أرمد قد عَصَبَ عينيه بشقة برد قطري فقال رسول الله ﷺ: ما لك؟ قال: رمدتْ بعدك. فقال له: ادنْ مني. فدنا منه فتفل في عينيه فما شكا وجعاً حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها معه وعليه حلة حمراء فأتىٰ خيبر فأشرف عليه رجل من يهود فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهـودي: غُلبتم يا معشـر يهود، وخـرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفَر[٢] يماني قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

قـد علمت خيبـر أنـي مـرحب شـاكي السـلاح بـطل مجـرّب

---

(١) الشقيقة وجع يأخذ نصف الرأس والوجه.

(٢) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة وجمعه مغافر.

فقال علي :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليثِ غاباتٍ كريه المنظرهْ

أكيلهم بالسيف كيل السندره[1]

فاختلفا ضربتين فبدره عليّ فضربه فقدَّ الحجفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الأرض وأخذ المدينة، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ برايته إلى خيبر، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يديه فتناول علي باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتحها الله علىٰ يديه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أناثاً منهم نجهد علىٰ أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه، وكان فتحها في صَفَر فلما فتحت خيبر جاء بلال بصفية وأخرى معها علىٰ قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صرختْ وصكَّت وجهها وحثت التراب على رأسها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية وأبعد الأخرى وقال: إنها شيطانة لأجل فعلها، وقال لبلال: أنزعت منك الرحمة؟ جئت بهما علىٰ قتلاهما، وكانت صفية قد رأت في منامها، وهي عروس لكنانة بن أبي الحقيق ، أنّ قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تتمنين مَلِكَ الحجاز محمداً، ولطم وجهها لطمة آخضرت عينها منها فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها وسألها ما هو فأخبرته، ودفع كنانة بن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود.

وحاصر رسول الله ﷺ حصني أهل خيبر الوطيح ، والسلالم، فلما أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم فأجابهم إلى ذلك، وكان قد حاز الأموال كلها الشق ونطاة. والكتيبة، وجميع حصونهم فلما سمع بذلك أهل فَدْك بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أنْ يُسَيِّرهم ويخلون له الأموال ففعل ذلك. ولما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وأن يخرجهم إذا شاء فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا وفعل مثل ذلك أهل فدك، وكانت خيبر فَيْئاً للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

---

(١) السندرة : ـ ضرب من الكيل . (م) .

ولما آستقر رسول الله ﷺ أهدتْ له زينب بنت الحارث امرأة سلاّم بن مشكم شاة مصلية[١] مسمومة فوضعتها بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور، فأكل بشر منها، وقال رسول الله ﷺ: « إنّ هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة ». ثم دعا المرأة فآعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك فقلت: إنْ كان نبياً فسيخبرَ، وإنْ كان ملكاً استرحنا منه. فتجاوز عنها، ومات بشر بن البراء من تلك الأكلة، وقال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من أكلة خيبر، فكان المسلمون يرون أنه مات شهيداً مع كرامة النبوة.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلىٰ وادي القرى فحاصر أهله ليالي فآفتتحه عنوة وفي حصاره قتل مدعم مولى رسول الله ﷺ الذي أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فقال المسلمون: هنيئاً له الجنة. فقال رسول الله ﷺ: كلا والذي نفس محمد بيده إنّ شملته الآن لتشتعل عليه ناراً وكان غلها من في المسلمين يوم خيبر. فسمعه رجل فأتاه فقال: يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي كنت أخذتهما. فقال رسول الله ﷺ يقدّ لك مثلهما من النار، وترك رسول الله ﷺ النخل والأرض في أيدي أهل الوادي وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر فبقوا كذلك إلى أن وَلِيَ عمر الخلافة، فأجلاهم، وقيل: إنه لم يجلهم لأنها خارجة عن الحجاز.

وفي هذه السفرة أعني خيبر نام رسول الله ﷺ عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس والقصة مشهورة.

وشهد معه نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن من الفيء[٢].

وفي هذه السفرة قال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله ﷺ إنّ لي بمكة مالاً عند صاحبتي أم شيبة ابنة أبي طلحة وهي أم ابنه معرض بن الحجاج ومال متفرق في تجار مكة فأذن لي يا رسول الله فأذن له فقال: إنه لا بد من أنْ أقول. قال: قُلْ. فقدم الحجاج مكة فسأله أهل مكة عن رسول الله ﷺ وما صنع بخيبر ولم يكونوا علموا

---

(١) أي: مشويه.

(٢) أي أعطاهن أقل من سهم الرجل بما يرضيهن (م).

بإسلامه فقال لهم: إن يهود هزمته وأصحابه وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وأسر محمد وقالت يهود: لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم. فصاحوا بمكة بذلك فقال: أعينوني في جمع مالي حتى أقدم خيبر فأصيب من فلّ [١] محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار فجمعوه كله كأحث شيء فأتاه العباس وسأله عن الخبر فأخبره بعد أن جمع ماله بفتح خيبر وأن النبي ﷺ أخذ صفية بنت حيي لنفسه وأنه قدم لجمع ماله وسأله أن يكتم عنه ثلاثاً خوف الطلب فكتم العباس الخبر ثلاثاً بعد مسيره ثم لبس حلة له وتخلّق وأخذ عصاه وخرج فطاف بالكعبة فلما رأته قريش قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة. قال: كلا والله لقد آفتتح محمد خيبر وأخذ ابنة ملكهم وأحرز أموالهم، وأخبرهم بخبر الحجاج. فقالوا: لو علمنا لكان له ولنا شأن.

وقسم من أموال خيبر الشق ونطاة بين المسلمين وكانت الكتيبة خُمس الله والرسول وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فطعم أزواج النبي ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح وقسمت خيبر على أهل الحديبية فاعطى الفرس سهمين والرجل سهماً وأقر النبي ﷺ أهل خيبر بخيبر، وأبو بكر بعده، وعمر صَدْراً من إمارته حتى بلغه أنّ النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان».

فأجلى عمر من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله ﷺ.

(سلّام بن مِشْكَم) بتشديد اللام. و(مِشْكم) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة. و(الحُقَيْق) بضم الحاء المهملة وبقافين. و(أخطب) بالخاء المعجمة وآخره باء موحدة. و(معرور) بالعين المهملة وبعده راآن مهملتان. و(عِلَاط) بكسر العين المهملة وطاء مهملة.

ذكر فَدَك

لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر بعث مُحَيْصة بن مسعود إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودي، فصالحوا رسول الله ﷺ على نصف الأرض فقبل منهم ذلك وكان نصف فدك خالصاً لرسول الله ﷺ لأنه لم

---

(١) فلّ القوم: منهزموهم يستوي فيه الواحد والجمع (م).

يوجف [١] المسلمون عليه بخيل ولا رِكَاب يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل، ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر بن الخطاب وأجلىٰ يهود الحجاز فبعث أبا الهيثم بن أبي التَّيِّهَان، وسهل بن أبي خيثمة، وزيد بن ثابت فقوَّمُوا نصف تربتها بقيمة عدل فدفعها إلى يهود وأجلاهم إلى الشام.

ولم يزل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي يصنعون صنيع رسول الله ﷺ بعد وفاته فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان آبنيه. عبد الملك، وعبد العزيز، ثم صارت لعُمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان، فلماولي الوليد الخلافة وَهَبَ نصيبه عمر بن عبد العزيز، ثم لما ولي سليمان الخلافة فوهب نصيبه منها أيضاً عمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس وأعلمهم أمر فدك وانه قد رَدَّها إلى ما كانت عليه مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فوليها أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ثم أخذت منهم. فلما كانت سنة عشر ومائتين ردها المأمون إليهم.

(مُحَيْصَةُ) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وكسرها وآخره صاد مهملة.

(والتَيِّهَان) بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها.

وفي هذه السنة رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع زوجها في المحرم.

وفيها قدم حاطب من عند المقوقس بمارّية أم ابراهيم بن رسول الله ﷺ وأختها سيرين، وبغلته دلدل، وحماره يعفور، وكسوة، فأسلمت مارية وأختها قبل قدومهما على رسول الله ﷺ فأخذ مارية لنفسه ووهب سيرين حسان بن ثابت الأنصاري فهي أم ابنه عبد الرحمن فهو وإبراهيم ابنا خالة.

وفيها اتخذ ﷺ منبره الذي كان يخطب الناس عليه وآتخذ درجتين ومقعدة وقيل: إنه عمل سنة ثمان وهو الثبت.

---

(١) لم يوجف اي لم يسر سير الوجيف. ضرب من السير. قاموس.

وفيها بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عجز هوازن بتربة[1]، فهربوا منه ولم يلق كيداً ورجع.

وفيها كانت **سرية بشير بن سعد** والد النعمان بن بشير الأنصاري إلى بني مرة بفدك، في شعبان في ثلاثين رجلاً أصيب أصحابه، وارتثَّ في القتلى، ثم رجع إلى المدينة.

وفيها كانت **سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى أرض بني مرة**. فأصاب مرداس بن نهيك حليفاً لهم من جُهَيْنة قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار، قال أسامة: لما غشيناه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فلما قدمنا علىٰ النبي ﷺ أخبرناه الخبر فقال: يا أسامة كيف تصنع بلا إله إلا الله؟ ».

وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله أيضاً في مائة وثلاثين راكباً إلى بني عبد بن ثعلبة، فأغار عليهم واستاق النعم والشاء وحدروها إلى المدينة.

وفيها كانت سرية بشير بن سعد إلى اليُمْن والجناب في شوال من سنة سبع، وكان سببها أن جبيل بن نويرة الأشجعي كان دليل رسول الله ﷺ إلى خيبر، قدم على النبي ﷺ فأخبره أنّ جمعاً من غطفان بالجناب قد أمدهم عيينة بن حصن، وأمرهم بالمسير إلى المدينة فبعث النبي ﷺ بشير بن سعد فأصابوا نعماً وقتلوا مولى لعيينة، ثم لقوا جمع عيينة فهزمهم المسلمون، وآنهزم عيينة، فلقيه الحارث بن عوف منهزماً فقال له: قد آن لك أن تقصر عما مضى.

(حاطب) بالحاء المهملة وآخره باء موحدة.

و (بَشِيْر) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة وآخره راء والد النعمان بن بشير.

و (عُيَيْنة) بضم العين وفتح الياء المثناة تحتها نقطتان وسكون الياء الثانية وبعدها نون تصغير عين.

ذكر عمرة القضاء

لما عاد رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة جماديين ورجب وشعبان ورمضان.

---

(١) هو اسم واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها. اهـ. معجم البلدان.

وشوالاً يبعث السرايا، ثم خرج في ذي الحجة معتمراً عمرة القضاء، وساق معه سبعين بدنة، وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته الأولى، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن النبي ﷺ واصحابه في عُسْرٍ وجهد وحاجة فاصطفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه ولأصحابه معه فلما دخلها اضطبع بردائه، فأخرج عضده اليمني ثم قال: « رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة »، ثم استلم الركن وخرج يهرول، ويهرول أصحابه معه (١).

وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة آخذاً بخطام ناقته، وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمنٌ بقيله ... أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويُذهل الخليل عن خليله

- وتزوج النبي ﷺ في سفره هذا بميمونة بنت الحارث، وأقام بمكة ثلاثاً، فأرسل المشركون إليه مع علي بن أبي طالب ليخرج عنهم، فقال: ما عليهم لو أعرستُ أظهرهم وصنعنا لهم طعاماً فحضروه معنا! فقالوا: لا حاجة لنا في طعامه، فليخرج عنا.

فخرج عنهم وبنى بميمونة بسرف (٢) ثم انصرف إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع وبعث جيشه الذي أصيب بمؤتة وولى تلك الحجة المشركون.

وفيها كانت غزوة ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم في ذي القعدة فلقوه فأصيب هو واصحابه، وقيل: بل نجا وأصيب أصحابه.

(١) وهذا هو أصل تشريع الرمل ولذا فهو ليس بسنة وإن فعله النبي ليظهر قوة المسلمين.
(٢) سرف ـ مكان، وقد تقدم بيانه.

ودخلت سنة ثمان

وفيها توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ قاله الواقدي.

وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبي إلى كلب الليث إلى بني الملوّح في صفر فلقيه الحارث بن البرصاء الليثي فأخذه أسيراً فقال: إني إنما جئت لأسلم. فقال له غالب: إن كنت صادقاً فلن يضرك رباط ليلة وإن كنت كاذباً استوثقنا منك. ووكل به بعض أصحابه وقال له: إن نازعك فخذ رأسه وأمره بالمقام إلى أنْ يعود، ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر وأرسلوا جندب بن مكيث الجهني ربيئة لهم قال: فقصدت تلاً هناك يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه فخرج لي منهم رجل فنظر فرآني منبطحاً فأخذ قوسه وسهمين فرماني بأحدهما فوضعه في جنبي. قال: فنزعته ولم أتحرك ثم رماني بالثاني فوضعه في رأس منكبي. قال: فنزعته ولم أتحرك قال: أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ربيئة [1] لتحرك. قال: فأمهلناهم - حتى راحت مواشيهم واحتلبوا وعطنوا - شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم مَنْ قتلنا واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعاً وأتى صريخ القوم فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى إذا لم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد بعث الله عز وجل من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد يتقدم. وقدمنا المدينة، وكان شعار المسلمين: أمت أمت، وكان عدتهم بضعة عشر رجلاً.

وفيها بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبها المنذر بن

---

(١) الربيئة: الطليعة الذي يرقب العدو من مكانٍ عالٍ لئلا يدهم قومه جمعه ربايا.

ساوى فصالح المنذر على أنّ المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، وقيل: إن إرساله كان سنة ست من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الملوك، وقد تقدم ذلك.

وفيها كانت سرية **شجاع بن وهب إلى بني عامر** في شهر ربيع الأول في أربعة عشر رجلاً فشن الغارة عليهم فأصابوا نعماً فكان سهم كل رجل منهم خمسة عشر بعيراً.

وفيها كانت سرية **كعب بن عمير الغفاري إلى ذات اطلاح** خرج في خمسة عشر رجلاً فوجد بها جمعاً كثيراً فدعاهم إلى الاسلام فأبوا أن يجيبوا وقتلوا أصحاب كعب ونجا حتى قدم المدينة، وذات اطلاح من ناحية الشام؛ وكانوا من قضاعة ورئيسهم رجل يقال له: سدوس.

ذكر إسلام خالد بن الوليد. وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة

في هذه السنة في صفر قدم عمرو بن العاص مسلماً على النبي ﷺ وقدم معه خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة العبدري.

وكان سبب اسلام عمرو أنه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق قلت لأصحابي: إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً وإني قد رأيت أن نلحق بالنجاشي فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي وإن ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا. قالوا: إنّ هذا لرأي. قال: فجمعنا له أدماً كثيراً وخرجنا إلى النجاشي حتى قدمنا عليه فوالله إنا لعنده إذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولاً من النبي ﷺ في أمر جعفر وأصحابه، قال: فدخلت على النجاشي وطلبتُ منه أن يسلّم إليَّ عمرو بن أمية الضمري لأقتله تقرباً إلى قريش بمكة. فلما سمع كلامي غضب وضرب أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، يعني النجاشي فخفته، ثم قلت: والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله!

قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على مَنْ خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. قال: فقلت فبايعني له على الإسلام.

فبسط يده فبايعته، ثم خرجت إلى أصحابي وكتمتُهم اسلامي، وخرجتُ عائداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ولقيني خالد بن الوليد، وذلك قبل الفتح وهو مُقبل من مكة فقلت أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم وإنّ الرجل لنبي، أذهب والله أسلم، فحتى متى؟

فقلت: والله ما جئت إلا للاسلام. فقدمنا على النبي ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فأسلمت، وتقدم عثمان بن طلحة فاسلم.

* * *

ذكر غزوة ذات السلاسل

وفيها أرسل رسول الله ﷺ، عمرو بن العاص، إلى أرض بلى وعذرة يدعو الناس إلى الاسلام، وكانت أمه من بلى فتألفهم رسول الله ﷺ بذلك فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له: السلاسل، وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلما كان به خاف، فبعث إلى النبي ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر، وعمر وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبيدة فلما قدم عليه قال عمر: وإنما جئتَ مدداً إليّ. فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إنّ رسول الله ﷺ قال: لا تختلفا فإن عصيتني أطعتُك. قال: فأنا أميرٌ عليك. قال: فدونك. فصلىٰ عمرو بن العاص بالناس.

وفيها أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ ابني الجلندى بعمان فآمنا وصدقا وأخذ الجزية من المجوس.

* * *

ذكر غزوة الخبط وغيرها

وفيها كانت غزوة الخبط، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وكانت في رجب وزودهم رسول الله ﷺ جراباً من تمر، فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضة ثم تمرة تمرة، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء إلى الليل فنفذ ما في الجراب فأكلوا الخبط وجاعوا جوعاً شديداً فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلواها فنهاه أبو عبيدة فانتهى.

ثم إن البحر ألقىٰ إليهم حوتاً ميتاً فأكلوا منه حتى شبعوا، ونصب أبو عبيد ضلعاً من أضلاعه فيمر الراكب تحته فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: « كلوا رزقاً أخرجه الله لكم ». وأكل منه رسول الله ﷺ. وذكروا صنيع قيس بن سعد فقال: إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت.

وفيها كانت سرية وجهها رسول الله ﷺ في شعبان أميرها أبو قتادة ومعه عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، وكان سببها ان رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من جشم نزل بالغابة يجمع لحرب النبي ﷺ فبعث النبي ﷺ أبا قتادة ومن معه ليأتوا منه بخبر فوصلوا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكمن كل واحد منهم في ناحية وكانوا ثلاثة، وقيل: كانوا ستة عشر رجلاً، قال عبد الله بن أبي حدرد: فكان لهم راعٍ أبطأ عليها فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه فرميته بسهم في فؤاده فما تكلم قال: فأخذت رأسه ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت وكبر صاحباي فوالله ما كان إلا النجاء فأخذوا نساءهم وأبناءهم وما خف عليهم واستقنا الإبل الكثيرة والغنم فجئنا بها رسول الله وجئت برأسه أحمله معي فأعطاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً. وكنت قد تزوجت وأخذت أهلي، وعدل البعير بعشر من الغنم.

وفيها **أغزى رسول الله ﷺ أبا قتادة أيضاً الى إضَم** [1] ومعه محلم بن جثامة الليثي قبل الفتح فلقيهم عامر بن الأضبط الأشجعي على بعير له ومعه متاعه فسلّم عليهم بتحية الاسلام فأمسكوا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة لشيء كان بينهما فقتله وأخذ بعيره فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبره الخبر فنزل ﴿ يَا أَيُّها الذِيْنَ آمَنُوا إذَا ضَرَبْتُم فِي سَبِيْلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [2] الآية.

وقيل: كانت هذه السرية حين خرج إلى مكة في رمضان وكانوا ثمانية نفر.

* * *

(١) ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة.

(٢) النساء: ٩٣.

ذكر غزوة مؤتة

كان ينبغي أن نقدم هذه الغزوة على ما تقدم وإنما أخرناها لتتصل الغزوات العظيمة فيتلو بعضها بعضاً.

وكانت في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل رسول الله ﷺ عليهم زيد بن حارثة وقال: إنْ اصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإنْ أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة.

فقال جعفر: ما كنت أرهب ان تستعمل عليّ زيداً. فقال: امض فإنك لا تدري أيّ ذلك خير. فبكى الناس وقالوا: هلا متعتنا بهم يا رسول الله فأمسك ـ وكان إذا قال: فإن أصيب فلان فالأمير فلان أصيب كل من ذكره ـ فتجهز الناس وهم ثلاثة آلاف وودعهم رسول الله ﷺ والناس، فلما ودع عبد الله بن رواحة بكى عبد الله فقال له الناس: ما يبكيك؟

فقال: ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية وهي ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إلاّ وَارِدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا ﴾ (١) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا سالمين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع (٢) تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي (٣) ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

فلما ودعهم رسول الله ﷺ وعاد قال عبد الله:

خلف السلام على امرىء ودعته ... في النخل خير مشيع وخليل

ثم ساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغهم أن هِرقل سار إليهم في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة، من لخم وجذام

---

(١) مريم: ٧١.
(٢) ذات فرع: ـ اي ذات سعة.
(٣) الجدث: ـ القبر.

وبلقين، وبلى عليهم رجل من بلى، يقال له: مالك بن رافلة، ونزلوا مآب من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ؛ نخبره الخبر، وننتظر أمره، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضيّ. وقال: يا قوم والله إنّ التي تكرهون للتي خرجتم إياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فآنطلِقوا فما هي إلا إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة.

فقال الناس: صدق والله: وساروا وسمعه زيد بن أرقم. وكان يتيماً في حجره وقد أردفه في مسيره ذلك على حقيبته ـ وهو يقول:

إذا أديتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء [١]
فشأنك فانعمي وخلاك ذم [٢] ... ولا أرجع إلى أهلي وراء
وجاء المسلمون وغادروني ... بارض الشام مشهور الثواء [٣]
وردك كل ذي نسب قريب ... من الرحمن منقطع الأخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعها زيد بكي، فخفقه بالدرة وقال: ما عليك يا لكع [٤]؟ يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل.

ثم ساروا فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء، يقال لها: مشارف ثم دنى العدو وآنحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤته، فالتقى الناس عندها وتعبأوا، وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذري، وعلى ميسرتهم عَباية بن مالك الأنصاري. فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط [٥] في رماح القوم، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها وهو يقول:

---

(١) ماء يغور من الرمل وإذا بحث عنه وجد.
(٢) اي فارقك الذم فلست له بأهل.
(٣) الثواء: ـ الإقامة.
(٤) لُكع: ـ لئيم.
(٥) أي هلك.

يـا حبذا الجنـة واقتـرابهـا ... طـيـبـة وبـارداً شـرابـهـا
والـروم روم قـد دنـا عـذابهـا ... كـافـرة بـعيـدة أنسـابـهـا
علـيّ إذ لاقيتـهـا ضـرابـهـا

فلما اشتد القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل، وكان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام، فوجدوا به بضعاً وثمانين بين رمية وضربة وطعنة.

فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدم فتردد بعض التردد، ثم قال يخاطب نفسه:

أقسـمتُ يـا نـفسُ لـتـنـزلـنـه ... طـائـعـة أولا لـتـكـرهـنـه
إن أجلب النـاسُ وشـدوا الـرنـه[١] ... مـالي أراك تـكـرهـيـن الـجـنـة
قـد طـالـمـا قـد كنت مـطمئنـه ... هـل أنت الا الـنـطـفـة في شـنـه[٢]

وقال أيضاً:

يـا نـفس إن لم تـقـتـلي تـمـوتـي ... هـذا حمـام المـوت قـد صليتي
ومـا تـمـنـيـت فـقـد أعـطـيـتـي ... إنْ تـفـعـلي فـعلهـمـا هـديـتـي

ثم نزل عن فرسه وأتاه ابن عم له بعرق[٣] من لحم فقال له: شد بهذا صلبك فقد لقيت أيامك هذه ما لقيت.

فأخذه فانتهس[٤] منه نهسة، ثم سمع الحطمة[٥] في ناحية العسكر فقال لنفسه: وأنت في الدنيا.

ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل، واشتد الأمر على المسلمين، وكلب

---

(١) الرنّة: ـ صوت فيه ترجيع شبه البكاء.
(٢) النطفة: ـ الماء القليل الصافي. والشنّة القِربة القديمة.
(٣) العرق: العظم الذي عليه بعض اللحم.
(٤) أي أخذ منه بفمه يسيراً.
(٥) أي دوس الناس بعضهم بعضاً.

عليهم العدو وقد كان قطبة بن قتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة ثم إن الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبي ﷺ، فصعد المنبر وأمر فنوديَ الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال: ثار خبر ثلاثاً عن جيشكم هذا الغازي إنهم لقوا العدو فقُتل زيد شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتىٰ قُتِل شهيداً فآستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة وصمت حتى تغيرتْ وجوُه الأنصار، وظنوا انه قد كان من عبد الله ما يكرهون، ثم قال رسول الله ﷺ: فقاتل القوم حتى قتل شهيداً، ثم قال: لقد رُفِعُوا إلى الجنة علىٰ سُرُرٍ من ذهب فرأيتُ في سرير ابن رواحة آزوراراً عن سريري صاحبيه فقلت: عم هذا؟

فقيل: مضيا وتردد بعض التردد، ثم مضى، ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري، وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم. فقالوا: رضينا بك، فقال: ما أنا بفاعل. فاصطلحوا على خالد بن الوليد فأخذ الراية ودافع القوم وانحازوا عنه، فقال رسول الله ﷺ: ثم أخذ سيفٌ من سيوف الله خالد بن الوليد فعاد بالناس فمن يومئذ سمي خالد سيف الله.

وقال رسول الله ﷺ: مَرّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مخضب القوادم بالدم. قالت أسماء: أتاني النبي ﷺ وقد فرغت من اشتغالي وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم أصيب هذا اليوم. ثم عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أول ما عمل في دين الاسلام، قالت أسماء بنت عميس: فقمت أصنع واجتمع إليّ النساء، فلما رجع الجيش ودنا من المدينة لقيهم رسول الله ﷺ والمسلمون فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون: يا فُرّار في سبيل الله ويقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرّار ولكنهم الكرّار إن شاء الله تعالى.

ذكر فتح مكة

وأقام رسول الله ﷺ بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجب، ثم إن بني بكر بن عبد مناة عَدَتْ علىٰ خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وكانت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، وبكر في عهد قريش في صلح الحديبية، وكان سبب ذلك أنّ رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد وكان حليفاً للأسود بن رزن الديلي ثم البكري في الجاهلية خرج تاجراً فلما كان بأرض خزاعة قتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة على بني الأسود بن رزن وهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم، وكانوا من أشراف بني بكر فبينما خزاعة وبكر على ذلك جاء الإسلام واشتغل الناس به فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ ودخلت بكر في عهد قريش اغتنمت بكر تلك الهدنة وأرادوا أنْ يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بني الأسود فخرج نوفل بن معاوية الديلي بمن تبعه من بكر حتى بيت خزاعة على ماء الوتير. وقيل: كان سبب ذلك أن رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبي ﷺ فشجه فهاج الشر بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيتوهم بالوتير. وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودوابّ وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين، منهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهل بن عمرو مع عيرهم وعبيدهم، فانحازت خزاعة إلى الحرم وقتل منهم نفر، فلما دخلت خزاعة الحرم. قالت بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك. فقال: كلمة عظيمة لا إله له اليوم؛ يا بني بكر أصيبوا ثأركم؛ فلعمري إنكم لتسرفون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟

فلما نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ بما استحلت من خزاعة، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم الكعبي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة

فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس ثم قال:

يا رب إني ناشدٌ محمدا ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
فوالداً كنا وكنت ولدا[١] ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أعتدا[٢] ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... ابيض[٣] مثل اليد تنمي صعدا
إن سيم خسفاً وجهه تربدا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا ... وزعموا أنْ لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا ... هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: قد نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم.

ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب، وكان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم، فلهذا قال عمرو بن سالم: حلف أبينا وأبيه الأتلدا[٤] ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على النبي ﷺ المدينة فنادوه وهو يغتسل، فقال: يا لبيكم وخرج إليهم فأخبروه الخبر ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وكان رسول الله ﷺ قد قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليجدد العهد خوفاً ويزيد في المدة، ومضى بديل فلقي أبا سفيان بعسفان يريد النبي ﷺ ليجدد العهد خوفاً منه، فقال لبديل: من أين أقبلت؟

قال: من خزاعة في الساحل وبطن هذا الوادي. قال: أو ما أتيت محمداً؟ قال: لا. فقال أبو سفيان لأصحابه لما راح بديل: انظروا بَعْر ناقته، فإنْ جاء المدينة لقد علف

---

(١) رواية ابن هشام قد كنتم ولداً ؟ وكنا والداً يريد أن بني عبد مناف أمه من خزاعة وكذلك قصي فإن أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية (م) .
(٢) الاعتدا : ـ اي الحاضر من المشي العتيد وهو الحاضر .
(٣) لا وجود لهذه الفقرة في سيره ابن هشام .
(٤) القديم .

النوى فنظروا بعر الناقة فرأوا فيه النوى، ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبيّ ﷺ فدخل علىٰ ابنته أم حبيبة زوج النبي فلما أراد أن يجلس علىٰ فراش رسول الله طوته عنه، فقال: ما أدري أرغبت به عني أم رغبت بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلم أحبّ أن تجلس عليه. فقال: لقد أصابك يا بنية بعدي شر. فقالت: بل هداني الله للاسلام.

ثم خرج حتى أتى للنبي ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً، ثم أتى أبا بكر فكلمه ليكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر فكلمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ. والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ثم خرج حتى أتى علياً وعنده فاطمة والحسن غلام يدبّ بين يديها فكلمه في ذلك، فقال له: والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه.

وآلتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا أنْ يجير بين الناس فيكون سيد العرب؟

فقالت: ما بلغ ابني أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد، فآلتفت إليّ علي فقال له: أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني، قال: أنت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره وقدم مكة وأخبر قريشاً ما جرى له وما أشار به عليّ عليه فقالوا له: والله ما زاد على أنْ يسخر بك، ثم إن رسول الله ﷺ تجهز وأمر الناس بالتهجز إلى مكة، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها[1] في بلادها».

فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يعلمهم الخبر وسيّره مع امرأة من مزينة اسمها كنود، وقيل: مع سارة مولاة لبني المطلب تعلمهم الخبر وسيره معها فأرسل رسول الله ﷺ علياً والزبير فأدركاها بالحليفة وأخذا منها الكتاب وجاءا به إلى رسول الله ﷺ فأحضر حاطباً وقال له: ما حملك على هذا؟

---

(١) اي آتيها على حين غفلة .

فقال: والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما بدلت ولا غيرت، ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتهم عليهم، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه فإنه قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وأنزل الله في حاطب ﴿يَا أَيُّها الذِيْن آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاء﴾[١] إلى آخر الآية.

ثم مضى رسول الله ﷺ واستخلف علىٰ المدينة أبارُهْم كلثوم بن حصين الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان وفتح مكة لعشر بقين منه، فصام حتى بلغ ما بين عُسفان وأمج، فأفطروا واستوعب معه المهاجرون والأنصار، فسبعت[٢] سليم وألفت[٣] مُزَيْنَة وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأدركه عُيَيْنَة بن حصن الفزاري بالعرج، والأقرع بن حابس بالسقيا، ولقيه العباس بن عبد المطلب بالجُحْفَة ـ وقيل: بذي الحُلَيْفة ـ مهاجراً، فأمره رسول الله ﷺ أنْ يرسل رحله إلىٰ المدينة ويعود معه، وقال له: «أنت آخر المهاجرين، وأنا آخر الأنبياء».

ولقيه أيضاً مخرمة بن نوفل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبدالله بن أبي أمية بنقب العقاب، فألتمسا الدخول علىٰ رسول الله ﷺ وكلمته أم سلمة فيهما، وقالت له: ابن عمك، وابن عمتك، وصِهْرُك[٤].

قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عِرْضي، وأما ابن عمّتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال.

فلما سمعا ذلك، وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر، قال: والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رَقَّ لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما.

---

(١) الممتحنة ١.

(٢) أي بلغت سبعمائة.

(٣) أي بلغت ألفاً.

(٤) تقدم تفسيرها ص ١٩٢.

وقيل: إنّ علياً قال: لأبي سفيان بن الحارث: «آئتِ رسول الله ﷺ من قِبَل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف ﴿تَاللهِ لَقَد آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وإنْ كُنَّا لَخَاطِئِينْ﴾[1] فإنه يرضىٰ أن يكون أحد أحسن منه فعلاً ولا قولاً».

ففعل ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْن﴾[2] وقرَّبَهُمَا فأسلما، وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما مضى:

لعمـرك إني يـوم أحمـلُ رايـةً ... لتغلب خيـلُ اللات خيـلَ محمـد
لكا لمدلـج[3] الحيران أظلم ليله ... فهـذا أواني حين أهدي وأهتـدي
وهـاد هـداني غيـر نفسي ونـالني ... مـع الله من طردتـه كـل مـطرد[4]

الأبيات. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «أنت طردتني كل مطرد»!

وقيل: إنّ أبا سفيان لم يرفع رأسه إلى النبي ﷺ حياءً منه، وقدم رسول الله ﷺ مَرّ الظهران في عشرة آلاف فارس: من بني غفار أربعمائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، ومن بني سليم سبعمائة، ومن جُهَيْنَة ألف وأربعمائة، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف من العرب، ثم من تميم، وأسد، وقيس، فلما نزل مرّ الظهران قال العباس بن عبد المطلب: «يا هلاك قريش والله لَئِن بغتها رسول الله ﷺ في بلادها فدخل عنوة إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر».

فجلس علىٰ بغلة النبي ﷺ وقال: أخرج إلى الأراك لعلي أرىٰ حَطَّاباً أو رجلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتونه ويستأمنونه. قال: فخرجتُ أطوف في الأراك إذ سمعتُ صوت أبي سفيان وحكيم بن حِزَام وبُديل بن ورقاء الخزاعي قد خرجوا يتجسسون الخبر، فقال أبو سفيان: ما رأيت نيراناً قط أكثر من هذه.

فقال بديل: هذه نيران خزاعة. فقال أبو سفيان: خزاعة أذلّ من ذلك. فقلتُ:

---

(١) يوسف ٩١ .
(٢) يوسف : ٩٢ .
(٣) المدلج : من أدلج ، أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل .
(٤) وقد زاد ابن هشام في سيرته ابياتاً خمسة بعدها .

يا أبا حنظلة ـ يعني أبا سفيان كان يكنى بذلك ـ . فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: لبيك فداك أبي وأمي ما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف. قال: ما تأمرني؟ قلت: تركب معي فأستأمن لك رسول الله ﷺ، فوالله لئن ظَفَرَ بك ليضربنَّ عنقك.

فردفني فخرجت أركض به نحو رسول الله ﷺ فكلما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إليّ يقولون: عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد!

ثم اشتد نحو النبي ﷺ وركضت البغلة فسبقت عمر ودخل عمر علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه.

فقلت: يا رسول الله إني قد أجرته. ثم أخذتُ برأس رسول الله ﷺ وقلت: لا يناجيه اليوم أحدٌ دوني فلما أكثر فيه عُمَر قلت: مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجلٌ من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي ما قلتَ هذه المقالة. فقال: مهلاً يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: آذهب فقد أَمَّنَّاه حتى تغدو عليَّ به بالغداة.

فرجعت به إلى منزلي، فلما أصبح غدوتُ به علىٰ رسول الله ﷺ فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أنْ تعلم أنْ لا إله إلا الله؟! قال: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً. فقال: ألم يأن لك أنْ تعلم أني رسول الله؟! فقال: بأبي أنت وأمي أمّا هذه ففي النفس منها شيء، قال العباس: فقلت له: ويحك آشهد شهادة الحق قبل والله أنْ تُضْرَبَ عنقك. قال: فَتَشَهَّد وأسلم معه حكيم بن حِزَام وبُدَيل بن ورقاء فقال رسول الله ﷺ للعباس: آذهب فآحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود الله. فقلت: يا رسول الله إنه يحب الفخر فآجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: نعم، مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. قال: فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل فمرت عليه القبائل فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم فيقول: مالي ولأسلم. ويقول: من هؤلاء؟ فأقول: جُهَيْنة فيقول: مالي ولجهينة.

حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرَىٰ منهم إلا الحدق فقال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. فقال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَل ولا طاقة، لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك إنَّها النبوة. فقال: نعم إذن. فقلت: آلحق بقومك سريعاً فحذِّرْهُم.

فخرج حتىٰ أتىٰ مكة ومعه حكيم بن حزام فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به.

فقالوا: فما قال؟ قال: من دخل داري فهو آمن. قالوا: ويحك وما تُغْنِي عنا دارك؟ فقال: ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، ثم قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

فأقبلت آمرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. فقال: أرسلي لحيتي وأُقسم لئن لم تُسْلِمي أنتِ لتضربن عنقك آدخلي بيتك، فتركته.

وبعث رسول الله ﷺ في أثرهما الزبير وأمره أنْ يَدْخُل ببعض الناس من كداء وكان علىٰ الجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كدى، فقال سعد حين وَجَّهه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة.

فسمعها رجلٌ من المهاجرين فأعلم رسول الله ﷺ[1]، فقال لعلي بن أبي طالب: أدركْهُ فخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها.

وأمر خالد بن الوليد أنْ يدخل من أسفل مكة من الليط في بعض الناس، وكان معه أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب ـ وهو أول يوم أمَّر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ـ ولما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى وقف علىٰ راحلته وهو معتجر[2] بشقة بُرْدٌ حبرة أحمر وقد وضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأىٰ ما أكرمه الله به من الفتح حتى إنّ أسفل لحيته لتمس واسطة الرحل، ثم تقدم ودخل من أذاخر بأعلاها وضربت قبته هناك، وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا ومعهم الأحابيش، وبنو بكر، وبنو الحارث بن عبد مناة،

---

(١) الاعتجار لف الرأس بعمامة ورد طرفها على وجهه.

فلقيهم خالد بن الوليد فقاتلهم فَقُتِلَ من المسلمين جابر بن جبيل الفهري، وحبيش بن خالد وهو الأشعر الكعبي، ومسلمة بن الميلاء، وقُتِلَ من المشركين ثلاثة عشر رجلاً ثم انهزم المشركون، وكان مع عكرمة حماس بن قيس، وكان قد قال لامرأته: لآتينك بخادم من أصحاب محمد، فلما عاد إليها منهزماً قال لها: اغلقي عليّ بابي. قالت له تستهزىء به: أين الخادم؟ فقال:

إنك لو شهدتِ يوم الخندمه — إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالموتمه[١] — واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعدوجُمجمه — ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه
لهم نهيت[٢] خلفنا وهمهمه — لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

أبو يزيد هذا ـ هو سهيل بن عمرو ـ وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أُمَرَائه أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم، فلما انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكة، قام في وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخُمُر[٣] وقد نشرن شعورهن فرآهن رسول الله ﷺ وإلى جنبه أبو بكر، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: يا أبا بكر، كيف قال حسان؟ فأنشده:

تكاد جيادنا مستمطرات — يلطمهن بالخُمُرِ النساء

وكان رسول الله ﷺ، قد أمر بقتل ثمانية رجال وإنْ وُجِدُوا تحت أستار الكعبة، وأربع نسوة. فأما الرجال فمنهم: **عكرمة بن أبي جهل**، كان يشبه أباه في إيذاء رسول الله ﷺ وعداوته والانفاق على محاربته، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة خافه على نفسه، فهرب إلى اليمن وأسلمت آمرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فآستأمنت له وخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي فراودها عن نفسها فأطعمته ولم تمكنه حتىٰ أتت حياً من العرب فاستعانتهم عليه فأوثقوه وأدركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت: جئتك

---

(١) أي من كداء فقد جاء في بعض الروايات أنه قيل يا رسول الله من اين تدخل مكة ؟ قال من حيث أشار حسان بن ثابت .

(٢) النهيت فوق الزحير ونوع من الزئير .

(٣) الخمر : جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وصدرها .

من عند أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم، وقد أمَّنك فرجع وأخبرته خبر الرومي فقتله قبل أن يسلم، فلما قَدِمَ على رسول الله ﷺ سُرَّ به فأسلم، وسأل رسول الله ﷺ أن يستغفره له فاستغفر.

ومنهم **صفوان بن أمية بن خلف**، وكان أيضاً شديداً على النبي ﷺ فهرب خوفاً منه إلى جُدَّة، فقال عمير بن وهب الجمحي: يا رسول الله إن صفوان سيد قومي، وقد خرج هارباً منك فأمّنه، قال: هو آمِن، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه.

فخرج بها عمير فأدركه بجُدة فأعلمه بأمانه وقال: إنه أحلم الناس وأوصلهم وإنه ابن عمك وعِزُّهُ عزك وشرفه شرفك. قال: إني أخافه علىٰ نفسي. قال: هو أحلم من ذلك.

فرجع صفوان وقال لرسول الله ﷺ: إنّ هذا يزعم أنك أمنتني.

قال: صدق. قال: آجعلني بالخيار شهرين، قال: أنت فيه أربعة أشهر، فأقام معه كافراً، وشهد معه حنيناً والطائف ثم أسلم وحَسُنَ اسلامه وتوفي بمكة عند خروج الناس إلى البصرة ليوم الجمل.

ومنهم **عبدالله بن سعد بن أبي سرح** من بني عامر بن لؤي، وكان قد أسلم وكتب الوحي إلى رسول الله ﷺ فكان إذا أملىٰ عليه «عزيز حكيم» يكتب «عليم حكيم» وأشباه ذلك، ثم ارتد وقال لقريش: إني أكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت، ودينكم خيرٌ من دينه، فلما كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه من الرضاعة فغيّبه عثمان حتى اطمأن الناس، ثم أحضره عند رسول الله ﷺ وطلب له الأمان، فصَمتَ رسول الله ﷺ طويلاً ثم امّنه فأسلم وعاد، فلما انصرف قال رسول الله ﷺ لأصحابه: لقد صمتُ ليقتله أحدكم، فقالوا: هَلاَّ أومأت إلينا؟ فقال: ما كان للنبي أن يقتل بالإشارة، إنّ الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين.

ومنهم **عبدالله بن خطل** وكان قد أسلم فأرسله رسول الله ﷺ مصدقاً ومعه رجل من الأنصار وغلام له روميّ قد أسلم فكان الرومي يخدمه ويصنع له الطعام فنسي يوماً أنْ يصنع له طعاماً فقتله وآرتد، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فقتله سعيد بن

حريث المخزومي أخو عمرو بن حريث وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه.

ومنهم **الحويرث بن نقيذ** بن وهب بن عبد بن قصي، وكان يؤذي رسول الله ﷺ بمكة، وينشد الهجاء فيه، فلما كان يوم الفتح هرب من بيته فلقيه علي بن أبي طالب فقتله.

ومنهم **مِقيس بن صُبابة**، وإنما أمر بقتله لأنه قتل الأنصاري الذي قتل أخاه هشاماً خطأً وارتد، فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح اختفى بمكانٍ هو وجماعة وشربوا الخمر فعلم به نميلة بن عبدالله الكلبي فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله.

ومنهم **عبدالله بن الزِّبَعرى السهمي** وكان يهجو رسول الله ﷺ بمكة ويعظم القول فيه، فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانىء بنت أبي طالب إلى نجران، فأما هبيرة فأقام بها مشركاً حتى هلك، وأما الزِّبَعرى فرجع إلى رسول الله ﷺ واعتذر فقبل عذره فقال حين أسلم:

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور[1]

إذ أباري الشيطان في سنن الغـ ... ـي ومن نال مثله مثبور

آمن اللحمُ والعظام بربي ... ثم نفسي الشهيد أنت النذير

في أشعار له كثيرة يعتذر فيها.

ومنهم **وحشيّ بن حرب** قاتل حمزة فهرب يوم الفتح إلى الطائف، ثم قدم في وفد أهله علىٰ رسول الله ﷺ وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال النبي ﷺ: أَوَحْشِيّ؟ قال نعم.

قال: أخبرني كيف قتلت عمي؟ فأخبره فبكى وقال: غَيِّبْ وجهك عني.

وهو أول من جُلِدَ في الخمر، وأول من لبس المعصفر المصقول في الشام.

وهرب **حُوَيطب بن عبد العزى** فرآه أبو ذر في حائط فأخبر النبي ﷺ بمكانه، فقال: أوليس قد أمنّا الناس، إلا من قد أمرنا بقتله؟ فأخبره بذلك فجاء إلى النبي فأسلم.

---

(١) البور: الهالك.

قيل: إنه دخل يوماً على مروان بن الحكم وهو على المدينة فقال له مروان: يا شيخ تأخر إسلامك. فقال: لقد هممت به غير مرة، فكان يصدني عنه أبوك.

وأما النساء: فمنهن هند بنت عُتْبَة، وكان رسول الله ﷺ أمر بقتلها لما فعلت بحمزة، ولما كانت تؤذي رسول الله ﷺ بمكة فجاءت إليه مع النساء متخفية فأسلمتْ وكسرتْ كل صنم في بيتها وقالت: لقد كنا منكم في غرور، وأهدت إلى رسول الله ﷺ جديين، واعتذرت من قِلة ولادة غنمها فدعا لها بالبركة في غنمها فكثرتْ، فكانت تهب وتقول: هذا من بركة رسول الله ﷺ فالحمد لله الذي هدانا للاسلام.

ومنهن سارة، وهي مولاة عمرو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة في قول بعضهم؛ وكانت قَدِمَتْ علىٰ رسول الله ﷺ مسلمة فوصلها فعادت إلىٰ مكة مرتدة فأمر بقتلها فقتلها علي بن أبي طالب.

ومنهن قينتا عبدالله بن خطل وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما فقتلت إحداهما واسمها قريبة[1] وفرّت الأخرىٰ وتنكرتْ وجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت وبقيت إلى خلافة عمر بن الخطاب فأوطأها رجلٌ فرسه خطأ فماتت. وقيل: بقيت إلى خلافة عثمان فكسر رجل ضلعاً من أضلاعها خطأ فماتت فأغرمه عثمان ديتها.

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده؛ وهزم الأحزاب وحده.

ألا كل دم أو مأثرة أو مال يدّعى فهو تحت قدميّ هاتين إلا سِدَانة البيت وسقاية الحاج».

ثم قال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم»؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: آذهبوا فأنتم الطُّلَقَاء.

فعفا عنهم، وكان الله قد أمكنه منهم، وكانوا له فيئاً فلذلك سمي أهل مكة «الطلقاء».

وطاف بالكعبة سبعاً، ودخلها وصلىٰ فيها ورأى فيها صور الأنبياء فأمر بها

---

(١) هذه موافقة لرواية ابن سيد الناس كما نقله صاحب تاريخ الخميس، وأن اسم الثانية التي اسلمت فرتنى آخرها الف مقصورة والذي في سيرة ابن هشام أن فرتنى هي التي قتلت وأنّ التي اسملت إسمها سارة.

تحت المفتوحة وآخره سين مهملة (وصبابة) بضم الصاد المهملة وباءين موحدتين بينهما ألف.

(خطم الجبل) روي بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة. فأما بالمعجمة، فهو الأنف الخارج من الجبل، وأما بالحاء المهملة، فهو الموضع الذي ثلم منه وقطع فبقي منقطعاً، وقد روي حطم الخيل بالحاء المهملة. والخيل هي التي تركب يعني أنه يحبسه في الموضع الضيق الذي يحطم الخيل فيه بعضها بعضاً لمضيقها.

ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جَذِيْمة

وفي هذه السنة كانت غزوة خالد بن الوليد بني جَذيمة، وكان رسول الله ﷺ قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون النّاس إلى الاسلام ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً فنزل على الغميصاء ماء من مياه جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، وكانت جَذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد. كانا أقبلا تاجرين من اليمن فأخذت ما معهما وقتلتهما فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا. فوضعوا السلاح فأمر خالد بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل[١] فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد.

ثم أرسل علياً ومعه مال وأمره أنْ ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والأموال حتى إنه ليدي ميلغة[٢] الكلب، وبقي معه من المال فضلة فقال لهم علي: هل بقي لكم مال أو دم لم يود؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله ﷺ ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: أصبتَ وأحسنت، وقيل: إن خالداً اعتذر، وقال: إن عبد الله بن حذافة السهمي أمرني بذلك عن رسول الله، وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد كلام في ذلك، فقال له: عملتَ بأمر الجاهلية في الاسلام فقال خالد: إنما ثأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبتَ قد قتلت أنا قاتل ابي، ولكنك إنما

(١) الذي في صحيح البخاري أن السبب في قتل خالد بني جذيمة أنه دعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فذلك سبب قتلهم وذلك لأن كلمةصبأناوصمة عار يعيب الكافرون بها المسلمون فأثار حفيظة خالد فقتلهم.

(٢) هو إناء يلغ فيه الكلب والمراد أن علياً أدى لهم حتى الشيء الحقير.

فمحيت، وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنماً، وكان بيده قضيب فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ ﴿قُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهِقَ البَاطِلُ إنّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[1] فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط لوجهه، وقيل: بل أمر بها وخذمت وكسرت.

ثم جلس رسول الله ﷺ للبيعة على الصفا، وعمر بن الخطاب تحته، واجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال.

وأما بيعة النساء فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء فأتاه منهن نساء من قريش، منهن أم هانىء بنت أبي طالب، وأم حبيبةَ بنتَ العاص بن أمية وكانت عند عمرو بن عبد وَدّ العامري، وأروىٰ بنت أبي العيص عمة عتاب بن أسيد، وأختها عاتكة بنت أبي العيص وكانت عند المطلب بن أبي وداعة السهمي، وأمه بنت عفان بن أبي العاص أخت عثمان وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عتبة وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد وكانت عند صفوان بن أمية بن خلف؛ وريطة بنت الحجاج، وكانت عند عمرو بن العاص في غيرهن، وكانت هند متنكرة لصنيعها بحمزة، فهي تخاف أن تؤخذ به، وقال لهن: تبايعنني علىٰ أنْ لا تشركن بالله شيئاً قالت هند: إنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه.

قال: ولا تسرقن. قالت: والله إنْ كنتُ لأصبتُ من مال أبي سفيان، الهنة والهنة. فقال أبو سفيان وكان حاضراً: أمَّا ما مضىٰ فأنتِ منه في حِلّ. فقال رسول الله ﷺ: أهند؟ قالت: أنا هند فآعفُ عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزنين، قالت: هل تزني الحرة؟ قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وَهُم أعلم. فضحك عمر. قال: ولا تأتين ببهتانٍ تفترينه بين أيديكن وأرجلكن. قالت: والله إنّ اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. قال: ولا تعصينني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف فقال رسول

---

(١) الإسراء ٨١ .

الله ﷺ لعمر: بايعهنْ وآسْتَغفَرَ لهن رسول الله ﷺ، فبايعهن عمر، وكان رسول الله ﷺ لا يمس النساء ولا يصافح آمرأة ولا تمسه امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه.

ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذِّنَ علىٰ ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد أمن، فلما أذَّن وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة.

وقيل: إنها قالت: لقد رفع الله ذكر محمد وأما نحن فسنصلي ولكنا لا نحب مَن قتل الأحبة. وقال خالد بن أسد أخو عثمان بن أسد: لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: ليتني مت قبل هذا اليوم. وقال جماعة نحو هـذا القول ثم أسلموا وحسن أسلامهم رضي الله عنهم.

وأما الأسماء المشكِلة. (فحاطب بن أبي بلتعة) بالحاء والطاء المهملتين والباء الموحدة و (بلتعة) بالباء الموحدة وبعد اللام تاء مثناة من فوقها، (وعُيَيْنَة بن حصن) بضم العين المهملة وياءين مثناتين من تحت ثم نون تصغير عين. و (بُديل بن ورقاء) بضم الباء الموحدة. (وعتاب) بالتاء فوقها نقطتان وآخره باء موحدة، (وأَسِيْـد) بفتح الهمزة وكسر السين. وقول أم سلمة ابن عمك وابن عمتك فتعني بابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابن عمّته عبدالله بن أبي أمية وهو أخوها لأبيها وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. وقوله: قال في مكـة ما قال فإنه قال بمكة: ﴿لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرقِيِّكَ حَتَّىٰ تنزل عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤه﴾[1].

وقد غلط هنا بعض العلماء الكبار فقال معنى قول أم سلمة ابن عمتك: إن جدة لنبي أم عبدالله كانت مخزومية، وعبدالله بن أبي أمية مخزومي فعلى هذا يكون ابن خالته لا ابن عمته، والصواب ما ذكرناه.

(وحُبَيْش بن خالد) بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة ثم بالياء المثناة من تحت آخره شين معجمة و (مِقْيَس بن صُبَابَة) بكسر الميم وسكون القاف وبالباء المثناة من

---

١) الإسراء: ٩٣.

ثأرت بعمك الفاكه. حتى كان بينهما شر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أُحُد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته، قال عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي: كنت يومئذ في جند خالد فأثرنا في أثر ظعن مصعدة يسوق بهن فتية، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم مضوا ووقف لنا غلام شاب على الطريق فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويقول:

ارفعن أطراف الذيول وارتعن * مشي حييات كأن لم تفزعن * إن تمنع اليوم النساء تمنعن

فقاتلناه طويلاً فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن، فخرج إلينا غلام كأنه الأول فجعل يقاتلنا ويقول:

أقسم ما أن خادر[1] ذو لبده ... يروم بين أثلة ووهده[2]
يفرس[3] شبان الرجال وحده ... بأصدق الغداة مني نجده

فقاتلناه حتى قتلناه، وأدركنا الظعن فأخذناهن فإذا فيهن غلام وضيء الوجه به صفرة كالمنهوك فربطناه بحبل وقدّمناه لنقتله فقال لنا: هل لكم في خير؟ قلنا ما هو؟ قال: تدركون بي الظعن في أسفل الوادي ثم تقتلوني، قلنا: نفعل فعارضنا الظعن، فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادىٰ بأعلى صوته ـ أسلمي حبيش علىٰ فقد العيش ـ فأقبلت إليه جارية بيضاء حسانة وقالت: وأنت فأسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء. قال: سلام عليك دهراً وإن بقيت عصراً قالت: وأنت سلام عليك عشراً وشفعاً تترى وثلاثاً وتراً[4] فقال:

إن يقتلوني يا حبيش فلم يدع ... هواك لهم مني سوى غلة الصدر
فأنت التي أخليت لحمي من دمي ... وعظمي وأسبلت الدموع على نحري

فقالت له:

---

(١) الخادر: ـ الأسد.

(٢) الأثلة: ـ الشجرة الملتفة.

(٣) يفرس أي يقتل وأصله من فرس الفريسة إذا دق عنقها.

(٤) الذي في ابن جرير «فحييت عشراً وسبعاً وتراً وثمانية تترا».

ونحن بكينا من فراقك مرة ... وأخرى وواسيناك في العسر واليسر
وأنت فلم تبعد فنعم فتى الهوى ... جميل العفاف والمودة في ستر

فقال لها:

أرأيتك إن طالبتكم فوجدتكم ... بحلية أو الفيتكم بالخوانق[١]
ألم يك حقاً أن ينوّل عاشق ... تكلف أدلاج السرى في الودائق
فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرة ... أثيبي بود قبل إحدى الصفائق
أثيبي بود قبل أن يشحط النوى ... وينأى لأمر بالحبيب المفارق
فإني لآبه بالذي أرعينه ... ولا منظر مذ غبت عني برائق
عليّ بآيات العشيرة شاغل ... ولا ذكر إلا ذكر هيمان وامق

فقدموه فضربوا عنقه.

هذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكناني وكان من جذيمة مع حبيشة بنت حبيش الكنانية، أنه خرج مع أمه وهو غلام نحو المحتلم لتزور جارة لها وكان لها ابنة اسمها حبيشة بنت حبيش، فلما رآها عبد الله هويها ووقعت في نفسه وأقامت أمه عند جارتها وعاد عبد الله إلى أهله ثم عاد ليأخذ أمه بعد يومين فوجد حبيشة قد تزينت لأمر كان في الحيّ فآزداد بها عجباً وانصرفت أمه فمشى معها وهو يقول:

وما أدري بلى إني لأدري ... أصوب القطر أحسن أم حبيش؟
حبيشة والذي خلق البرايا ... وما إن عندنا للصب عيش

فسمعت أمه فتغافلت عنه. ثم إنه رأى ظَبْياً[٢] على ربوة فقال:

يا أمنا خبريني غير كاذبة ... وما يريد سؤول الحق بالكذب
أتلك أحسن أم ظبي برابية؟ ... لا بل حبيشة في عيني وفي أرب

فزجرته أمه، وقالت: ما أنت وهذا وأنا قد زوجتك ابنة عمك، فهي من أجمل تلك النساء؟ وأتت آمرأة عمير فأخبرتها الخبر، وقالت: زيني ابنتك له ففعلت وأدخلتها

---

(١) الخوانق: جمع خانق، وهو الشعب الضيق. قاموس.
(٢) في ابن جرير «بعدما قتل فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده».

عليه فأطرق، فقالت أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غيبت عني حبيشة مرة ... من الدهر لا أملك عزاءً ولا صبرا
كأن الحشا حر السعير تحثه ... وقود الغضا والقلب مضطرم الجمرا

وجعل يراسل الجارية وتراسله فعلقته كما علقها وأكثر قول الشعر فيها، فمن ذلك:

حبيشة جدي ثم جدك جامع ... بشملكم شملي وأهلكم أهلي
وهل أنا متلف بثوبك مرة؟ ... بصحراء بين الألبتين[1] إلى النحل

فلما علم أهلها خبرهما حجبوها عنه فازداد غرامه. فقالوا لها: عِدِيه السرحة فإذا أتاك فقولي له: نشدتك الله إنْ أحببتني فوالله ما على الأرض أبغض إليّ منك، ونحن قريب نسمع ما تقولين فوعدته وجلسوا قريباً، فأقبل لموعدٍ لها، فلما دنا منها دمعت عيناها وآلتفت إلى جنب أهلها وهم جلوس، فعرف أنهم قريب وبلغه الحال فقال:

فإن قلت ما قالوا لقد زدتني جوى ... على إنه لم يبق سِرٌّ ولا ستر
ولم يك حيّ عن نواك بذلته ... فيسلبني عنك التجنب والهجر
وما أنس للأشياء ولا أنس ومقها ... ونظرتها حتى يغيبني القبر

وبعث النبي ﷺ أثر ذلك خالد بن الوليد، فكان منه ما تقدم ذكره.

وفي هذه السنة تزوج النبي ﷺ **مليكة ابنة داود الليثية**، وكان أبوها قتل يوم فتح مكة فجاء إليها بعض أزواج النبي ﷺ فقلن لها: ألا تستحين تزوجين رجلاً قتل أباك. فاستعاذت منه، وكانت جميلة حدثة ففارقها.

وفيها هدم خالد بن الوليد العُزَّىٰ ببطن نخلة لخمس ليال بقين من رمضان، وكان هذا البيت تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها، وكان سدنتها بنو شيبان بن سليم حلفاء بني هاشم، فلماسمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد إليها علق عليها سيفه وقال:

أيا عزّ شدي شدة لا شوى لها[2] ... على خالد ألقى القناع وشمري

---

(١) الألبتين «تثنيه إلب بكسر وسكون» وهو شجر يشبه الاترج..

(٢) روي بالشين المعجمة ومعناه «لابقاء لها»، وروي «لا سوى» بالسين المهملة ومعناه لا حياة بعدها فلا يعيش لها خصم لأنها تهلكه.

فلما انتهى خالد إليها جعل السادن يقول: أعزي بعض غضباتك فخرجت امرأة سوداء[1] حبشية عريانة مولولة وكسر الصنم وهدم البيت ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: تلك العزى لا تعبد أبداً. وفيها هدم عمرو بن العاص سواع؛ وكان برُهَاط[2] لهذيل فلما كسر الصنم أسلم سادنه ولم يجد في خزانته شيئاً. وفيها هدم سعد بن زيد الأشهلي مناة بالمُشَلَّل[3]، وكان للأوس والخزرج.

* * *

(١) إني أشك في رواية امرأة سوداء فلعلها من زيادة الرواة (م).

(٢) رُهَاط بضم الراء: موضع على ثلاث ليالي من مكة قرية على طريق المدينة بواد يقال له غران وبأرض ينبع على ما قيل رهاط فيها كان سواع صنمه هذيل.

(٣) المُشَلَّل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

ذكر غزوة هوازن بحُنَيْن

وكانت في شوال، وسببها أنه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مكة جمعها مالك بن عوف النصري من بني نصر بن معاوية بن بكر، وكانوا مشفقين من أن يغزوهم رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، وقالوا: لا مانع له من غزونا والرأي أن نغزوه قبل أنْ يغزونا، واجتمع إليه ثقيف يقودها قارب بن الأسود بن مسعود سيد الأحلاف؛ وذو الخمار سبيع بن الحارث، وأخوه الأحمر بن الحارث سيد بني مالك ولم يحضرها من قيس عيلان، إلا نصر، وجُشم، وسعد بن بكر وناس من بني هلال ولم يحضرها كعب ولا كلاب، وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً، فلما أجمع مالك بن عوف المسير إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم فلما نزلوا أوطاس جمع الناس وفيهم دريد بن الصمة، فقال دريد: بأي واد أنتم؟ فقالوا: بأَوْطَاس[١] قال: نِعْمَ مجال الخيل لا حَزْن[٢] ضَرِس، ولا سهل دَهِس، ما لي أسمع رُغَاء البعير، ونهاق الحمير، ويُعار الشاء[٣] وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. فقال: يا مالك إنّ هذا يوم له ما بعده ما حملك على ما صنعت؟ قال: سُقْتُهم مع الناس ليقاتل كُلُّ إنسان عن حريمه وماله، قال: دريد راعي ضأن والله، هل يرد المنهزم شيءٌ؟! إنَّها إنْ كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلك ومالك. وقال: ما فعلت كعب، وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها أحدٌ منهم. قال: غاب الجَدُّ والحَدُّ[٤] لو

---

(١) أَوْطَاس: واد في ديار هَوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ.

(٢) الحَزْن من الأرض ما غلظ.

(٣) يَعَارُ الشاة: صوتها.

(٤) الجَدّ: الحظ، والحَدُّ: منتهى الشيء.

كان يومِ علاء ورفعة لم تَغِبْ عنه كعب ولا كلاب وودتُ أنكم فعلتم ما فعلا.

ثم قال: يا مالك آرفع من معك إلى علياً بلادهم ثم ألق القوم علىٰ متون الخيل. فإنْ كانت تلك لك لَحِقَ بك مَنْ وراءك، وإنْ كانت عليك كنت قد أحرزتَ أهلك ومالك. قال مالك: والله لا أفعل ذلك إنك قد كبرتَ وكبر عِلْمُك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ـ وكره أن يكون لدريد فيها ذِكْر، ورأي. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني.

ثم قال مالك: أيها الناس إذا رأيتم القوم فآكسروا جُفُون سيوفكم وشِدُّوا عليهم شَدَّة رجل واحد، وبعث مالك عيونه ليأتوه بالخبر فرجعوا إليه وقد تفرقتْ أوصالُهُم فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيْضاً علىٰ خيلٍ بُلْق، فوالله ما تماسكنا أن حَلّ بنا ما ترىٰ، فلم ينهه ذلك عن وجهه أنْ مضىٰ على ما يريد.

ولما بلغ رسول الله ﷺ خبر هوازن أجمع المسير إليهم وبلغه أنّ عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً فأرسل إليه رسول الله ﷺ، وهو يومئذ مشرك أعرنا سلاحك نلق فيه عدونا غداً. فقال له صفوان: أَغَصْباً يا محمد؟ فقال: بل عارية مضمونة نؤديها إليك. قال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح. ثم سار النبي ﷺ ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه فكانوا اثني عشر ألفاً، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ كثرة من معه قال: «لَنْ نُغْلَبَ اليوم من قلة» وذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَم تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً ﴾[1]، وقيل: إنما قالها رجل من بكر.

واستعمل رسول الله ﷺ علىٰ من بمكة عتاب بن أسيد. قال جابر: فلما استقبلنا وادي حنين آنحدرنا في واد أجوف حطوط إنما ننحدر فيه آنحداراً في عماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه ومضايقه، قد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا له فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد فانهزم الناس أجمعون لا يلوي أحدٌ على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: «أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله: أنا محمد بن عبد الله» قاله ثلاثاً.

ثم احتملت الإبل بعضها بعضاً إلا إنه قد بقي مع النبي ﷺ نفرٌ من المهاجرين

---

(١) التوبة: ٢٥.

والأنصار وأهل بيته. منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأسامة بن زيد قال: وكان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء أمام الناس فإذا أدرك رجلاً طعنه وإذا فاته الناس رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه فحمل عليه عليّ فقتله.

ولما انهزم الناس تكلم رجالٌ من أهل مكة بما في أنفسهم من الضَّغَن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، والأزلام معه في كنانته. وقال كلدة بن الحنبلي وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وكان صفوان بن أمية يومئذ مشركاً: الآن بَطُلَ السحر. فقال له صفوان: اسكت فَضَّ الله فاك فوالله لأن يربَّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربَّني رجل من هوازن. وقال شيبة بن عثمان: اليوم أُدْرِكُ ثأري من محمد ـ وكان أبوه قتل بأحد. قال: فأدرت به لأقتله شيءٌ حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمتُ أنه مُنِعَ مني. وكان العباس مع النبي ﷺ آخذاً بلجام بغلته دُلْدُل وهو عليها، وكان العباس جسيماً شديد الصوت، فقال له رسول الله ﷺ «يا عباس آصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السَّمُرَة» ففعل فأجابوه: «لبيك لبيك»، فكان الرجل يريد أن يثني بعيره فلا يقدر فيأخذ سلاحه ثم ينزل عنه ويؤم الصوت، فآجتمع علىٰ رسول الله ﷺ مائة رجل فآستقبل بهم القوم وقاتلهم، فلما رأى النبي ﷺ شدة القتال قال:

أنـا الـنـبـي لا كـذب   أنـا آبـنُ عـبـد الـمـطلب

«الآن حمي الوطيس»، وهو أول من قالها، واقتتل الناس قتالاً شديداً، وقال النبي ﷺ لبغلته دلدل: «البدي دلدل» فوضعت بطنها على الأرض فأخذ حفنة من تراب فرمىٰ به في وجوههم فكانت الهزيمة فما رجع الناس إلاّ والأسارىٰ في الحِبَال عند رسول الله ﷺ. وقيل: بل أقبل شيءٌ أسود من السماء مثل البجاد[1] حتى سقط بين القوم فإذا نملٌ أسود مبثوث فكانت الهزيمة؛ ولما انهزمت هوازنُ قتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً فأما الأحلاف من ثقيف فلم يُقتل منهم غير رجلين لأنهم آنهزموا سريعاً، وقصد بعض المشركين الطائف، ومعهم مالك بن عوف وآتّبعت خيلُ رسول الله ﷺ المشركين فقتلهم فأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة ولم يعرفه لأنه كان

---

(١) البجاد: هو الكساء. وكان في الأصول: نجار ـ ولا معنى له، وصححناه من النهاية وكتب السير وغيرها (م).

في شجار[١] لكبره وأناخ بعيره فإذا هو شيخ كبير فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت؟ فانتسب له ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، فقال: دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي فاضرب به ثم ارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أقتُل الرّجال وإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرُبَّ يوم قد منعتُ فيه نساءك، فقتله، فلما أخبر أمه قالت: والله لقد أعتقَ أمهات لك ثلاثاً واستلب أبو طلحة الأنصاري يوم حنين عشرين رجلاً وحده وقتلهم فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيْلاً فله سلبه»[٢]. وقتل أبو قتادة الأنصاري قتيلاً وأجهضه[٣] القتال عن أخذ سلبه فأخذه غيره، فلما قال رسول الله ﷺ ذلك قام أبو قتادة فقال: قتلتُ قتيلاً وأخذ غيري سلبه. فقال الذي أخذ السلب: هو عندي فارضه مني يا رسول الله، فقال أبو بكر: لا والله لا تعمد إلى أسدٍ من أُسْدِ الله يقاتل عن الله تقاسمه فرد عليه السلب.

وكان لبعض ثقيف غلامٌ نصراني فقتل فبينما رجل من الأنصار يستلب قتلى ثقيف إذ كشف العبد فرآه أغرل فصرخ بأعلى صوته يا معشر العرب إن ثقيفاً لا تختتن فقال له المغيرة بن شعبة: لا تقل هذا إنما هو غلام نصراني وأراه قتلىٰ ثقيف مختتنين، ومَرّ رسول الله ﷺ في الطريق بآمرأةٍ مقتولة فقال: من قتلها؟ قالوا: خالد بن الوليد. فقال لبعض مَنْ معه: أدرِكْ خالداً فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً ـ والعسيف: الأجير.

وكان بعض المشركين بأوطاس فأرسل إليهم رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري عم أبي موسى فرمى أبو عامر بسهم قيل: رماه سلمة بن دريد بن الصمة، وقتل أبو موسى سلمة هذا بعمه أبي عامر وانهزم المشركون بأوطاس وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا فساقوا في السبي الشيماء ابنة الحارث بن عبد العزى، فقالت لهم: إني والله أختُ صاحبكم من الرضاعة فلم يصدقوها حتىٰ أتوا بها النبي ﷺ فقالت له: إنّي أختك. قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، فعرفها وبسط

---

(١) الشجار: مركب مكشوف دون الهودج. النهاية.

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٦/٥، والطبراني في الكبير ٢٩٦/٧.

وقد روي بلفظ: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه) أخرجه البخاري ١١٢/٤، ١٩٦/٥، ومسلم الجهاد رقم ٤١ ـ مكرر.

(٣) أجهضه: غلبه ونَحّاه.

لها رداءه وأجلسها عليه وخيّرها، فقال: إنْ أحببت فعندي مُكَرَّمَةٌ محبة وإن حببت أنْ أمتعك وترجعي إلى قومك؟قالت:بل تمتعني وتردني إلى قومي ففعل وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجُمِعَتْ إلى الجعرانة وجعل عليها بُديل بن ورقاء الخزاعي واستشهد من المسلمين بحنين أيمن بن أم أيمن، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى وغيرهما.

* * *

ذكر حصار الطائف

لما قدم المنهزمون من ثقيف ومَنْ انضمّ إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم واستحصروا[١] وجمعوا ما يحتاجون إليه، فسار إليهم النبيّ ﷺ، فلما كان ببحرة الرُّغا ابتنى بها مسجداً فصلى فيه قبل وصوله إلى الطائف، وقتل بها رجلاً من بني ليث قصاصاً كان قد قتل رجلاً من هذيل فأمر بقتله، **وهو أول دم أقيد به في الاسلام**، وسار إلى ثقيف فحصرهم بالطائف نَيِّفاً وعشرين يوماً ونصب عليهم منجنيقاً أشار به سلمان الفارسي وقاتلهم قتالاً شديداً حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دَبَّابَة[٢] عملوها ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة فخرجوا من تحتها فرماهم من بالطائف بالنبل فقتلوا رجالاً فأمر رسول الله ﷺ بقَطع أعناب ثقيف فقُطِّعَتْ ونزل إلى رسول الله نفرٌ من رقيق أهل الطائف فأعتقهم منهم أبو بكرة نفيع بن الحارث عبد الحارث بن كلّدة وإنما قيل له: أبو بكرة ببكرة نزل فيها وغيره، فلما أسلم أهل الطائف تكلمت سادات أولئك العبيد في أنْ يَرُدَّهم رسول الله ﷺ إلى الرقّ فقال: لا أفعل أولئك عتقاء الله.

ثم إنّ خويلة بنت حكيم السلمية ـ وهي امرأة عثمان بن مظعون ـ قالت: يا رسول الله أعطني إنْ فتح الله عليك الطائف حليّ بادية بنت غيلان أو حليّ الفارعة بنت عقيل وكانتا من أكثر نساء ثقيف حُلياً، فقال لها رسول الله ﷺ: أرأيتِ إنْ كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟ فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل عليه عمر وقال: يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خويلة أنك قد قلته؟ قال: قد قلته. قال: أفلا أؤذن بالرحيل

---

(١) استحصروا: اظهر الحصر.

(٢)) الدبابة: آلة كانت تتخذ في الحرب وهدم الحصون.

يا رسول الله؟ قال: بلىٰ فأذن بالرحيل، فأذن عمر فيهم بالرحيل، وقيل: إن رسول الله ﷺ استشار نوفل بن معاوية الديلي في المقام عليهم فقال: يا رسول الله ثعلبٌ في جُحْر إنْ أقمتَ عليه أخذته وإنْ تركته لم يضرك فأذن بالرحيل، فلما رجع الناس قال رجلٌ: يا رسول الله آدعُ على ثقيف. قال: اللهم اهد ثقيفاً وأتِ بهم. فلما رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عبيد الثقفي ألا إن الحيّ مقيم. فقال عيينة بن حصن: أجل والله مجدة كراماً، فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة أتمدحهم بالامتناع من رسول الله ﷺ؟ قال: إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفاً ولكني أردتُ أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتبطنها لعلها تلد لي رجلاً فإنّ ثقيفاً قوم مناكير.

واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلاً، منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رُمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، والسائب بن الحارث بن عديّ وغيرهم، وأخذت بادية بنت غيلان التي قال فيها هِيتُ المخَنَّث لعبد الله بن أبي أمية: إنْ فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله ﷺ أنْ ينفلك بادية بنت غيلان فأنها هيفاء شموع نجلاء إنْ تكلمت تغنَّت، وإنْ قامت تثنت، وأن مشت ارتجت وإنْ قعدت تبنت، تُقْبِلُ بأربع وتُدْبِرُ بثمان[1] بثغر كالأقحوان بين رجليها كالقعب المكفأ. فقال النبي ﷺ: لقد علمتَ الصفة! ومنعه من الدخول إلى نسائه.

* * *

ذكر قسمة غنائم حنين

لما رحل رسول الله ﷺ من الطائف سار حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس وأتته وفود هوازن بالجِعِرَّانه[2] وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا ما لم يخف عليك فامنن علينا مَنَّ اللهُ عليك، وقام زهير أبو صُرد من بني سعد بن بكر وهُم الذين أرضعوا رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر[3] عماتك

---

(١) يريد عكنات بطنها لسمنها .

(٢) منزل بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب .

(٣) جمع حظيرة وهي شبه الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها .

وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنّا ارضعنا الحارث بن أبي شمر الغساني أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه وأنت خير المكفولين، ثم قال:

آمنن علينا رسول الله في كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نرجُوهُ ونَدَّخِرُ
آمنن علىٰ نسوةٍ قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غير

في أبيات،(١) فخيَّرهم رسول الله ﷺ بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم، فآختاروا أبناءهم ونساءهم فقال: أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فإذا أنا صليتُ بالناس فقولوا: إنّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم وأَسْأَلُ فيكم. فلما صلى الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقال رسولَ الله ﷺ: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله. وقال الأقرع بن حابس: ما كان لي ولبني تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: ما كان لي ولفزارة فلا. وقال عباس بن مِرْدَاس: ما كان لي ولسليم فلا. فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله. فقال: وَهَّنْتُمُوني(٢). فقال رسول الله ﷺ: من تَمَسَّكَ بحقه من السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه فردوا علىٰ الناس أبناءهم ونساءهم. وسأل رسول الله ﷺ عن مالك بن عوف فقيل: إنه بالطائف فقال: أخبروه إنْ أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مَائة بعير فأخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سِرّاً ولحق برسول الله ﷺ فأسلم وحسن اسلامه، واستعمله رسول الله ﷺ على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف فأعطاه أهله وماله ومائة بعير، وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثمالة؛ وفهم، وسلمة ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم حتى ألجأوه(٣) إلى شجرة فآختُطفت رداءه فقال: «ردوا عليّ ردائي أيها الناس فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً»، ثم رفع وبرة من سنام بعير وقال: «ليس لي من

---

(١) تمامها في الروض الأنف.
(٢) أي: ضَعَّفتموني.
(٣) في الأصول: القوه ـ ونحن صححناه من ابن جرير (م).

فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس وهو مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإنّ الغلول يكون علىٰ أهله عاراً وناراً وشَنَاراً يوم القيامة، فمن أخذ شيئاً رده » ثم أعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا من أشراف الناس يتألفهم علىٰ الاسلام فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حِزَام، والعلاء بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو؛ وحُوَيْطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصري كل واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالاً، منهم مخرمة بن نوفل الزهري، وعمير بن وهب بن عمرو، وسعيد بن يربوع، وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها، وقال: يعاتب رسول الله ﷺ :

كانت نهابا تلافيتها بِكَرِّي علىٰ المهر في الأجرع
وايقاظي القوم أنْ يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي وهب العُبَيْـ ـد[1] بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تُدرإ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفائل[2] أُعطيتها عديد قوائمه الأربع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس[3] في المجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يُرْفَع

فأعطاه حتى رَضِيَ، وقال رجل من الصحابة: يا رسول الله أعطيتَ عيينة والأقرع وتركتَ جعيل بن سراقة؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لجعيلٍ خيرٌ من طلاع الأرض رجالاً كلهم مثل عيينة والأقرع، ولكني تألفتهما ووكلت جعيلاً إلى إسلامه. وقيل: إن ذا الخويصرة التميمي في هذه القسمة قال لرسول الله ﷺ: إنك لم تعدل اليوم. فقال رسول الله ﷺ: « ومن يعدل إذا لم أعدل »؟ فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله؟ فقال: دعوه ستكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة، ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدح فلا يوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث[4] والدم.

---

(١) عبيد بالتصغير كزبير اسم فرسه.

(٢) جمع أفيل، وهي: صغار الإبل.

(٣) بدون صرف لضرورة الشعر وهي من الشواهد (م).

(٤) هو ما يوجد في كرش ذي الكرش.

وقيل إنّ هذا القول إنما كان في مال بعث به عليّ من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقسمه بين جماعة منهم عيينة، والأقرع وزيد الخيل، قال أبو سعيد الخدري: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك الغنائم في قريش، وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقيَ رسول الله ﷺ قومه، فأخبر سعد بن عبادة رسول الله ﷺ بذلك فقال له: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع قومك لي في هذه الحظيرة. فجمعهم فأتاهم رسول الله ﷺ فقال: ما حديثٌ بلغني عنكم! ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله بي؟ وفقراء فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألَّفَ اللَّهُ بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلىٰ والله يا رسول الله ولله ورسوله المَنّ والفضل. فقال: ألا تجيبوني؟ قالوا: بماذا نجيبك؟ فقال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم: أتيتنا مُكَذَّباً فصدقناك، ومخذُولاً فَنَصَرْنَاك، وطَرِيداً فآويناك، وعائلاً[١] فواسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة[٢] من الدنيا تألفتُ بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟! أفلا ترضون أنْ يذهبَ الناسُ بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنتُ امراءاً من الأنصار، ولو سلك الناسُ شِعْباً وسلكت الأنصارُ شعباً لسلكتُ شِعْبَ الأنصار، اللهم آرحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

ثم اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة وعاد إلى المدينة واستخلف علىٰ مكة عتاب بن أسِيد وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وحج عتاب بن أسيد بالناس وحج الناس تلك السنة علىٰ ما كانت العرب تحج، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجة.

وفيها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعياذ[٣] ابني الجلندى من

---

(١) العائل: هو الفقير.

(٢) اللعاعة: نبت ناعم في أول ما ينبت يريد قليل البقاء.

(٣) أختلف في اسم أخيه. ففي الاصابة: في جيفر قال: اسمه عبيد وأثبت اسمه عباداً وعبداً وعياذاً وعقد لكل واحد من الثلاثة عنواناً. وفي الاستيعاب بدل عياذاً: عبد وفي اسد الغابة عبد ايضاً.

الأزد بعمان مصدقاً[١] فأخذ الصدقة من أغنيائهم ورَدَّها علىٰ فقرائهم وأخذ الجزية من المجوس الذين بها وهم كانوا أهل البلد وكان العرب حولها، وقيل: سنة سبع.

وفيها تزوج رسول الله ﷺ الكلابية واسمها فاطمة بنت الضحاك بن سفيان فآختارت الدنيا حين خُيِّرَتْ، وقيل: إنها استعاذت منه ففارقها.

وفيها ولدت مارية إبراهيم ابن النبي ﷺ في ذي الحجة فدفعه إلى أم بردة[٢] بنت المنذر الأنصارية فكانت ترضعه وزوجها البراء بن أوس الأنصاري، وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ فأرسلت أبا رافع إلى النبي ﷺ يبشره بإبراهيم فوهب له مملوكاً، وغار نساء النبي ﷺ وعظم عليهن حين رزقت مارية منه ولداً.

وفيها بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير إلى ذات اطلاح من الشام إلى نفر من قضاعة يدعوهم إلى الاسلام ومعه خمسة عشر رجلاً، فوصل إليهم فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، وكان رئيس قضاعة رجلاً يقال له: سدوس فقتلوا المسلمين ونجا عمير فتقدم إلى المدينة.

وفيها بعث أيضاً عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر من تميم فأغار عليهم وسبى منهم نساءً، وكان علىٰ عائشة عتق رقبة من بني اسماعيل، فقال لها رسول الله ﷺ: هذا سبي بني العنبر يقدم علينا فنعطيك إنساناً فتعتقيه.

---

(١) أي جامع للصدقة (م).

(٢) ذكر المؤلف في اسد الغابة عن أبي موسى قال: المشهور أن التي أرضعته أم سيف ولعلهما كانتا جميعاً أرضعتاه في وقتين وهو الصحيح (م).

ثم دخلت سنة تسع

ذكر إسلام كعب بن زهير

قيل: خرج كعب بن زهير بن أبي سُلمى، أو أبو سُلمى ربيعة المزني ومعه أخوه بجير حتى أتيا أبرق العزاف فقال له بجير: آثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل يعني رسول الله ﷺ فأسمع منه، فأقام كعب وسار بجير إلى رسول الله ﷺ فأسلم وبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك؟ هل لكا؟
سقاك بها المأمور[1] كأساروية ... فأنهلك المأمور منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته ... على أيِّ شيءٍ ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أماً ولا أبا ... عليه ولم تدرك عليه أخالكا
فإنْ أنت لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائل أما عثرت لعالكا

فلما بلغ رسول الله ﷺ قوله غضب وأهدر دمه، فكتب بذلك بجير إلى أخيه بعد عود رسول الله ﷺ من الطائف، وقال: النجاء النجاء وما أدري إنْ تتفلت ثم كتب إليه[2] إذا أتاك كتابي هذا فأسلم وأقبل إليه فإنه لا يأخذ مع الاسلام بما كان قبله، فأسلم كعب وجاء حتى أناخ راحلته بباب المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه. قال كعب: فعرفته بالصفة فتخطيت الناس إليه فأسلمتُ، وقلت: الأمان يا رسول الله هذا مقام العائذ بك. قال: من أنت؟ فقلت :كعب بن زُهَير. قال: الذي يقول ثم التفت إلى أبي بكر فقال: كيف قال؟ فأنشده أبو بكر الأبيات التي أولها. ألا أبلغا عني بجيراً رسالة. فقال كعب: ما هكذا قلت: يا رسول الله إنما قلت:

---

(١) بالراء رواية المؤلف، وروي بالنون وأثبتهما ابن هشام في سيرته (م).

(٢) أرسل اليه قصيدة ميمية رواها ابن هشام. انظر ابن هشام ١٥٨/٤ : ١٦١.

سقـاك أبـو بكـر بكـأس رويـة فـأنهلك المـأمـون منهـا وعلكـا

فقال رسول الله ﷺ: مأمون والله. فتجهمته الأنصار وأغلظت له، ولانت له قريش وأحبت إسلامه فأنشده قصيدته التي أولها:

بـانت سعـاد فقلبي اليـوم متبـول متيمٌ عنـدهـا[١] لم يفـد مكبـول

فلما انتهىٰ إلى قوله:

وقـال كـل خـليـل كـنـت آمـله لا ألهينـك إني عنـك مشغـول
فـقلت: خـلوا سبيلي لا أبـالـكـم فكـل مـا قَـدَّرَ الـرحمنُ مفعـول
كـل ابن أنثى وإنْ طـالت سلامته يـومـاً على آلـة حـدبـاء محمـول
نـبئـت أن رسـول الله أوعـدنـي والعفـو عنـد رسـول الله مـأمـول

ثم قال:

في فتيـة من قـريش قـال قـائلهم ببـطن مكـة لمـا أسلمـوا زولـوا
زالـوا فمـا زال انكـاس ولا كشف عنـد اللقـاء ولا مـيـل معـازيـل

فنظر رسول الله ﷺ إلى قريش فأومأ إليهم أن آسمعوا حتى قال:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضـرب إذا عـرد السـود التنـابيـل
لا يقـع الـطعن ألا في نحـورهـم ومـا لهم عن حياض الموت تهليل

يُعَرِّضُ بالأنصار لغلظتهم التي كانت عليه، فأنكـرت قريش قـوله وقـالوا: لم تمـدحنا إذ هجـوتهم ولم يقبلوا ذلك منه وعظم علىٰ الأنصار هجوه فشكـوه فقـال يمدحهم:

من سـره كـرم الحيـاة فـلا يـزل في مقنب[٢] من صـالحي الأنصار
ورثـوا المكارم كـابـراً عن كـابر إنّ الـخيـار هـم بـنـو الأخـيـار
الـنـاظـرون بـأعـيـن مـحـمـرة كـالجمـر غيـر كليلة الأبصـار

---

(١) الرواية المعروفة لدى شراح القصيدة وعند ارباب السيرة (اثرها) بدل عندها .

(٢) مقنب : هو الجماعة من الخيل.

البــاذلــون نفــوسـهـم ودمــاءهــم يــوم الــهيــاج وســطوة الــجبــار
يتــطهـرون يــرونــه نسكــاً لهــم بــدمــاء مـن قتـلوا[١] من الـكفـار

في أبيات. فكساه النبي ﷺ بردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بِعْنَا بردة رسول الله ﷺ فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم، وهي البردة التي عند الخلفاء الآن، وقيل: إنما أمر رسول الله ﷺ بقتله وقطع لسانه لأنه كان تشبب بأم هانىء بنت أبي طالب.

(أبو سُلْمى) بضم السين والامالة، و (المأمور) بالراء. قال بعض العلماء: أنما كره رسول الله ﷺ ذلك لأن العرب كانت تقول لكل من يتكلم بالشيء من تلقاء نفسه مأمور بالراء يريدون أنّ الذي يقول تأمرة به الجن وإنكان رسول الله ﷺ مأموراً من الله تعالى ولكنه كرهه لعادتهم فلما قال: المأمون بالنون: رضي به لأنه مأمون على الوحي، و (بجير) بالباء الموحدة المضمومة وبالجيم.

---

(١) رواية ابن هشام (علقوا) بدل (قتلوا) وهي المشهورة .

ذكر غزوة تبوك

لما عاد رسول الله ﷺ أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذي الحجة إلى رجب، أم أَمَرَ الناس بالتجهز لغزو الروم وأعلم الناس مقصدهم لبُعْد الطريق وشدة الحر وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة وَرَّىٰ بغيرها، وكان سببها أنّ النبي ﷺ بلغه أنّ هِـرَقْل ملك الـروم ومن عنده مِنْ متنصـرة العرب قـد عزمـوا على قصده فتجهـز هو والمسلمون وساروا إلى الروم، وكان الحرّ شديداً والبلاد مجدبة والناس في عسرة، وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كُـرْهٍ، فكان ذلك الجيش يسمى جيش العُسْـرَة فقال رسـول الله ﷺ للجد بن قيس ـ وكـان من رؤساء المنافقين ـ هل لك يا جد العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: والله لقد عرف قومي حُبّي للنساء وأخشى أنْ لا أصبر على نساء بني الأصفر، فإنْ رأيتَ أنْ تأذن لي ولا تفتني. فقال رسول الله ﷺ قد أذنتُ لك. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ: ائذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾[١] الآية. وقال قائل من المنافقين: لا تنفروا في الحرّ ـ زهادة في الجهاد وَشَكًّا في الحق وإرجافاً بالرسول ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾[٢] الآية.

ثم إن النبي ﷺ تجهز وأمر بالنفقة في سبيل الله وأنفق أهل الغنى وأنفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظم منها قيل: كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار، ثم إنّ رجالاً من المسلمين أتوا النبيّ ﷺ وهم البكاؤن وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، وكانوا أهل حاجة فاستحملوه فقال: لا أجدُ ما

---

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) التوبة: ٨١.

أحملكم عليه فتولوا يبكون، فلقيهم يـامين بن عمير بن كعب النضري فسألهم عما يبكيهم فأعلموه فأعطىٰ أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل المزني بعيراً فكانا يعتقبانه مع رسول الله ﷺ، وجاء المعذِّرون من الأعراب فآعتذروا إلى رسول الله ﷺ فلم يعذرهم الله، وكان عدة من المسلمين تخلفوا من غير شك، منهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة وكانوا نفر صدق لا يتهمون في اسلامهم.

فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أُبيّ المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق، واستخلف رسول الله ﷺ علىٰ المدينة سِباع بن عُرفطة، وعلى أهله عليّ بن أبي طالب فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خَلّفه إلا استثقالاً له، فلما سمع عليّ ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ فأخبره ما قال المنافقون، فقال: كذبوا وإنما خلّفتُك لما ورائي فآرجع فاخلُفني في أهلي وأهلك، أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي. فرجع علي إلى المدينة.

فسار رسول الله ﷺ ثم إن أبا خيثمة أقام أياماً فجاء يوماً إلى أهله، وكانت له امرأتان وقد رشت كل امرأة منهما عريشها وبرَّدَت له ماء وصنعت طعاماً، فلما رآه قال: يكون رسول الله ﷺ في الحر والريح وأبو خيثمة في الظل البارد والماء البارد والطعام المهيء والمرأة الحسناء في ماله مقيم! ما هذا بالنصف، والله ما أحل عريشاً منهما حتى ألحق برسول الله ﷺ. فهيأ زاده وخرج إلى ناضحه فركبه وطلب رسول الله ﷺ فأدركه بتبوك. فقال الناس: يا رسول الله هذا راكب مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة. فقالوا: هو والله أبو خيثمة. وأتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره بخبره فدعا له.

وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر وهو بطريقه وهو منزل ثمود قال لأصحابه: « لا تشربوا من هذا الماء شيئاً ولا تتوضأوا منه، وما كان من عجين فألقوه وآعلفـوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج الليلة أحدٌ إلاّ مع صاحب له »، ففعل ذلك الناس ولم يخرج أحدٌ إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته فأصابه جنون، وأما الذي طلب بعيره فاحتمله الريح إلى جبلي طيىء فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ألم أنهكم أن لا يخرج أحد إلا مع صاحب له؟ فأما الذي خنق فدعا له فشفي، وأما الذي حملته الريح فأهدته طيىء إلى رسول الله بعد عـوده إلى المدينة. وأصبح الناس بالحجر ولا

ماء معهم فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فدعا الله فأرسل سحابة فأمطرت حتىٰ روي الناس واحتملوا حاجتهم من الماء. وكان بعض المنافقين يسير مع رسول الله ﷺ، فلما جاء المطر قال له بعض المسلمين: هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارّة.

وضلت ناقة رسول الله ﷺ في الطريق فقال لأصحابه وفيهم عمارة بن حزم وهو عَقَبِيّ[١] بدري: إنّ رجلاً قال: إنّ محمداً يخبركم الخبر من السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإني والله لا أعلم إلاّ ما علّمني الله عزّ وجلّ وقد دلني الله عليها، وهي في الوادي في شِعْب كذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطَلقوا فأَتوه بها، فرجع عمارة إلى أصحابه فخبّرهم بما قال رسول الله ﷺ عن الناقة تَعَجُّباً مما رأىٰ. وكان زيد بن لصيب[٢] القينقاعي منافقاً وهو في رحل عمارة قد قال: هذه المقالة، فأخبر عمارة بأن زيداً قد قالها فقام عمارة يطأ عنقه وهو يقول: في رحلي داهية ولا أدري آخرج عني يا عدو الله مِنْ رحلي ولا تصحبني. فزعم بعض الناس أنّ زيداً تاب بعد ذلك وحسن إسلامه، وقيل: لم يزل متهماً حتى هلك.

ووقف بأبي ذر جملُه فتخلّف عليه فقيل: يا رسول الله تخلّف أبو ذر فقال: «ذروه فإن يك فيه خير فَسَيُلحقه الله بكم»فكان يقولها لكل مَنْ تخلف عنه، فوقف أبو ذر علىٰ جمله، فلما أبطأ عليه أخذ رَحْلَهُ عنه وحمله علىٰ ظَهْرِهِ وتَبعَ النبي ﷺ ماشياً، فنظر النَّاسُ فقالوا: يا رسول الله هذا رجلٌ علىٰ الطريق وحده. فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر. فلما تأمله الناس قالوا: هو أبو ذر. فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَثُ وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين. فلما نفىٰ عثمان أبا ذر إلىٰ الربذة فأصابه بها أَجَلُه ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أنْ يغسلاه ويكفناه ثم يضعاه علىٰ الطريق فأول ركب يمر بهما يستعينان بهم على دفنه ففعلا ذلك، فآجتاز بهما عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق فأعلمته آمرأة أبي ذر بموته فبكىٰ ابن مسعود وقال: صدق رسول الله ﷺ «تمشي وحدك. وتموت وحدك. وتبعث وحدك»، ثم واروه.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك فأتى يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة فصالحه علىٰ

---

(١) أي من أهل العقبة.

(٢) في الأصل: لصيت وهو غلط وصوابه بالباء الموحدة نص عليه في الإصابة.

الجزية وكتب له كتاباً فبلغتْ جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثم زاد فيها الخلفاء من بني أمية، فلما كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة وصالح أهل أذْرُح [١] على مائة دينار في كل رجب، وصالح أهل جرباء [٢] على الجزية؛ وصالح أهل مَقْنَا [٣] على ربع ثمارهم.

وأرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانياً من كندة فقال لخالد: إنك تجده يصيد البقر. فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه علىٰ منظر العين وأكيدر على سطح داره فباتت البقرة تحك بقورنها باب الحصن فقالت آمرأته: هل رأيت مثْل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، ثم نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته، ثم خرج يطلب البقر فتلقتهم خيل رسول الله ﷺ وأخذته وقتلوا أخاه حساناً، وأخذ خالد من أكيدر قباء ديباج مخوص بالذهب فأرسله إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه فقال رسول الله ﷺ: أتعجبون من هذا! لمناديل سعد بن معاذ [٤] في الجنة أحسن من هذا. وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية وخَلَّى سبيله فرجع إلى قريته.

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ولم يقدم عليه الروم والعرب المنتصرة فعاد إلىٰ المدينة، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل لا يروي إلا الراكب والراكبين بواد يقال له: وادي المشقق فقال رسول الله ﷺ: «من سبقنا فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه» فسبقه نفر من المنافقين فآستقوا ما فيه، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبروه بفعلهم فلعنهم ودعا عليهم، ثم نزل رسول الله ﷺ إليه فوضع يده تحته وجعل يصب إليها يسيراً من الماء فدعا فيه ونضحه في الوشل فآنخرق الماء جرياً شديداً فشرب الناس واستقوا. وسار رسول الله ﷺ حتى قارب المدينة فأتاه خبر مسجد الضرار فأرسل مالك بن الدخشم فحرقه وهدمه، وأنزل الله فيه ﴿وَالَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً

---

(١) أَذْرُح، اسم بلد في اطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي بلقاء وعمان.

(٢) الجرباء: موضع من اعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراء من ناحية الحجاز.

(٣) مقنا: قرية قرب أيلة.

(٤) في الأصول سعد بن عباد وهو غلط والصواب سعد بن معاذ كما في صحيح البخاري وغيره.

وَكُفْراً وتَفْرِيقاً بَيْنَ المُؤْمِنِين ﴾[١] الآيات، وكان الذين بنوه آثني عشر رجلاً وكان قد أخرج من دار خذام بن خالد من بني عمرو بن عوف.

وقدم رسول الله ﷺ وكان قد تخلّف عنه رهط من المنافقين فأتوه يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله ﷺ ولم يعذرهم الله ورسوله، وتخلّف أولئك النفر الثلاثة وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع تخلفوا من غير شك ولا نفاق فنهىٰ رسول الله ﷺ عن كلامهم فآعتزلهم الناس فبقوا كذلك خمسين ليلة؛ ثم أنزل الله توبتهم ﴿ وَعَلَىٰ الثَّلاَثَةِ الَّذِيْن خُلِّفُوا حَتَّىٰ إذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِم أَنْفُسُهُم ﴾[٢] الآيات إلى قوله (صَادِقِيْن) وكان قدوم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان.

(يامين النضري) بالنون والضاد المعجمة، و (عبد الله بن مغفل) بالغين المعجمة والفاء المفتوحة؛ و (زيد بن لصيت) باللام المضمومة والصاد المهملة وآخره تاء مثناة من فوقها[٣]، و (خذام بن خالد) بالخاء المكسورة والذال المعجمتين ، و (أُكَيْدِر) بالهمزة المضمومة والكاف المفتوحة والدال المهملة المكسورة وآخره راء مهملة .

* * *

(١) التوبة : ١٠٧ .

(٢) التوبة : ٨١ .

(٣) تقدم ص ٢٢٧ ضبطه عن ابن حجر بالباء الموحدة . ولعل ما في الإصابة خطأ وما هنا الصحيح (م) .

ذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ

وفيها قدم عُروة بن مسعود الثقفي علىٰ النبي ﷺ مسلماً، وقيل: بل أدركه في الطريق مرجعه من الطائف وسأله أنْ يرجع إلى قومه بالإسلام فقال رسول الله ﷺ «إنّهم قاتلوك». فقال: أنا أَحَبّ إليهم من أبكارهم»، ورجا أنْ يوافقوه لمنزلته فيهم، فلما رجع إلى الطائف صعد إلى علية له وأشرف منها عليهم وأظهر الإسلام ودعاهم إليه فرموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله، فقيل له؛ ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها إليّ ليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قُتِلُوا مع رسول الله فآدفنوني معهم. فلما مات دفنوه معهم، وقال: رسول الله ﷺ فيه «إنّ مَثَلَه في قومه كمثل صاحب يسّ في قومه».

* * *

ذكر قدوم وفد ثقيف

وفي هذه السنة في رمضان قَدِمَ وفد ثقيف علىٰ رسول الله ﷺ، وسبب ذلك أنّهم ائتمروا بينهم ورأوا أنّ من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا الغارات عليهم وكان أشدهم في ذلك مالك بن عوف النصري، فلا يخرج منهم مال إلا نهب ولا إنسان إلا أُخِذ. فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، والحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غيلان وهؤلاء من الأحلاف، وأرسلوا من بني مالك عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة فخرجوا حتىٰ قدموا علىٰ رسول الله ﷺ فأنزلهم في قبة في المسجد. فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم، وبين النبي ﷺ؛ وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه حتىٰ أسلموا.

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يَدَعَ الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبىٰ عليهم وكان قصدهم بذلك أنْ يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم، فنزلوا إلى شهر[1] فلم يُجِبْهُم وسألوه أن يعفيَهُم من الصلاة فقال: «لا خير في دين لا صلاة فيه». فأجابوا وأسلموا، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم لما رأىٰ من حرصه على الاسلام والتفقه في الدين، ثم رجعوا إلى بلادهم، وأرسل رسول الله ﷺ معهم المغيرة بن شعبة، وأبا سفيان بن حرب ليهدما الطاغية فخرجا مع القوم حتىٰ قَدِمَا الطائف، فتقدم المغيرة فهدمها، وقام قومه من بني شعيب دونه خوفاً أنْ يُرْمَىٰ بسهم، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها، وأخذ حليها ومالها وكان أبو مليح بن عروة بن مسعود، وقارب بن الأسود بن مسعود قدماً على رسول الله ﷺ لما قتل عروة والأسود فأمرهما رسول الله ﷺ أن يقضي منه دين عروة والأسود ابني مسعود ففعلا، وكان الأسود مات كافراً فسأل ابنه قارب بن الأسود رسول الله ﷺ أن يقضي دين أبيه، فقال: إنه كافر. فقال: يصل مسلم ذا قرابته يعني أنه أسلم فيصل أباه وإن كان مشركاً.

* * *

---

(١) في سيرة ابن هشام (فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبىٰ عليهم حتى سألوا شهراً واحداً).

ذكر غزوة طيىء واسلام عديّ بن حاتم

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر أرسل النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب في سرية إلى ديار طيىء وأمره أن يهدم صنمهم **الفلس** فسار إليهم وأغار عليهم فغنم وسبى وكسر الصنم، وكان متقلداً سيفين، يقال: لاحدهما مخذم، وللآخر رسوب فأخذهما عليّ وحملهما إلى رسول الله ﷺ، وكان الحارث بن أبي شمر أهدىٰ السيفين للصنم فعلقا عليه، وأسر بنتاً لحاتم الطائي وحملت إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فأطلقها. وأما إسلام عديّ بن حاتم فقال عديّ: جاءتْ خيلُ رسول الله ﷺ فأخذوا أختي وناساً فأتوا بهم رسول الله ﷺ فقالت أختي: يا رسول الله هلك الوالد، وغالب الوافد فآمنن عليَّ مَنّ الله عليك: فقال: ومَن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: الذي فر من الله ورسوله. فمَنّ عليها وإلى جانبه رجل قائم وهو علي بن أبي طالب قال: سليه حملاناً، فسألته فأمر لها به، وكساها وأعطاها نفقة. قال عدي: وكنت ملك طيىء آخذ منهم المرباع وأنا نصرانيّ فلما قدمتْ خيلُ رسول الله ﷺ هربتُ إلى الشام من الاسلام وقلتُ: أكون عند أهلي ديني فبينا أنا بالشام إذ جاءت أختي وأخذتْ تلومني على تركها وهربي بأهلي دونها، ثم قالت لي: أرىٰ أنْ تلحق بمحمد سريعاً فإنْ كان نبياً كان للسابق فضله، وإنْ كان ملكاً كنت في عِزٍّ وأنت أنت. قال: فقدمتُ علىٰ رسول الله ﷺ فسلمتُ عليه وعَرَّفته نفسي فآنطلق إلى بيتي فلقيْته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت: ما هذا بملك. ثم دخلتُ بيته فأجلسني على وسادة وجلس علىٰ الأرض، فقلت في نفسي: ما هذا ملك. فقال لي: يا عدي إنك تأخذ المِرْباع[1] وهو لا يحل في دينك، ولعلك إنما يمنعك من الاسلام ما ترىٰ من حاجتنا وكثرة عدونا، والله ليفيضنّ

---

(١) المرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

المالُ فيهم حتىٰ لا يوجد مَنْ يأخذه، ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ووالله لتسمعن بالقصور البيض من بابل رقد فُتِحَتْ. قال: فأسلمتُ فقد رأيتُ القصور البيض وقد فتحت؛ ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله، ووالله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يقبله أحد.

ذكر قدوم الوفود على رسول الله ﷺ

لَمّا افتتح رسول الله ﷺ مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك ضَرَبَتْ إليه وفودُ العرب مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وإنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً إذ كانوا إمام الناس، وأهل الحرم، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، لا تنكر العرب ذلك؛ وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله ﷺ وخلافه، فلما فُتِحَتْ مكة وأَسْلَمَتْ قريش عرفتْ العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته فدخلوا في الدين أفواجاً كما قال الله تعالى: ﴿ إذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحِ وَرَأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ في دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْه إنّه كَانَ تَوّاباً ﴾[١].

وقدمت وفودهم في هذه السنة:

قدم **وفد بني أسد** على رسول الله ﷺ وقالوا: أتيناك قبل أن ترسل إلينا رسولاً فأنزل الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَ تَمُنُّوا عَلَيّ إسْلاَمَكُم ﴾[٢] الآية.

وفيها قدم **وفد بلى** في شهر ربيع الأول فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي.

وفيها قدم **وفد الزاريين** وهم عشرة نفر.

وفيها قدم على رسول الله ﷺ **وفد بني تميم** مع حاجب بن زرارة بن عدس وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم، والحتات[٣] ومعتمر بن زيد في وفد عظيم ومعهم عيينة بن حصن الفزاري فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ مِنْ وراء حُجُراته أن آخرج إلينا يا محمد. فآذىٰ ذلك رسول

---

(١) سورة النصر.

(٢) الحجرات: ١٧.

(٣) بالحاء المهملة ابن يزيد، وفي الأصول بالخاء المعجمة، وهو غلط صححناه من أسد الغابة والقاموس وسيرة ابن هشام (م).

الله ﷺ، وخرج إليهم، فقالوا: جئنا نفاخِرُك، فأذنْ لشاعرنا وخطيبنا. فأذن لهم، فقام عطارد فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ، وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عدداً وأيسرهم عدة فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس: أجبْ الرجل. فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي له السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيءٌ قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أنْ جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خلقه، فكان خِيْرَة الله تعالى من العالمين، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رَحِمِه، أكرم الناس نسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق استجابة لله حين دعاه نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً والسلام عليكم، فقالوا: يا رسول الله آئذن لشاعرنا. فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البِيَع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العُرب يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزع[1]
بما ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هويا[2] ثم تصطنع
فننحر الكوم عبطاً في أرومتنا[3] ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حيّ نفاخر هم ... ألا استقادوا وكان الرأسُ يُقْتَطَعُ
إنا أبينا ولم يأب لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يفاخرنا في ذاك يعرفنا ... فيرجع القول والأخبار تستمع

قال: وكان حسان بن ثابت غائباً فدعاه رسول الله ﷺ ليجيب شاعرهم، قال حسان: فلما سمعتُ قوله قلت على نحوه:

---

(١) جمع قزعة: وهو سحاب رقيق يكون في الخريف.
(٢) أي سراعاً.
(٣) الكومة العظيمة السنام من الإبل والعبط هو من مات شاباً صحيحاً.

إنّ الـذوائب[1] من فهرٍ وإخـوتهم ... قـد بينـوا سُنَّـةً للنـاس تـتبـع
قـوم إذا حاربـوا ضروا عـدوهم ... أو حاولوا النفـع في أشياعهم نفعـوا
يـرضى بها كـل من كانت سريـرتـه ... تقـوى الإلـه وكـل البر يصـطنـع
سجيـة[2] تلك منهم غير محـدثـة ... إنّ الخلائق فـاْعلم شرهـا البـدع
إن كـان في الناس سَبَّـاقُون بعـدهم ... فـكـلُّ سَبْـقٍ لأدنىٰ سبقـهم تَـبَـع
لا يـرقـع النـاس مـا أوهت أكفهم ... عنـد الدفـاع ولا يـوهـون مـا رقعـوا
إن سـابقوا النـاسَ يـومـاً فـاز سبقهم ... أو وازنوا أهلَ مجـدٍ بالنـدى متعوا[3]
أعفـةٌ ذُكِـرَتْ في الـوحي عفتُهُـم ... لا يـطمعـون ولا يـزرى بهم طَمَـعُ
لا يبخـلون علىٰ جـارٍ بـفـضـلهـم ... ولا يـمسـهـم من مـطـمـعٍ طـبـع
إذا نـصبنـا لحي لم نـدبّ لـهـم ... كمـا يـدبّ إلى الـوحشيـة الـذرع
كـأنهم في الـوغىٰ والمـوت مكتنـع ... أسـد بحليـة في أرسـاغهـا فـدع[4]
أكـرم بقـومٍ رسـول الله شيعتـهـم ... إذا تـفـرقـت الأهـواء والـشـيـع
فـإنـهم أفـضـل الأحـيـاء كـلهـم ... إنْ جَدّ بالناس جد القول أو شمعوا[5]

فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس: إنّ هذا الرجل لمؤتى له[6] خطيبهم أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أحلىٰ من أصواتنا.

ثم أسلموا وأجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم.

وفيهم أنـزل الله تعالى ﴿ إنَّ الَّـذِينَ يُنَادُونَـكَ مِنَّ وَرَاءِ الحُجُـرَاتِ أَكْثَرُهُم لَا يَعْقِلُون ﴾[7] الآيات.

(الحتات) بالحاء المهملة وتاءين كل واحدة منهمـا معجمة بـاثنتين من فوق.

---

(١) الذوائب الأعالي وأراد به هنا السادة .

(٢) هي الغريزة والطبيعة .

(٣) أي : زادوا .

(٤) مكتنع اي : دأن قريب . والحلية اسم موضع تنسب إليه الأسود . والأرساغ جمع رسغ وهو موضع مربط القيد .

(٥) أي : ضحكوا ومزحوا .

(٦) أي : لموفق له .

(٧) الحجرات : ٤ .

و (عُيَيْنة) بضم العين المهملة وياءين كل واحدة منهما مثناة من تحت ونون.

وفيها قدم علىٰ رسول الله ﷺ **كُتُب ملوكِ حمْيَر مُقِرِّين** بالإسلام مع رسولهم الحارث بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رُعَيْن، وهمدان فأرسل إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم، وكتب إليهم رسول الله ﷺ يأمرهم بما عليهم في الإسلام وينهاهم عما حرم عليهم.

وفيها قدم **وفد بهراء** على رسول الله ﷺ فنزلوا على المقداد بن عَمْرو، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً.

وفيها قدم **وفد بني البكاء**.

وفيها قدم **وفد بني فزارة** وهم بضعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن حصن.

وفيها قدم **وفد ثعلبة بن منقذ**.

وفيها قدم **وفد سعد بن بكر** وكان وافدهم ضِمام بن ثعلبة، فسأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام وأسلم، فلما رجع إلى قومه، قال رسول الله ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة». فلما قدم على قومه اجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بِئْسَت اللات والعزى، فقالوا: اتق البَرَص، والجذام، والجنون.

فقال: ويحكم إنهما لا يضران ولا ينفعان وإنّ الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً، وقد استنقذكم به مما كنتم فيه.

وأظهر اسلامه، فما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل مشرك لا امرأة مشركة، فما سمع بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة.

ذكر حج أبي بكر رضي الله عنه

وفيها حج أبو بكر بالناس ومعه عشرون بَدَنَة لرسول الله ﷺ، ولنفسه خمس بدنات وكان في ثلاثمائة رجل، فلما كان بذي الحُلَيْفَة أرسل رسول الله ﷺ في أثره علياً وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين، فأدركه بالعرج، وأخذها منه، فعاد أبو بكر وقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل فِيَّ شيءٌ؟.

قال: لا، ولكن لا يُبَلّغ عني إلا أنا أو رجل مني، ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت

معي في الغار وصاحبي على الحوض؟ قال: بلى.

فسار أبو بكر أميراً علىٰ الموسم فأقام الناس الحج وحجَّتْ العرب الكفار علىٰ عادتهم في الجاهلية؛ وعليٌّ يؤذن ببراءة، فنادىٰ يوم الأضحى: لا يحججنَّ بعد العام مشرك، ولا يطوفنّ بالبيت عُرْيَان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فأجله إلى مُدَّتِهِ. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب، ورجع المشركون فلام بعضهم بعضاً، وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا.

وفي هـذه السنة فُرِضَت الصدقات وفـرَّق رسـولُ الله ﷺ فيهـا عُمَّـالـه على الصدقات.

وفيها في شعبان تـوفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ، وهي زوج عثمـان بن عفان وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفيـة بنت عبد المـطلب، وقيل: غسلتهـا نسوة من الأنصار. منهن أم عطية، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في حفرتها أبو طلحة.

وفيها مات عبـدالله بن أبيّ بـن سلول رأس المنافقين وكـان ٱبتداء مـرضه في شوال، ومكث عشرين ليلة، فلما توفي جاء ابنه عبدالله إلى النبي ﷺ فسأله قميصه فأعطاه فكفنه فيه، وجاء رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر في صدره وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد قال: يوم كذا وكذا. كذا وكذا يعدِّد أيامه؟ ورسول الله ﷺ يتبسم، ثم قال: أَخِّرْعني عمر قد خُيِّرتُ فٱخترتُ، قد قيل لي: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾(١) ولو علمت أنْ لو زدت على السبعين غُفر لهم لزدتُ. ثم صلى عليه وقام علىٰ قبره حتى فرغ منه.

فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبَـداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾(٢) الآية.

وفيها نعى النبي ﷺ النجاشي للمسلمين وكان موته في رجب سنة تسع، وصلىٰ عليه رسول الله ﷺ.

وفيها توفي أبو عامر الراهب عند النجاشيّ.

---

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) التوبة: ٨٤.

ذكر الأحداث في سنة عشر
ذِكر وَفْد نجران مع العاقب والسيد

وفيها أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران في شهر ربيع الآخر[١]، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً فإنْ أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام وإنْ لم يفعلوا قاتلهم، فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا فأقام فيهم وكتب إلى رسول الله ﷺ يُعْلِمه إسلامهم، وعاد خالد ومعه وفدهم، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قينان ذي الغصة، ويزيد بن عبد المدان وغيرهما فقدموا على رسول الله ﷺ ثم عادوا عنه في بقية شوال أو في ذي الحجة، وأرسل إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم وكتب معه كتاباً، وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو بن حزم على نجران.

وأما نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر إلى رسول الله ﷺ وأرادوا مباهلته[٢]، فخرج رسول الله ﷺ، ومعه علي، وفاطمة والحسن، والحسين، فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أنْ يزيل الجبال لأزالها ولم يباهلوه وصالحوه علىٰ ألفي حلة، ثمن كل حلة أربعون درهماً. وعلى أنْ يضيفوا رسل رسول الله ﷺ وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده أنْ لا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا، وشرط عليهم أنْ لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به.

فلما استخلف أبو بكر عاملهم بذلك، فلما استخلف عمر أجلىٰ أهل الكتاب عن الحجاز وأجلىٰ أهل نجران فخرج بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى نجرانية الكوفة، واشترى منهم عقارهم وأموالهم، وقيل: إنهم كانوا قد كثروا فبلغوا أربعين ألفاً

---

(١) في الطبري: إن معه سرية في أربعمائة.

(٢) في الطبري ذكر محادثة النبي إياهم فانظرها هناك.

فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر بن الخطاب وقالوا: أجلنا. وكان عمر بن الخطاب قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم فندموا بعد ذلك ثم استقالوه فأبى فبقوا كذلك إلى خلافة عثمان.

فلما ولي علي أتوه وقالوا: ننشدك الله خطك بيمينك فقال: إنّ عمر كان رشيد الأمر وأنا أكره خلافه وكان عثمان قد أسقط عنهم مائتي حلة، وكان صاحب النجرانية بالكوفة يبعث إلى مَنْ بالشام والنواحي من أهل نجران يجبونهم الحلل، فلماّ ولي معاوية، ويزيد بن معاوية شكوا إليه تفرقهم وموت من مات منهم وإسلام من أسلم منهم، وكانوا قد قلوا وأروه كتاب عثمان فوضع عنهم مائتي حلة تكملة أربعمائة حلة.

فلما ولي الحجاج العراق، وخرج عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث آتهم الدهاقين بموالاته واتهمهم معهم فردهم إلى ألف وثلاثمائة حُلّة؛ وأخذهم بحلل وشيء. فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصهم وإلْحَاح العرب عليهم بالغارة وظلم الحجاج فأمر بهم فأُحْصُوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولىٰ، فقال: أرى هذا الصلح جزية وليس علىٰ أرضهم شيء، وجزية المسلم والميت ساقطة فألزمهم مائتي حلة، فلما تولى يوسف بن عمر الثقفي ردهم إلى أمرهم الأول عصبية للحجاج، فلما استخلف السفاح عمدوا إلى طريقه يوم ظهوره من الكوفة فألقوا فيها الريحان ونثروا عليه فأعجبه ذلك من فعلهم ثم رفعوا إليه أمرهم وتقربوا إليه بأخواله بني الحارث بن كعب فكلمه فيهم عبدالله بن الحارث فردهم إلى مائة حلة، فلما ولي الرشيد شكوا إليه العمال فأمر أن يعفوا من العمال وأن يكون مؤداهم بيت المال.

وفيها قدم **وفد سلامان** في شوال وهم سبعة نفر رأسهم حبيب السلاماني. وفيها قدم **وفد غسان** في رمضان، **ووفد عامر** في شهر رمضان أيضاً. وفيها قدم **وفد الأزد** رأسهم صُرَد بن عبدالله في بضعة عشر رجلاً فأسلم وأمّره رسول الله ﷺ على من أسلم مِنْ قومه، وأمره أنْ يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين فسار إلى مدينة جرش وفيها قبائل من اليمن فيهم خثعم فحاصرهم قريباً من شهر فآمتنعوا منه فرجع حتى كان بجبل يقال له: كشر فظن أهل جرش أنه منهزم فخرجوا في طلبه فأدركوه فعطف[1] عليهم

---

(١) أي: مال عليهم.

فقاتلهم قتالاً شديداً، وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة ينظران حاله فبينما هما عنده بعد العصر إذ قال: بأي بلاد الله شكر؟

فقالا: ببلادنا جبل يقال له: كشر. فقال: إنه ليس بكشر ولكنه شكر. قالا: فما له يا رسول الله؟ قال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن. فقال لهما: أبو بكر أو عثمان: ويحكما انه ينعي لكما قومكما فقوما إلى رسول الله فآسألاه أنْ يدعو الله أنْ يرفع عنهم ففعلا، فقال: اللهم آرفع عنهم. فخرجا من عنده إلى قومهما فوجداهم قد أُصيبوا ذلك اليوم في تلك الساعة التي ذكر فيها النبي ﷺ حالهم، وخرج وفدُ جرش إلى رسول الله ﷺ حتى قدموا عليه فأسلموا.

وفيها قدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كِندة ومعانداً لهم، وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ظفرت فيها همدان وأكثروا القتلى في مراد، وكان يقال لذلك اليوم: يوم الرزم[1] وكان رئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق، وفي ذلك يقول فروة:

فإن نغلب فغلّابون قِدما ... وإن نهزم فغير مُهزَّمينا
وما إن طِبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال ... تكرّ صروفه حيناً وحينا
فبينا ما يسرّ به ويرضى ... ولو لبست غضارته سنينا
إذا انقلبت به كرات دهر ... فألفى للألى غبطوا طحينا
ومن يغبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خؤنا
فلو خلد الملوك إذن خلدنا ... ولو بقي الكرام إذن بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومي[2] ... كما أفنى القرون الأولينا

ولما توجه فروة إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لقومه قال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرِّجل خان الرِّجلَ عِرق نسَائها[3]

---

(١) موضع كان فيه يوم بين مراد وهمدان الحارث بن كعب في اليوم الذي كانت فيه وقعة بدر.
(٢) أي: أشرافهم.
(٣) النسا عرق مستبطن الفخذ، ومد للضرورة الشعرية.

يـمـمـت راحـلتـي أؤمُّ مـحـمـداً أرجو فضائلها[١] وحسن ثرائها[٢]

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له: يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم؟

فقال: يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤه ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ ذلك لا يزيد قومك في الإسلام إلاّ خيراً.

فاستعمله رسول الله ﷺ على مراد، وزبيد، ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص فكان على الصدقات، وكان معه في بلاده إلى أن توفي رسول الله ﷺ.

وفيها أرسل فروة بن عمرو الجذامي ثم النفاثي رسولاً إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزله معان في أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه فحبسوه فقال في محبسه ذلك:

طـرقت سليمى مـوهنـاً فشجـاني والـروم بين البـاب والقـروان[٣]
صـد الخيـال وسـاءه مـا قـد رأى وهممت أن أغفي وقـد أبكـانـي
لا تكحلن العين بـعـدي إثمـدا سـلمـى ولا تـدنـن لـلانسـان

فلما آجتمعت الروم لصلبه علىٰ ماءٍ لهم يقال له «عفرى» بفلسطين قال:

ألا هــل أتى سلمى بـأنّ خليلهـا علىٰ ماءِ عفرى فوق إحدى الرواحل
على نـاقـة لم يلقـح الفحـل أمّهـا مشـذبـة أطـرافهـا[٤] بـالمنـاجـل

وهذا من أبيات المعاني، فلما قدموه ليصلبوه قال:

بلغ سـراة المسلمين بـأنني سلم لـربي أعظمي ومقـامي

---

(١) وروي فواضلها اي: الراحلة.
(٢) يعني: الجود والعطية.
(٣) القروان جمع قرو وهو حوض الماء.
(٤) اي: أناموا نوماً خفيفاً.

ثم ضربوا عنقه وصلبوه.

وفيها قدم **وفد زبيد** على رسول الله ﷺ مع عمرو بن معد يكرب، وكان رسول الله ﷺ قد استعمل على زبيد ومراد فروة بن مسيك في هذه السنة قبل قدوم عمرو، فلما عاد عمرو من عند رسول الله ﷺ أقام في قومه بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو.

وفيها قدم **وفد عبد القيس** على رسول الله ﷺ وفيهم الجارود بن عمرو، وكان نصرانياً فأسلم وأسلم من معه، وكان الجارود حسن الإسلام صُلْباً على دينه حتى هلك، وكان نهى قومه عن الردة بعد موت النبي ﷺ لما ارتدوا مع الغرور، وهو المنذر بن النعمان، وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل الفتح إلى المنذر بن ساوىٰ العبديّ فأسلم وحسن إسلامه، ثم هلك بعد وفاة رسول الله ﷺ وقبل ردة أهل البحرين والعلاء أمير لرسول الله على البحرين.

وفيها قدم **وفد بني حنيفة** وفيهم مسيلمة الكذاب وكان منزله في دار ابنة الحارث امرأة من الأنصار واجتمع مسيلمة برسول الله ﷺ ثم عاد إلى اليمامة وتنبأ وتكذب لهم وادعى أنه شريك رسول الله في النبوة. فاتبعه بنو حنيفة.

وفيها قدم **وفد كندة** مع الأشعث بن قيس وكانوا ستين راكباً فقال الأشعث: نحن بنو آكل المُرَار وأنت ابن آكل المرار.

فقال النبيّ ﷺ: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمّنا[١] ولا ننتفي من أبينا[٢].

وفيها قدم **وفد محارب**. وفيها قدم وفد الرَّهاويين، وهم بطن من مذحج، و (رَهاء) بفتح الراء قاله عبد الغني بن سعيد. وفيها قدم **وفد عبس**. وفيها قدم وفد صدف وافوا رسول الله ﷺ في حجة الوَداع. وفيها قدم وفد خولان وكانوا عشرة. وفيها قدم وفد بني عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس وجبار بن سُلمى - بضم السين وبالإمالة - بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم

---

(١) أي: لا نتتبعها في نسبها بل نتبع الأباء.

(٢) أخرجه ابن ماجة رقم ٢٦١٢، أحمد ٥/٢١١ وابن عساكر ١/٢٩٦، الطبراني في الكبير ٢/٣٢١: ٧٢١، والبخاري في التاريخ الصغير ١/١١، الخطيب في تاريخ بغداد ٧/١٢٨.

وشياطينهم، وكان عامر يريد الغدر برسول الله ﷺ فقال له قومه: إن الناس قد أسلموا فأسلم. فقال: لا أتبع عقب هذا الفتى(١)، ثم قال لأربد: إذا قدمنا عليه فإني شاغله عنك فآعلُه بالسيف من خلفه، فلما قدموا جعل يكلم النبي ﷺ ويقول له: يا محمد خالِّني. فيقول النبيّ ﷺ: لا والله حتى تؤمن بالله وحده ـ قالها ثلاثاً ـ يشغله ليفتك به أربد فلم يفعل أربد شيئاً فقال عامر للنبي ﷺ: لاملأنها عليك خيلاً حمراً ورجالاً.

فلما ولي قال رسول الله ﷺ: اللهم آكفني عامراً. فلما خرجوا قال عامر لأربد: لم لا قتلته؟ قال: كلما هممت بقتله دخلتَ بيني وبينه حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، فلما كانوا ببعض الطريق أرسل الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله وإنه لفي بيت امرأةٍ سلولية(٢) فمات وجعل يقول: يا بني عامر أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

وأرسل الله علىٰ أربد صاعقةً فأحرقته، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه.

وفيها قدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فأسلموا وحسُن إسلامهم وقال رسول الله ﷺ: «ما ذُكر لي رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه»(٣).

ثم سماه زيد الخير وأقطع له فَيْد(٤) وأرضين معها؛ فلما رجع أصابته الحمىٰ بقرية من نجد فمات بها.

وفيها كتب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ يذكر أنه شريكه في النبوة وأرسل الكتاب مع رسولين فسألهما رسول الله ﷺ عنه فصدقاه فقال لهما: لولا أنّ الرسل لا تُقْتَل لقتلتكما.

---

(١) الذي في ابن جرير قال لقومه والله لقد كنت أليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي فأنا اتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد .. إلخ.

(٢) أي: من بني سلول.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦/٦.

(٤) فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة.

وكان كتاب مسيلمة: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإني قد أُشْرِكْتُ معك في الأمر وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون».

فكتب إليه رسول الله: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فالسلام على من اتبع الهدى فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

وقيل: إن دعوى مسيلمة وغيره النبوة كانت بعد حجة الوداع ومرضته التي مات فيها، فلما سمع الناس بمرضه وثب الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة باليمامة، وطُلَيْحة في بني أسد.

ذكر إرسال عليّ إلى اليمن وإسلام همدان

في هذه السنة بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فأرسل علياً وأمره أن يعقل خالداً ومَنْ شاء من أصحابه ففعل، وقرأ عليٌّ كتاب رسول الله ﷺ على أهل اليمن فأسلمتْ همدان كلها في يومٍ واحد فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام على همدان يقوله ثلاثاً.

ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله تعالى.

ذكر بعث رسول الله ﷺ أمراءه على الصدقات

وفيها بعث رسول الله ﷺ أمراءه وعماله على الصدقات، فبعث المهاجرين أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن لبيد الأنصاري[1] إلى حضرموت على صدقاتهم، وبعث عديّ بن حاتم الطائي على

---

(١) زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي يكنى ابا عبد الله. هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان يقال له مهاجري انصاري.
شهد العقبة وبدراً وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله رسول الله ﷺ على حضرموت.

صـدقات طيىء وأسـد، وبعث مالـك بن نويـرة على صدقـات بني حنظلة، وجعـل الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم على صدقات سعد بن زيد مناة بن تميم. وبعث العـلاء بن الحضرمي إلى البحـرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجـران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود، ففعل وعاد ولقي رسول الله ﷺ بمكة في حجـة الوداع، واستخلف على الجيش الذي معه رجلاً من أصحابه وسبقهم إلى النبي ﷺ فلقيه بمكة فعمد الرجل إلى الجيش فكساهم كل رجل حُلّة من البز الذي كان مع عليّ، فلما دنا الجيش خرج عليّ ليتلقاهم فرأى عليهم الحُلل فنزعها عنهم فشكاه الجيش إلى رسول الله ﷺ فقام النبي ﷺ خطيباً فقال: أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله، وفي سبيل الله.

= توفي أول ايام معاوية .

اسد الغابة ٢/٢٧٣ : ٢٧٤ .

ذكر حجة الوداع

خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة لا يذكر الناس إلا الحج، فلما كان بسرف أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدي، وكان رسول الله ﷺ قد ساق الهدي وناسٌ معه، وكان علي بن أبي طالب قد لقيه مُحْرِماً فقال له النبي ﷺ: حل كما حل أصحابك فقال: إني قد أهللت بما أهل به رسول الله فبقي على إحرامه.

ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنه وعن علي. وحجّ بالناس فأراهم مناسكهم وعلمهم سنن حجهم وخطب خطبته التي بين فيها للناس ما بين، وكان الذي يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس، فقال بعد حمد الله:

«أيها الناس: آسمعوا قولي فلعلي لا ألقاكم بعدعامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كَحُرْمَة يومكم هذا، وكل ربا موضوع «لكم رؤوس أموالكم»[1]، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كله.

وكلُّ دمٍ كان في الجاهلية موضوع، وأول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ـ وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله بنو هذيل ـ. أيها الناس إنّ الشيطان قد يئس أن يعبدَ بأرضكم هذه أبداً ولكنه رَضِيَ أن يطاعَ فيما سوىٰ ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم. أيها الناس ﴿إِنَّمَا النسيءُ زِيَادَةٌ في الكُفْرِ يُضَلُّ به الَّذِيْنَ كَفَرُوا يُحِلُّونَه عَامَا وَيُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾[2] ويحرموا ما أحل الله.

---

(١) البقرة: ٢٧٩.

(٢) التوبة: ٣٧.

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

وإنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله .

أيها الناس استوصوا بالنساء خيراً .

وهي خطبة طويلة .

وقال حين وقف بعرفة : «هذا الموقف ـ للجبل الذي هو عليه ـ ، وكل عرفة موقف» . وقال بالمزدلفة : «هذا الموقف، وكل مزدلفة موقف» . ولما نحر بمنى قال : «هذا المنحر وكل مِنَىٰ منحر» .

فقضى رسول الله ﷺ الحج ، وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها . وأرى الناس مناسكهم وعلّمهم حجهم .

ذكر عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه

وكان آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه غزوة تبوك، وجميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة. قال الواقدي: هكذا يرويه أهل العراق عن زيد بن أرقم وهو خطأ لأن زيداً غزا مؤتة مع عبدالله بن رواحة وهو رديفه علىٰ رحله ولم يغز مع النبي ﷺ غير ثلاث غزوات أو أربع.

وقيل: غزا رسول الله ﷺ ستاً وعشرين غزوة، وقيل: سبعاً وعشرين. فمن قال: ستاً وعشرين جعل غزوة خيبر ووادي القُرَىٰ واحدة لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ولكنه مضى منها إلى وادي القرىٰ ومَنْ فرق بينهما جعل غزواته سبعاً وعشرين جعل خيبر غزوة ووادي القرى غزوة.

وأول غزوة غزاها ودّان، وهي الأبواء، ثم بُواط بناحية رضوىٰ، ثم العُشَيْرة، ثم بدر الأولىٰ لطلب كرز بن جابر، ثم بدر التي قتل فيها قريشاً، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمرّ، ثم غزوة بحران بالحجاز، ثم غزوة أحد؛ ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، ثم غزوة بدر الآخِرَة، ثم غزوة دَوْمَة الجَنْدَل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المصطلق، ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة فتح مكة، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك.

قاتل منها في تسع غزوات بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

واختلف في عدد سراياه فقيل: كانت خمساً وثلاثين ما بين سرية وبَعْث، وقيل:

ثمانياً وأربعين.

وفي هذه السنة قدم جرير بن عبدالله البجلي[١] في رمضان مسلماً فبعثه إلى ذي الخلصة فهدمها، وكان من حجر أبيض بتبالة وهو صنم بجبلة، وخثعم، وأزد السراة، فلما أتى رسول الله ﷺ خبر هدمه سجد شُكْراً لله تعالى.

وفيها أسلم باذان باليمن وبعث بإسلامه إلى رسول الله ﷺ.

ذكر عدد حج النبي صلى الله عليه وسلم وعُمرِهِ

قال جابر: حج النبي ﷺ حجتين، حجة قبل أن يهاجر، وحجة بعدما هاجر معها عمرة[٢].

وقال عمر: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، وقالت عائشة أربع عمر؛ وروي مثل ذلك عن ابن عمر.

ذكر صفة النبي ﷺ وأسمائه وخاتم النبوة

قال علي بن أبي طالب: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس واللحية، شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه حمرة. طويل المسربة، إذا مشى تكفأ تكفئاً كأنما ينحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله.

وكان أدعج العينين، سبط الشعر، سهل الخدين، ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة، وإذا التفت التفت جميعاً كأن العَرَق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عَرَقِهِ وريحه.

قال أبو عبيدة وغيره: **شثن الكفين والقدمين**: يعني أنهما إلى الغِلَظ أقرب. وقوله

---

(١) جرير بن عبدالله بن جابر. وهو الشليل بن مالك الأنصاري البجلي.
اسلم جرير قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً وكان حسن الصورة وهو الذي قال فيه عمر، جرير يوسف هذه الأمة وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. ت ٥١ ـ وقيل ٥٤.
اسد الغابة ٢/٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) في ابن جرير أن النبي ﷺ حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر واخرى بعد الهجرة معها عمرة. وفي تهذيب الأسماء للنووي قال؛ ثبت في الصحيحين أن النبي اعتمر اربع عمر بعد الهجرة ولم يحج إلا حجة الوداع التي ودع الناس فيها سنة عشر.

ضخم الكراديس: يعني ألواح الأكتاف. والمسربة: الشعر ما بين السرة واللبة. والصبب: الانحدار. والدعج في العين: السواد، والسبط من الشعر: ضد الجعد. وكان بين كتفيه ﷺ خاتم النبوة وهي بضعة ناشزة حولها شعر(١).

وأما أسماؤه فهي كما قال رسول الله ﷺ: «أنا محمد، وأنا أحمد، والمقتفى، والحاشر، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، والعاقب، والماحي الذي يمحو الله به الكفر».

و (الحاشر): الذي يُحْشَر الناس على قدمه. و (العاقب): آخر الأنبياء.

وأما شعره وشيبه، فقال أنس: لم يُشِنْه الله بالشيب. وقيل كان في مُقَدّم لحيته عشرون شعرة بيضاء ولم يخضب. قال جابر بن سَمُرَة: وكان في مفرق رأسه شعرات بِيْض إذا دهنه غطاهنّ الدهن، وأخرجتْ أمّ سلمة شعره مخضوباً بالحناء والكتم. وقال أبو رمثة: كان رسول الله ﷺ يخضب وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه. وقالت أمُّ هانىء: كان له ضفائر أربع.

ذكر شجاعته ﷺ وجُوده

قال أنس: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأسمح الناس، وأحسن الناس. وقع في المدينة فزعٌ فركب فرساً عرياناً [لأبي طلحة ما عليه سرج، وعليه السيف](٢) فسبق الناس إليه فجعل يقول: أيها الناس لم تُرَاعوا لم تُـرَاعوا. وقال علي بن أبي طالب: «كنا إذا اشتد البأس آتقينا برسول الله ﷺ فكان أقربنا إلى العدو».

وكفى بهذا شجاعة أنّ مِثْل علي الذي هو هو في شجاعته يقول: هذا، وقد تقدم في غزواته ما يستدل به على تمكنه من الشجاعة وأنه لم يقاربه فيها أحد.

ذكر عدد أزواج النبي ﷺ وسراريه وأولاده

قال ابن الكلبي: إنّ النبي ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين أحدى عشرة، وتوفي عن تسع.

---

(١) وقد أفرد الترمذي كتاباً في شمائل النبي ﷺ وغيره فليراجع.

(٢) هذه علامة على ما وجد زائداً في بعض النسخ غير المطبوعة وسيأتي مثلها كثير (م).

وأول امرأة تزوجها خديجة بنت خويلد، وكان تزوجها قبله عتيق بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ومات عنها، وتزوجها بعد عتيق أبو هالة بن زرارة بن نباش بن عدي التميمي فولدت له هند بن أبي هالة ثم مات عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ فولدت له ثمانية: القاسم، والطيب، والطاهر، وعبدالله، وزينب، ورقية، وأمّ كلثوم، وفاطمة، فأما الذكور فماتوا وهم صغار، وأمّا الإناث فبلغن ونُكِحْن وولدن. ولم يتزوج على خديجة في حياتها أحداً، وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يولد له ولد من غيرها إلا إبراهيم.

فلما توفيت خديجة نكح بعدها سودة بنت زَمْعَة، وقيل: عائشة[١]، فأما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة بنت ست سنين.

وأما سودة فكانت امرأة ثيباً، وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس أخي سهيل بن عمرو، وكان من مهاجرة الحبشة، فتنصر بها ومات فخلف عليها رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان الذي خطبها عليه خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون، فدخل بسودة بمكة زوجها منه أبوها زمعة بن قيس، فلما تزوجها كان أخوها عبد بن زمعة غائباً، فلما قدم جعل يحثي التراب على رأسه فلما أسلم قال: «إني سفيه حيث فعلت ذلك»، وندم على ما كان منه.

وأما عائشة فدخل بها بالمدينة وهي ابنة تسع سنين ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكراً غيرها، وماتت سنة ثمان وخمسين.

ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خُنَيْس بن حذافة السهمي: ـ (خنيس) ـ بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة ـ وكان بدرياً ولم يشهد من بني سهم بدراً غيرهولم تلدله شيئاً، وماتت بالمدينة في خلافة عثمان. ثم تزوج بعدها أم سلمة ابنة أبي أمية زاد الركب المخزومية، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي شهد بدراً [وكان فارس القوم] وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها وتزوجها رسول الله ﷺ قبل الأحزاب وماتت سنة تسع وخمسين، وقيل: بعد قتل الحسين رضي الله عنه. ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة، ويقال

---

(١) قال ابن جرير في التاريخ: ولا خلاف بين اهل العلم بسير رسول الله ﷺ أنه بنى بسودة قبل عائشة.

لها: أم المساكين وتوفيت في حياته ولم يمت في حياته غيرها وغير خديجة بنت خويلد، وكانت زينب قبله عند الطفيل بن الحارث بن المطلب. ثم تزوج عام المريسيع جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار الخزاعية من بني المصطلق، وكانت قبله عند مسافع بن صفوان المصطلقي لم تلد له شيئاً. ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت عند عبيدالله به جحش، وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشيّ فخطبها عليه وتزوجها وهي بالحبشة، وزوجها منه خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: بل خطبها إلى عثمان بن عفان فزوجها منه وبعث فيها إلى النجاشيّ فساق منه المهر أربعمائة دينار وأرسلها إليه، وتوفيت في خلافة أخيها معاوية فلم تلد له شيئاً. ثم تزوج زينب بنت جحش وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه فلم تلد له شيئاً، فزوجها الله إياه، وبعث في ذلك جبريل، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: أنا أكرمهن ولياً وسفيراً وهي أول من توفي من أزواجه بعده، توفيت في خلافة عمر. ثم تزوج عام خيبر صفية بنتُ حيي بن أخطب وكانت قبله تحت سلّام بن مِشكم فتوفي عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فقتله محمد بن مسلمة صبراً بأمر النبي ﷺ، ثم أعتقها النبيّ ﷺ وتزوجها سنة ست، وماتت سنة ست وثلاثين. ثم تزوج ميمونة ابنة الحارث الهلالية، وكانت قبله عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ولم تلد له شيئاً ثم خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بعد مسعود، ثم رسول الله ﷺ بعده، وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وتزوجها في عمرة القضاء بسرف. ثم تزوج امرأة من بني كلاب يقال لها: شاه بنت رفاعة وقيل: هي سني ابنة أسماء بن الصلت وقيل: ابنة الصلت بن حبيب، توفيت قبل أن يدخل بها. ثم تزوج الشنباء ابنة عمرو الغفارية، وقيل: الكنانية فمات ابراهيم ابنه قبل أن يدخل بها؛ فقالت: لو كان نبياً ما مات ابنه فطلقها. ثم تزوج غزية ابنة جابر الكلابية خطبها عليه أبو أُسَيْد ـ بضم الهمزة ـ الساعدي فلما قدمت على النبي ﷺ استعاذت بالله منه ففارقها. ثم تزوج أسماء ابنة النعمان بن الأسود بن شراحيل الكندي، فلما دخل بها وجد بها بياضاً فمتعها وردها إلى أهلها، وقيل: بل استعاذت منه أيضاً فردها.

والعالية ابنة ظبيان فجمعها ثم فارقها. وقتيلة بنت قيس أخت الأشعث؛ فتوفي عنها قبل أن يدخل بها فارتدت. وفاطمة ابنة شريح وقال ابن الكلبي: غزية هي أم شريك، قال وقيل: إنه تزوج خولة ابنة الهذيل بن هبيرة وليلى ابنة الخطيم الأنصارية،

عرضت نفسها عليه فتزوجها فأخبرت قومها فقالوا: أنتَ غيور وله نساء فاستقيليه فاستقالته فأقالها ففارقها.

وأما من خطب النبي ﷺ من النساء ولم ينكحها: فمنهن أم هانىء بنت أبي طالب خطبها ولم يتزوجها. ومنهن ضباعة بنت عامر من بني قشير. ومنهن صفية بنت بشامة أخت الأعور العنبري. ومنهن أم حبيبة ابنة عمه العباس فوجد العباس أخاه من الرضاعة فتركها. ومنهن جمرة ابنة الحارث ابن أبي حارثة خطبها فقال أبوها: بها سُوء ولم يكن بها فرجع إليها فوجدها قد برصت.

وأما سراريه، فهي مارية ابنة شمعون القبطية وولدت له إبراهيم، وريحانة ابنة زيد القرطية وقيل: هي من بني النضير.

ذكر موالي رسول الله ﷺ

فمنهم زيد بن حارثة، وابنه أسامة بن زيد. وثوبان ويكنى أبا عبدالله أصله من السراة وسكن حمص بعد موت النبي ﷺ، ومات سنة سبع وخمسين، وقيل: سكن الرملة ولا عقب له. وشقران، وكان من الحبشة، وقيل: من الفرس واسمه صالح بن عدي. واختلف في أمره فقيل: إن رسول الله ﷺ ورثه من أبيه، وقيل: كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي ﷺ وأعقب.

وأبو رافع، واسمه ابراهيم، وقيل: أسلم فقيل: كان للعباس فوهبه للنبي ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ، وقيل: كان لأبي أحيحة بن سعيد بن العاص فأعتق ثلاثة من بنيه أنصباءهم منه، وشهد معهم بدراً وهم كفار وقتلوا يومئذ؛ ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه للنبي ﷺ فأعتقه، وابنه البهي واسمه رافع وأخوه عبيدالله بن أبي رافع، كان يكتب لعلي بن أبي طالب.

وسلمان الفارسي؛ وكنيته أبو عبدالله من أهل أصبهان، وقيل: من أهل رامُهرمُز[1] أصابه سبياً بعض من كلب وبِيْع من يهودي بوادي القرى فكاتب اليهودي وأعانه النبي ﷺ حتى عتق.

---

(١) مدينة مشهورة بنواحي خوزستان.

وسفينة كان لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه خدمة رسول الله ﷺ حياته. قيل: اسمه مهران، وقيل: رباح، وقيل: كان من عجم الفرس.

وأنسة يكنى أبا مسروح، وهو من مولدي السراة وكان يأذن على رسول الله ﷺ وشهد معه بدراً وأحداً والمشاهد كلها وقيل: كان من الفرس.

وأبو كبشة واسمه سليم قيل: كان من موالي مكة، وقيل: كان من مولدي أرض دوس اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه [وشهد مع رسول الله] بدراً والمشاهد كلها، وتوفي يوم استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة.

ورويقع[1] أبو مويهبة كان من مولدي مزينة فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه.

ورباح الأسود كان يأذن على رسول الله ﷺ.

وفضالة نزل الشام. ومدعم [كان عبداً لرفاعة فوهبه لرسول الله ﷺ] قتل بوادي القرى.

وأبو ضميرة قيل: كان من الفرس من ولد بشتاسب الملك فأصابه رسول الله ﷺ في بعض وقائعه فأعتقه وهو جد أبي حسين.

ويسار وكان نوبياً أصابه في بعض غزواته فأعتقه وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح رسول الله ﷺ.

ومهران مولاه حدث عن النبي ﷺ.

وكان له خَصِيّ، يقال له: مأبور أهداه له المقوقس مع مارية وسيرين، قيل: إنه الذي قُذِفَت مارية به فبعث رسول الله ﷺ علياً ليقتله فرآه خصياً، فتركه.

وخرج إليه من الطائف، وهو محاصرهم أربعة أعبد فأعتقهم منهم أبو بكرة.

ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ

ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً، وعلي بن أبي طالب أحياناً،

(١) كذا بالأصول ولم يذكر له اسم غير كنيته في كتب السير والتراجم.

وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي.

وأول مَنْ كتب له أُبَيّ بن كعب، وكتب له زيد بن ثابت، وكتب له عبدالله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ورجع إلى الإسلام يوم الفتح، وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحنظلة الأُسيِّدي ـ بضم الهمزة وتشديد الياء كذلك يقوله المحدثون وهو منسوب إلى أسيد بن عمرو بن تميم بالتشديد إجماعاً.

ذكر أسماء خيله ﷺ

قيل: أول فرس ملكه ﷺ فرس اشتراه بالمدينة من أعرابي من فزارة بعشرة أواق، [وكان اسمه الضرس] فسماه رسول الله السكب، وأول غزوة غزاها عليه أحد، [ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره] وفرس لأبي بردة بن نيار اسمه ملاوح.

وكان له فرس يدعى المرتجز وهو الفرس الذي شهد به خزيمة بن ثابت وكان صاحبه من بني مرة.

وكان له ثلاثة أفراس لزاز، والظرب، واللحيف، فأما لزاز فأهداه له المقوقس، وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء. وأما الظرب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي.

وكان له فرس يقال له: الورد أهداه له تميم الداري فوهبه النبي ﷺ لعمر بن الخطاب فحمل عليه في سبيل الله فوجده يباع.

وقيل: كان له فرس اسمه اليعسوب.

تفسير هذه الأسماء: (السكب): الكثير الجري كأنما يصب جريه صبا. (واللحيف): سمي به لطول ذَنَبه كأنه يلحف الأرض بذنبه أي يغطيها. (ولزاز): سمي به لشدة تلززه. (والظرب): سمي به لشدة خلقه سمي بالجبل الصغير. (والمرتجز): سمي به لحُسْن صهيله. (واليعسوب): سمي به لأنه أجود خيله، لأن اليعسوب الرئيس[1]

---

(١) زاد النووي في تهذيبه فرساً يقال له شنجه سابق عليه فسبق.

ذكر بغاله؛ وحميره، وإبله ﷺ

كانت له **دُلدل**، وهي أول بغلة رؤيت في الاسلام أهداها له المقوقس ومعها حمار اسمه **عُفَيْر**، وبقيت البغلة إلى زمن معاوية.

وأهدى له فروة بن عمرو بغلة، يقال لها: **فضة** فوهبها لأبي بكر، وحماره **يعفور** نفق[١] بعد منصرفه من حجة الوداع.

وأما إبله فكانت له **القصواء**، وهي التي أخذها من أبي بكر بأربعمائة درهم وهاجر عليها، وكانت من نعم بني الحريش، وبقيت مدة، وهي **العضباء**، **والجدعاء** أيضاً، قال ابن المسيب: كان في طرف أذنها جدع، وقيل: لم يكن بها جدع.

وأما لقاحه، فكان له عشرون لِقحة بالغابة، وهي التي أغار عليها القوم يأتي لبنها أهله كل ليلة، وكان له لقاح غزار منهن: الحناء، والسمراء والعريس والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والرياء، ومهرة، والشقراء[٢]. وأما منائحه فكانت له سبع منائح من الغنم: عجرة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورشة، وأطلال، وأطراف[٣]. وسبعة أعنز يرعاهن أيمن بن أم أيمن.

تفسير هذه الأسماء (عُفَيْر): تصغير ترخيم الأعفر وهو الأبيض بياضاً غير خالص، ومنه أيضاً اسم حماره يعفور كأخضر ويخضور. (البغام) صوت الإبل، ومنه البغوم، والباقي لا يحتاج إلى شرح[٤].

ذكر أسماء سلاحه ﷺ

كان له «ذو الفقار» غَنِمَه يوم بدر، وكان لمنبه بن الحجاج، وقيل: لغيره.

وغنم من بني قينقاع ثلاثة أسياف، سيفاً قلعياً، وسيفاً يدعى «بتارا»، وسيفاً يدعى «الحتف».

---

(١) أي: مات.

(٢) قال في تاريخ الخميس وكانت له لقحة تدعى بردة؛ اهداها له الضحاك بن سفيان (م).

(٣) وكانت له شاة يختص بشرب لبنها تدعى «غيثة» ويقال غوثة (م).

(٤) ولم ينقل أنه أقتنى من البقر شيئاً.

وفي سيرة اليعمري انه كان له ديك ابيض (م).

وكان له «المخذم»، و «رسوب».

وقدم معه المدينة سيفان شهد بأحدهمابدراً يسمى «العضب».

وكان له ثلاثة أرماح وثلاثة قسي: قوس اسمه الروحاء، وقوس يدعى البيضاء، وقوس نبع يدعى الصفراء.

وكان له درع يقال لها: الصعدية، وكان له درع. يقال لها: فضة غنمها من بني قينقاع، وكان له درع تسمى ذات الفضول كانت عليه يوم أُحُد. هي وفضة. وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش فكرهه رسول الله ﷺ، فأصبح وقد أذهبه الله عز وجل.

تفسير هذه الأسماء: سمي السيف (ذو الفقار) لحفِر فيه. (والسيف المخذم): القاطع .(والرسوب): الذي يمضي في الضربة ويثبت فيها.

ذكر أحداث سنة إحدى عشرة

في المحرم من هذه السنة بعث النبي ﷺ بعثاً إلى الشام وأميرهم أسامة بن زيد مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتكلم المنافقون في إمارته وقالوا: أمّر غلاماً على جلة المهاجرين والأنصار!

فقال رسول الله ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وإنه لخليقٌ للامارة، وكان أبوه خليقاً لها».

وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون. منهم أبو بكر، وعمر، فبينما الناس على ذلك ابتدأ برسول الله ﷺ مرضه.

ذكر مرض رسول الله ﷺ ووفاته

ابتدأ برسول الله ﷺ مرضه أواخر صفر في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة فجمع نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة ووصلت أخبار بظهور الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة باليمامة، وطليحة في بني أسد وعسكر بسَمِيراء[1]، وسيجيء ذكر أخبارهم إن شاء الله تعالى، فتأخر مسير أسامة لمرض رسول الله ﷺ، ولخبر الأسود العنسي، ومسيلمة فخرج النبي ﷺ عاصباً رأسه من الصداع، فقال: «إنّي رأيتُ [فيما يرى النائم أنّ] في عضديَّ سوارَيْين من ذهب [فكرهتُهما] فنفختهما فطارافأولتهمابكذاب اليمامة، وكذاب صنعاء، وأمر بإنفاذ جيش أسامة وقال: «لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وخرج أسامة، فضرب بالجَرْف[2] العسكر وتمهل الناس وثقل رسول الله ﷺ،

---

(١) منزل بطريق مكة بعد توز مصعداً وقبل الحاجز.

(٢) هو مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال من جهة الشام.

ولم يشغله شدة مرضه عن إنفاذ أمر الله فأرسل إلى نَفَرٍ من الأنصار في أمر الأسود فأصيب الأسود في حياة رسول الله ﷺ قبل وفاته بيوم؛ فأرسل إلى جماعة من الناس يحثهم على جهاد من عندهم من المرتدين.

وقال أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ: ايقظني رسول الله ﷺ ليلة، وقال: إني قد أُمِرْتُ أن أستغفر لأهل البقيع [فانطلق معي]. فانطلقتُ معه فسلّم عليهم، ثم قال: «ليهنئكم ما أصبحتم فيه قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم [يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى]» ثم قال: «قد أوتيتُ مفاتيح خزائن الأرض والخلد بها، ثم الجنة وخُيِّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي». ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبُدِيء بمرضه الذي قبض فيه. قالت عائشة: فلما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعاً [في رأسي] وأنا أقول: وارأساه. قال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه. ثم قال: ما ضرك لو مِتِّ قبلي فقمتُ عليك وكفنتك وصليتُ عليك ودفنتك؟ فقلت: كأني بك - والله لو فعلت ذلك - فرجعت إلى بيتي فعرست ببعض نسائك فتبسم وتتامّ به وجعه، وتمرض في بيتي فخرج منه يوماً بين رجلين، أحدهما الفضل بن العباس، والآخر علي قال الفضل: فأخرجته حتى جلس على المنبر [ثم قال نادِ بالناس فاجتمعوا إليه] فحمد الله، وكان أول ما تكلم به النبي ﷺ أن صلىٰ على أصحاب أُحُد فأكثر وآستغفر لهم، ثم قال:

أيها الناس ان قد دنا[1] مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقِدّ منه ومن كنت شتمتُ له عرضاً، فهذا عِرْضِي فليستقِدّ منه، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش الشحناء من قِبَلي فإنها ليست من شأني.

ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ مني حقاً إن كان له أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس [وقد أرى أن هذا غير مغن عني حتى أقوم فيكم مرارا].

ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع إلى المنبر فعاد لمقالته الأولى فآدعى عليه رجل بثلاثة دراهم فأعطاه عوضها، ثم قال:

---

(١) كذا بالأصول وفي الطبري أيضاً كذلك والتركيب غير ظاهر والأشبه أن يكون اصله (أنه قد كان مني حقوق) . (م) .

أيها الناس من كان عنده شيء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم، ثم قال:

إنّ عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فآختار ما عنده. فبكى أبو بكر وقال: فديناك بأنفسنا وآبائنا. فقال رسول الله ﷺ: لا يبقين في المسجد باب إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أحداً أفضل في الصحبة عندي منه، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام. ثم أوصىٰ بالأنصار فقال:

يا معشر المهاجرين أصبحتم تـزيدون وأصبحت الأنصـار لا تزيـد. والأنصار عيبتي[١] التي أويت إليها فأكرِموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم.

قال ابن مسعود: نعىٰ إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفـراق جَمَعَنا في بيت عائشة فنظر إلينا فشدد ودمعت عيناه، وقال: « مرحباً بكم، حياكم الله، رحمكم[٢] الله، آواكم الله ،حفظكم الله، رفعكم الله، وفقكم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، واستخلفه عليكم، وأؤديكم إليه أني لكم منه نذير وبشير أن لا تعلوا علىٰ الله في عباده وبلاده فإنه قال لي ولكم: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيْدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنِ﴾[٣] قلنا: فمتى أجلك؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله، وسدرة المنتهى، والرفيق الأعلى، وجنة المأوى. فقلنا: مَنْ يغسّلك؟ قال: أهلي [الأدنى فالأدنى] قلنا: فيم نكفنك؟ قال: في ثيابي [هذه إن شئتم] أو في بياض. قلنا: فمن يصلي عليك؟ قال: مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً. فبكينا وبكى، ثم قال: [إذا غسلتموني وكفنتموني] فضعوني علىٰ سريري [في بيتي هذا] علىٰ شفير قبري ثم اخرجوعني ساعة ليصلي عليّ جبريل، وإسرافيل، وميكائيل، ومَلَك الموت مع الملائكة، ثم آدخلوا عليَّ فوجاً فوجاً فصلوا عليّ ولا تؤذوني بتزكية ولا رنة[٤] [ولا صيحة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال

---

(١) أي خاصتي وموضوع سري .

(٢) في المطبوعة بدون م.

(٣) القصص : ٨٣ .

(٤) أي : صيحة على الميت .

أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد] آقرؤا أنفسكم مني السلام، ومن غاب من أصحابي فاقرؤه مني السلام ومن تابعكم على ديني فأقرؤه السلام(١).

قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جرت دموعه على خديه: اشتد برسول الله ﷺ مرضه ووجعه فقال: آئتوني بدواة وبيضاء اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: إن رسول الله ﷺ يُهجر فجعلوا يعيدون عليه فقال: دعوني فما أنافيه خير مما تدعونني إليه فأوصىٰ [بثلاثٍ] أن يخرج المشركون من جزيرة العرب، وأنْ يجازى الوفد بنحو مما كان يجيزهم، وسكت عن الثالثة عمد أوقال: نسيتها، وخرج علي بن أبي طالب من عند رسول الله ﷺ في مرضه، فقال الناس: كيف أصبح رسول الله؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده العباسُ بن عبد المطلب، فقال: أنت بعد ثلاث عبد العصا، وإنّ رسول الله ﷺ سيُتَوَفّىٰ في مرضه هذا، وأني لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب فآذهبإلى رسول الله ﷺ فآسأله فيمن يكون هذا الأمر فإن كان فينا علمناه وإنْ كان في غيرنا أمره فأوصىٰ بنا. فقال علي: لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس أبداً، والله لا أسألها رسول الله ﷺ [أبداً] قال: فما اشتد الضحى حتى توفي رسول الله ﷺ.

قالت عائشة: قالت أسماء بنت ﷺ عميس: ما وجعه إلا ذات الجنب فلو لددتموه(٢) ففعلوا فلما أفاق قال: لم فعلتم هذا؟ قالوا: ظننا أنّ لك ذات الجنب. قال: لم يكن الله ليسلطها عليّ: ثم قال: لا يبقىٰ أحدٌ في البيت إلا لَدّ وأنا انظر إلا عَمِيَ، وكان العباس حاضراً ففعلوا.

قال أسامة: لما ثقل رسول الله ﷺ هبطتُ أنا ومَنْ معي إلى المدينة فدخلنا عليه وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ فعلمتُ أنه يدعو لي قالت عائشة: وكنت أسمع رسول الله ﷺ يقول كثيراً: إنّ الله لم يقبض نبياً حتى يخيره. قالت؛ فلما آحتُضِرَ كان آخر كلمة سمعتُها منه وهو يقول: « بل الرفيق الأعلى » قالت قلت: إذاً والله لا يختارنا. وعلمتُ أنه تخير.

---

(١) لا يصح.

(٢) اللدود هو بالفتح من الأدوية ما يسقاه المريض في احدى شقي الفم ولديد الفم جانباه. النهاية.

ولما اشتد مرضه آذنه بلال بالصلاة فقال: « مُروا أبـا بكر فليصـل بالنـاس ». قالت: عائشة: فقلت: أنه رجلٌ رقيق وإنه متىٰ يقم مقامك لا يطيق ذلك. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقلت: مثل ذلك فغضب وقال: إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس. فتقدم أبو بكـر فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ خِفَّة، فخرج بين رجلين فلمادنا من أبي بكر تأخر أبو بكر فأشار إليه أنْ قم مقامك فقعد رسول الله ﷺ يصلي إلى جنب أبي بكر جالساً، فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبي، والناس يصلون بصلاة أبي بكر. وَصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة؛ وقيل: ثلاثة أيام، ثم إنّ رسول الله ﷺ خرج في اليوم الذي توفي فيه إلى الناس في صلاة الصبح، فكاد الناس يفتتنون في صلاتهم فَرَحاً برسول الله ﷺ، وتبسم رسول الله ﷺ فرحاً لما رأى من هيئتهم في الصلاة. ثم رجع وانصرف الناس وهم يظنون أنّ رسول الله ﷺ قد أفاق من وجعه ورجع أبو بكر إلى منزله بالسُّنح.

قالت عائشة: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء يُدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: « اللهم أعنيّ على سكرات الموت. قال: ثم دخل بعض آل أبي بكر وفي يده سواك فنظر إليه نظراً [عرفت أنه يريده] فأخذته فلينته ثم ناولته إياه فاستن به [كأشد ما رأيته يستن بسواك قبله] ثم وضعه ثم ثَقُـلَ في حِجْري قـالت: فذهبتُ أنظر في وجهه وإذا بَصَرُهُ قد شَخَصَ وهو يقول: « بل الرفيق الأعلى ». فقبض. قالت: توفي وهو بين سَحْرِي ونَحْري[١] فمن سَفَهِي وحداثة سِنِّي أنّ رسول الله ﷺ قُبِضَ في حجري فوضعتُ رأسه على وسادة وقمتُ التدم مع النساء وأضرب[٢] وجهي.

ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: واكرباه فتقول فاطمة: واكربي لكربك يا أبتي. فيقول رسول الله ﷺ « لا كرب على أبيك بعد اليوم »، فلما رأى شدة جزعها استدناها وسارَّها فبكت، ثم سارَّها الثانية فضحكت، فلما توفي رسول الله سألتها عائشة عن ذلك قال: أخبرني أنّه ميّت فبكيّت، ثم أخبرني أنّي أول أهله لُحُوقا به فضحكتُ. ورُوِيَ عنها أنهـا

---

(١) السحر الرئة والنحر أعلى الصدر وهمابفتح أولهماوسكون ثانيهما والمعنى انه مات ﷺ وهو مستنداً ﷺ الى صدرها وما يحاذي سحرها منه (م).

(٢) عزاه ابن كثير في البداية (٤/ ٤٧٧ ـ السيرة) إلى أحمد في المسند.

قالت: ثم سارّني الثاني وأخبرني أنِّي سيدة نساء أهل الجنة فضحكتُ. وكان موته يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، ودفن من الغد نصف النهار، وقيل: مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول.

ولما توفي كان أبو بكر بمنزله بالسنح وعمر حاضر فلما توفي قام عمر فقال: « إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله ﷺ توفي وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعَنّ رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنّه مات. وأقبل أبو بكر وعمر يكلم الناس [ولم يلتفت إلى شيء حتى دخل] على رسول الله ﷺ وهو مُسَجًّى[1] في ناحية البيت [عليه بُـرْد حبرة] فكشف عن وجهه، ثم قبّله وقال: بأبي أنت وأمي طَيِّبٌ حيا وميتاً، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد مِتَّهَا، ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس، فأمره بالسكوت فأبىٰ [إلا أنْ يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل] علىٰ الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « أيها الناس مَنْ كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت ». ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا محمدٌ إلاّ رَسُولٌ قد خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُسُلُ أفإنْ مَاتَ أو قُتل آنقلبتُم علىٰ أعقابِكم، ومَنْ ينقلبْ عَلىٰ عقبَيْه فَلَن يَضُرَّ الله شيئاً وسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِيْن ﴾[2] قال: فوالله لكأن الناس ما سمعوها إلا منه. قال عمر: فوالله ما هو إلا إذ سمعتُها فعُقِرت حتى وقعتُ علىٰ الأرض ما تحملني رجلاي وقد علمت أن رسول الله ﷺ قد مات.

ولما توفي رسول الله ﷺ ووصل خبره إلى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية استخفى عتاب وارتجّت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمر وعلىٰ باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا إليه فقال: « يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من آرتد، والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ فلقد رأيته قائماً مقامي هذا وحده وهو يقول: قولوا معي: لا إله إلا الله تدين لكم العرب؛ وتؤدي إليكمَ العَجَم الجزية، والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله ،فمن بين مستهزىء ومصدّق فكان ما رأيتم، والله ليكونن الباقي » فامتنع الناسُ من الردة، وهذا المقام الذي قاله رسول الله

---

(١) اي : مغطى .
(٢) آل عمران ٤٣ .

ﷺ لما أسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطاب وقد ذكر هناك[1].

* * *

(١) ينبغي للناظر إلى مثل هذه الواقعة في تاريخ المسلمين ألا يفسرها بحال الناس في تكالبهم على الدنيا . . كلا ، فالأمر يختلف عند هؤلاء ، فالأنصار عندما آثروا إخوانهم المهاجرين بما في أيديهم بشهادة كتاب الله تعالى : ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ لم يفعلوا ذلك ابتغاء دنيا وقد شهد الله لهم أنهم قد تخلصوا من شح أنفسهم إذ قال عقب ذلك ﴿ وَمَنْ يوقَ شُحَّ نفسه . . . ﴾، فلا يظن بالأنصار بعد أن باعوا الدنيا بالآخرة، تركوا العاجلة للآجلة أن يقبلوا بعد ذلك على طلب الدنيا ـ بطلب الخلافة ـ وانتزاعهم من إخوانهم المهاجرين كلا والف كلا . . فإنك إنْ حللت مواقف القوم فعليك أن تفهم أحوالهم النفسية، والذي يظهر أنّ الصحابة كانوا ينظرون إلى الخلافة باعتبارها رتبة فيها زيادة قُرْب من الله تعالى وزيادة فضل في الدين، أليس الخليفة هو خليفة رسول الله ، وهم الذين كانوا يتنافسون على بصقته وماء وضوءه وفضل شعره .
فالذي يظهر أنّ الأنصار قد ظنوا أنهم ببذلهم للاسلام كل ما بذلوه قد استحقوا عند الله تعالى أن يقرّبهم إليه أكثر بهذه الرتبة ـ الإيمانية ـ وهي الخلافة ومن هنا جلسوا يتشاورون ، في ذلك وهم لا يعلمون بالنص الشرعي (الأئمة من قريش) فإذا ما علموا أعرضوا عن ذلك وسلموا لله ورسوله .

ولو كانوا يبتغون عَرَض الحياة الدنيا ما توقف بهم الأمر عند معرفة هذا النص بل لانساقوا في اللجاجة والجدال ـ والله أعلم .

حديث السقيفة وخلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه

لما تُوفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة: فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر، وأبو عبيدة بن الجراح فقال: ما هذا؟ فقالوا: مِنَّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء. ثم قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة. فقال عمر: أيكم يطيب نفساً أن يخلف قدمين قَدَّمَهُمَا النبي ﷺ فبايعه عمر وبايعه الناس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً. قال: وتخلف علي، وبنو هاشم، والزبير؛ وطلحة عن البيعة وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يُبايع علي. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة، وقيل: لما سمع عليٌّ بيعة أبي بكر خرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عَجِلاً حتى بايعه ثم استَدْعَىٰ إزاره ورداءه فتجلله. والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر، والله أعلم، وقيل: لما اجتمع الناس علىٰ بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف: فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان؟ علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حيّ من قريش؟ ثم قال لعليّ: أبسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلا فأبىٰ عليّ عليه السلام عليه فتمثل بشعر المتلمس:

ولن يقيم علىٰ خسف يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يَبكي له أحد

فزجره عليّ وقال: والله إنك ما أردتَ بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيتَ للاسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك.

وقال ابن عباس: كنت أقرىء عبد الرحمن بن عوف القرآن فحج عمر وحججنا

معه فقال لي عبد الرحمن: شهدتُ أمير المؤمنين اليوم بمنى وقال له رجل: سمعتُ فلاناً يقول: لو مات عمر لبايعتُ فلاناً. فقال عمر: إني لقائم العشية في الناس أحذّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وهم الذين يغلبون علىٰ مجلسك وأخاف أن تقول مقالةً لا يعوها ولا يحفظوها، [ولا يضعوها على مواضعها] ويطيروا بها [كل مطير] ولكن أمهل حتى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ فتقول ما قلت [متمكناً] فيعوا مقالتك. فقال: والله لأقومن بها أول مقام أقومه بالمدينة، قال:

فلما قدمت المدينة هَجَّرتُ يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن، فلما جلس عمر علىٰ المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثم قال بعد أن ذكر الرجم وما نسخ من القرآن فيه: إنّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعتُ فلاناً فلا يغرنَّ آمرءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك ولكن الله وقىٰ شرها وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ وإنّ علياً، والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلف عنا الأنصار [بأسرها] وآجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلتُ له: آنطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار. فآنطلقنا نحوهم فلقينا رجلان صالحان من الأنصار أحدهما عويم بن ساعدة[١]، والثاني معن بن عدي[٢] [وكانا شهدا بدراً] فقالا لنا: ارجعوا اقضوا أمركم بينكم. [فقلنا والله لنأتينهم] قال: فأتينا الأنصار وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة وبين أظهرهم رجل مزمّل[٣] قلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة. [فقلت: ما شأنه؟ قالوا:] وجع. فقام رجلٌ منهم فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: أما بعد فنحن الأنصار، وكتيبة الاسلام، وأنتم يا معشر قريش رهطٌ بيننا وقد دفَّت إلينا دافةٌ من قومكم فإذا هم يريدون أنْ يغصبونا الأمر.

---

(١) عويم بن ساعدة بن قيس الأنصاري الأوسي. شهد عويم العقبات الثلاثة بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات في خلافة عمر بن الخطاب اسد الغابة ٤/٣١٦.

(٢) معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن بضعة البلَوي.
شهد العقبة وبدراً واحداً والخندق وسائر المشاهد كلها ولا عقب له.
اسد الغابة ٥/٢٣٨.

(٣) المزمل: من التف بثوبه.

فلما سكت وكنتُ قد زوّرتُ[١] في نفسي مقالةً أقولُها بين يدي أبي بكر؛ فلما أردتُ أنْ أتكلم قال أبو بكر على رِسْلِكَ[٢]. [فكرهتُ أنْ أعصِيَه] فقام فحمد الله وما ترك شيئاً كنتُ زورتُ في نفسي إلاّ جاء به أو بأحسنَ منه وقال: « يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون فضلاً إلا وأنتم له أهلٌ، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش[٣]، هم أوسط العرب داراً أو نسباً، وقد رضيتُ لكم أحد هٰذين الرجلين ـ وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وإني والله ما كرهتُ من كلامه كلمةً غيرها إنْ كنتُ أقَدَّمُ فتضرب عنقي فيما لا يُقرِّبُني إلى إثم أحب إليّ من أن أؤمَّر علىٰ قوم ٍ فيهم أبو بكر.

فلما قضىٰ أبو بكر كلامه قام منهم رجلٌ فقال: أنا جذيلها المحكك وعُـذيقها المرجّب[٤] منا أميرٌ ومنكم أمير. وارتفعت الأصوات وكثر اللغط فلما خفتُ الاختلاف قلتُ لأبي بكر: آبسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه الناس، ثم نزونا[٥] على سعد بن عبادة، فقال قائلهم: قتلتم سعداً. فقلت قتل الله سعداً[٦] وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من بيعة أبي بكر خشيتُ إنْ فارقتُ القومَ ولم تكن بيعة أنْ يُحْدِثُوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم علىٰ ما لا نرضىٰ به وإما أن نخالفهم فيكون فساداً.

وقال أبو عمرة الأنصاري[٧]: لما قُبض النبي ﷺ آجتمعت الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الأمر وكان مريضاً، فقال بعد أن حمد الله : « يا معشر الأنصار لكم سابقةٌ [في الدين] وفضيلةٌ [في الإسلام] ليستْ لأحد من العرب، إنّ محمداً ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة يـدعوهم [إلى عبـادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان] فما آمن به إلا القليل ما كانوا يقدرون على منعه، ولا على إعزاز دينه،

---

(١) أي : هيأتُ .

(٢) اي : تمهل .

(٣) لقوله ﷺ : « الأئمة من قريش » .

(٤) هذا مثل لمن كان يستشفي برأيه وعقله . والجذيل تصغير الجذل وهو اصل الشجرة . والمحكك الذي تحكك به الابل الجرباء وهو عود ينصب في مبارك الإبل تتمرس به الابل الجرباء (م) .

(٥) أي : وثبنا وأسرعنا .

(٦) ينبغي أن ينزّه الصحابة وعمر رضي الله عنهم عن مثل هذا السخف وهم الذين افتدوا دينهم بـأنفسهم وأموالهم.

(٧)ما أظن هذه الرواية تصح ابداً ، فلينظر في أسانيدها .

ولا علىٰ دفع ضيم حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة [وخصّكم بالنعمة] ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه حتىٰ آستقامت العرب لأمر الله طَوْعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً، فدانت لرسوله بأسيافكم العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض، [وبكم] قرير العين، استبِدّوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دونهم » فأجابوه بأجمعهم أن قد وُفِّقت وأصبت الرأيَ، ونحن نوليك هذا الأمر فإنك مقنع ورضاً للمؤمنين.

ثم إنهم ترادوا الكلام [بينهم فقالوا: فإن] أبىٰ المهاجرون من قريش وقالوا: نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته وأولياؤه [فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده] فقالت طائفة منهم: فإنا نقول: منا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً. فقال سعد: هذا: أول الوهن وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبي ﷺ وأبو بكر فيه فأرسل إليه أن آخرج إليّ فأرسل إليه إني مشتغل، فقال عمر: قد حدث أمرٌ لا بد لك من حضوره فخرج إليه فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عبيدة. قال عمر: فأتيناهم وقد كنتُ زَوّرت كلاماً أقوله لهم، فلما دنوت أقول أسكتني أبو بكر وتكلم بكل ما أردت أن أقول فحمد الله، وقال: إنّ الله قد بعثَ فينا رسولاً [إلى خلقه] وشهيداً علىٰ أمته ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتىٰ من حجر، وخشب فعظم علىٰ العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه [والإيمان به] والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشَنِفَ[1] الناس لهم، فهو أولَ مَن عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم الاظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الاسلام رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، [وفيكم جلة أزواجه وأصحابه] فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم

---

(١) شنف ـ كفرح : البغض والتنكر .

فإنّ الناس في ظِلّكم، ولن يجترىء مجترىء علىٰ خِلافِكُم، ولا يصدر [الناس] إلا عن رأيكم، أنتم أهل العِزّ [والثروة]، وأولو العدد والمنعة، وذوو البأس [والنجدة]، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم [رأيكم، وينتقض عليكم] أمركم، أبىٰ هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع آثنان [في قرن] والله لا ترضىٰ العربُ أنْ تؤمركم ونبينا من غيركم، ولا تمتنع العرب أنْ تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة على من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته(١).

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار آملكوا علىٰ أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإنْ أبوا عليكم [ما سألتموه] فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان الناس لهذا الدين، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عَرينة الأسد. والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: إذاً ليقتلك الله فقال: بل إياك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم أوّل من نصر [وآزر] فلا تكونوا أوّل من بَدَّل وغَيّر، فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار إنا والله وإنْ كنا أولىٰ فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في [هذا] الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا، فما ينبغي أنْ نستطيل علىٰ الناس بذلك، ولا نبتغي به [من] الدنيا عَرَضاً إلا أن محمداً ﷺ مِنْ قريش وقومه أولىٰ به، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً فآتقوا الله ولا تخالفوهم [ولا تنازعوهم]

فقال أبو بكر: هذا عمر، [وهذا] أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولىٰ هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين، وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة، وهي أفضل دين المسلمين، [فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك؟] آبسط يدك نبايعك. فلما ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُبَاب بن المنذر عَقَقْتَ عقاقاً [ما أحوجك إلى ما صنعتَ] أنفستَ على ابن عمك الامارة!

---

(١) وهذا أيضاً ينظر في أسانيده.

فقال: لا والله ولكني كرهتُ أنْ أنازع القوم حقاً جعله الله لهم، ولَمَّا رأتْ الأوسُ ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض وفيهم أُسَيْد بن حُضير، وكان نقيباً: والله لئن وَلِيَتْها الخزرج مرة لا زالتْ لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم [معهم] فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر. [فقاموا إليه] فبايعوه فٱنكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، ثم تحول سعد بن عبادة إلى داره فبقى أياماً وأرسل إليه [أن أقبل] فبايعه فإنّ الناس قد بايعوا، فقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي [من نبلي] وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني ولو اجتمع معكم الجن والانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي[١]، فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال بشير بن سعد: إنه قد لج وأبىٰ ولا يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته [فٱتركوه] ولا يضركم تركه، وإنما هو رجل واحد فتركوه وجاءت أسلم فبايعت فقويَ أبو بكر بهم وبايع الناس بعد.

قيل: إن عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعضَ يوم، وليسوا في جماعة[٢] قال الزهري: بقي عليّ، وبنو هاشم، والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها فبايعوه[٣] فلما كان الغد من بيعة أبي بكر جلس علىٰ المنبر وبايعه الناس بيعة عامة، ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: « أيها الناس قد وُلِّيْتُ عليكم، ولستُ بخيركم فإنْ أحسنتُ فأعينوني وإنْ أسأتُ فقوموني، الصدق أمانة. والكذب خيانة، والضعيف فيكم

---

(١) حاشا لله ان يقول ذلك وهو الذي أقر بأن الأئمة من قريش، وما كان له ان يستحل دم امرء مسلم لأجل عرض من الدنيا.

(٢) كما خافوا وقوع الفتنة والفرقة .

(٣) قال ابن كثير (٤/٤٩٦ السيرة) ومن تأمل ما ذكرناه ظهر أجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر ، وظهر برهان قوله عليه السلام : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وظهر له ان رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس ، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من اهل السنة ولا لعلي كما تقوله طائفة من الرافضة .

ولكن اشار اشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل الى الصديق كما قدمنا. أهـ

وقد بسط شيخ الإسلام بن تيمية هذه القضية في كتابه « منهاج السنة النبوية » .

قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إنْ شاء الله تعالى، لا يدع أحدٌ منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله.

(أُسَيْد بن حُضير) بضم الهمزة وبالحاء المهملة المضمومة وبالضاد المعجمة وآخره راء.

* * *

ذكر تجهيز النبي ﷺ ودفنه

فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ، ودُفِنَ يوم الثلاثاء، وقيل: بقي ثلاثة أيام لم يدفن والأول أصح. وكان الذي وَلِيَ غسله عليّ، والعباس، والفضل، وقثم ابنا العباس، وأسامة بن زيد؛ وشقران مولى رسول الله ﷺ وحضرهم أوس بن خولي الأنصاري وكان بدرياً، وكان العباس وابناه يقلبونه، واسامة، وشُقران يصبون الماء وعليّ يغسله، وعليه قميصه وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً. ولم يُر من رسول الله ﷺ ما يُرىٰ من ميت. واختلفوا في غسله في ثيابه أومجرداً، فألقى الله عليهم النوم، ثم كلمهم مكلم لا يدرى من هو أن غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ففعلوا ذلك.

وكفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب. ثوبين صحاريين. وبرد حبرة أُدْرِجَ فيها إدراجاً، وآختلفوا في موضع دفنه فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبيٌّ إلا دفن حيث قبض» فرفع فراشه ودفن موضعه، وحفر له أبو طلحة الأنصاري لحداً، ودخل الناس يصلون عليه أرسالاً. الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان، ثم العبيد، ودفن ليلة الأربعاء، وكان الذي نزل قبره علي بن أبي طالب، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران، وقال أوس بن خولي الأنصاري: لعليّ أنشدك الله وحظنا من رسول الله ﷺ فأمره بالنزول، فنزل، وكان المغيرة بن شعبة يدّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ ويقول: ألقيتُ خاتمي في قبره عمداً فنزلتُ لآخذها، وسأل ناسٌ من أهل العراق علياً عن ذلك، فقال: كذب المغيرة أحدثنا عهداً به قثم بن العباس،

واختلفوا في عمره يوم مات. فقال ابن عباس، وعائشة، ومعاوية وابن المسيب: كان عمره ثلاثاً وستين سنة، وقال ابن عباس أيضاً ودغفل بن حنظلة: كان عمره خمساً وستين سنة، وقال عروة بن الزبير : كان عمره ستين سنة.

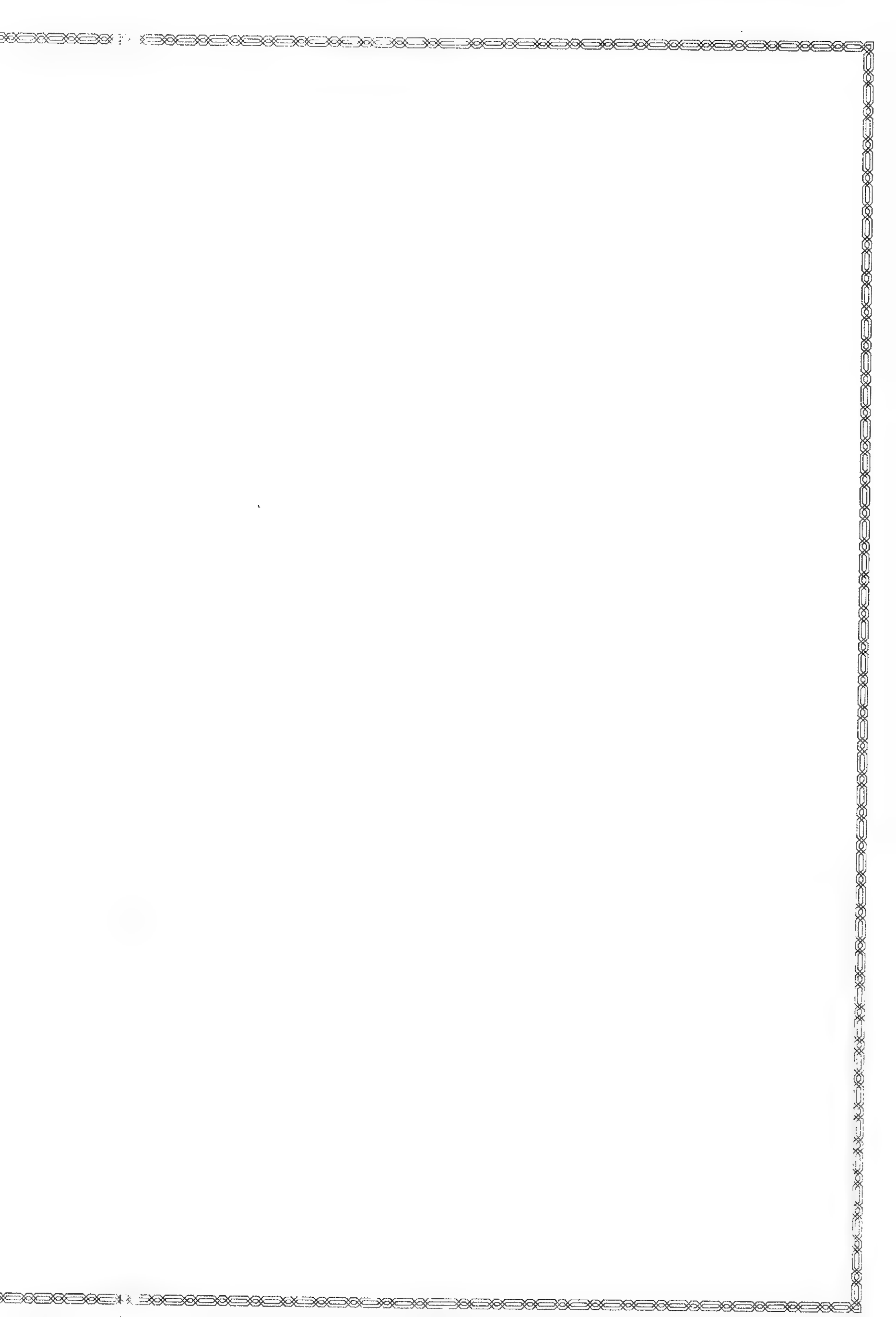
الخُلَفَاءُ الراشدين

خِلافَـــة

أبي بكر الصِّـــدِّيق

رضي اللَّهُ عنه وأرضاه

(سنة ١١ هـ : ١٣ هـ)



ذكر إنفاذ جيش أسامة بن زيد

قد ذكرنا استعمال النبي ﷺ أسامة بن زيد على جيش وامره بالتوجه إلى الشام ـ وكان قد ضرب البعث على أهل المدينة ومَنْ حولها وفيهم عمر بن الخطاب، فتوفي النبي ﷺ ولم يسر الجيشُ وارتدّت العربُ إمّا عامة أو خاصة من كل قبيلة وظهر النفاقُ واشرأبت يهود والنصرانية، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة لفقد نبيّهم وقِلَّتِهم وكثرة عدوِّهم، فقال الناس لأبي بكر: « إنّ هؤلاء ـ يعنون جيش أسامة ـ جند المسلمين، والعربُ على ما ترىٰ قد انتقضت بك فلا ينبغي أنْ تفرّق جماعة المسلمين عنك ».

فقال أبو بكر: « والذي نفسي بيده لو ظننتُ أنّ السِّبَاع تختطفني لأنفذتُ جيش أسامة كما أَمَر النبيُّ ﷺ». فخاطبَ الناسَ وأمرهم بالتجهز للغزو، وأنْ يخرج كلُّ مَنْ هو مِنْ جيش أسامة إلى معسكره بالجُرْف. فخرجوا كما أمرهم، وحبس أبو بكر مَنْ بقي مِنْ تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم فصاروا مسايح حول قبائلهم وهم قليل.

فلما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل أسامةُ عمرَ بن الخطاب ـ وكان معه في جيشه إلى أبي بكر يستأذنه أنْ يرجع بالناس، وقال: « إنّ معيَ وجوه الناس وجُلَّتَهُم ولا آمَنُ على خليفةِ رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أنْ يتخطفهم المشركون ». وقال مَنْ مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب: «إنّ أبا بكر خليفة رسول الله ألا فامضِ فأبلغه عنا واطلب إليه أنْ يوليَ أمرنا أقدم سِنًّا من أسامة».

فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبي بكر فأخبره بما قال أسامة، فقال: « لو خطفتني الكلابُ والذئابُ لأنفذتُه كما أمر به رسولُ الله ﷺ، ولا أرد قضاءً قضىٰ به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرىٰ غيري لأنفذتُه ».

قال عمر: « فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة ».

فوثب أبو بكر ـ وكان جالساً ـ وأخذ بلحية عمر، وقال: « ثكلتك أُمُّك يـا بن الخطاب. . . استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله »! ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم، وأشخصهم[1] وشيّعهم وهو ماش وأسامة راكب، فقال له أسامة : « يا خليفة رسـول الله : لتركبنّ أو لأنزِلن ». فقال: « والله لا نزلتَ ولا أركب، وما عليّ أن أغبّر قدميَّ ساعة في سبيل الله! فإنّ للغازي بكلِ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له، وسبعمائة سيئة تمحى عنه».

فلما أراد أن يرجع قال لأسامة : إنْ رأيت أنْ تُعِيْنَنِي بعمر فٱفعل فأذِن له. ثم وصاهم، فقال: لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلّوا[2]، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تقعروا نخلاً وتحرقـوه، ولا تقطعـوا شجرة مثمـرة، ولا تـذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً [إلا لمأكلة]. وسوف تمرون بـأقوامٍ قـد فرَّغُـوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له، وسوف تَقْدُمُون علىٰ قوم [يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فٱذكروا آسم الله عليها، وتلقون أقواماً] قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصـائب فٱخفقـوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا بآسم الله [اقناكم الله بالطعن والطاعون]. وأوصى أسامة أن يفعل ما أمر به رسول الله ﷺ فسار وأوقع بقبائل من ناس قضاعة التي آرتدت وغنم، وعاد وكانت غيبته أربعين يوماً، وقيل: سبعين يوماً. وكـان إنفاذ جيش أسـامة أعـظم الأمور نفعـاً للمسلمين، فإنّ العرب قالوا: لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكَفُّوا عن كثيرٍ مما كانوا يريدون أن يفعلوه.

* * *

---

(١) أي : أخرجه .

(٢) الغلول أخذ الشيء من الغنيمة قبل القسمة خفية قال تعالى : ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ (آل عمران ١٦١) .

ذكر أخبار الأسود العنسي باليمن

واسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسي بالنون، وعنس بطن من مَذِحج، وكان يلقب «ذا الخمار» لأنه معتماً متخمراً أبداً، وكان النبي ﷺ قد جمع لباذان حين أسلم وأسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه، وأمّره على جميع مخاليفه فلم يزل عاملاً عليه حتى مات، فلما مات باذان فرّق رسول الله ﷺ أمراءه في اليمن فآستعمل عمرو بن حزم على نجران، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزبيد، وعامر بن شهر على همدان، وعلىٰ صنعاء شهر بن باذان، وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة، وعلى مأرب أبا موسى، وعلى الجَنَد[٢] يعلى بن أمية، وكان معاذ معلماً يتنقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت، واستعمل علىٰ أعمال حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله أو المهاجر، فآشتكى رسولُ اللهِ ﷺ فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر فمات رسول الله ﷺ، وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت.

وكان أول من اعترض الأسود الكاذب شهر، وفيروز، وداذويه، وكان الأسود العنسي لما عاد رسول الله ﷺ من حجة الوداع وتمرض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك فآدعىٰ النبوة، وكان مشعبذاً يريهم الأعاجيب، فاتبعته مَذِحج، وكانت ردة الأسود أول ردة في الاسلام على عهد رسول الله ﷺ، وغزا نجران، فأخرج عنها عمرو بن حزم، وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فروة بن مسيك. وهو علىٰ مراد فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شهر بن باذان فلقيه فقتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج معاذ هارباً حتى لحق بأبي موسىٰ وهو بمأرب فلحقا بحضرموت. ولحق بفروة من تم على إسلامه من مَذحِج، واستتب للأسود ملكُ اليمن، ولحق أمراء اليمن إلى الطاهر بن أبي

هالة إلّا عمراً وخالداً فإنهما رجعا إلى المدينة والطاهر [يومئذ] بجبال عك وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والاحساء إلى عدن، واستطار أمره كالحريق وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً سوى الركبان واستغلظ أمره، وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب، وكان خليفته علىٰ جنده قيس بن عبد يغوث. وأمر الأبناء إلى فيروز وداذويه، وكان الأسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله، وهي ابنة عم فيروز . وخاف من بحضرموت من المسلمين أنْ يبعث إليهم جيشاً أو يظهر بها كذابٌ مثل الأسود فتزوج معاذ إلى السكون فعظفوا عليه.

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين كتابُ النبي ﷺ يأمرهم بقتال الأسود فقام معاذ في ذلك، وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبي ﷺ وبر بن يحنس الأزديّ، قال جشنس الديلمي فجاءتنا كتب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله إما مصادمة أو غيلة يعني إليه وإلى فيروز وداذويه وأن نكاتب من عنده دين، فعملنا في ذلك. فرأينا أمراً كثيفاً، وكان قد تغير لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إن قيساً يخاف على دمه فهو لأول دعوة فدعوناه وأبلغناه عن النبي ﷺ فكأنما نزلنا عليه من السماء فأجابنا وكاتبنا الناس فأخبره الشيطان شيئاً من ذلك فدعا قيساً أن شيطانه يأمره بقتله لميله إلى عدوه. فحلف قيسٌ لأنت أعظم في نفسي مِنْ أن أُحَدِّثَ نفسي بذلك.

ثم أتانا فقال: يا جشنس، ويا فيروز؛ ويا داذويه فأخبَرَنا بقول الأسود، فبينا نحن معه يحدثنا إذا أرسل إلينا الأسود فتهددنا، فآعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نكد وهو مرتاب بنا ونحن نحذره فبينا نحن على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شهر، وذي زود وذي مران، وذي الكلاع، وذي ظلم يبذلون لنا النصر فكاتبناهم وأمرناهم أنْ لا يفعلوا شيئاً حتى نبرم أمرنا وإنما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبي ﷺ، وكتب أيضاً إلى أهل نجران فأجابوه، وبلغ ذلك الأسود وأحس بالهلاك قال: فدخلت على آزاد وهي امرأته التي تزوجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان فدعوتها إلى ما نحن عليه وذكّرتها قتل زوجها شهر وإهلاك عشيرتها وفضيحة النساء فأجابت وقالت: والله ما خلق اللّهُ شخصاً أبغض إليّ منه ما يقوم لله على حق ولا ينتهي عن مُحَرّم فأعلِمُوني أمركم أخبركم بوجه الأمر. قال: فخرجتُ وأخبرتُ فيروز، وداذويه، وقيساً، قال: وإذ قد جاء رجلٌ فدعا قيساً إلى الأسود فدخل في عشرة من مذحج، وهمدان فلم يقدر علىٰ قتله معهم وقال له: ألم أخبرك الحق

وتخبرني الكذب؟ إنه يعني شيطانه ـ يقول لي: إن لا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك.

فقال قيس: أنه ليس من الحق أنْ أهلك وأنت رسولُ الله فمُرْني بما أحببت أو آقتلني فموتة أهون من موتات، فرقّ له وتركه، وخرج قيس فمر بنا وقال: آعملوا عملكم ولم يقعَد عندنا، فخرج علينا الأسود في جمعٍ فقمنا له وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير فنحرها ثم خلاها، ثم قال: أحق ما بلغني عنك يا فيروز وبوأ له الحربة لقد هممت أن أنحرك. فقال: لقد اخترتنا لصهرك وفضلتنا [على الأبناء فلو لم تكن نبياً لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ الدنيا والآخرة.

فقال له: اقسم هذه فقسمها ولحق به، وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له: أنا قاتله غداً وأصحابه ثم آلتفت فإذا فيروز فأخبره بقسمتها ودخل الأسود ورجع فيروز فأخبرنا الخبر فأرسلنا إلى قيس فجاءنا فآجتمعنا على أنْ أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها فأتيتها فأخبرتها فقالت: هو متحرز. وليس من القصر شيءٌ إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت فإنّ ظهره إلى مكان كذا وكذا فإذا أمسيتم فآنقبُوا عليه فإنكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء وستجدون فيه سِرَاجاً وسلاحاً.

فتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازله فقال: ما أدخلك عليّ؟ ووجـأ رأسي حتى سقطت، وكان شديداً، فصاحت المرأة فأدهشته [عني ولولا ذلك لقتلني] وقالت: جاءني ابن عمي زائراً ففعلتَ به هذا!! فتركني، فأتيت أصحابي فقلتُ النجاء الهرب وأخبرتهم الخبر، فإنّا على ذلك حيارىٰ إذ جاءنا رسولها يقول: لا تدعن ما فارقتك عليه فلم أزل به حتى اطمأن. فقلنا لفيروز: ائتها فتثبت منها. ففعل فلما أخبرته قال: ننقب على بيوت مبطنة، فدخل فآقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر فدخـل عليها الأسـود فأخذته غيرة فأخبرته برضاع وقرابة منها محرم، فأخرجه فلما أمسيناعملنـا في أمرنـا وأعلمنا أشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين فنقبنا البيت [من خارج] ودخلنا وفيه سراج تحت جفنة واتقينا بفيروز كان أشدنا فقلنا: انظر ماذا ترى؟ فخرج ونحن بينه وبين الحرس [معه في مقصورة] فلما دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً والمرأة قاعدة؛ فلما قام على باب أجلسه الشيطان وتكلم على لسانه وقال: ما لي ولك يا فيروز؟ فخشي إن رجع أنْ يهلك وتهلك المرأة فعاجله وخالطه وهـو مثل الجمل فأخذ برأسه فقتله ودق عنقه ووضع ركبته في ظهره فدقه. ثم قام ليخـرج فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله، فقال: قد قتلته وأرحتك منه، وخرج

فأخبرنا فدخلنا معه فخار كما يخور الثور فقطعت رأسه بالشفرة. وآبتـدر الحرس المقصورة يقولون ما هذا؟

فقالت المرأة: النبي يوحىٰ إليه فخمدوا، وقعدنا نأتمر بيننا فيروز. وداذويه. وقيس كيف نخبر أشياعنا؟ فاجتمعنا على النداء فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذي بيننا وبين أصحابنا ففزع المسلمون. والكافرون، ثم نادينا بالأذان فقلت: أشهد أن محمداً رسول الله. وأنّ عيهلة كذاب. وألقينا إليهم رأسه، وأحاط بنا أصحابه وحرسه وشنوا الغارة وأخذوا صبياناً كثيرة وانتهبوا فنادينا أهل صنعاء من عنده منهم فأمسكه ففعلوا، فلما خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلاً فراسلونا وراسلناهم على أن يتركوا لنا ما في أيديهم ونترك ما في أيدينا ففعلنا ولم يظفروا منا بشيء وترددوا فيما بين صنعاء ونجران وتراجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم، وكان يصلي بنا معاذ بن جبل وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بخبره وذلك في حياته وأتاه الخبر من ليلته وقدمت رسلنا وقد توفي رسول الله ﷺ فأجابنا أبو بكر، قال ابن عمر: أتى الخبر من السماء إلى النبي ﷺ في ليلته التي قتل فيها فقال: قتل العنسي قتله رجلٌ مبارك من أهل بيتٍ مباركين، قيل: من قتله؟ قال: قتله فيروز.

قيل: كان أول أمر العنسي إلى آخره ثلاثة أشهر، وقيل: قريب من أربعة أشهر، وكان قدوم البشير بقتله في آخرربيع الأول بعد موت النبي ﷺ فكان أول بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة. قال فيروز: لما قتلنا الأسود عاد أمرنا كما كان وأرسلنا إلى معاذ بن جبل فصلىٰ بنا ونحن راجون مؤملون لم يبق شيء نكرهه إلا تلك الخيول من أصحاب الأسود فأتى موت النبي ﷺ فانتقضت الأمور واضطربت الأرض.

(العنسي) بالعين والنون.

وفي هذه السنة ماتت فاطمة بنت النبي ﷺ [ليلة الثلاثـاء] لثلاث خلون من رمضان. وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها، وقيل: توفيت بعد النبي ﷺ بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر. وغسلها عليّ وأسماء بنت عميس وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، ودخل قبرها العباس وعليّ والفضل بن العباس.

وفيها توفي عبد الله بن أبي بكر الصديق، وكان أصابه سهم بالطائف وهـو مع

النبي ﷺ رماه به أبو محجن [ودمل الجرح] ثم انتقض عليه فمات في شوال. وفي هذا العام الذي بويع فيه أبو بكر ملك يزدجرد بلاد فارس. وفيه أعني سنة إحدى عشرة اشترى عمر بن الخطاب مولاه أسلم بمكة من ناس من الأشعريين.

* * *

ذكر أخبار الردة

قال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أن الله منّ علينا بأبي بكر أجمعنا علىٰ أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون؛ وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم، فوالله ما رضيَ منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية. فأما الخطة المخزية فأنْ يُقِرُّوا بأنّ مَنْ قُتِل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة، وأن يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم، وأنّ ما أخذوا منا مردود علينا وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم.

وأما أخبار الردة فإنه لما مات النبي ﷺ وسيّر أبو بكر جيش أسامة آرتدتْ العربُ وتضرمتْ الأرضُ ناراً وآرتدتْ كلُّ قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمر مسيلمة وطليحةوآجتمععلى طليحة عَوَامّ طيىء، وأسد، وارتدت غطفان تبعاً لعيينة بن حصن فإنه قال: «نبيٌّ من الحليفين ـ يعني أسداً وغطفان ـ أحبّ إلينا من نبي من قريش، وقد مات محمد وطليحة حيٌ» فآتبعه وتبعته غطفان، وقدمتْ رسلُ النبي ﷺ من اليمامة وأسد وغيرهما وقد مات فدفعوا كتبهم لأبي بكر وأخبروه الخبر عن مسيلمة وطليحة فقال: لا تبرحوا حتى تجيءرسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم، فكان كذلك وقدمت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان بانتقاض العرب عامة وخاصة وتسلطهم على المسلمين.

فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم بالرسل فردّ رسلهم بأمره وأتبع رسلهم رسلاً وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة، فكان عمالُ رسول الله ﷺ علىٰ قضاعة وكلب امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي، وعلى القين عمرو بن الحكم، وعلى سعد هذيم معاوية الوالبي فآرتد وديعة الكلبي فيمن تبعه وبقي امرؤ القيس علىٰ دينه، وارتد زميل بن قطبة القيني وبقي عمرو، وآرتد معاوية فيمن اتبعه من سعد هذيم، فكتب أبو بكر

إلى امرىء القيس وهو جد سكينة بنت الحسين فسار بوديعة إلى عمرو فأقام لزميل والي معاوية العذري وتوسطت خيل أسامة ببلاد قضاعة فشنّ الغارة فيهم فغنموا وعادوا سالمين.

* * *

ذكر خبر طُلَيْحة الأسدي

وكان طليحة بن خويلد الأسدي من بنيَ أسد بن خزيمة قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ فوجّه إليه النبي ﷺ ضرار بن الأزور عاملاً علىٰ بني أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئاً فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه، فكثر جمعه، ومات النبي ﷺ وهم على ذلك، فكان طليحة يقول: إنّ جبريل يأتيني وسَجَعَ للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: «إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيئاً. آذكروا الله، آعبدوه قياماً» إلى غير ذلك.

وتبعه كثير من العرب عصبيةً، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد، وغطفان، وطيىء فسارت فزارة وغطفان إلى جنوب طيبة، وأقامت طيىء على حدود أراضيهم، وأسد بسميراء، واجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرة بالأبرق من الربذة، واجتمع إليهم ناس من بني كنانة. فلم تحملهم البلاد فآفترقوا فرقتين أقامت فرقة بالأبرق وسارت فرقة إلى ذي القَصة، وأمدهم طليحة بأخيه حبال فكان عليهم وعلى من معهم من الدئل وليث ومدلج، وأرسلوا إلى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة.

فقال أبو بكر: والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه، وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة [مع الصدقة] وردهم، فرجع وفدهم فأخبروهم بقلة مَنْ في المدينة، وأطمعوهم فيها، وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد علىٰ انقاب المدينة علياً، وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذي حسي ليكونوا لهم رداءاً فوافوا ليلاً الأنقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم، وارسلوا إلى أبي بكر بالخبر، [فأرسل إليهم أبو بكر أن آلزموا أماكنكم ففعلوا]، فخرج في أهل المسجد

على النواضح فردوا العدو وآتبعوهم حتى بلغوا ذا حسي ، فخرج عليهم الردُء بانحاءٍ قد نفخوها و[جعلوا] فيها الحبال ثم دهـدهوهـا [بأرجلهم] على الأرض فنفـرت إبل المسلمين ، وهم عليها [ولا تنفر من شيء نفارها من الانحاء] ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم ، [ولم يصب] .

وظن الكفار بالمسلمين الوهن وبعثوا إلى أهل ذي القَصَّة بالخبر فقدموا عليهم ، وبات أبو بكر [ليلته يتهيأ] يعبي[١] الناس ، وخـرج على تعبئة يمشي وعلى ميمنتـه النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن ، وعلىٰ أهل الساقة سويد بن مقرن [معه الركـائب] ، فما طلع الفجـر إلا وهم والعدو علىٰ صعيـدٍ واحد ، فمـا شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم علىٰ عَامّة ظهرهم وقتل رجال ، وآتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصّة[٢] ، وكان أول الفتح ، ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع إلى المدينة فذل له المشركون .

فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم [كل قتلة ، وفعل مَنْ وراءهم فعلهم] فحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة وآزداد المسلمون قوة وثباتاً [على دينهم في كل قبيلة ، وآزداد لها المشركون آنعكاساً من أمرهم في كل قبيلة] وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقة الناس ، منهم صفوان ، والزبرقان بن بدر ، وعدي بن حاتم وذلك لتمام ستين يوماً من مخرج أسامة ، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام ، وقيل : كانت غزوته وعوده في أربعين يوماً ، فلما قدم أسامة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهرهم ، ثم خرج فيمن كان معه فناشده المسلمون ليقيم فأبىٰ وقال : « لأواسينكم بنفسي ، وسار إلى ذي حسي وذي القَصّة حتىٰ نزل بالأبرق فقاتل من به ، فهزم الله المشركين وأخذ الحطيئة أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر . وأقام أبو بكر بالأبرق أيـاماً وغلب علىٰ بني ذبيـان وبلادهم وحماها لدوابِّ المسلمين وصدقاتهم . ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا إلىٰ طليحة وهو ببزاخة وكان رحل من سميراء إليها فأقام عليها ، وعاد أبو بكر إلىٰ المدينة .

فلما استراح أسامة وجنده ـ وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليهم ـ قطع

---

(١) أي : يعبيء .
(٢) ماء في أجا لبني طريف .

أبو بكر البعوث وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء، عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة. وعقد للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي، ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح ومن أعانه من أهل اليمن عليهم، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت. وعقد لخالد بن سعيد وبعثه إلى [الحمقتين من] مشارف الشام. وعقد لعمرو بن العاص وأرسله إلى قضاعة، وعقد لحذيفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دَبَا، وعقد لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه في عمله. وبعث شرحبيل بن حَسَنة في أثر عكرمة بن أبي جهل وقال: إذا فرغ من اليمامة فألحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة. وعقد لمعن بن جابر وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن. وعقد لسويد بن مُقَرِّن وأمره بتهامة باليمن، وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين. ففصلت الأمراء من ذي القصة ولحق بكل أمير جنده وعهد إلى كل أمير، وكتب إلى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الاسلام ويحذّرهم، وسيّر الكتب إليهم مع رسله.

ولما انهزمت عبس وذبيان ورجعوا إلى طليحة ببزاخة أرسل إلى جديلة والغوث من طيىء يأمرهم باللحاق به فتعجل إليه بعضهم وأمروا قومهم باللحاق بهم فقدموا على طليحة وكان أبو بكر بعث عديّ بن حاتم قبل خالد إلى طيىء واتبعه خالداً وأمره أن يبدأ بطيىء، ومنهم يسير إلى بزاخة ثم يثلث بالبطاح ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له، وأظهر أبو بكر للناس أنه خارج إلى خيبر بجيش حتى يلاقي خالداً يرهب العدو بذلك، وقدم عدي على طيىء فدعاهم وخوّفهم فأجابوه، وقالوا له: استقبل الجيش فأخِّره عنا حتى نستخرج مَنْ عند طليحة منا لئلا يقتلهم فاستقبل عدي خالداً [وهو بالسنح] وأخبره بالخبر فتأخّر خالد، وأرسلت طيىء إلى أخوانهم عند طليحة، فلحقوا بهم فعادت طيىء إلى خالد بإسلامهم، ورحل خالد يريد جديلة فاستمهله عدي عنهم، ولحق بهم عدي يدعوهم إلى الإسلام فأجابوه، فعاد إلى خالد بإسلامهم ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم، وكان خير مولود [ولد] في أرض طيىء وأعظمه بركة عليهم.

وأرسل خالد بن الوليد عكّاشة بن محصن، وثابت بن أقرم الأنصاري طليعة

فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة، فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتاً ورجعا وأقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتاً قتيلين فجزع لذلك المسلمون وانصرف بهم خالد نحو طيىء فقال له طيىء: نحن نكفيك قيساً فإنّ بني أسد حلفاؤنا، فقال: قاتلوا أيّ الطائفتين شئتم. فقال عدي بن حاتم: لو نزل هذا على الذين هم أسرتي الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه، والله لا أمتنع عن جهاد بني أسد لحلفهم. فقال له خالد: إنّ جهاد الفريقين جهاد، لا تخالف رأي أصحابك وآمض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط، ثم تعبىء لقتالهم ثم سار حتى ٱلتقيا على بُزاخة وبنو عامر قريباً يتربصون على من تكون الدائرة؛ قال: فٱقتتل الناس علىٰ بزاخة، وكان عيينة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة، فقاتلوا قتالاً شديداً وطليحة متلفف في كسائه يتنبأ لهم، فلما اشتدت الحرب كرّ عيينة على طليحة، وقال له: هل جاءك جبريل بعد؟ قال لا. فرجع فقاتل ثم كرّ على طليحة فقال له: لا أبالك أجاءك جبريل؟ قال: لا. فقال عيينة: حتى متى؟ قد والله بلغ منا.

ثم رجع فقاتل قتالاً شديداً ثم كرّ على طليحة فقال: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم. قال: فماذا قال لك؟ قال قال لي: إن لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه. فقال عيينة: قد علم الله أنه سيكون حديثٌ لا تنساه، انصرفوا يا بني فزارة فإنه كذّاب. فٱنصرفوا وانهزم الناس، وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لأمرأته النوار، فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال: يا معشر فزارة مَنْ استطاع أن يفعل هكذا وينجو بٱمرأته فليفعل.

ثم انهزم فلحق بالشام، ثم نزل على كلب فأسلم حين بلغه أن أسداً وغطفان قد أسلموا ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر، وكان خرج معتمراً [في إمارة أبي بكر] ومر بجنبات المدينة فقيل: لأبي بكر هذا طليحة. فقال: ما أصنع به قد أسلم.

ثم أتىٰ عمر فبايعه حين استُخلف فقال له: أنت قاتل عكاشة وثابت والله لا أحبك أبداً. فقال: يا أمير المؤمنين ما يهمك من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما. فبايعه عمر وقال له: [يا خدع] ما بقى من كهانتك؟ فقال: نفخة أو نفختان [بالكير] ثم رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق.

ولما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة بن حصن فقدم به على أبي بكر فكان

صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدوّ الله أكفرتَ بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما آمنت بالله طرفة عين فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه، وأخذ من أصحاب طليحة رجل كان عالماً به فسأله خالد عما كان يقول: فقال: إنّ مما أتى به «والحمام واليمان، والصرد الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغن ملكنا العراق والشام» قال: ولم يؤخذ منهم سبي لأنهم كانوا قد أحرزوا حريمهم فلما انهزموا أقروا بالاسلام خشية على عيالاتهم فأمنهم.

(حِبَال) بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف لام، و (ذو القَصّة) بفتح القاف والصاد المهملة، و (ذو حُسى) بضم الحاء المهملة والسين المهملة المفتوحة و (دَبا) بفتح الدال المهملة وبالباء الموحدة و (بُزاخة) بضم الباء الموحدة وبالزاي والخاء المعجمة.

ذكر ردة بني عامر، وهوازن، وسليم

وكانت بنو عامر تقدِّم إلى الردة رجلاً وتؤخر أخرى، وتنظر ما تصنع أسد، وغطفان، فلما أحيط بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم كان قرة بن هبيرة في كعب ومن لافها، وعلقمة بن علاثة في كلاب ومن لافها، وكان أسلم ثم ارتد في زمن النبي ﷺ ولحق بالشام بعد فتح الطائف، فلما توفي النبي ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب، فبلغ ذلك أبا بكر فبعث إليه سريّة عليها القعقاع بن عمرو ـ وقيل: بل قعقاع بن سور ـ وقال له: لتغير على علقمة لعلك تقتله أو تستأسره.

فخرج [في تلك السرية] حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح إلا مستعداً فسابقهم على فرسه فسبقهم [مراكضة] وأسلم أهله وولده، وأخذهم القعقاع، وقدم بهما علىٰ أبي بكر فجحدوا أنْ يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر عنهم أنهم فارقوا دارهم وقالوا له: ما ذنبنا فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم، ثم أسلم فقبل ذلك منه.

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بُزاخة يقولون: ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله وأتوا خالداً فبايعهم على ما بايع أهل بزاخة وأعطوه بأيديهم على الاسلام، وكانت بيعته (عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله ولتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة

وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم) فيقولون: نعم، ولم يقبل من أحد من أسد وغطفان وطيىء وسليم وعامر ألا أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثّلوا وعَدُوا علىٰ الإسلام في حال رِدَّتِهِم فأتوه بهم فمثّل بهم، وحرقهم، ورضخهم بالحجارة، ورمىٰ بهم من الجبال، ونكسهم في الآبار، وخزق بالنبال، وأرسل إلى أبي بكر يعلمه ما فعل، وأرسل إليه قرة بن هبيرة ونفراً معه موثقين وزهير أيضاً.

وأما أم زِمل فاجتمع فلال غطفان، وطيىء، وسليم، وهوازن وغيرها إلى أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر وكانت أمها أم قِرفة بنت ربيعة بن بدر، وكانت أم زمل قد سبيت أيام أمها أم قِرفة، وقد تقدمت الغزوة. فوقعت لعائشة فأعتقتها، ورجعت إلى قومها وارتدت؛ واجتمع إليها الفل فأمرتهم بالقتال وكثف جمعها وعظمت شوكتها، فلما بلغ خالداً أمرها سار إليها فاقتتلوا قتالاً شديداً أول يوم، وهي واقفة على جمل كان لأمها وهي في مثل عزها فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها، وقتل حول جملها مائة رجل، وبعث بالفتح إلى أبي بكر.

وأما خبر الفجاءة السلمي واسمه إياس بن عبد ياليل فإنه جاء إلى أبي بكر، فقال له: أعِنّي بالسلاح أقاتل به أهلَ الردة. فأعطاه سلاحاً وأمّره أمرة فخالف إلى المسلمين، وخرج حتى نزل بالجواء وبعث نخبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين، فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طريفة بن حاجز يأمره أن يجمع له ويسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قيس الحاشي عوناً فنهضا إليه وطلباه فلاذ منهما ثم لقياه على الجواء فآقتتلوا، وقتل نخبة، وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره ثم بعث به إلى أبي بكر، فلما قدم أمر أبو بكر أنْ توقد له نارٌ في مُصَلّى المدينة ثم رمي به فيها مقموطاً[1].

وأما خبر أبي شجرة بن عبد العزى السلمي وهو ابن الخنساء فإنه كان قد آرتد فيمن آرتد من سليم وثبت بعضهم علىٰ الاسلام مع معن بن حاجز وكان أميراً لأبي بكر، فلما سار خالد إلى طليحة كتب إلى معن أنْ يلحقه فيمن معه علىٰ الاسلام من بني سليم فسار واستخلف على عمله أخاه طريفة بن حاجز فقال أبو شجرة حين ارتد:

---

(١) أي: مجموعاً بين يديه ورجليه بحبل.

صَحَا القَلْبُ عَنْ مَيٍّ هواه وأَقْصرا ... وطاوَعَ فيها العاذلين فأَبْصَرا[١]
أَلَا أيُّها المُدْلِي بكَثْرةِ قومه ... وحَظُّكَ منهم أن تُضَامَ وتُقْهَرَا
سَلِ النَّاسَ عَنَّا كلَّ يَوْمٍ كَرِيْهَةٍ ... إذَا مَا ٱلتَقَيْنَا دارِ عِينَ وحُسَّرا
أَلَسْنا نُعاطِي ذا الطِّمَاح لجامَهُ؟ ... ونَطْعَن في الهيجا إذا المَوْتُ أَقْفَرَا!
فَرَوَّيْتُ رُمْحِي مِن كَتِيبَةِ خَالِدٍ ... وإنّي لأَرْجُو بعدها أنْ أعمَّرا

ثم إنّ أبا شجرة أسلم، فلما كان زمن عمر قدم المدينة فرأىٰ عمر وهو يقسّم في المساكين فقال: أعطني فإني ذو حاجة، فقال: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة بن عبد العزى السلمي. قال: أي عدو الله لا والله ألست الذي تقول؟

فروّيت رمحي من كتيبة خالد ... وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

وجعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدوًا إلى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال:

ضنّ علينا أبو حفص بنائله ... وكل مختبط يوماً له ورق

في أبيات[٢].

ذكر قدوم عمرو بن العاص من عمان

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمرو بن العاص إلى جَيفر عند منصرفه من حجة الوداع فمات رسول الله ﷺ وعمرو بعمان، فأقبل حتى آنتهى إلى البحرين فوجد المنذر بن ساوىٰ في الموت، ثم خرج عنه إلى بلاد بني عامر فنزل بقرة بن هبيرة، وقرة يقدم رجلاً ويؤخر أخرىٰ ومعه عسكر من بني عامر فذبح له وأكرم مثواه، فلما أراد الرحلة خلا به قرة، وقال: يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالاتاوة فإن أعفيتموها مِنْ أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم فقال له عمرو: أكفرتَ يا قرّة؟ أتخوفنا بالعرب! فوالله لأوطئن عليك الخيل في حفش أمك. والحفش: بيت تنفرد فيه النفساء.

---

(١) في ابن جرير بيتين بعد البيت الأول ٣/٢٦٦ فليراجع.
(٢) وقد ذكرها الطبري فلتراجع.

وقدم على المسلمين بالمدينة، فأخبرهم فأطافوا به يسألونه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دَبا إلى المدينة فتفرقوا وتحلقوا حلقاً، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو فمر على حلقة فيها علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن، وسعد، فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه. فقال لهم: إنكم تقولون: ما أخوفنا علىٰ قريش من العرب. قالوا: صدقت. قال: فلا تخافوهم إنا والله منكم علىٰ العرب أخوف مني من العرب عليكم، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب في آثاركم فآتقوا الله فيهم، ومضى عمر، فلما قدم بقرة بن هبيرة على أبي بكر أسيراً استشهد بعمرو على إسلامه، فأحضر أبو بكر عمراً فسأله فأخبره بقول قرة إلى أن وصل إلى ذكر الزكاة، فقال قرة: مهلاً يا عمرو. فقال: كلا والله لأخبرنه بجميعه فعفا عنه أبو بكر وقَبِل إسلامه.

ذكر بني تميم وسجاح

وأما بنو تميم فإنّ رسول الله ﷺ فرق فيهم عماله، فكان الزبرقان منهم، وسهل بن مِنجاب، وقيس بن عاصم، وصفوان بن صفوان، وسبرة بن عمرو، ووكيع بن مالك، ومالك بن نويرة، فلما وقع الخبر بموت رسول الله ﷺ سار صفوان بن صفوان إلى أبي بكر بصدقات بني عمرو، وأقام قيس بن عاصم ينظر ما الزبرقان صانع ليخالفه، فقال حين أبطأ عليه الزبرقان في عمله: واويلتاه من ابن العكلية والله [لقد مزقني] ما أدري ما أصنع؟ لئن أنا بعثت بالصدقة إلى أبي بكر وبايعته لينجزن ما معه في بني سعد فيسودني فيهم ولئن نجزتها في بني سعد ليأتين أبا بكر فليسودني عنده فقسمها على المقاعس والبطون. ووافى الزبرقان فاتبع صفوان بن صفوان بصدقات الرباب. وهي ضبة بن أد بن طابخة، وعدي، وتيم، وعكل، وثور بنو عبد مناة بن أد، وبصدقات عوف والأبناء، وهذه بطون من تميم، ثم ندم قيس [بعد ذلك] فلما أظله العلاء بن الحضرمي أخرج الصدقة. فتلقاه بها. ثم خرج معه، وتشاغلت تميم بعضها ببعض، وكان ثمامة بن أثال الحنفي يأتيه أمداد تميم، فلما حدث هذا الحديث[1] أضر ذلك بثمامة، وكان مقاتلاً لمسيلمة الكذاب حتى

---

(١) المناسب ان يقول فلما حدث هذا كما هو في أصله (م) .

قدم عليه عكرمة بن أبي جهل، فبينما الناس ببلاد تميم مسلمهم بإزاء من أراد الردة وارتاب إذ جاءتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية، قد أقبلت من الجزيرة، وادعت النبوة وكانت ورهطها في أخوالها من تغلب تقود أفناء ربيعة معها الهذيل بن عمران في بني تغلب، وكان نصرانياً فترك دينه وتبعها، وعقبة بن هلال في النمر، وزياد بن فلان في إياد، والسليل بن قيس في شيبان فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم [والتشاغل بما بينهم] وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر فأرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فأجابها وردّها عن غزوها وحملها على أحياء من بني تميم، فأجابته، وقالت: أنا امرأة من بني يربوع. فإن كان ملك فهو لكم.

وهرب منها عطارد بن حاجب. وسادة بني مالك، وحنظلة إلى بني العنبر وكرهوا ما صنع وكيع وكان قد وادعها، وهرب منها أشباههم من بني يربوع وكرهوا ما صنع مالك بن نويرة واجتمع مالك. ووكيع. وسجاح، فسجعت لهم سجاح. وقالت: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب. ثم أغيروا على الرباب. فليس دونهم حجاب.

فساروا إليهم فلقيهم ضبة وعبد مناة فقتل بينهم قتلى كثيرة وأسر بعضهم من بعض. ثم تصالحوا.

وقال قيس بن عاصم: شعراً ظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبي بكر بصدقته ثم سارتْ سجاح في جنود الجزيرة حتى بلغت النباج. فأغار عليهم أوس بن خزيمة الهجيمي في بني عمرو فأسر الهذيل وعقة ثم اتفقوا على أن يطلق أسرى سجاح ولا يطأ أرض أوس، ومن معه ثم خرجت سجاح في الجنود وقصدت اليمامة، وقالت: عليكم باليمامة. وذفوا ذفيف الحمامة (١). فإنها غزوة صرامه. لا يلحقكم بعدها ملامه.

فقصدت بني حنيفة، فبلغ ذلك مسيلمة فخاف إنْ هو شغل بها أنْ يغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولها على حجر وهي اليمامة فأهدى لها، ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها فأمنته، فجاءها في أربعين من بني حنيفة [وكانت راسخة في علم النصرانية] فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض. وكان لقريش نصفها لو

---

(١) هو تحريك جناحي الطائر ليطير.

عدلت وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش.

وكان مما شرع [مسيلمة] لهم أنّ من أصاب ولداً واحداً ذكراً لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد فيطلب الولد حتى يصيب ابناً ثم يمسك، وقيل: بل تحصن منها فقالت له: أنزل. فقال لها: أبعدي أصحابك. ففعلت وقد ضرب لها قبة وجمّرها فتذكر بطيب الريح الجماع واجتمع بها. فقالت له: ما أوحى إليك ربك. فقال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، بين صفاق (١) وحشى. قالت: وماذا أيضاً؟ قال: إن الله خلق للنساء أفراجاً وجعل الرجال لهن أزواجاً، فتولج فيهن إيلاجاً ثم تخرجها إذا تشاء اخراجاً، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً. قالت: أشهد إنك نبي.

قال: هل لكِ أن أتزوجكِ وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. قال:

أَلاَ قُومِي إلى النَّيْك ... فقد هُيّء لك المَضْجَعْ

فإنْ شِئْتِ فَفِي البَيْتِ ... وإنْ شِئْتِ ففي المخدَعْ

وإنْ شِئْتِ سلقناكِ ... وإنْ شئتِ على أرْبَع

وإنْ شئتِ بثلثيْه ... وإنْ شِئْتِ به أجْمَع

قالت: بل به أجمع فإنه للشمل أجمع. قال: بذلك أوحى إليّ.

فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت إلى قومها فقالوا لها: ما عندكِ؟ قالت: كان على الحق فتبعته. وتزوجته. قالوا: هل أَصْدَقَكِ شيئاً؟ قالت لا.

قالوا: فأرجعي فأطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال: مالك؟ قالت: أصدقني. قال: من مؤذنك. قالت: شبث بن ربعي الرياحي. فدعاه وقال له: ناد في أصحابك أنّ مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فأنصرفت ومعها أصحابها، منهم عطارد بن حاجب، وعمرو بن الأهتم (٢)، وغيلان بن خرشة، وشبث بن ربعي. فقال عطارد بن

(١) الصفاق: الجلد الاسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر.

بعدها في الأغاني للأصبهاني (من بين ذكر وأنثى وأموات وأحياء. ثم إلى ربهم يكون المنتهى).

(٢) الذي أراه ان هذه الحكاية بهذه الصيغة موضوعة (م).

حاجب:

أمست نبيتنا أنثى نطوف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا[١]

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف، وتترك عنده من يأخذ النصف فأخذت النصف وآنصرفت إلى الجزيرة. وخلفت الهذيل، وعقة، وزياداً لأخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم إلا دنو خالد إليهم فارفضوا فلم تزل سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام المجاعة [في زمانه] وجاءت معهم وحسن إسلامهم وإسلامها وآنتقلت إلى البصرة وماتت بها، وصلى عليها سَمُرَة بن جندب، وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة. وقيل: انها لما قتل مسيلمة سارت إلى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها بذكر.

ذكر مالك بن نويرة

لما رجعت سجاح إلى الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة وندم وتحير في أمره وعرف وكيع وسماعة قبح ما أتيا فراجعا رجوعاً حسناً ولم يتجبرا، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالداً وسار خالد بعد أنْ فرغ من فزارة وغطفان وأسد وطيىء يريد البطاح (٢). وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه أمره وتخلفت الأنصار عن خالد. وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا [إن الخليفة عهد إلينا] إن نحن فرغنا من بزاخة [واستبرأنا بلاد القوم] أن نقيم حتى يكتب إلينا.

فقال خالد: قد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير، ولو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة وكنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه [حتى انتهزها] وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس فيه منه عهد لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا ثم نعمل به، [وهذا مالك بن نويرة بحيالنا] فأنا قاصد إليه ومن معي [من المهاجرين] ولست أُكرِهُهُم. ومضى خالد وندمت الانصار وتذامروا وقالوا: إن أصاب القومُ خيراً حرمتموه وإن أصيبوا ليجتنبنكم الناس فلحقوه؛ ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجدبها أحداً، وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهاهم عن

---

(١) في الأصول الأهيم وهو غلط صوابه بالتاء المثناة من فوق (م) .

(٢) البطاح : وهي بطاح مكة . فقريش البطاح قبائل بني كعب : عدي ، وجماح وتيم وسهم ومخزوم وأسد وزهرة وعبد مناف وامية وهاشم .

الاجتماع ، وقال : يا بني يربوع إنا دعينا إلى هذا الأمر فابطأنا عنه فلم نفلح ، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة وإذا الأمر لا يسوسه الناس فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفرقوا وادخلوا في هذا الأمر فتفرقوا على ذلك .

ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأنْ يأتوه بكل من لم يجب وإن امتنع أنْ يقتلوه . وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وإن أجابوكم إلى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة ، فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم قال فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيْهم . وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء فأمر خالد منادياً فنادى « دافئوا أسراكم » وهي في لغة كنانة القتل فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدِّفْء فقتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكاً ، وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم . فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

[وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عملك فزبره خالد فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر فغضب أبو بكر حتى كلمه عمر فيه فلم يرض إلا أن يرجع إليه فرجع إليه حتى قدم معه المدينة] وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك فقال عمر لأبي بكر : إن سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه في ذلك فقال : هيه يا عمر تأول فاخطأ فآرفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم [1] سيفاً سله الله على الكافرين ، وودىٰ مالكاً ، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل . ودخل المسجد وعليه قباء [له عليه صدأ الحديد] وقد غرز في عمامته أسهماً فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال له [أرثاء] قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته! والله لأرجمنك بأحجارك . وخالد لا يكلمه يظن أنّ رأي أبي بكر مثله ، ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر ، واعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه وعنفه في التزويج الذي كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب . فخرج خالد وعمر جالس فقال : هلم إليّ يا ابن أم سلمة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه .

وقيل : إن المسلمين لما غشوا مالكاً وأصحابه ليلاً أخذوا السلاح . فقالوا : نحن

---

(١) أي : لا أغمد.

المسلمون، فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون قالوا لهم: ضعوا السلاح فوضعوه. ثم صلوا. وكان يعتذر في قتله إنه قال: ما أخال صاحبكم إلا قال: كذا وكذا، فقال له: أو ما تعده لك صاحباً؟ ثم ضرب عنقه.

وقدم متمم بن نويرة على أبي بكر يطلب بدم أخيه، ويسأله أن يرد عليهم سبيهم، فأمر أبو بكر برد السبي وودى مالكاً من بيت المال، ولما قدم على عمر قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟

قال: بكيته حولاً حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة، وما رأيت ناراً قط إلا كدتُ اتقطع أسفاً عليه لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه. قال: فصفه لي. قال: كان يركب الفرس الحرون (١) ويقود الجمل الثَّفال (٢) وهو بين المزادتين النضوختين في الليلة القرة. وعليه شملة فلوت (٣) معتقلاً رمحاً خطلاً فيسري ليلته ثم يصبح. وكأن وجهه فلقة قمر. قال: أنشدني بعض ما قلت فيه: فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل: لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

فقال عمر: لو كنتُ أقول الشعر لرثيت أخي زيداً. فقال: متمم ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخي صُرع مصرع أخيك لما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به.

وفي هذه الوقعة قتل الوليد، وأبو عبيدة ابنا عمارة بن الوليد وهما ابنا أخي خالد لهما صحبة.

ذكر مسيلمة وأهل اليمامة

قد ذكرنا فيما تقدم مجيء مسيلمة إلى النبي ﷺ. فلما مات النبي ﷺ وبعث أبو

---

(١) هو الفرس الذي لا ينقاد.

(٢) هو الجمل البطيء.

(٣) هو الذي لا ينضم طرفاه.

بكر السرايا إلى المرتدين أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل بن حَسَنَة فعجل عكرمة ليذهب بصوتها. فواقعهم فنكبوه، وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر، فكتب إليه أبو بكر لا أرينك ولا تراني لا ترجعن فتوهن الناس آمض إلى حذيفة، وعرفجة فقاتل أهل عمان ومهرة، ثم تسير أنت وجندك تستبرئون الناس حتى تلقى مهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت.

فكتب إلى شرحبيل يأمره بالمقام إلى أن يأتي خالد فإذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة، فلما رجع خالد من البطاح إلى أبي بكر واعتذر إليه فقبل عذره ورضي عنه ووجهه إلى مسيلمة، وأوعب معه المهاجرين والأنصار، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد بن الخطاب [وعلى القبائل على كل قبيلة رجل]، وأقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث إليه، فلما وصلوا إليه سار إلى اليمامة، وبنو حنيفة يومئذ كثيرون؛ وكانت عدتهم أربعين ألف مقاتل [في قراها وحجرها]، وعجّل شرحبيل بن حَسَنَة [وفعل فعل عكرمة]، وبادر خالداً بقتال مسيلمة [قبل قدوم خالد عليه] فنكب [فحاجز فلما قدم عليه خالد] لأمه خالد وأمد أبو بكر خالداً بسليط ليكون ردءاً له لئلا يؤتىٰ من خلفه [فخرج فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرقوا فهربوا وكان منهم قريباً ردءاً لهم] وكان أبو بكر يقول: لا أستعمل أهل بدر أدعهم حتى يلقوا الله بصالح أعمالهم فإنّ الله يدفع بهم وبالصالحين أكثر وأفضل مما ينتصر بهم، وكان عمر يرى آستعمالهم على الجند وغيره، وكان مع مسيلمة نهار الرجّال بن عُنفوة، وكان قد هاجر إلى النبي ﷺ وقرأ القرآن وفقه في الدين وبعثه معلماً لأهل اليمامة، وليشغب على مسيلمة [وليشدد من أمر المسلمين] فكان أعظم فتنة علىٰ بني حنيفة من مسيلمة، شهد [له أنه سمع] محمداً ﷺ يقول: « إنّ مسيلمة قد أُشْرِكَ معه »، فصدقوه واستجابوا له، وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره، وكان يُؤَذِّن له عبد الله بن النواجة والذي يقيم له حجير بن عمير فكان حجير يقول: أشهد أنّ مسيلمة يزعم أنه رسول الله. فقال له مسيلمة: افصح حجير. فليس في المجمجة خير. وهو أول من قالها. وكان مما جاء به وذكر أنّه وحي: « يا ضفدع بنت ضفدع نُقّي ما تنقين، أعلاك في الماء. وأسفلك في الطين. لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين ».

وقال أيضاً: « والمبديات زرعاً. والحاصدات حصداً. والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً. والخابزات خبزاً. والثاردات ثرداً. واللاقمات لقماً. إهالة وسمناً. لقد فضلتم على أهل الوبر. وما سبقكم أهل المدر، ريفكم [١] فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوِؤه ». وأتته امرأة فقالت: إن نخلنا لسحيق وأن آبارنا لجرز، فآدع الله لمائنا ونخلنا كما دعا محمد ﷺ لأهل هَزمان فسأل نهاراً عن ذلك فذكر أنّ النبي ﷺ دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه. ومجه في الآبار ففاضت ماءاً وأنجبت كل نخلة وأطلعت فسيلاً [٢] قصيراً مكمما. ففعل مسيلمة ذلك فغار ماء الآبار ويبس النخل ـ وإنما ظهر ذلك بعد مهلكه.

وقال له نهار: أَمِرّ يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمد. ففعل وأمرّ يده على رؤسهم وحنّكهم، فقرع كل صبي مسح رأسه، ولثغ كل صبي حنكه ـ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه. وقيل جاءه طلحة النمري فسأله عن حاله فأخبره أنه يأتيه رجل في ظلمة، فقال: أشهد أنك الكاذب وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر، فقتل معه يومَ عقرباء كافراً.

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء. وخرج إليه الناس وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثأراً لهم في بني عامر، فأخذه المسلمون وأصحابه فقتلهم خالد واستبقاه لشرفه في بني حنيفة، وكانوا ما بين أربعين إلى ستين، وترك مسيلمة الأموال وراء ظهره. فقال شرحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة قاتلوا فإن اليوم يوم الغيرة، فإن انهزمتم تستردف النساء سبيات، وينكحن غير خطيبات، فقاتلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرباء، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وكانت قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم فقتل فقالوا: نخشى عليك من نفسك. فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً. وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس. وكانت العرب على راياتهم [ومجاعة أسير مع أم تميم في فسطاطها] وآلتقى الناس وكان أول من لقي المسلمين نهار الرجال بن عنفوة فقتل قتله زيد بن الخطاب،

---

(١) أي: أمنعوا ريفكم فلا يغلب عليه غالب.
وفي الأصول ريقكم وصححناه من تاريخ الطبري (م).

(٢) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

واشتد القتال ولم يلق المسلمون حرباً مثلها قط، وآنهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى مجاعة وإلى خالد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا [الفسطاط] إلى مجاعة وهو عند أمرأة خالد وكان سلمه إليها فأرادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال: أنا لها جار [فنعمتْ الحرة] فتركوها، وقال لهم: عليكم بالرجال فقطعوا الفسطاط ثم إن المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس: بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ـ يعني أهل اليمامة ـ وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء ـ يعني المسلمين، ثم قاتل حتى قتل، وقال زيد بن الخطاب: لا نحور بعد الرجال والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو أقتل، فأُكَلِّمُهُ بحجتي، غضوا أبصاركم، وعضوا على أضراسكم أيها الناس، وآضربوا في عدوكم، وامضوا قدماً. [ففعلوا فردوهم إلى مصافهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عساكرهم]، وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زيِّنوا القرآن بالفعال؛ وحمل خالد في الناس حتى ردوهم إلى أبعد مما كانوا، واشتد القتال وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالاً شديداً، وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين، وتارة للكافرين، وقتل سالم، وأبو حذيفة، وزيد بن الخطاب وغيرهم من أولي البصائر.

فلما رأى خالد ما الناس فيه قال: « امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي، ولنعلم مِن أين نؤتى ». فامتازوا، وكان أهل البوادي قد جنبوا المهاجرين والأنصار وجنبهم المهاجرون والأنصار، فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم يستحي من الفرار فما رؤي يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم، ولم يُدْرَ أي الفريقين كان أعظم نكاية غير أنّ القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منهم في أهل البوادي، وثَبَتَ مسيلمة فدارتْ رحاهم عليه، فعرف خالد أنها لا تركد إلا بقتل مسيلمة، ولم تحفل بنو حنيفة بمن قتل منهم، ثم برز خالد، ودعا إلى البراز ونادى بشعارهم وكان شعارهم: « يا محمداه »، فلم يبرز إليه أحد إلا قتله. ودارت رحى المسلمين [وطحنت]، ودعا خالد مسيلمة فأجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، فكان إذا هَمَّ بجوابه أعرض بوجهه ليستشير شيطانه. فينهاه أن يقبل. فأعرض بوجهه مرة، وركبه خالد وأرهقه فأدبر وزال أصحابه، وصَاح خالد في الناس [وقال: دونكم لا تقيلوهم]، فركبوهم فكانت هزيمتهم.

وقالوا لمسيلمة: أين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن أحسابكم. ونادىٰ المحكم: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها، وكان البَرَاء بن مالك ـ وهو أخو أسد بن مالك ـ إذا حضر الحرب أخذته رعدة حتى يقعد عليه الرجال، ثم يبول فإذا بال ثار كما يثور الأسد؛ فأصابه ذلك فلما بال وثب وقال: إليَّ أيها الناس، أنا البَرَاء بن مالك إليّ إليّ، وقاتل قتالاً شديداً؛ فلما دخلت بنو حنيفة الحديقة قال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة. فقالوا: لا نفعل. فقال: والله لتطرحنني عليهم بها فآحتمل حتى أشرف علىٰ الجدار فاقتحمها عليهم وقاتل علىٰ الباب وفتحه للمسلمين، ودخلوها عليهم فاقتتلوا أشد قتال وكثر القتلى في الفريقين لا سيما في بني حنيفة فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة، واشترك في قتله وَحْشِيّ مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار، [كلاهما قد أصابه] أما وحشي فدفع عليه حربته، وضربه الأنصاري بسيفه. قال ابن عمر: فصرخ رجلٌ قتله العبدُ الأسود، فولّت بنوحنيفة عند قتله منهزمة، وأخذهم السيف من كل جانب، وأخبر خالد بقتل مسيلمة فخرج بمجاعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة فجعل يكشف له القتلى حتى مر بمحكم اليمامة، وكان [رجلاً جسيماً] وسيماً فقال: هذا صاحبكم. فقال مجاعة: لا، هذا والله خير منه وأكرم هذا محكم اليمامة.

ثم دخل الحديقة فإذا رويجل أصيفر اخينس فقال مجاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه. وقال خالد: هذا [صاحبكم] الذي فعل بكم ما فعل.

وكان الذي قتل محكم اليمامة عبد الرحمن بن أبي بكر رماه بسهم في نحره وهو يخطب ويحرِّض الناس فقتله. وقال مجاعة لخالد: ما جاءك إلا سرعان الناس وإن الحصون مملؤة [فقال: ويلك ما تقول. قال: هو والله الحق] فهلم إلى الصلح على ما ورائي فصالحه على كل شيء دون النفوس. وقال: أنطِلقُ إليهم فأشاورهم فانطلق إليهم، وليس في الحصون إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفى فألبسهم الحديد، وأمر النساء أنْ ينشرن شعورهن ويشرفن على الحصون حتى يرجع إليهم، فرجع إلى خالد فقال: قد أبوا أنْ يجيزوا ما صنعتُ، [وقد أشرف لك بعضهم نقضاً عليّ وهم مني براء فرأى خالد الحصون مملؤة وقد نهكت المسلمين الحرب وطال اللقاء وأحبوا أنْ يرجعوا على الظفر، ولم يدروا ما هو كائن [لو كان فيها رجال وقتال]

وقد قتل من المهاجرين والأنصار من [أهل قصبة] المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، وقتل ثابت بن قيس قَطَعَ رجلٌ من المشركين رجله فأخذها ثابت وضربه بها فقتله، وقتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف وبالحديقة مثلها، وفي الطلب نحو منها، وصالحه خالد على الذهب، والفضة، والسلاح ونصف السبي، وقيل: ربعه. فلما فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء فقال خالد لمجاعة: ويحك خدعتني. فقال: هم قومي، ولم أستطع إلا ما صنعت.

ووصل كتاب أبي بكر إلى خالد أنْ يقُتل كل محتلم، وكان قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر.

ولما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله وكان معهم: ألا هلكت قبل زيد هلك زيد وأنت حيّ! ألا واريت وجهك عني!

فقال عبد الله: سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدتُ أنْ تساق إليّ فلم أعطها.

وفي هذه السنة بعد وقعة اليمامة أمر ابو بكر بجمع القرآن لمّا رأىٰ مِنْ كثرة مَنْ قتل من الصحابة لئلا يذهب القرآن ـ وسيرد مبيناً سنة ثلاثين.

[من قتل باليمامة]

وممن قتل باليمامة شهيداً من الصحابة: عباد بن بشر الأنصاري شهد بدراً وغيرها.

وقتل عباد بن الحارث الأنصاري وكان شهد أُحُداً. وقتل بها عمير بن أوس بن عتيك الأنصاري وكان شهد أُحُد. وفيها قتل عامر بن ثابت بن سلمة الأنصاري. وفيها قتل عمارة بن حزم الأنصاري أخو عمرو وكان بدرياً. وفيها قتل علي بن عبد الله بن الحارث من بني عامر بن لؤي، وكان له صحبة. وقتل بها عائذ بن ماعص الأنصاري. وقيل قتل يوم بئر معونة. وقتل فيها فروة بن النعمان وقيل: ابن الحارث بن النعمان الأنصاري، وكان قد شهد أحداً وما بعدها. وفيها قتل قيس بن الحارث بن عدي الأنصاري عم البراء بن عازب، وقيل: بل قتل بأحد. وقتل بها سعد بن جماز الأنصاري، وكان قد شهد أحداً. وقتل بها أبو دجانة الأنصاري، وهو بدري وقيل: بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع علي عليه السلام والله أعلم. وقتل باليمامة سلمة بن مسعود بن سنان الأنصاري. وقتل فيها السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي، وهو من

مهاجرة الحبشة؛ وشهد بدراً. وقتل أيضاً السائب بن العوام أخو الزبير لأبويه. وقتل بها الطفيل بن عمرو الدوسي شهد خيبر. وقتل بها زرارة بن قيس الأنصاري له صحبة. وقتل فيها مالك بن عمر والسلمي حليف بني عبد شمس وهو بدري. وقتل مالك بن أمية السلمي، وهو بدري. ومالك بن عوس بن عتيك الأنصاري. وهو ممن شهد أحداً. وقتل بها معن بن عدي بن الجد البلوي حليف الأنصار شهد العقبة وبدراً وغيرها ومسعود بن سنان الأسود حليف بني غانم وشهد أحداً.

وفيها قتل النعمان بن عصر بن الربيع البلوي، وهو بدري، وقيل: هو بكسر العين وسكون الصاد، وقيل: بفتحهما. وفيها قتل صفوان، ومالك ابنا عمرو السلمي، وهما بدريان. وضرار بن الأزور الاسدي، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد. وفيها قتل عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي، وقيل: قتل عبد الله بالطائف هو وأخوه السائب. وفيها قتل عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى العامري عامر قيس، وشهد بدراً وغيرها. وفيها قتل عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، وهو بدري. وعبد الله بن عتيك الانصاري وهو قاتل ابن أبي الحقيق، وهو بدري. وفيها قتل شجاع ابن أبي وهب الأسدي أسد خزيمة شهد بدراً. وهُريم بن عبد الله المطلبي القرشي، وأخوه جنادة، والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي ابن عم خالد. وقتل ورقة بن إياس بن عمرو الأنصاري، وهو بدري. ويزيد بن أوس حليف بني عبد الدار أسلم يوم الفتح. وأبو حَبّة بن غزية الأنصاري. شهد أُحُداً.

وأبو عقيل البلوي حليف الأنصار، وهو بدري. وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عديّ السهمي من مهاجرة الحبشة شهد أحداً. ويزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت.

(الرَجَّال بن عنفوة) بالراء المفتوحة وبالجيم المشددة، وقيل بالحاء المهملة والأول أكثر. و (مجّاعة) بتشديد الجيم. و (محَكّم اليمامة) بالحاء المهملة والكاف المشددة. (وسعد بنّ جماز) بالجيم والميم المشددة وآخره زاي.

ذكر ردة أهل البحرين

لما قدم الجارود بن المعلى العبدي علىٰ النبي ﷺ وتفقه رده إلى قومه عبد القيس فكان فيهم. فلما مات النبي ﷺ وكان المنذر بن ساوى العبدي مريضاً فمات بعد النبي ﷺ بقليل، فلما مات المنذر بن ساوى آرتد بعده أهل البحرين فأما بكر فتمت علىٰ ردتها، وأمّا عبد القيس فإنهم جمعهم الجارود، وكان بلغه أنهم قالوا: لو كان محمد نبياً لم يمت، فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا قال: فإن محمداً ﷺ قد مات كما ماتوا؛ وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فأسلموا وثبتوا على إسلامهم، وحضر أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرمي، واجتمعت ربيعة بالبحرين علىٰ الردة الا الجارود ومن تبعه وقالوا: نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر. وكان يسمى الغرور، فلما أسلم كان يقول: أنا المغرور ولست بالغرور.

وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع إليه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركاً حتى نزل القطيف، وهجر، واستغوى الخط ومن بها من الزط، والسبابحة، وبعث بعثاً إلى دارين، وبعث إلى جُواثا[1] فحصر المسلمين فاشتد الحصر على من بها، فقال عبدالله بن حذف، وقد قتلهم الجوع:

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رسولاً ... وفتْيانَ المدينةِ أجمَعِيْنَا
فهَلْ لكُمُ إلى قومٍ كِرامٍ ... قُعُود في جُؤاثَا مُحْصَرِينا

---

(١) جُواثا: حصن لعبد القيس بالبحرين وهو أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة.

كـأنَّ دِمَـاءَهُـم فـي كـلِّ فَـجّ   شُعَـاعُ الشَّمْسِ تَغْشَى النَّاظِرِيْنَا
تـوكَّـلْنَـا علىٰ الـرحـمـنِ إنـا   وَجَـدْنَـا النَّصْـر(١) للمتـوكلينـا

وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرمي إياهم أن أبا بكر كان قد بعثه علىٰ قتال أهل الردة بالبحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة ولحق به أيضاً قيس بن عاصم المنقري، وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبي ﷺ، وانضم إليه عمرو والأبناء، وسعد بن تميم، والرباب أيضاً لحقته في مثل عدته، فسلك بهم الدهناء حتى كانوا في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل فنفرت إبلهم بأحمالها فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء، فلحقهم من الغم ما لا يعلمه إلا الله، ووصى بعضهم بعضاً فدعاهم العلاء فآجتمعوا إليه. فقال: ما هذا الذي غلب عليكم من الغم؟

فقالوا: كيف نلام؟ ونحن إن بلغنا غدا لم تحم الشمس حتى نهلك. فقال: لن تراعوا أنتم المسلمون، وفي سبيل الله، وأنصار الله فأبشروا، فوالله لن تخذلوا.

فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه فلمع لهم الماء فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تجمع من كل وجه فأناخت إليهم فسقوها، وكان أبو هريرة فيهم، فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمنجاب بن راشد: كيف عِلْمُك بموضع الماء؟ قال: عارفٌ به.

فقال له: كن معي حتى تقيمني عليه. قال: فرجعتُ به إلى ذلك المكان فلم نجد إلا غدير الماء. فقلت له: والله لولا الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان ماءاً قبل اليوم، وإذا إداوة مملوءة ماءاً فقال أبو هريرة: هذا والله المكان: وما رأيت(٢) ولهذا رجعت بك وملأت إدواتي ثم وضعتها على شفير الغدير، وقلت: إنْ كان منا من المنّ عرفته وإنْ كان عيناً عرفته فإذا مَنٌّ مِن المنّ فحمد الله ثم ساروا فنزلوا بهَجَر، وأرسل العلاء إلى الجارود يأمره أنْ ينزل بعبد القيس علىٰ الحطم مما يليه، وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون كلهم إلى الحطم إلا

---

(١) في الطبري: الصبر.
وانظر الأغاني للأصبهاني: ١٥/٢٥٦ و٢٥٧ و٣/٣٠٤.
(٢) قوله وما رأيت ليس موجوداً في الطبري.

أهل دارين، واجتمع المسلمون إلى العلاء، وخندق المسلمون على أنفسهم والمشركون، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهراً، فبيناهم كذلك إذْ سمع المسلمون [في عسكر المشركين] ضوضاء هزيمة أو قتال، فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال عبدالله بنَ حذف: أنا. فخرج حتى دنا من خندقهم فأخذوه، وكانت أمه عجلية فجعل ينادي يا أبجراه. فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال: ما شأنك؟ فقال: علام أُقتل وحولي عساكر من عِجْل وتَيِّم اللات وغيرها؟

فخلَّصه، فقال له: والله إني لأظنك بئس ابن أخت أتيتَ الليلة أخوالك.

فقال: دعني من هذا وأطعمني فقد مِتُّ جوعاً فقرّب له طعاماً فأكل، ثم قال: زودني واحملني يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكر فحمله على بعير وزوده وجوزه فدخل عسكر المسلمين فأخبرهم أنّ القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاؤوا، وهرب الكفار فمن بين مترد، وناج ومقتول، ومأسور، وآستولى المسلمون علىٰ العسكر ولم يفلت رجل إلا بما عليه فأما أبجر فأفلت، وأما الحطم فقتل قتله قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذر التميمي رجله، وطلبهم المسلمون، فأسر عفيف المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور فأسلم، وأصبح العلاء فقسّم الأنفال، ونقل رجالاً من أهل البلاء ثياباً فأعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات أعلام كانت للحطم يباهي بها، فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة فقالوا له: أنت قتلت الحطم. فقال: لم أقتله ولكني اشتريتها من المغنم فوثبوا عليه فقتلوه.

وقصد عظم الفلال إلى دارين فركبوا إليها السفن، ولحق الباقون ببلاد قومهم، فكتب العلاء إلى من ثبت على إسلامه من بكر بن وائل منهم عتيبة بن النهاس، والمثنى بن حارثة، وغيرهما يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق، ففعلوا وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك فأمر أنْ يؤتى من وراء ظهره فندب حينئذ الناس إلى دارين، وقال لهم: قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فآنهضوا إلى عدوكم، وآستعرِضوا البحر.

وآرتحل وارتحلوا حتى آقتحم البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك، وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم: «يا أرحم الراحمين، يا كريم، يا حليم، يا

أحد، يا صمد، يا حيّ، يا محيي الموتى، يا حي، يا قيوم، لا إله إلا أنت، يا ربنا».

فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فآلتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فظفر المسلمون؛ وانهزم المشركون؛ وأكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مخبراً وغنموا وسبوا، فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا وضرب الإسلام فيها بجرانه، وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرّفه هزيمة المرتدين، وقتل الحطم، وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم فقيل له: ما حملك على الاسلام؟

قال: ثلاثة أشياء: خشيتُ أن يمسخني الله بعدها فيض في الرمال، وتمهيد أثباج البحر[١]، ودعاء سمعتُه في عسكرهم في الهواء سحراً: اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن، علمت كل شيء بغير تعلم».

فعلمتُ أنّ القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على حق، فكان أصحاب النبي ﷺ يسمعون هذا منه بعد.

(عتيبة) بعد العين تاء معجمة باثنتين من فوقها وياء تحتها نقطتان ثم باء موحدة. و (حارثة) بحاء مهملة وثاء مثلثة.

ذكر ردة أهل عمان ومهرة

قد اختلف في تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين، فقال ابن إسحاق: كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام سنة اثنتي عشرة، وقال أبومعشر، ويزيد بن عياض وابن جعدبة، وأبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر: إنّ فتوح الردة كلها [كانت] لخالد وغيره سنة إحدى عشرة إلا أمر ربيعة بن بجير فإنه كان سنة ثلاث عشرة، وقصّته أنه بلغ خالد بن الوليد أنّ ربيعة بالمصيخ[٢] والحصيد في جمع من المرتدين، فقاتله وغنم وسبى وأصاب ابنة لربيعة فبعث بها إلى أبي بكر فصارت إلى عليّ بن أبي طالب.

---

(١) ثبج: وسطه ومعظمه.

(٢) المصيخ: موضع يقال له مصيخ بني برشاء وهو بين حوران والقلت.

وأما عمان فإنه نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامى[١] في الجاهلية الجنلدى، وآدعى بمثل ما ادعى من تنبأ، وغلب على عمان مرتداً، وآلتجأ جيفر وعباد إلى الجبال وبعث جيفر إلى أبي بكر يخبره ويستمده عليه، وبعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير، وعرفجة البارقي من الأزد حذيفة إلى عمان، وعرفجة إلى مهرة، وكل منهما أمير على صاحبه في وجهه فإذا قربا من عمان يكاتبان جيفراً فسار إلى عمان، وأرسل أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل وكان بعثه إلى اليمامة فأصيب، فأرسل إليه أنْ يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما علىٰ أهل عمان ومهرة فإذا فرغوا منهم سار إلى اليمن فلحقهما عكرمة قبل عمان، فلماوصلوارجاما ـ وهي قريب من عمان ـ كاتبوا جيفراً وعباداً، وجمع لقيط جموعه، وعسكر بدَبا، وخرج جيفر وعباد وعسكرا بصُحَار[٢]، وأرسلا إلى حذيفة وعكرمة وعرفجة [في القدوم عليهما] فقدموا عليهما، وكاتبوا رؤساء مع لقيط [وبدأوا بسيد بني جديد فكاتبهم وكاتبوه حتى] ارفضوا عنه. ثم التقوا على دَبا فاقتتلوا قتالاً شديداً، وآستعلى لقيط، ورأى المسلمون الخلل، ورأى المشركون الظفر، فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بني ناجية وعليهم الخريت بن راشد، ومن عبد القيس، وعليهم سيحان بن صُوحان وغيرهم فقوَّىٰ الله المسلمين [بهم ووهن بهم أهل الشرك] فولى المشركون الأدبار، فقتل منهم في المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذراري، وقسموا الأموال وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة، وأقام حذيفة بعمان [حتى يوطيء الأمور]، ويسكن الناس.

وأما مهرة فإنّ عكرمة بن أبي جهل سار إليهم لما فرغ من عمان ومعه من استنصر من ناجية، وعبد القيس، وراسب وسعد، فآقتحم عليهم بلادهم. فوافق بها جمعين من مهرة أحدهما مع سخريت[٣] رجل منهم، والثاني مع المصبح أحد بني محارب،

---

(١) في الأصول يسمى وصححناه من الطبري (م) .

(٢) صحار : هضبة عمان ما يلي الجبل كانت مدينة طيبة كثيرة الخيرات .

(٣) في النسخ التي بإيدينا بالسين المهملة بعدها خ فراء مهملة فياء مثناة من تحت أخرها تاء . وفي الطبري بالشين المعجمة بدل السين المهملة . ولم يذكره المصنف في اسد الغابة وكذلك لم يذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكره ابن حجر في الأصابة في حرف الشين مع الحاء المهملة وفي آخرها باء موحدة : (شحريب) فليحرر . (م) .

ومعظم الناس معه، وكانا مختلفين فكاتب عكرمة سخريتاً فأجابه وأسلم، وكاتب المصبح يدعوه فلم يجب؛ فقاتله قتالاً شديداً [أشد من قتال دَبَا] فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم وركبهم المسلمون فقتلوا من شاؤوا منهم وأصابوا ما شاؤوامن الغنائم، وبعث الأخماس إلى أبي بكر مع سخريت وآزداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع، وأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذي يحب وبايعوا على الاسلام.

(دَبا) بفتح الباء الموحدة المخففة وفتح الدال المهملة. و (الخِرِّيت) بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة المكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وآخره تاء. و (سَيْحان) بفتح السين المهملة وبالياء المثناة من تحت وبالحاء المهملة وآخره نون.

ذكر خبر ردة اليمن

لما توفي رسول الله ﷺ، وعلىٰ مكة وأرضها عتاب بن أسِيد، وعلىٰ عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، ومالك بن عوف النصري: عثمان علىٰ المدن. ومالك علىٰ أهل الوبر وبصنعاء فيروز، وداذويه يسانده، وقيس بن مكشوح، وعلىٰ الجند يعلى بن أمية، وعلىٰ مأرب أبو موسى، وكان منهم مع الأسود الكذاب ما ذكرناه، فلما أهلك الله الأسود العنسي بقي طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء ونجران لا تأوي إلى أحد، ومات النبي ﷺ علىٰ أثَر ذلك فآرتدّ الناسُ، فكتب عتاب بن أسيد إلىٰ أبي بكر يعرفه خبر مَنْ ارتد في عمله، وبعث عتاب أخاه خالداً إلى أهل تهامة، وبها جماعة من مدلج وخزاعة، وأبناء كنانة، وأما كنانة فعليهم جندب بن سلمى فآلتقوا بالأبارق فقتلهم خالد وفرّقهم وأفلت جندب وعاد، وبعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى شنوأة وبها جماعة من الأزد وبجيلة وخثعم، وعليهم حُميضة بن النعمان، واستعمل عثمان علىٰ السرية عثمان بن أبي ربيعة فآلتقوا بشنوأة فآنهزم الكفار وتفرقوا وهرب حميضة في البلاد.

وأما الأخابث من العك فكانوا أول منتقض بتهامة بعد النبي ﷺ [ثم تجمع] عك والأشعريون وأقاموا على الأعلاب [طريق الساحل] فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق وقومه من عك ممن لم يرتد فآلتقوا على الأعلاب، فآنهزمت عك ومن معهم وقتلوا قتلاً ذريعاً [وأنتنت السبل لقتلهم] وكان ذلك فتحاً عظيماً، وورد كتاب أبي بكر علىٰ الطاهر يأمره بقتالهم وسَمَّاهم الأخابث وسمى طريقهم طريق الأخابث فبقي

الاسم عليهم إلى الآن.

وأما أهل نجران فلما بلغهم موت النبي ﷺ [وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل] أرسلوا وفداً ليجددوا عهدهم مع أبي بكر. فكتب بذلك كتاباً.

وأما بجيلة فإن أبا بكر رد جرير بن عبدالله وأمره أنْ يستنفر من قومه مَن ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الاسلام، وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلصة. فخرج جرير وفعل ما أمره فلم يقم له أحد إلا نفر يسير فقتلهم وتتبعهم.

(حُميضة) بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة.

ذكر خبر ردة اليمن ثانية

وكان ممن آرتد ثانية قيس بن عبد يغوث بن مكشوح، وذلك أنه لما بلغه موت النبي ﷺ عمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش، وكتب أبو بكر إلى عمر ذي مران وإلى سعيد ذي زود، وإلى ذي الكلاع، وإلى حوشب ذي ظليم، وإلى شهر ذي نياف يأمرهم بالتمسك بدينهم والقيام بأمر الله ويأمرهم بإعانة الأبناء على من ناوأهم، والسمع لفيروز. وكان فيروز، وداذويه، وقيس قبل ذلك متساندين، فلما سمع قيس بذلك كتب إلى ذي الكلاع وأصحابه يدعوهم إلى قتل الأبناء، وإخراج أهلهم من اليمن فلم يجيبوه ولم ينصروه على الأبناء، فآستعد لهم قيس [وتربص لقتل رؤسائهم]، وكاتب أصحاب الأسود المترددين في البلاد سراً يدعوهم ليجتمعوا معه فجاؤوا إليه، فسمع بهم أهل صنعاء فقصد قيس فيروز وداذويه، فاستشارهما في أمره خديعة منه ليلبس عليهما [ولئلا يتهماه] فآطمأنّا إليه، ثم إنّ قيساً صنع من الغد طعاماً ودعا داذويه وفيروز وجشيش، فخرج داذويه فدخل عليه فقتله، وجاء إليه فيروز فلما دنا منه سمع امرأتين [على سطحين] تتحدثان، فقالت إحداهما: هذا مقتول كما قتل داذويه، فخرج فطلبه أصحاب قيس فخرج يركض ولقيه جشيش فرجع معه فتوجها نحو جبل خولان وهم أخوال فيروز فصعدا الجبل ورجعت خيول قيس فأخبروه فثار بصنعاء وما حولها، وأتته خيول الأسود، واجتمع إلى فيروز جماعة من الناس، وكتب إلى أبي بكر يخبره، واجتمع إلى قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم، واعتزل الرؤساء. وعمد قيس إلى الأبناء ففرقهم ثلاث فرق من أقام أقر عياله، والذين ساروا مع فيروز فرق

عيالهم فرقتين فوجه إحداهما إلى عدن ليحملوا في البحر وحمل الأخرى في البر، وقال لهم جميعهم: آلحقوا بأرضكم، [وبعث معهم من يسيرهم، فكان عيال الديلمي ممن سير في البر، وعيال داذويه ممن سير في البحر] فلما علم فيروز ذلك جدّ في حربه وتجرد لها وأرسل إلى بني عقيل بن ربيعة بن عامر يستمدهم وإلى عك ليستمدهم فركبت عقيل [وعليهم رجل من الحلفاء يقال له معاوية]، فلقوا خيل قيس بن عامر، ومعهم عيالات الأبناء الذين كان قد سيرهم قيس فاستنقذوهم، وقتلوا خيل قيس، وسارت عك [وعليهم مسروق] فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الأبناء، وقتلوا من معهم من أصحاب قيس، وأمدت عقيل وعك فيروز بالرجال، فلما أتته أمدادُهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيساً دون صنعاء فآقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم قيس وأصحابه، وتذبذب أصحاب العنسي وقيس معهم فيما بين صنعاء ونجران. قيل: وكان فروة بن مسيك قدم على النبي ﷺ مسلماً فآستعمله النبي ﷺ علىٰ صدقات مراد ومَنْ نازلهم ونزل دارهم، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي قد فارق قومه سعد العشيرة وآنحاز إليهم، وأسلم معهم، فلما ارتد العنسي ومعه مَذحِج آرتد عمرو فيمن ارتد، وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص فلما ارتد سار إليه خالد فلقيه [فآختلفا ضربتين] فضربه خالد علىٰ عاتقه [فقطع حمالة سيفه فوقع ووصلت الضربة إلى عاتقه، وضربه عمرو فلم يصنع شيئاً] فهرب منه وأخذ خالد سيفه الصمصامة وفرسه، فلما آرتد عمر وجعله العنسي بإزاء فروة فآمتنع كلُّ واحدٍ منهما من البراح لمكان صاحبه فبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل أَبْيَن[١]، من مهرة ـ وقد تقدم ذكر قتال مهرة ـ ومعه بشر كثير من مهرة وغيرهم، فاستبرأ النخع، وحمير، وقدم أيضاً المهاجربن أبي أمية في جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير إلى نجران فآنضم إليه فروة بن مُسيك المرادي فأقبل عمرو بن معد يكرب مستخفياً حتى دخل على المهاجر من غير أمان فأوثقه المهاجر وأخذ قيساً أيضاً فأوثقه، وسيرهما إلى أبي بكر فقال: يا قيس قتلت عباد الله؛ واتخذت المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين [وهَمَّ بقتله لو وجد أمراً جلياً]، فآنتفى قيس من أنْ يكون قارف من أمر داذويه شيئاً ـ وكان قتله سراً ـ فتجافىٰ له عن دمه، وقال لعمرو: أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور لو نصرت هذا الدين لرفعك الله.

---

(١) أبين: مخلاف باليمن منه عدن.

فقال: لا جَرَم لأقبلن ولا أعود. [ثم خلى سبيله] ورجعا إلى عشائرهما، فسار المهاجر من نجران وٱلتقت الخيول على أصحاب العنسي فٱستأمنوا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل، ثم سار إلى صنعاء فدخلها وكتب إلى أبي بكر بذلك.

ذكر ردة حضرموت وكندة

لما توفي رسول الله ﷺ، وعماله علىٰ بلاد حضرموت: زياد بن لبيد الأنصاري على حضرموت، وعكاشة بن أبي أمية على السكاسك والسكون، والمهاجربن أبي أمية على كندة استعمله النبي ﷺ، ولم يخرج إليها حتى توفي النبي ﷺ، فبعثه أبو بكر [بعد] إلى قتال مَن باليمن، ثم المسير بعد إلى عمله، وكان قد تخلف عن رسول الله ﷺ بتبوك فرجع رسول الله ﷺ وهو عاتب عليه فبينما أم سلمة تغسل رأس النبي ﷺ قالت: كيف ينفعني عيش وأنت عاتب على أخي؟ فرأت منه رِقَّة فأومأت إلى خادمها فدعته فلم يزل بالنبي ﷺ يذكر عذره حتى [عَذَره] ورضي عنه واستعمله على كندة. فتوفي النبي ﷺ ولم يَسِر إلى عمله ثم سار بعده، وكان سبب ردة كندة وإجابتهم الأسود الكذاب حتى لعن النبي ﷺ الملوك الأربعة منهم أنهم لما أسلموا أمر رسول الله ﷺ أن يوضع بعض صدقة حضرموت في كندة، وبعض صدقة كندة في حضرموت، وبعض صدقة حضرموت في السكون، وبعض صدقة السكون في حضرموت، فقال بعض بني وليعة من كندة لحضرموت: ليس لنا ظهر فإنْ رأيتم أنْ تبعثوا إلينا بذلكَ على ظهر.

قالوا: فإنا ننظر فإن لم يكن لكم ظهر فعلنا.

فلما توفي رسول الله ﷺ [وجاء ذلك الأبان دعا زياد الناس إلى ذلك فحضروه] قالت بنو وليعة: أبلغونا كما وعدتم رسول الله ﷺ.

فقالوا: إنّ لكم ظهراً [فهلموا] فٱحتملوا. فقالوا لزياد: أنت معهم علينا فأتى الحضرميون ولج الكنديون ورجعوا إلى دارهم وترددوا في أمرهم، وأمسك عنهم زياد انتظاراً للمهاجر، وكان المهاجر لما تأخر بالمدينة قد استخلف زياداً على عمله، وسار المهاجر من صنعاء إلى عمله، وعكرمة بن أبي جهل أيضاً [فٱلتقيا بمأرب، ثم فوزا من صهيد حتى اقتحما حضرموت] فنزل أحدهما على الأسود والآخر على وائل، وكان

زياد بن لبيد قد وَلِيَ صدقات بني عمرو بن معاوية من كندة بنفسه فقدم عليهم [وهم بالرياض] فكان أول مَنْ انتهى إليه منهم شيطان بن حجر فأخذ منهم بكرة ووسمها، فإذا الناقة للعدّاء بن حجر أخي شيطان [وليست عليه صدقة]، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها، وكان اسمها شذرة وظنها غيرها فقال العدّاء: هذه ناقتي. فقال شيطان: صدق [أخي فإني لم أعطكموها إلا وأنا أراها غيرها]، فأطلقها وخُذْ غيرها.

[فرأى زياد أنّ ذلك منه اعتلال] فاتهمه بالكفر ومباعدة الإسلام فمنعهما عنها، وقال: صارت في حق الله فلجا في أخذها.

فقال لهما: لا تكونن شذرة عليكم كالبسوس.

فنادى العدّاء يا آل عمرو [بالرياض] أضام وأضطهد! إنّ الذليل مَنْ أُكِلَ في داره[1]، ونادى حارثة بن سراقة بن معد يكرب فأقبل إلى زياد وهو واقف فقال: أطلق بكرة الرجل وخذ غيرها.

فقال زياد: مالي إلى ذلك سبيل؟ فقال حارثة: ذاك إذا كنت يهودياً [وعاج إليها] وأطلق عقالها [ثم ضرب على جنبها] فبعثها، وقام دونها فأمر زياد شباباً من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه وكتفوا أصحابه وارتهنوهم وأخذوا البكرة، وتصايحت كندة وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا أمرهم، وغضبت حضرموت والسكون لزياد وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء [وهؤلاء] ولم يحدث بنو معاوية شيئاً لمكان أسراهم ولم يجد أصحاب زياد سبيلاً [على بني معاوية] يتعلقون به عليهم، وأمرهم زياد بوضع السلاح فلم يفعلوا، وطلبوا أسراهم فلم يطلقهم [وقال له السكون: ناهد القوم فإنه لا يعظمهم إلا ذلك]، ونهد إليهم ليلاً فقتل منهم وتفرقوا، فلما تفرقوا أطلق حارثة ومن معه، فلما رجع الأسرى إلى أصحابهم حرضوهم على زياد ومن معه، واجتمع منهم عسكر كثير، ونادوا بمنع الصدقة، [فتركهم زياد، ولم يخرجه إليهم، وتركوا المسير إليه] فأرسل الحصين بن نمير [إليهم فما زال يسفر فيما بينهم وبين زياد وحضرموت والسكون حتى] سكن بعضهم عن بعض فأقاموا بعد ذلك يسيراً، ثم إنّ بني عمرو بن معاوية من كندة نزلوا المحاجر ـ وهي أحماء حموها ـ فنزل جمد محجراً، ومخوض

---

(١) هذا مثل يضرب لمن ذل في موضع التعزز وضعف حيث ينتظر قدرته.

محجراً، ومشرح محجـراً، وأبضعة محجراً، واختهم العمردّة محجـراً، وهم الملوك الأربعـة رؤساء عمـرو الذين لعنهم رسـول الله ﷺ، وقـد ذكـروا قبـل، ونـزلت بنـو الحارث بن معاويـة محاجـرها فنـزل الأشعث بن قيس محجراً، والسمط بن الأسـود محجراً وأطبقت بنو معاوية كلها على منع الصدقة إلا شرحبيل بن السمط وابنه فإنهما قالا لبني معاوية: إنه لقبيح بالأحرار التنقل، إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العـار فكيف الانتقال من الأمـر الحسن الجميل والحق إلى الباطل والقبيح؟ اللهم إنا لا نمالىء قومنا على ذلك.

وانتقل ونزل مع زياد ومعهما امرؤ القيس بن عابس وقالا له: بَيّت القوم فإن أقواماً من السكاسك والسكون قد انضموا إليهم، وكذلك شذاذ من حضرموت فإن لم تفعل خشينا أن تتفرق الناس عنا إليهم.

فأجابهم إلى تبييت القوم فآجتمعوا وطرقوهم فوجـدوهم جلوساً حـول نيرانهم [فعرفوا من يريدون] فأكبوا علىٰ بني عمرو بن معاوية وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجـه [في خمس فرق] فـأصابـوا مشرحـاً، ومخوصـاً، وجمداً، وأبضعـة وأختهم العمرّدة، وأدركتهم لعنة النبي ﷺ، وقتلوا فأكثروا، وهرب من أطلق الهرب، [ووهنت بنوعمرو بن معاوية فلم يأتوا بخير بعدها]، وعاد زياد بن لبيد بالأموال والسبي وآجتازوا بالأشعث، فثار في قومه واستنقذهم، وجمع الجموع، وكتب زياد إلى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالطريق فاستخلف على الجند عكرمة بن أبي جهل وتعجل في سرعان الناس وقدم على زياد، وسار إلى كندة فالتقوا بمحجر الزُّرقان فاقتتلوا فآنهزمت كندة وقتلت وخرجوا هراباً فالتجؤوا إلى النجير، وقد رموه وأصلحوه.

وسار المهاجر فنزل عليهم واجتمعت كندة في النجير فتحصنـوا به فحصـرهم المسلمون، وقدم إليهم عكرمة فآشتد الحصر علىٰ كندة، وتفرقت السرايا في طلبهم، فقتلوا منهم، وخرج من بالنجير من كندة وغيرهم فقاتلوا المسلمين فكثر فيهم القتل، فـرجعوا إلى حصنهم، وخشعت نفـوسهم، وخافـوا القتل، وخـاف الرؤساء على نفوسهم، فخرج الأشعث ومعه تسعة نفر، فطلبوا من زياد أن يؤمنهم وأهليهم على أن يفتحوا له الباب فأجابهم إلى ذلك وقـال: آكتبوا مـا شئتم، ثم هلموا الكتـاب حتى اختمه.

ففعلوا، ونسي الأشعث أنْ يكتب نفسه لأن جحدماً وثب عليه بسكين. فقال: تكتبني أو أقتلك فكتبه، ونسي نفسه ففتحوا الباب فدخل المسلمون فلم يدعوا [فيه] مقاتلاً إلا قتلوه وضربوا أعناقهم صبراً وأخذوا الأموال والسبي فلما فرغوا منهم، دعا الأشعث أولئك النفر والكتاب معهم فعرضهم فأجاز مَنْ في الكتاب فإذا الأشعث ليس منهم، فقال المهاجر: الحمد لله الذي خطأك نوءك: يا أشعث، يا عدو الله، قد كنت اشتهي أنْ يخزيك الله.

وشَدّه كتافاً [وهمّ بقتله] فقيل له: أَخِّرْه وسَيِّرْه إلى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه. فسيّره إلى أبي بكر مع السبي.

وقيل: إن الحصار لما اشتد على مَن بالنجير نزل الأشعث إلى المهاجر وزياد والمسلمين فسألهم الأمان علىٰ دمه وماله حتى يقدموا به علىٰ أبي بكر فيرى فيه رأيه على أنْ يفتح لهم النجير، ويسلم إليهم من فيه، وغدر بأصحابه، فقبلوا ذلك منه، ففتح لهم الحصن فاستنزلوا من فيه من الملوك، فقتلوهم، وأوثقوا الأشعث، وأرسلوه مع السبي إلى أبي بكر، فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا قومه، وسماه نساء قومه «عرف النار» وهو اسم الغادر عندهم، فلما قدم المدينة قال له أبو بكر: ما تراني أصنع بك؟ قال: لا علم. قال: فإني أرىٰ قتلك. قال: فإني أنا الذي راوضت القوم في عشرة فما يحل دمي. [قال: أفوضوا إليك؟ قال: نعم قال: ثم أتيتهم بما فوضوا إليك فختموه لك قال: نعم] قال: إنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها، وإنما كنت قبل ذلك مراوضاً.

فلما خشي القتل قال: أو تحتسب فيّ خيراً فتطلق اسارى، وتقيلني عثرتي، وتفعل بي مثل ما فعلت بأمثالي وترد عليّ زوجتي؟ ـ وقد كان خطب أم فروة أخت أبي بكر فلما قدم على النبي ﷺ أخّرها إلى أن يقدم الثانية فمات النبي ﷺ وارتد ـ فإن فعلت ذلك تجدني خير أهل بلادي لدين الله.

فحقن دمه وردّ عليه أهله وأقام بالمدينة حتى فتح العراق، وقسم الغنائم بين الناس.

وقيل: إن عكرمة قدم بعد الفتح [مدداً لهم] فقال زياد والمهاجر لمن معهما: إنّ

إخوانكم قدموا مدداً لكم [وقد سبقتموهم بالفتح] فأشركوهم في الغنيمة. ففعلوا وأشركوهم.

ولما ولي عمر بن الخطاب قال: إنه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً، وقد وسع الله عز وجل وفتح الأعاجم واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها وجعل فداء لكل انسان ستة أبعرة أو سبعة إلا حنيفة وكندة فإنه خفف عليهم لقتل رجالهم [وأهل دَبا] فتتبع النساء بكل مكان ففدوهن.

وفيها انصرف معاذ بن جبل من اليمن. وفيها استقضىٰ أبو بكر عمر بن الخطاب، وكان يقضي بين الناس خلافته كلها.

وحج بالناس في هذه السنة عتاب بن أسيد، وقيل: عبد الرحمن بن عوف.

(النُّجَيْر) بضم النون وفتح الجيم وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره راء حصن باليمن منيع.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة

ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق وصلح الحيرة

في هذه السنة في المحرم منها أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة. يأمره بالمسير إلى العراق ـ وقيل: بل قدم المدينة من اليمامة فسيّره أبو بكر إلى العراق ـ فسار حتىٰ نزل ببانِقيا[١]، وبارُوسما[٢]، وأُلَّيس[٣]، وصالحه أهلها، وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة آلاف دينار سوى حرزة كسرى، وكانت على كل رأس أربعة دراهم، وأخذ منهم الجزية، ثم سار حتى نزل الحيرة. فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائي ـ وكان أميراً عليها بعد النعمان بن المنذر ـ فدعاهم خالد إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة. فاختاروا الجزية فصالحهم على تسعين ألف درهم فكانت أول جزية أخذت من الفرس في الاسلام. هي والقريات التي صالح عليها، وقيل: إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بـالأُبُلّة وكتب إلى عياض بن غنم أنْ يقصد العراق ويبدأ بالمُصَيَّخ ويدخل العراق من أعلاه، ويسير حتى يلقى خالداً، وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن أبا بكر أن يغزو بالعراق. فأذن له. فكان يغزوهم قبل قدوم خالد، وأمر أبو بكر خالداً، وعياضاً أن يستنفرا من قاتل أهل الردة وأن لا يغزون معهما مرتداً[٤] ففعلا، وكتبا إليه يستمدانه، فأمد خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي[٥] فقيل له: أتمد [رجلا قد ارفض عند جنوده] برجل واحد؟ فقال: لا يُهزم جيشٌ فيهم مثل هذا.

---

(١) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة على شاطىء الفرات .

(٢) باروسما : ناحيتان من نواحي بغداد يقال لهما باروسما الاعلى وباروسما الأسفل.

(٣) أُلَيس : موضع في أول ارض العراق من ناحية البادية وقيل قرية من قرى الأنبار .

(٤) في المطبوعة (مرتد) ـ بدون التنوين .

(٥) القعقاع بن عمر التميمي ؛ شهد مع علي الجمل وغيرها قال فيه أبو بكر الصديق : « صوت القعقاع خيرٌ من الف رجل » اسد الغابة ١٠٩/٤ .

وأمدّ عياضاً بعبد بن غوث الحميري، وكتب أبو بكر إلى المثنى، وحرملة، ومعذور، وسلمى أنْ يلحقوا بخالد بالأُبُلّة فقدم خالد ومعه عشرة آلاف مقاتل، وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف، ولما قدم خالد فرق جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحد، على مقدمته المثنىٰ، وبعده عديّ بن حاتم، وجاء خالد بعدهما، ووعدهما الحفير[1] [ليجتمعوا به، و] ليصادموا عدوهم، وكان ذلك الفرج أعظم فروج فارس شأناً وأشدها شوكة. فكان صاحبه أسوار اسمه هرمز، فكان يحارب العرب في البر. والهند في البحر، فلما سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير الملك بالخبر [وجمع جموعه] ثم تعجل هو إلى الكواظم في سرعان أصحابه [ليتلقى خالداً] فسمع أنهم تواعدوا الحفير فسبقهم إليه، ونزل به، وجعل على مقدمته قباذ وأنوشجان وكانا من أولاد أردشير الأكبر واقترنوا في السلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد فمال بالناس إلى كاظمة[2] فسبقه هرمز إليها، وكان سيىء المجاروة للعرب، فكلهم عليه حَنِق، وكانوا يضربونه مثلاً [في الخبث] فيقولون : أكفر من هرمز.

وقدم خالد فنزل على غير ماء فقال له أصحابه في ذلك: ما تفعل؟ فقال لهم: لعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين [وأكرم الجندين]. فحطوا أثقالهم [والخيل وقوف] وتقدم خالد إلى الفرس. فلاقاهم [واقتتلوا] وأرسل الله سحابة فاغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم، وخرج هرمز ودعا خالداً إلى البراز وواطأ أصحابه علىٰ الغَدْر بخالد فبرز إليه خالد ومشىٰ نحوه راجلاً ونزل هرمز أيضاً وتضاربا، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز فما شغله ذلك عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو فأزاحهم، وانهزم أهل فارس، وركبهم المسلمون [إلى الليل]. وسميت الوقعة « ذات السلاسل »، ونجا قباذ وأنو شجان.

[غزوة ذات السلاسل]

وأخذ خالد سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف لأنّه كان قد تم شرفه في الفرس، وكانت هذه عادتهم إذا تم شرف الانسان تكون قلنسوته بمائة ألف،[3] وبعث خالد

---

(١) الحفير : موضع بين مكة والمدينة . وحفير نهر بالأردن بالشام .

(٢) كاظمة : على سيف الخليج الفارسي في طريق البحرين من البصرة .

(٣) كان تمام شرف أحدهم أن يكون من بيوتات السبعة ونفل أبو بكر القلنسوة خالد بن الوليد ، وكانت مفصصة بالجواهر (م) .

بالفتح والأخماس إلى أبي بكر، وسار حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة، وبعث المثنى بن حارثة في آثارهم، وأرسل معقل بن مُقرِّن إلى الأُبُلّة ففتحها فجمع الأموال بها والسَّبْي، وهذا القول خلاف ما يعرفه أهل النقل لأن فتح الأبلة كان على يد عتبة بن غزوان أيام عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة، وحاصر المثنىٰ بن حارثة حصن المرأة ففتحه، وأسلمت، ولم يعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين لأن أبا بكر أمرهم بذلك.

ذكر وقعة الثنيّ [١]

لما وصل كتاب هرمز إلى أردشير بخبر خالد أمده بقارن بن قريانس [فخرج قارن من المدائن ممد الهرمز]؛ فلما انتهى إلى المذار لقيته[٢] المنهزمون، فاجتمعوا، ورجعوا ومعهم قباذ وانوشجان، ونزلوا الثني ـ وهو النهر ـ وسار إليهم خالد فلقيهم، واقتتلوا فبرز قارن فقتله معقل بن الأعشى بن النباش، وقتل عاصم أنو شجان، وقتل عدي بن حاتم قباذ، وكان شرف قارن قد انتهى، ولم يقاتل المسلمون بعده أحداً آنتهى شرفه [في الأعاجم]، وقتل من الفرس مقتلة عظيمة يبلغون ثلاثين ألفاً سوىٰ مَنْ غَرِق، ومنعتْ المياهُ المسلمين من طلبهم، وقسم الفيء وأنفذ الأخماس إلى المدينة وأعطى الأسلاب من سلبها، وكانت الغنيمة عظيمة وسبى عيالات المقاتلة، وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا ذمة، وكان في السبي أبو الحسن البصري، وكان نصرانياً، وأمّر على الجند سعيد بن النعمان، وعلى الحرز سويد بن مقرِّن المزني، وأمره بنزول الحفير [وأمره ببث عماله، ووضع يده في الجباية]، وأقام يتجسس الأخبار.

ذكر وقعة الوَلَجَة [٣]

ولما فرغ خالد من الثني وأتى الخبر أردشير بعث الأندرزغر[٤] وكان فارساً من مولدي السواد، وأرسل بهمن جاذويه[٥] في أثره في جيش وحشر إلى الأندرزغر من بين

---

(١) خالف الطبري في التاريخ المؤلف في عنوانه فقال المذار والعرب تسمي كل نهر الثني .

(٢) كذا في المطبوعة .

(٣) الولجة : بأرض كسكر مما يلي البر بالعراق ، وهي على يسار الى مكة من القادسية .

(٤) هو بزاي مفتوحة فغين معجمة آخره راء ومعناه كلب الصيد ويكتب في الفارسية (زغار) (م) .

(٥) أصله جادو ـ ويه حذفت منه الواو واعجمت الدال كما هي القاعدة فيما ينقل من الفارسية إلى العربية، فصار جاذويه ، ومعناه أحسن ساحر (م) .

الحيرة وكسكر، ومن عرب الضاحية، والدهاقين، وعسكروا بالولجة، وسمع بهم خالد فسار إليهم من الثني فلقيهم بالولجة، وكمن له، فقاتلهم قتالاً شديداً أشد من الأول حتى ظن الفريقان أنّ الصبر قد فرغ واستبطأ خالد كمينه [وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتين عليهم بسر بن أبي رهم؛ وسعيد بن مرة العجلي] فخرجوا من ناحيتين فانهزمت صفوف الأعاجم وأخذ خالد من بين أيديهم، والكمين من خلفهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ومضى الأندرزغر منهزماً فمات عطشاً، وأصاب خالد ابناً لجابر بن بجير وابناً لعبد الأسود من بكر بن وائل، وكانت وقعة الولجة في صفر وبذل الأمان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمة، وسبي ذراريَّ المقاتلة ومن أعانهم.

ذكر وقعة أليس وهو على الفرات

لما أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل، الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس، واجتمعوا على أليس، وعليهم عبد الأسود العجلي، وكان مسلمو بني عجل منهم عتيبة بن النهاس، وسعيد بن مرة، وفرات بن حيان، ومذعور بن عديّ، والمثنى بن لاحق أشد الناس علىٰ أولئك النصارى، وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه، وهو بقسيناثا[1] يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس، فقدم بهمن جاذويه جابان إليهم، وأمره بالتوقف عن المحاربة إلى أن يقدم عليه، ورجع بهن جاذويه إلى أردشير ليشاوره فيما يفعل. فوجده مريضاً. فتوقف عليه، فاجتمع على جابان نصارى عجل، وتيم اللات، وضبيعة، وجابر بن بجير، وعرب الضاحية من أهل الحيرة، وكان خالد لما بلغه تجمع نصارى بكر، وغيرهم سار إليهم ولا يشعر بدنو جابان، [وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية ونصاراهم فأقبل] فلما طلع جابان باليس قالت العجم له: أنعاجلهم أم نغدي الناس، ولا نريهم أنا نحفل بهم. ثم نقاتلهم؟ [بعد الفراغ]. فقال جابان: إن تركوكم فتهاونوا بهم.

فعصوه، وبسطوا الطعام [ووضعوا الأطعمة، وتداعوا إليها، وتوافوا إليها]، وانتهى خالد إليهم، وحط الأثقال، فلما وضعت توجه إليهم وطلب مبارزة عبد الأسود،

(١) في الأصول: بقشيناثا. بالشين المعجمة وهو غلط صححناه من الطبري ومعجم البلدان (م).

وابن أبجر، ومالك بن قيس فبرز إليه مالك من بينهم [فقال له خالد: يا بن الخبيثة ما جرأك عليّ من بينهم، وليس فيك وفاء فضربه] فقتله خالد، وأعجل الأعاجم عن طعامهم [قبل أن يأكلوا]، فقال لهم جابان: ألم أقل لكم والله ما دخلتني من مقدم جيش وحشة إلا هذا؟ وقال لهم: حيث لم تقدروا على الأكل فسموا الطعام فإن ظفرتم فأيسرها لك وإن كانت لهم هلكوا بأكله. فلم يفعلوا، واقتتلوا قتالاً شديداً، والمشركون يزيدهم كلباً وثبوتاً توقعهم قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين، فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعليّ أن لا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجرى من دمائهم نهرهم، فآنهزمت فارس، فنادى منادي خالد الأسراء الأسراء إلا من امتنع. فاقتلوه فأقبل بهم المسلمون أسراء ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوماً وليلة.

فقال له القعقاع وغيره: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فأرسل عليها الماء تبر يمينك، ففعل وسمى نهر الدم، ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين: قد نفلتكموه. فتعشى به المسلمون، وجعل من لم ير الرقاق يقول: ما هذه الرقاع البيض؟ [وجعل من قد عرفها يجيبهم. ويقول لهم مازحاً: هل سمعتم برقيق العيش؟ فيقولون: نعم فيقولون: هو هذا] وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، وكانت الوقعة في صفر، فلما فرغ من أليس. سار إلى أمغيشيا ـ وقيل اسمها: منيشيا ـ فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله لأن أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم، وأثاثهم، وكراعهم وغير ذلك، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح. ومبلغ الغنائم، والسبي، وأخرب أمغيشيا، فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: عجزت النساء أنْ يلدن مثل خالد.

ذكر وقعة يوم فرات بادقلي[١] وفتح الحيرة

ثم سار خالد من أمغيشيا إلى الحيرة، وحمل الرجال والأثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة، وهو الأزاذبه[٢] فعسكر عند الغرِيّين[٣] وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن فبقيت على الأرض، فسار خالد في خيل نحو ابن الأزاذبه فلقيه على فرات

(١) الكلمة الفارسية وأصلها بودقلي بالواو وابدلوا العرب الواو ألفاً ومعناه بالفارسية متفرع ويكون المعنى عند تفرع الفرات (م).

(٢) بالفارسية ينطق بلفظ (به) بين الباء والفاء ويكون تحتها ثلاث نقط.

(٣) الغربان: بناءان كالصومعتين كانا بظهر الكوفة قرب القبر الذي يقال له قبر عليّ.

بادقلي فضربه وقتله وقتل أصحابه، وسار نحو الحيرة فهرب منه الأزذابه، وكان قد بلغه موت أردشير وقتل ابنه فهرب بغير قتال، ونزل المسلمون عند الغريين وتحصن أهل الحيرة فحصرهم في قصورهم، وكان ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائي، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر الغريِّين، وفيه عدي بن عدي المقتول، وكان ضرار بن مقرن المزني عاشر عشرة إخوة محاصراً قصر ابن مازن، وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بُقيلة، وفيه عمرو بن المسيح بن بقيلة، فدعوهم جميعاً وأجلوهم يوماً وليلة فأبى أهل الحيرة. وقاتلهم المسلمون فـآفتتحوا الدور والأديار وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان: يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم.

فنادى أهل القصور المسلمين قد قبلنا واحدة من ثلاث وهي: إما الاسلام، أو الجزية، أو المحاربة. فكفوا عنهم؛ وخرج إليهم إياس بن قبيصة، وعمـرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث، وهو بقيلة، وإنما سمي بقيلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا: [يا حار] ما أنت إلا بقيلة خضراء. فارسلوهم إلى خالد فكان الذي يتكلم عنهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أتى عليك؟ قال: مئو سنين. قال: فما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيتُ القرى منظومة ما بين دمشق. والحيرة تخرج المرأة [من الحيرة] فلا تتزود إلا رغيفاً. فتبسم خالد [وقال: هل لك من شيخك إلا عقلة خرفت. والله يا عمرو؟ وقال لأهل الحيرة. ألم يبلغني أنكم خبثة خدعة [مكرة]؟ فما بالكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدري من أين جاء؟

فأحب عمرو أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله و[يستدل به على] صحة ما حدثه به قال: وحقك إني لأعرف من أين جئت؟. قال: فمن أين خرجت؟ [قال: أقرب أم بعد؟ قال: ما شئت] قال: من بطن أمي. قال: فأين تريد؟ قال: أمامي. قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرك؟ قال: من صلب أبي. قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي. قال: اتعقل؟ قال: أي والله وأقيد. قال خالد: إنما أسألـك. قال: فـأنا اجيبك. قال: أسِلْم أنت أم حرب؟ قال: بل سِلْم قال: فما هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى ينهاه الحليم. قال: خالد: قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها القوم أعلم بما فيهم، [فقال عمرو : أيها الأمير: النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة] وكان مع ابن بقيلة خادم معه كيس فيه سم فأخذه خالد ونثره في يده

وقال: لم تستصحب هذا؟ قال: خشيتُ أن تكونوا على غير ما رأيت [وقد أتيت على أجلي] فكان الموت أحبّ إليّ من مكروه ادخله على قومي [وعلى أهل قريتي] فقال خالد: أنها لن تموت نفسي حتى تأتي على أجلها، وقال: « باسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي لا يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم » [فأهووا إليه ليمنعوه وبادرهم] وابتلع السم، فقال ابن بقيلة: والله لتبلغن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا. وأبى خالد أن يصالحهم إلا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح إلى شويل فأبوا فقالت لهم: هوّنوا وأسلموني فإني سأفتدي، ففعلوا فأخذها شويل، فافتدت منه بألف درهم فلامه الناس. فقال: ما كنت أظن أن عدداً أكثر من هذا.

وكان سبب تسليمها إليه أن النبي ﷺ لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة سأله شويل أن يعطي كرامة ابنة عبد المسيح وكان رآها شابة فمال إليها فوعده النبي ﷺ ذلك، فلما فتحت الحيرة طلبها، وشهد له شهود بوعد النبي ﷺ أن يسلمها إليه فسلمها إليه خالد، وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفاً. وقيل: على مائتي ألف وتسعين ألفاً، وأهدوا له هدايا، فبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر فقبلها أبو بكر من الجزية. وكتب إلى خالد أن يأخذ منهم بقية الجزية. ويحسب لهم الهدية.

وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة، وكتب لهم خالد كتاباً فلما كفر أهل السواد [بعد موت أبي بكر] ضيعوا الكتاب، فلما افتتحها المثنى ثانية عاد بشرط آخر، فلما عادوا كفروا، وافتتحها سعد بن أبي وقاص ووضع عليهم أربعمائة ألف [سوى الحرزة]، قال خالد: ما لقيت قوماً كأهل فارس وما لقيت من أهل فارس كأهل أليس.

ذكر ما بعد الحيرة

قيل: كان الدهاقين يتربصون بخالد، [وينظرون] ما يصنع أهل الحيرة، فلما صالحهم واستقاموا له. اتته الدهاقين من تلك النواحي، أتاه دهقان فرات سريا، وصلوا بابن نسطونا، ونسطونا. فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمز جرد على ألفي ألف، وقيل: ألف ألف سوى ما كان لآل كسرى، وبعث خالد عماله ومسالحه، وبعث ضرار بن الأزور، وضرار بن الخطاب، والقعقاع بن عمرو، والمثنى بن حارثة، وعيبة بن النهاس. فنزلوا على السيب، وهم كانوا أمراء الثغور مع خالد، وأمرهم بالغارة

فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة، وكتب خالد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الاسلام أو الجزية فإن أجابوا وإلا حاربهم، فكان العجم مختلفين بموت أردشير إلا إنهم قد أنزلوا بهمن جاذويه بهر سير ومعه غيره كأنه مقدمة لهم، وجبى خالد الخراج في خمسين ليلة، وأعطاه المسلمين، ولم يبق لأهل فارس فيما بين الحيرة. ودجلة أمر لاختلافهم بموت أردشير إلا أنهم مجمعون على حرب خالد، وخالد مقيم بالحيرة يصعد ويصوب سنة قبل خروجه إلى الشام والفرس يخلعون ويملكون ليس إلا الدفع عن بهر سير، وذلك أن شيري بن كسرى قتل كل من كان يناسبه إلى أنو شروان، وقتل أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه من كان بين أنو شروان. وبين بهرام جور فبقوا لم يقدروا على من يملكونه ممن يجتمعون عليه، فلما وصلهم كتب خالد تكلم نساء آل كسرى فولى الفرخزاد بن البنذوان إلى أن يجتمع آل كسرى على من يملكونه إن وجدوه.

ووصل جرير بن عبد الله البجلي إلى خالد بعد فتح الحيرة، وكان سبب وصوله إليه أنه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام فاستأذنه في المسير إلى أبي بكر ليكلمه في قومه ليجمعهم له وكانوا أوزاعاً متفرقين في العرب، فأذن له فقدم على أبي بكر فذكر له ذلك وأن رسول الله ﷺ وعده به وشهد له شهود [وسأله إنجاز ذلك] فغضب أبو بكر، وقال: [له] نرى شغلنا وما نحن فيه بِغَوْث المسلمين ممن بإزائهم [من الأسدين] فارس والروم، ثم أنت تكلفني [التشاغل] بما لا يغني [عما هو أرضى لله ولرسوله! دعني] ». وأمره بالمسير إلى خالد بن الوليد، فسار حتى قدم عليه بعد فتح الحيرة، ولم يشهد شيئاً مما قبلها بالعراق ولا شيئاً مما كان خالد فيه من قتل أهل الردة.

(عتيبة) بالتاء المثناة من فوقها وبالياء المثناة من تحتها وبالباء الموحدة.

ذكر فتح الأنبار

ثم سار خالد على تعبيته [التي خرج فيها من الحيرة] إلى الأنبار ـ وإنما سمي الأنبار لأن أهراء الطعام كانت بها أنابير ـ وعلى مقدمته الأقرع بن حابس، فلما بلغها أطاف بها، وأنشب القتال، وكان قليل الصبر عنه [إذا رآه أو سمع به] وتقدم إلى رماته [فأوصاهم] أن يقصدوا عيونهم فرموا رشقاً واحداً، ثم تابعوا فأصابوا ألف عين،

فسميت تلك الوقعة « ذات العيون »، وكان على من بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط [وكان أعقل أعجمي يومئذ]، فلما رأى ذلك أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد، فردّ رسله ونحر من إبل العسكر كل ضعيف وألقاه في خندقهم ثم عبره، فآجتمع المسلمون والكفار في الخندق. فأرسل شيرزاد إلى خالد وبذل له ما أراد. فصالحه على أن يلحقه بمأمنه في جريدة ليس معهم من متاع شيء وخرج شير زاد إلى بهمن جاذويه، ثم صالح خالد من حول الأنبار وأهل كِلْوَاذى(١).

ذكر فتح عين التمر(٢)

ولما فرغ خالد من الأنبار [واستحكمت له] استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار إلى عين التمر، وبها مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب. من النمر، وتغلب، وإياد، وغيرهم، فلما سمعوا بخالد. قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالداً. قال: صدقت [لعمري] فأنتم أعلم بقتال العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم فجدعه واتقى به، وقال: [دونكموهم] وإن احتجتم إلينا أعنّاكم فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول، فقال لهم [دعوني فإن لم أُرِدْ إلا ما هو خير لكم وشر لهم] إنه قد جاءكم من قتل ملوككم، وفل حدكم. فاتقيته بهم فإن كانت لكم على خالد فهي لكم، وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء [وهم مضعفون]، فآعترفوا له [بفضل الرأي] وسار عقة إلى خالد فالتقوا فحمل خالد بنفسه على عقة، وهو يقيم صفوفه فاحتضنه، وأخذه أسيراً وانهزم عسكره من غير قتال، فأسر أكثرهم، فلما بلغ الخبر مِهران هرب في جنده وتركوا الحصن، فلما انتهى المنهزمون إليه تحصنوا به فنازلهم خالد فطلبوا منه الأمان، فأبىٰ فنزلوا على حكمه فأخذهم أسرى، وقتل عقة ثم قتلهم أجمعين وسبىٰ كلَّ مَنْ في الحصن وغنم ما فيه، ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل فأخذهم فقسمهم في أهل البلاء منهم سيرين أبو محمد، ونصير أبو موسى، وحمران مولى عثمان، وأرسل إلى أبي بكر بالخبر والخمس. وفي عين التمر

---

(١) موضع قرب بغداد.

(٢) بلدة في طرف البادية على غربي الفرات حولها قريات.

قتل عمير بن رآب السهمي وكان من مهاجرة الحبشة، ومات بها بشير[1] بن سعد الأنصاري والد النعمان فدفن بها إلى جانب عمير.

ذكر خبر دُومة الجندل[2]

ولما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم يستمده على من بإزائه من المشركين فسار خالد إليه فكان بإزائه بهراء، وكلب، وغسان، وتنوخ، والضجاعم، وكانت دومة على رئيسين، أكيدر بن عبد الملك، والجودي بن ربيعة، فأما أكيدر فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه خوفاً فلم يقبلوا منه [فقال: لن أمالئكم علىٰ حرب خالد فشأنكم]، فخرج عنهم وسمع خالد بمسيره فأرسل إلى طريقه [عاصم بن عمرو معارضاً له] فأخذه أسيراً فقتله وأخذ ما كان معه[3]، وسار حتى نزل على أهل دومة الجندل فجعلها بينه وبين عياض [وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن]، فلما اطمئن خالد خرج إليه الجودي في جمع ممن عنده من العرب لقتاله، وأخرج طائفة أخرى إلى عياض فقاتلهم عياض فهزمهم فهَزَمَ خالد من يليه، وأخذ الجودي أسيراً وانهزموا إلى الحصن [فلم يحملهم]، فلما امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله [حرداء]، فأخذهم خالد فقتلهم حتى سد باب الحصن، وقتل الجودي، وقتل الأسرى إلا أسرى كلب فإن بني تميم قالوا لخالد: قد أمناهم وكانوا حلفاءهم فتركهم، [وقال: ما لي ولكم أتحفظون أمرَ الجاهلية وتضيِّعون أمر الاسلام؟. فقال له عاصم: لا تحسدهم العافية ولا يحوذهم الشيطان].

ثم أخذ الحصن قهراً فقتل المقاتلة وسبى الذرية والسرح فباعهم واشترى خالد ابنة الجودي، وكانت موصوفة، وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الأعاجم وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقة، فخرج زَرِمهر وروزبه يريدان الأنبار واتعدا حصيداً والخنافس، فسمع القعقاع بن عمرو وهو خليفة خالد على الحيرة فأرسل أعبد بن فدكي وأمره

---

(١) في الأصول: بشر بن سعد، وهو غلط صححناه من أسد الغابة (م).

(٢) دومة الجندل من أعمال المدينة على سبع مراحل من دمشق.

(٣) أعلم أن أكيدراً هذا تقدم ص ٢٢٧ كان أرسل رسول الله إليه خالد بن الوليد وقال له؛ إنك تجده يصيد البقرة ـ راجع القصة.

بالحصيد، وأرسل عروة بن الجعد البارقي إلى الخنافس فخرجا فحالا بينهما وبين الريف، ورجع خالد إلى الحيرة فبلغه ذلك ـ وكان عازماً على مصادمة أهل المدائن فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبي بكر ـ فعجّل القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكي إلى روزبه وزَرِمهر [فسبقاه إلى عين التمر]، ووصل إلى خالد [كتاب امرىء القيس الكلبي] أن الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ، ونزل ربيعة بن بجير بالثني وبالبشر غضباً لعقة يريدان زرمهر، وروزبه، فخرج خالد وسار إلى القعقاع وأبي ليلى. فآجتمع بهما بالعين فبعث القعقاع إلى حصيد وبعث أبا ليلى إلى الخنافس.

ذكر وقعة حُصيد والخنافس[١]

فسار القعقاع نحو حُصيد، وقد اجتمع بها روزبه، وزرمهر فآلتقوا بحصيد، فقتل من العجم مقتلة عظيمة فقتل القعقاع زرمِهر،[٢] وقتل عصمة بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف الضبي روزبه، وكان عصمة من البررة، وهم كل فخذ هاجرت بأسرها، والخيرة كل قوم هاجروا من بطن، وغنم المسلمون ما في حصيد، وآنهزمت الأعاجم إلى الخنافس، وسار أبو ليلى بمن معه إلى الخنافس، وبها المهبوذان على العسكر، فلما أحس المهبوذان بهم هرب إلى المصيخ إلى الهذيل بن عمران.

ذكر وقعة مصيخ بني البرشاء

ولما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد ـ وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع، وأبي ليلى، وأعبد، وعروة، ووعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ ـ [وهو بين حوران والقلت] ـ وخرج خالد من العين قاصداً إليهم، [على الإبل يجنب الخيل]، فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصيخ فأغاروا على الهذيل، ومن معه وهم نائمون مِنْ ثلاثة أوجه فقتلوهم، وأفلت الهذيل في ناس قليل، وكثر فيهم القتل، وكان مع الهذيل عبد العزى بن أبي رهم أخو أوس

---

(١) جمع المؤلف الوقعتين في ترجمة واحدة لقربهما وعدم أهمية الثانية لأنّ المسلمين لم يروا كيداً في الخنافس، وأفرد ابن جرير كُلًّا بترجمة.

* والخنافس: موضع في طرف العراق قرب الأنبار من ناحية البردان تقام فيه سوق للعرب.

(٢) سمّاه في معجم البلدان: روزمهر.

مناة، ولبيد بن جرير وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبي بكر بإسلامهما فقتلا في المعركة، فبلغ ذلك أبا بكر وقول عبد العزى:

أقول إذ طرق الصباح بغارة ... سبحانك اللهم رب محمد
سبحان ربي لا إله غيره ... رب البلاد ورب من يتورد

فوَدَاهما وأوصى بأولادهما فكان عمر يعتد بقتلهما، وقتل مالك بن نويرة على خالد[١] فيقول أبو بكر: كذلك يلقى من نازل أهل الشرك، وقد كان حرقوص بن النعمان بن النمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه فجلس مع زوجته وأولاده يشربون، فقال لهم: اشربوا شراب مودّع هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد، ثم قال:

ألا آسقياني قبل خيل أبي بكر ... لعل منايانا قريب وما ندري[٢]

فضرب رأسه، فإذا هو في جفنة فيها الخمر، وقتلوا أولاده: فأخذوا بناته، وقيل: إنّ قتل حرقوص، وهذه الوقعة ووقعة الثني كان في مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام، وسيذكر ان شاء الله تعالى.

ذكر وقعة الثني والزُّمَيْل [٣]

وكان ربيعة بن بجير التغلبي بالثني، والبشر ـ وهو الزميل ـ وهما شرقي الرصافة ـ قد خرج غضباً لعقة وواعد روزبه، وزَرَمِهر، والهذيل؛ ولما أصاب خالد أهل المصيخ، واعد القعقاع، وأبا ليلى ليلة. وأمرهما بالمسير ليغيروا عليهم، فسار خالد من المصيخ فاجتمع هو وأصحابه بالثني فبيّتهم من ثلاثة أوجه ـ [كما فعل بأهل

---

(١) ليس لعمر رضي الله عنه حق في الاعتداد بقتلهما على خالد لانهما كانت لهما مندوحة عن الوجود في عسكر محارب للمسلمين، فهما اللذان تورطا بوجودهما مع ذلك الجند، وأما مالك بن نويرة فقد كان لخالد تأويل وهو قائد ماهر يعرف ما ينفع أهل الاسلام فيأتيه، ولعله رأىٰ في قتل مالك نفعاً وبخاصة هو في جند قليل بإزاء جند أهل الردة وهم كثيرون، فإذا لم يشرّد بمن يقعون في يده مَنْ خلفهم فَسَدَ عليه الأمر (م).

(٢) الذي في ابن جرير هكذا:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر ... بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر
وقبل منايانا المصيبة بالقدر ... لحين لعمري لا يزيد ولا يجري

(٣) الزُّمَيْل موضع في ديار كلب، والزميل عند البشر بالجزيرة شرقي الرصافة.

المصيخ] ـ وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر، وغنم وسبى، وبعث بالخبر والخمس [مع النعمان بن عوف] إلى أبي بكر فآشترى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه بنت ربيعة بن بجير التغلبي [فآتّخذها] فولدتْ له عمرَ، ورقية.

ولما انهزم الهذيل بالمصيخ لحق بعتاب بن فلان وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيّتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة أوجه قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها [وكانت على خالد يمين ليبغتن تغلب في دارها، وكانت في الأخماس ابنة مؤذن النمري، وليلى بنت خالد، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة]، وقسم الغنائم وبعث الخمس إلى أبي بكر [مع الصباح بن فلاح المزني]، وسار خالد من البشر إلى الرضاب، وبها هلال بن عقة. فتفرق عنه اصحابه [حين سمعوا بدنوّ خالد] وسار هلال عنها فلم يلق خالد بها كيداً.

ذكر وقعة الفراض

ثم سار خالد من الرضاب إلى الفراض وهي تخوم الشام، والعراق، والجزيرة، وأفطر بها رمضان لاتصال الغزوات، وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم، واجتمع معهم تغلب، وإياد، والنِّمِر، وساروا إلى خالد، فلما بلغوا الفرات قالوا له: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم. قال خالد: أعبروا. قالوا له: تنحَّ عن طريقنا حتى نعبر. قال: لا أفعل ولكن آعبروا أسفل منا ـ [وذلك للنصف من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة] فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض: احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل على دين، وله عقل، وعلم ووالله لينصرن ولنُخْذَلَن ثم لم ينتفعوا بذلك] فعبروا أسفل من خالد، وعظم في أعينهم، وقالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولي، ففعلوا فاقتتلوا قتالاً عظيماً، وانهزمت الروم ومن معهم، وأمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم فقتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف، وأقام خالد على الفراض عشراً، ثم أذن بالرجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة [وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم]، وجعل شجرة بن الأعز على الساقة وأظهر خالد أنّه في الساقة.

ذكر حجة خالد

ثم خرج خالد حاجاً من الفراض سِرًّا [لخمس بقين من ذي القعدة]، ومعه عدة من أصحابه يعسف البلاد فأتىٰ مكة وحج ورجع فما توافى جنده بالخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة فقدما معاً، وخالد وأصحابه محلقون ولم يعلم بحجّه إلا من أعلمه به ولم يعلم أبو بكر بذلك إلا بعد رجوعه فعتب عليه، وكانت عقوبته إياه أنْ صرفه إلى الشام من العراق ممداً جموع المسلمين باليرموك، وكان أهل العراق أيام عليّ إذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون: نحن أصحاب ذات السلاسل ويسمون ما بينها، وبين الفراض، ولا يذكرون ما بعد الفراض احتقاراً للذي كان بعدها.

وأغار خالد بن الوليد على سوق بغداد، ووجه المثنى فأغار على سوق فيها جمعٌ لقضاعة وبكر، وأغار أيضاً على مسكن، وقُطْرَبُّل[١] وتل عَقْرَقُوْف[٢] وبادوريا[٣]، قال الشاعر:

وللمثنى بالعال[٤] معركة	شاهدها من قبيله بشرُ
كتيبة أفزعت بوقعتها	كسرى وكاد الإيوان ينفطرُ
وشُجع المسلمون إذ حذروا	وفي صروف التجارب العبر
سهل نهج السبيل فاقتفروا	آثاره والأمور تقتفر

يعني بالعال الأنبار، ومسكن، وقطربل، وبادوريا. وفيها تزوج عمر عاتكة بنت زيد. وفيها مات أبو العاص بن الربيع في ذي الحجة وأوصى إلى الزبير، وتزوج عليّ عليه السلام ابنته امامة، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ. وفيها اشترى عمر أسلم مولاه في قول، وحج بالناس هذه السنة أبو بكر، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، وقيل: حج بالناس عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف، وفيها مات أبو مرثد الغنوي، وهو بدري؛ وكان ابنه مرثد بن أبي مرثد قد قتل بالرجيع وهو بدري أيضاً.

---

(١) قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا.

(٢) عقر قوف: قرية من نواحي دجيل.

(٣) بادوريا: بالجانب الغربي من بغداد.

(٤) قال ياقوت: ما أظنه إلا مقصوراً من العالي بمعنى العلو لأنه يقال للأنبار وبادوريا وقطربل ومسكن الأستان العال لكونه في علو مدينة السلام، والاستان بمنزلة الكورة والرستاق هكذا يفسر.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر فتوح الشام

قيل: في سنة ثلاث عشرة وَجّه أبو بكر الجنود إلى الشام بعد عَوْدِهِ من الحج، فبعث خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: إنّما سيره لما سير خالد بن الوليد إلى العراق، وكان أول لواء عقده إلى الشام لواء خالد، ثم عزله قبل أن يسير، وكان سبب عزله أنّه تربص ببيعة أبي بكر شهرين [يقول: قد أمّرني رسول الله ﷺ. ثم لم يعزلني حتى قبضه الله]، ولقي علي بن أبي طالب؛ وعثمان بن عفان. فقال: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف أغلبتم عليها؟[1] فقال: عليّ أمغالبةٌ ترىٰ أم خلافة. فأما أبو بكر فلم يحقدها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه. فلما ولّاه أبو بكر [فأخذ عمر يقول: أتؤمره، وقد صنع ما صنع وقال ما قال]! لم يزل به عمر حتى عزله عن الامارة وجعله ردءاً للمسلمين بتيماء[2]، وأمره أن لا يفارقها إلا بأمره وأن يدعو من حوله من العرب إلا من ارتد، وأن لا يقاتل إلا من قاتله، فاجتمع إليه جموع كثيرة.

وبلغ خبره الروم فضربوا البعث علىٰ العرب الضاحية بالشام من بهراء، وسليح، وتنوخ، وغسان، وكلب، ولخم، وجذام، فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك فكتب إليه أبو بكر أقدم ولا تقتحمن [واستنصر الله]. فسار إليهم، فلما دنا منهم تفرقوا فنزل منزلهم وكتب إلى أبي بكر بذلك، فأمره بالإقدام بحيث لا يؤتى من خلفه، فسار حتى جازه قليلاً ونزل فسار إليه بطريق [من بطارقة] الروم يدعى باهان فقاتله، فهزمه، وقتل من جنده، فكتب خالد إلى أبي بكر يستمده، وكان قد قدم علىٰ أبي بكر أوائل مستنفري اليمن، وفيهم ذو الكلاع، وقدم عكرمة بن أبي جهل [قافلاً وغازياً] فيمن

---

(١) هذا باطل ومحال أن يصدر هذا الكلام من هؤلاء الأفاضل.

(٢) تيماء: بليد في أطراف الشام بينها وبين وادي القرىٰ على طريق حاجّ دمشق.

كان معه من تهامة، وعمان، والبحرين، والسرو فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل. فكلهم استبدل فسمى جيش البدال، وقدِمُوا علىٰ خالد بن سعيد، وعندها آهتم أبو بكر بالشام وعناه أمره.

وكان أبو بكر قد رد عمرو بن العاص إلى عمله الذي كان رسول الله ﷺ ولّاه إيّاه من صدقات سعد هذيم، وعذرة، وغيرهم قبل ذهابه إلى عمان، ووعده أن يعيده إلى عمله بعد عوده من عمان فأنجز له أبو بكر عِدّة رسول الله ﷺ، فلما عزم علىٰ قصد الشام كتب له: « إنّي كنتُ قد رددتُك علىٰ العمل الذي ولّاك رسول الله ﷺ مرة، ووعدك به أخرىٰ إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ، وقد وَليتَه، وقد أحببتُ أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك ».

فكتب إليه عمرو: « إني سهمٌ من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي بها؛ والجامع لها، فأنظرْ أشدها، وأخشاها، وأفضلها فارم به » فامره، وأمر الوليد بن عقبة ـ وكان على بعض صدقات قضاعة ـ أن يجمعا العرب، ففعلا، وأرسل أبو بكر إلى عمرو بعض من اجتمع إليه وأمره بطَرِيْقٍ سماها له إلى فلسطين، وأمر الوليد بالأردن وأمده ببعضهم، وأمّر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه فيهم سهيل بن عمر وفي أمثاله من أهل مكة، وشَيّعه ماشيا، وأوصاه وغيره من الأمراء. فكان مما قال ليزيد: « إني قد ولّيتك لأبلوك، وأجرّبك، وأخرّجك فإنْ أحسنت رددتك إلى عملك وزدتُك، وإنْ أسأتَ عزلتُك، فعليك بتقوىٰ الله فإنّه يرىٰ من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإنّ أولىٰ الناس بالله أشدهم تولياً له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله، وقد وليتك عملَ خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمتَ علىٰ جندك فأحسِن صحبتَهم، وآبدأْهم بالخير، وعِدْهم إياه، وإذا وعظتَهم فأوجز، فإنّ كثير الكلام يُنْسِي بعضه بعضاً، وأصلِح نفسك يصلحُ لك الناس، وَصَلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعِها وسجودِها والتخشع فيها، وإذا قَدِم عليك رسلُ عدّوك فأكرِمهم، وأقلل لُبْثَهم حتى يخرجوا مِنْ عسكرك، وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك، ويعلموا عِلْمك، وأنْزِلهم في ثروةِ عسكرك، وامنع مَن قبلك من محادثتهم، وكُنْ أنت المُتَوَلّي لكلامهم، ولا تجعل سِرَّك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرتَ فآصدُق الحديث تُصْدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتىٰ من قبل

نفسك، وآسمر بالليل في أصحابك تأتِك الأخبار، وتنكشف عندك الاستار، وأكثِر حرسك، وبددهم في عسكرك وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تَلِجَّنَّ[١] فيها، ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعاً.

ولا تغفل عن أهل عسكرك. فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتفِ بعلانيتهم، ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق، والوفاء، وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرّب الفقر، ويدفع النصر. وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع. فدعهم وما حبسوا أنفسهم له.

وهذه من أحسن الوصايا، وأكثرها نفعاً لولاة الأمر. ثم إنّ أبا بكر استعمل أبا عبيدة بن الجراح علىٰ من اجتمع وأمره بحِمْص، وسار أبو عبيدة علىٰ باب من البلقاء. فقاتله أهله ثم صالحوه فكان أول صلح في الشام، واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين فوجَّه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أُمَامة الباهلي فهزمهم، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد.

ثم أتوا الدَّاثِن[٢] فهزمهم أبو أمامة أيضاً، ثم مَرْج الصفر استشهد فيها ابن لخالد بن سعيد، وقيل: استشهد فيها خالد أيضاً، وقيل: بل سلم وانهزم علىٰ ما نذكره.

وذلك أنه لمّا سمع توجيه الأمراء بالجنود بادر لقتال الروم فاستطرد له باهان فاتّبعه خالد ومعه ذو الكلاع، وعكرمة، والوليد فنزل مرج الصفر فاجتمعت عليه مسالح باهان، وأخذوا الطرق، وخرج باهان فرأىٰ ابن خالد بن سعيد فقتله، ومن معه فسمع خالد فآنهزم فوصل في هزيمته إلى ذي المروة قريب المدينة. فأمره أبو بكر بالمقام بها، وبقي عكرمة في الناس ردءاً للمسلمين يمنع من يطلبهم، وكان قد قدم شرحبيل بن

---

(١) من اللجاج .

(٢) الداثن: ناحية قرب غَزَّة من فلسطين .

حَسَنة من عند خالد بن الوليد إلى أبي بكر وافداً فأمره أبو بكر بالشام، وندب معه الناس واستعمله علىٰ عمل الوليد بن عقبة فأتى شرحبيل على خالد بن سعيد ففصل عنه بعض أصحابه وٱجتمع إلى أبي بكر ناسٌ فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان، وأمره باللحاق بأخيه يزيد، فلما مَرّ بخالد فصل عنه بباقي أصحابه فأذن أبو بكر لخالد بدخول المدينة فلما وصل الأمراء إلى الشام نزل أبو عبيدة الجابية،[1] ونزل يزيد البلقاء[2] ونزل شرحبيل الأردُنّ ـ وقيل: بُصْرَىٰ ـ ونزل عمرو بن العاص العربة فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل ـ وكان بالقدس ـ فقال: « أرى أن تصالحوا المسلمين، فوالله لأن تصالحوهم علىٰ نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحبّ إليكم من أنْ يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم ». فتفرقوا عنه وعَصَوه فجمعهم وسار بهم إلى حمص فنزلها، وأعدّ الجنود والعساكر وأراد إشغال كُلَّ طائفةً من المسلمين بطائفةٍ من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها، فأرسل تذارق أخاه لأبيه وأمه في تسعين ألفاً إلى عمرو، وأرسل جرجة بن توذر إلى يزيد بن أبي سفيان، وبعث القيقار بن نسطوس في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح، وبعث الدراقص نحو شرحبيل فهابهم المسلمون، وكاتبوا عمراً ما الرأي؟ فأجابهم: إن الرأي لمثلنا الاجتماع، فإنّ مثلنا إذا اجتمعنا لا نُغْلَب من قلة، فإن تفرقنا لا تقوم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا.

وكتبوا إلى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو، وقال: إنّ مِثْلَكم لا يؤتىٰ من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب، فٱحترسوا منها. فٱجتمعوا «باليرموك» متساندين، وليصلّ كل واحد منكم بأصحابه. فاجتمع المسلمون باليرموك[3] والروم أيضاً، وعليهم التذارق، وعلى المقدمة جرجة، وعلى المجنبة باهان، ولم يكن وصل بعد إليهم، والدراقص على الأخرى وعلى الحرب القيقار. فنزل الروم وصار الوادي خندقاً لهم وإنما أرادوا أنْ يتأنس الروم بالمسلمين لترجع إليهم قلوبهم، ونزل المسلمون على طريقهم ليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: «أبشروا حُصِرَتْ الروم، وقَلَّ ما

(١) الجابِيَة: قرية من أعمال دمشق، ناحية الجولان، قرب مرج الصفر.
(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى ومزارع واسعة.
(٣) اليرموك: واد بناحية الشام في طرف الغور، يصب فيه نهر الأردن.

جاء محصورٌ بخير». وأقاموا صَفَراً عليهم وشهري ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الوادي، والخندق، ولا يخرج الروم خرجة إلا أديل عليهم المسلمون.

ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام

لما رأى المسلمون مطاولة الروم آستمدوا أبا بكر، فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إليهم، والحث، وأن يأخذ نصف الناس، ويستخلف على النصف الآخر المُثَنَّى بن حارثة[١] الشيباني، ولا يأخذن مَنْ فِيهِ نجدة إلا ويترك عند المثنى مثله، وإذا فتح الله عليهم رجع خالد وأصحابه إلى العراق فآستأثر خالد بأصحاب النبي ﷺ على المثنى، وترك للمثنى عدادهم من أهل القناعة مَنْ ليس له صُحْبة، ثم قَسَّم الجُنْد نصفين فقال المثنى: «والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر [كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف] وبالله ما أرجو النصر إلّا بأصحاب النبي ﷺ [فإني تعريني عنهم] ». فلما رأى خالد ذلك أرضاه [ومضى لوجهه وشيعه المثنى إلى قراقر[٢]، ثم رجع إلى الحيرة في المحرم].

وقيل: سار من العراق في ثمانمائة وقيل: في ستمائة، وقيل: في خمسمائة، وقيل في تسعة آلاف، وقيل: في ستة آلاف، وقيل: إنما أمره أبو بكر أن يأخذ أهل القوة والنجدة فأتى حدوداء فقاتله أهلها فظفر بهم وأتى المصيّخ وبه جمع من تغلب فقاتلهم وظفر بهم وسبى وغنم، وكان من السبي «الصهباء بنت حبيب بن بجير»، وهي أم عمر بن علي بن أبي طالب ـ وقيل: في أمرها ما تقدم ـ، وقيل: سار خالد فلما وصل إلى قراقر ـ وهو ماء لكلب ـ أغار على أهلها وأراد أنْ يسير عنهم مفوِّزاً[٣] إلى سُوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال [فلم يهتد] فآلتمس دليلاً فدُلّ على رافع بن عَميرة

---

(١) المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن وائل الربعي الشيباني: وفد إلى النبي مع وفد قومه وسيّره أبوبكر إلى العراق في صدر خلافته قبل مسيرة خالد بن الوليد. وهو الذي أطمع المسلمين في الفرس وهوّن أمر الفرس عندهم، وكان شهماً شجاعاً ميمون النقيبة، حسن الرأي.

(اسد الغابة ٥/ ٥٩ : ٦٠).

(٢) قراقر: واد أصله من الدهناء، وقيل ماء لكلب. وقراقر أيضاً واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق، وكلها حول ذي قار.

(٣) أي يسير عبر المفازة ـ وهي الصحراء.

الطائيّ فقال له في ذلك فقال له رافع: إنك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال، فوالله إن الراكب المفرد يخافه على نفسه [وما يسلكها إلا مغروراً إنها لخمس جياد لا يصاب فيها ماء مع مضلتها. فقال [خالد ويحك] أنه لا بد لي من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لئلا تحسبني عن غياث المسلمين.

فأمر صاحب كل جماعة أنْ يأخذ الماء للشعبة لخمس، وأنْ يعطّش من الابل الشرف[1] ما يكتفي به ثم يسقوها عللاً بعد نهل[2]، والعلل الشربة الثانية، والنهل الأولى، ثم يصرُّوا آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر، ثم ركبوا من قراقر، فلما ساروا يوماً وليلة شقوا لعدة من الخيل بطون عشرة من الابل فمزجوا ماءً في كروشها بما كان من الإلبان وسقوا الخيل، ففعلوا ذلك أربعة أيام، فلما [خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عَمِيْرة: ويحك يا رافع ما عندك؟ قال: أدركت الرِّيَّ إنْ شاء الله]. فلما دنا من العلمين قال للناس: انظروا هل ترون شجرة عَوْسَج كقعدة الرجل؟ فقالوا: ما نراها، فقال: إنا لله وإنّا إليه راجعون. هلكتم والله [إذاً] وهلكتُ معكم ـ وكان أرمد فقال لهم: انظروا ويحكم. فنظروا فرأوها قد قُطِعَت وبقي منها بقية، فلما رأوها كبّروا، فقال رافع: احفروا في أصلها فحفروا واستخرجوا عيناً فشربوا حتى روىٰ الناس [فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل]. فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماء قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام، فقال شاعرٌ من المسلمين:

لله عـينـا رافـع أنىٰ اهتـدى ... فـوّز مـن قُـراقِـر إلى سِـوى
خمسـاً إذا ما سـاره الجيش بكى ... مـا سـارهـا قبلك إنسيٌّ يـرى

فلما انتهى خالد إلى سُوى أغار على أهلها وهم بهراء [قبيل الصبح] وهم يشربون الخمر [في جفنة قد اجتمعوا إليها] ومغنيهم يقول:

ألا عـللاني قبـل جيش أبي بكـر ... لعـل منايـانا قـريبٌ ولا نـدري
ألا عـللانـي بـالـزجـاج وكـررا ... على كميت اللون صـافيـة تجـري

---

(١) هو جمع شارف: المسنة من النوق.

(٢) النّهل: هو الشرب الأول.

والعلل: الشربة الثانية. ومراده أن يعطشوا الإبل ثم تشرب شرباً شرهاً حتى تتضلع.

ألا عللاني من سلافة قهوة تسلي هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين وخالداً ستطرقكم قبل الصباح مع النسر
فهل لكمُ في السير قبل قتالكم وقبل خروج المعصرات من الخدر

فقتل المسلمون مغنيهم وسال دمه في تلك الجفنة، وأخذوا أموالهم، وقتل حرقوص بن النعمان البهراني ثم أتى أَرَك فصالحوه. ثم أتى تَدْمُر فتحصن أهله ثم صالحوه، ثم أتى القريتين. فقاتلهم فظفر بهم، وغنم، وأتى حوارين فقالت أهلها فهزمهم وقتل وسبى، وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاعة، وسار فوصل إلى ثنية العقاب عند دمشق ناشراً رايته وهي راية سوداء، وكانت لرسول الله ﷺ تسمى «العقاب» ـ وقيل: كانت رايته تسمى العقاب فسميت الثنية بها، وقيل: سميت بعقاب من الطير سقطت عليها، والأول أصح ـ، ثم سار فأتىٰ مرج راهط فأغار على غسان في يوم فِصْحِهم[1] فقتل وسبى وأرسل سرية إلى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال، وسبوا النساء، وساقوا العيال إلى خالد، ثم سار حتى وصل إلى بُصْرَىٰ فقالت مَن بها فظفر بهم، وصالحهم. فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد، وأهل العراق، وبعث بالأخماس إلى أبي بكر. ثم سار فطلع علىٰ المسلمين في ربيع الآخر، وطلع باهان على الروم، ومعه الشمامسة، والقسيسون، والرهبان يحرِّضون الروم على القتال، وخرج باهان كالمعتذر فولى خالد قتاله، وقاتل الأمراءُ مَنْ بإزَائِهِم، ورجع باهان والروم إلى خندقهم وقد نال منهم المسلمون.

(عَمِيْرة) بفتح العين المهملة وكسر الميم.

ذكر وقعة اليرموك

فلما تكامل جمع المسلمين باليرموك، وكانوا سبعة وعشرين ألفاً، وقدم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفاً سِوَى عكرمة فإنه كان ردءاً لهم، وقيل: بل كانوا سبعة وعشرين ألفاً وثلاثة آلاف من فلال خالد بن سعيد، وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد فصاروا أربعين ألفاً سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل، وقيل: في عددهم غير ذلك والله أعلم. وكان فيهم ألف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدراً، وكان

(١) أي يوم عيدهم ويسمى بعيد الفصح عندهم.

الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل، منهم ثمانون ألف مُقَيَّد، وأربعون ألف مسلسل للموت، وأربعون ألفاً مربوطون بالعمائم لئلا يَفِرُّوا، وثمانون ألف راجل، وقيل: كانوا مائة ألف، وكان قتال المسلمين لهم على تساند، كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدم خالد بن الوليد من العراق، وكان القسيسون، والرهبان، يحرِّضون الروم شهراً، ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده في جمادىٰ الأخرة، فلما أحس المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين، فسار فيهم خالد بن الوليد. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « إنّ هذا يومٌ من أيام الله لا ينبغي فيه الفَخْر، ولا البَغْي أخلِصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم، فإنَّ هذا يومٌ له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية، وأنتم متساندون، فإنّ ذلك لا يحلّ ولا ينبغي، وإنّ مَنْ وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنّه رأي من واليكم ومحبته ». قالوا: هات فما الرأي». قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنّا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم إنّ الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمتُ أنّ الدنيا فرقت بينكم. فالله الله فقد أفرد كل رجلٍ منكم ببلد لا ينتقصه منه إنْ دان للأمراء ولا يزيده عليه أن دانوا له؛ إنّ تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ هلموا فإنّ هؤلاء قد تهيَّأوا ،وإنّ هذا يومٌ له ما بعده إنّ رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردُّهم، وإنْ هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعوني أتأمّر اليوم. فأمّروه[1] وهم يرون أنها كخرجاتهم وأنّ الأمر لا يطول.

فخرجت الروم في تعبية لم ير الراؤون مثلها قط،وخرج خالد في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوساً[2] إلى الأربعين، وقال: إنّ عدوكم كثير، وليس تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حَسَنة، وجعل

---

(١) لا يظن القارىء أنّ تأميره لنفسه لحب السلطان بل هو كما قال يوسف: ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم ﴾.

(٢) الكردوس: القطعة من الخيل العظيمة، والظاهر أنّ كردوس المسلمين في هذه الوقعة لا يزيد على ألف مقاتل إلا قليلاً.

الميسرة كراديس، وعليها يزيد بن أبي سفيان، وكان على كردوس [من كراديس أهل العراق] القعقاع بن عمرو، وجعل على كل كردوس رجلاً من الشجعان.

وكان القاضي أبو الدرداء، وكان القاص أبو سفيان بن حرب،[1] وعلى الطلائع قباث بن أشيم، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود وقال رجل لخالد: ما أكثَرَ الروم، وأقلَّ المسلمين! فقال خالد: ما أكثر المسلمين، وأقل الروم إنما تَكْثُرُ الجنود بالنصر، وتقلُّ بالخذلان [لا بعدد الرجال]، والله لوددتُ أنّ الأشقر - يعني فرسه - براء من توّجيه وأنهم أضعفوا في العدد، وكان قد حفى في مسيره فأمر خالد عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو [وكانا على مجنبتي القلب] فانشبا القتال.

وآلتحم الناس، وتطارد الفرسان وتقاتَلوا فإذ هم على ذلك قدم البريد من المدينة واسمه محمية بن زنيم [وأخذته الخيول] فسألوه الخبر فأخبرهم بسلامة وإمداد، وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة، فبلّغوه خالداً فأخبره خبر أبي بكر سراً، [وأخبره بالذي أخبر به الجند. قال أحسنتَ فقف. وأخذ الكتاب وجعله في كنانته وخاف إنْ هو أظهر ذلك أنْ ينتشر له أمرُ الجند].

وخرج جرجة[2] إلى بين الصفين، وطلب خالداً فخرج إليه وأقام أبا عبيدة مكانه ؛ فواقفه بين الصفين حتى آختلفت أعناق دابتيهما]، فأمن كل واحد منهما صاحبه فقال جرجة: يا خالد آصدُقني ولا تكذبني فإنّ الحرَّ لا يكذب، ولا تخادعني، فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل: هل أنزل اللّهُ علىٰ نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله علىٰ قوم إلا هزمتهم؟ قال: لا. قال: ففيم سُمِّيْتَ سيفَ الله، فقال له: إنّ الله بعث فينا نبيه ﷺ فكنتُ فيمن كذبه وقاتله، ثم إنّ الله هداني فتابعته فقال: أنتَ سيفُ الله سَلّه اللّهُ علىٰ المشركين ودعا لي بالنصر، قال: فأخبرني إلى ما تدعوني؟ قال خالد: إلى الاسلام، أو الجزية، أو الحرب. قال: فما منزلة الذي يجيبكم، ويدخل فيكم. قال: منزلتُنا واحدة، قال: فهل له مثلكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل لأنّنا آتبعنا نبينا، وهو حي يخبرنا بالغيب، ونرى منه العجائب والآيات، وحُقَّ لمن رأى ما

---

(١) القاصّ: الذي يعظ الناس ويحرّضهم على القتال.

(٢) من هذه القصة يظهر أنّ جرجة كان يعرف العربية لأنه كلم خالد بلا ترجمان، وقال الطبري: جرجة بن توذر، ولعله جورج بن ثيودور (م).

رأينا وسمع ما سمعنا أنْ يُسلم، وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا فمن دخل بنيةٍ وصدقٍ كان أفضل منا. فقلب جرجة تِرْسَه، ومال مع خالد، وأسلم، وعلَّمه الاسلام، واغتسل، وصلى ركعتين، ثم خرج مع خالد فقاتل الروم.

وحملت الرومُ حملةً أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلى المحامية، وعليهم عكرمة، وعمه الحارث بن هشام، فقال عكرمة [يومئذ] قاتلتُ مع النبي ﷺ في كل موطن ثم أفرُّ اليوم! ثم نادىٰ: مَنْ يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين، وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً، فمنهم مَنْ برأ ومنهم من قتل. وقاتل خالد، وجرجة قتالاً شديداًفقُتل جرجة عند آخر النهار وصلَّىٰ الناسُ الظهرَ والعصرَ، إيماءً وتضعضع الروم، ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم، ورجلهم، فآنهزم الفرسان وتركوا الرجالة.

ولما رأى المسلمون خيل الروم، قد توجهت للمهرب أفرجوا لها فتفرقت، وقتل الرجالة، واقتحموا في خندقهم، فاقتحمه عليهم، وهوىٰ فيها المقترنون وغيرهم ثمانون ألفاً من المقترنين، وأربعون ألف مطلق سوىٰ مَنْ قُتِلَ في المعركة.

وتجلل القيقار، وجماعةٌ من أشراف الروم برانسهم وجلسوا [وقالوا : لا نحبُّ أنْ نرىٰ يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور وإذ لم نستطع أنْ نمنع النصرانية فقتلوا متزملين، ودخل خالد الخندق، ونزل في رواق تذارق، فلما أصبحوا أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحاً فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه علىٰ ساقه، ومسح وجوههما، وقطر في حلوقهما الماء، وقال: زعم ابن حنتمة يعني عمر أنّا لا نستشهد.

وقاتل النساء ذلك اليوم وأبلوا. قال عبد الله بن الزبير: كنتُ مع أبي باليرموك وأنا صبيٌّ لا أقاتل فلما اقتتل الناسُ نظرتُ إلى ناسٍ على تلٍّ لا يقاتلون، فركبت وذهبت إليهم، وإذا أبو سفيان بن حرب، ومشيخة من قريش من مُهَاجِرَة الفتح فرأوني حَدَثاً فلم يتقوني. قال: فجعلوا والله إذا مالت المسلمون، وركبتهم الروم يقولون: « إيه بني الأصفر »، فإذا مالت الروم، وركبتهم المسلمون قال: « ويح بني الأصفر » فلما هزم الله الروم أخبرتُ أبي، فضحك فقال: قاتلهم الله أبو إلاضغنا، لنحن خيرٌ لهم من الروم.

وفي اليرموك أصيْبت عينُ أبي سفيان بن حرب، ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيل عنها قريباً، وجعلها بينه وبين المسلمين وأمّر عليها أميراً كما أمّر علىٰ دمشق، وكان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة، وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وجُنْدَب بن عمرو، والطفيل بن عمرو، وطليب بن عمير، وهشام بن العاص، وعَيَّاش بن أبي ربيعة في قول بعضهم - (عَيَّاش) بالياء المثناة والشين المعجمة -

وفيها قتل سعيد بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي - وهو من مهاجرة الحبشة ، وفيها قتل نعيم بن عبد الله النحام العدوي عديّ قريش - وكان إسلامه قبل عمر -، وفيها قتل النضير بن الحارث بن علقمة - وهو قديم الاسلام والهجرة، وهو أخو النضر الذي قتل ببدر كافراً - وقتل فيها أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدري - أخو مصعب بن عمير وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحداً. وقيل: قتلوا يوم أجنادين والله أعلم.

ذكر حال المثنى بن حارثة بالعراق

وأما المثنى بن حارثة الشيباني فإنّه لما وَدّع خالد بن الوليد، وسار خالد إلى الشام فيمن معه بالجند أقام بالحيرة، ووضع المسلحة، وأذكى العيون واستقام أمرُ فارس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل، وذلك سنة ثلاث عشرة على شهربراز بن أردشير بن شهريار[1] سابور فوجّه إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف [ومعه فيل، وكتبت المسالح إلىٰ المثنَّى بإقباله]، فخرج المثنى من الحيرة نحوه [وضم إليه المسالح، وجعل] علىٰ مجنبتيه المعنى ومسعود أخواه فأقام ببابل، وأقبل هرمز نحوه، وكتب كسرىٰ شهربراز إلى المثنى كتاباً: إنّي قد بعثتُ إليكم جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاء الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلاّ بهم »، فكتب إليه المثنىٰ: إنما أنت أحدُ رجلين: إمّا باغٍ فذلك شرٌ لك وخيرٌ لنا، وإمّا كاذب فأعظم الكاذبين [عقوبةو] فضيحة عند الله وعند الناس الملوك، وأما الذي يدخلنا عليه الرأي فإنّكم إنما آضطررتم[2] إليهم، فالحمد لله الذي رَدَّ كيدكم إلى رعاة الدجاج

---

(١) عبارة الطبري : ابن شهريار ممن يناسب إلى كسرىٰ ثم إلى سابور .

(٢) في الأصول : أضررت بهم ، وصححناه من الطبري (م) .

والخنازير ». فجزع الفرس من كتابه [وقالوا: إنما أتى شهربراز من شؤم مولده، ولؤم منشئه. وقالوا: جرَّأتَ علينا عدونا بالذي كتبتَ به إليهم، فإذا كاتبت أحداً فاستشرْ.

فٱلتقى المثنى وهرمز ببابل فٱقتتلوا [بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول] قتالاً شديداً؛ وكان فيلُهم يفرِّق المسلمين، فٱنتدب له المثنى ومعه ناس فقتلوه وانهزم الفرس، وتبعهم المسلمون إلى المدائن يقتلونهم ومات شهربراز لمّا انهزم هرمز جاذويه، واختلف أهلُ فارس، وبقيَ ما دون دجلة بيد المثنى.

ثم اجتمعت الفرس علىٰ دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر وخلعت ومَلَك سابور بن شهربراز فلما ملك قام بأمره الفرخزاد بن البنذوان فسأله أنْ يزوّجه آزرميدخت بنت كسرى فأجابه فغضبت آزرميدخت [وقالت: يا بن عم أتزوجني عبدي؟ قال: آستحي من هذا الكلام، ولا تعيديه عليّ فإنه زوجك] . فأرسلت إلى سياوخش الرازي - [وكان من فتاك الأعاجم] - فشكت إليه، فقال لها: [إنْ كنتِ كارهة لهذا فلا] تعاوديه فيه وأرسلي إليه فليأتِك [وأنا أكفيكه]. فأرسلت إليه واستعدّ سياوخش فلما كان ليلة العُرس أقبل الفرخزاد حتّى دخل فثاربه سياوخش فقتله، وقصدت آزرميدخت ومعها سياوخش سابور فحصروه، ثم قتلوه، وملكت آزرميدخت، ثم تشاغلوا بذلك.

وأبطأ خبر أبي بكر علىٰ المثنّىٰ، فاستخلف على المسلمين بشير بن الخَصَاصِيَة، [ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي]، وسار إلى المدينة إلى أبي بكر ليخبرَه خبر المشركين، ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنتْ توبته من المرتدين فإنهم أنشط إلى القتال من غيرهم، فقدِم المدينة وأبو بكر مريض قد أشفىٰ فأخبره الخبر، فاستدعىٰ عمر وقال له: « آسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به:] إنِّي لأرجو أنْ أموتَ يومي هذا، فإذا مِتُّ فلا تُمْسِيَنَّ حتى تندب الناس مع المثنى [وإنْ تأخرتُ إلى الليل، فلا تصبحنِّي حتى تندب الناس مع المثنىٰ]، ولا تشغلنَّكُم مصيبة [وإنْ عظمت] عن أمر دينكم ووصية ربكم، فقد رأيتني متوفًّى رسول الله ﷺ، وما صنعتُ - وما أصيب الخلقُ بمثله - وإذا فتح الله على أهل الشام فٱرْدُدْ أهلَ العراق إلى العراق فإنهم أهله، وولاةُ أمرِهِ، وأهل [الضراوة بهم] والجراءة عليهم ». ومات أبو بكر ليلاً، فدفنه عمر، ونَدَبَ الناسَ مع المثنّىٰ، وقال عمر : « قد علم أبو بكر أنه

يسؤوني أنْ أُؤمِّر خالداً فلهذا أمرني أنْ أرُدَّ أصحاب خالد، وترك ذكره معهم ». وإلى آزر ميدخت انتهى شأنُ أبي بكر. فهذا حديث العراق إلى آخر أيام أبي بكر رضي الله عنه.

ذكر وقعة أجنادِيْن

قد ذكرها أبو جعفر عقيب وقعة اليرموك، وروىٰ خبرها عن ابن اسحاق من اجتماع الأمراء ومسير خالد بن الوليد مِن العراق إلى الشام نحو ما تقدم، وقال: فسار خالد من مرج راهط إلى بُصْرَىٰ - وعليها أبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان - [فاجتمعوا عليها فرابطوها]، فصالحهم أهلُها على الجزية، فكانت أول مدينة فتحت بالشام في خلافة أبي بكر، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص، وهم مقيم بالعربات [مِنْ غور فلسطين]، واجتمعت الروم بأجنادين، وعليهم « تذارق » أخو هرقل لأبويه - وقيل: كان على الروم « القبقلار » - وأجنادين بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وسار عمرو بن العاص حين سمع بالمسلمين فلقيهم، ونزلوا بأجنادين وعسكروا عليهم، فبعث القبقلار [رجلاً] عربياً إلى المسلمين يأتيه بخبرهم؛ فدخل فيهم وأقام يوماً وليلة، ثم عاد إليه فقال: ما وراءك؟ فقال: بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابنُ ملكهم قطعوه، ولو زنىٰ رجم لإقامة الحق فيهم. فقال: «إنْ كنتَ صدقتني لبطنُ الأرض خيرٌ من لقاء هؤلاء علىٰ ظهرها. [ولوددتُ أنّ حظي من الله أنْ يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم، ولا ينصرهم عليّ].

وآلتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادىٰ الأولى سنة ثلاث عشرة فظهر المسلمون وهزم المشركون وقتل القبقلار وتذارق[1]، واستشهد رجال من المسلمين،

---

(١) قال الطبري في التاريخ ثم تزاحف الناس فأقتتلوا فلما رأى القبقلار ما رأى من قتال المسلمين قال للروم لفوا رأسي بثوب قالوا له: لم ؟ قال يوم البئيس ما أحب أن أراه ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من هذا ؟ قال فاحتز المسلمون رأسه وإنه لملفف.

منهم سلمة بن هشام بن المغيرة، وهبار بن الأسود، ونعيم بن عبد الله النحام، وهشام بن العاص بن وائل ـ وقيل: بل قتل باليرموك ـ وجماعة غيرهم. قال: ثم جَمَعَ هِرَقل للمسلمين فآلتقوا باليرموك، وجاءهم خبر وفاة أبي بكر وهم متصافون وولاية أبي عبيدة، وكانت هذه الوقعة في رجب هذه سياقة الخبر.

وكان فيمن قُتِل ضرار بن الخطاب الفهري ـ وله صحبة، وعمرو بن سعيد بن العاص ـ وهو من مهاجرة الحبشة ـ وقيل: قتل باليرموك. وممن قتل الفضل بن العباس ـ وقيل: قتل بمرج الصفر، وقيل: مات في طاعون عمواس. وفيها قتل طليب بن عمير بن وهب القرشي ـ وقيل: قتل، باليرموك شهد بدراً، وهو من المهاجرين الأولين. وفيها قتل عبد الله بن أبي جهم القرشي العدوي ـ وكان إسلامه يوم الفتح وفيها قتل عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بعد أن قتل جمعاً من الروم في المعركة ـ وكان عمره يوم مات النبي ﷺ نحو ثلاثين سنة. وفيها قتل عبد الله بن الطفيل الدوسي ـ وهو الملقب بذي النور، وكان من فضلاء الصحابة قديم الاسلام. هاجر إلى الحبشة.

(اجنادين) بعد الجيم نون ودال مهملة مفتوحة، ومنهم من يكسرها ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وآخره نون. وقد قيل: إن وقعة أجنادين كانت سنة خمس عشرة وسيرد ذكرها إنْ شاء الله.

* * *

ذكر وفاة أبي بكر

كانت وفاة أبي بكر رضي الله عنه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وهو الصحيح، وقيل: غير ذلك، وكان قد سَمَّه اليهود في أرز، وقيل: في حريرة وهي الحسو، فأكل هو والحارث بن كلدة، فكفَّ الحارث، وقال لأبي بكر: أكلنا طعاماً مسموماً سم سنة، فماتا بعد سنة، وقيل: إنّه اغتسل [الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة] وكان يوماً بارداً فَحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة فأمر عمَر أنْ يصليَ بالناس، ولما مرض قال له الناس: ألا ندعو الطبيب؟ قال: « قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد ». فعلموا مراده وسكتوا عنه، ثم مات. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال.

وقيل: كانت سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال، وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عُمَيْس، وابنه عبد الرحمن، وأنْ يكفَّن في ثوبيه، ويشترىٰ معهما ثوبٌ ثالث، وقال: « الحيُّ أحوجُ إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهنة[1] والصديد ». ودُفِنَ ليلاً، وصلىٰ عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله ﷺ، وكبّر عليه أربعاً؛ وحُمل على السرير الذي حُمل عليه رسول الله ﷺ ودخل قبره ابنه عبد الرحمن، وعمر وعثمان، وطلحة، وجعل رأسه عند كتفي النبي ﷺ وألصقوا لَحْدَه بلحدِ النبي ﷺ، وجعل قبره مثل قبر النبي ﷺ مسطَّحاً، وأقامت عائشة عليه النوح، فنهاهن عن البكاء عمر، فأبين [أنْ ينتهين]. فقال لهشام بن الوليد: آدخُل فأخرجْ إليَّ ابنة أبي قحافة [أخت أبي بكر. فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنّي أحرِّجُ عليك بيتي فقال عمر لهشام: ادخل فقد أُذِنَتْ لك. فدخل هشام] فأخرج إليه أم فروة

(١) أي: للإمتهان.

ابنة أبي قحافة فعلاها بالدِّرّة ضربات، فتفرق النوح حين سمعن ذلك، وكان آخر ما تكلم به « تَوَفَّني مُسْلِماً وألحقني بالصالحين »[1].

وكان أبيض، خفيف العارضين، أحنى لا يستمسك إزاره، معروق الوجه نحيفاً [ناتىء الجبهة، عاري الأشاجع، ممحوص الفخذين] أقنى، غائر العينين. يخضب بالحناء والكتم، وكان أبوه حياً بمكة لما توفي.

[اسمه]

وهو أبو بكر ـ عبد الله، وقيل: عتيق ـ بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيِّم بن مرة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن النضر بن مالك يجتمعُ مع النبي ﷺ في مرة بن كعب. وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وقيل: إن رسول الله ﷺ قال له: « أنت عتيقٌ من النار »[2] فلزِمَه، وقيل: إنما قيل له: « عتيق » لرقة حُسْنِهِ وجماله. وأسلمت أمه قديماً بعد إسلام أبي بكر.

[زوجه وولده]

وتزوج في الجاهلية قتيلة بنت عبد العُزَّىٰ بن عامر بن لُؤَيّ فولدت له: عبدالله، وأسماء. وتزوج أيضاً في الجاهلية أمَّ رومان ـ واسمها دعد ـ بنت عامر بن عميرة الكنانية فولدت له: عبد الرحمن وعائشة. وتزوج في الاسلام أسماء بنت عميس ـ وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب ـ فولدت له محمد بن أبي بكر، وتزوج أيضاً في الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارية: فولدت له بعد وفاته: أم كُلثوم.

أسماء قُضاته وعُمّاله وكُتّابه

لما ولي أبو بكر قال له أبو عبيدة: أَنا أكفيكَ المال. وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء. فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان.

وكان علي بن أبي طالب يكتب له، وزيد بن ثابت؛ وعثمان بن عفان، وكان

(١) يوسف: ١٠١.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٧٩ وابن حبان في صحيحه ٢١٧١ (موارد) والدولابي ١/ ٦.

يكتب له من حضر. وكان عامله على مكة عتاب بن أَسِيد، ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر. وقيل: مات بعده، وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري، وعلى خولان يعلى بن مُنْيَة، وعلى زبيد ورِمَع أبو موسى، وعلى الجُند معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي.

وبعث جرير بن عبدالله إلى نجران، وعبدالله بن ثور إلى جُرش، وعياض بن غنم إلى دومة الجندل. وكان بالشام أبو عبيدةوشرحبيل، ويزيد، وعمرو وكل رجل منهم على جُنْدٍ، وعليهم خالد بن الوليد[١].

وكان نقش خاتمه: «نِعمْ القادر الله». وعاش أبوه بعده ستة أشهر وأياماً. ومات وله سبع وتسعون سنة.

ذكر بعض أخباره ومناقبه

كان أبو بكر أول الناس إسلاماً في قول بعضهم وقد تقدم الخلاف في ذلك، وقال النبي ﷺ: «ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة غير أبي بكر»[٢].

والذي ورد له عن النبي ﷺ من المناقب فكثير كشهادته له بالجنة، وعِتقه من النار، وغير ذلك من الأخبار بخلافته تعريضاً كقوله ﷺ للمرأة «إنْ لم تجديني فَأتِي أبا بكر»[٣] وكقوله «اقتدوا بالذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر»[٣] إلى غير ذلك.

وشهد بدراً، وأحداً، والخندق وغير ذلك من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وأعتق سبعة نفر كلهم يعذب في الله تعالى منهم: بلال، وعامر بن فهيرة، وزِنِّيْرَة، والنهدية، وابنها، وجارية بني مؤمل، وأم عُبَيْس.

وأسلم وله أربعون ألفاً أنفقها في الله مع ما كسب من التجارة.

ولما ولي الخلافة وارتدت العرب خرج شاهراً سيفه إلى ذي القَصة. فجاءه

---

(١) معلومٌ ان خالد بن الوليد لم يكن ابداً على هؤلاء وجنودهم إلا يوم اليرموك خاصة (م).

(٢) أخرجه البخاري ٥/٥ و ١٠١/٩، ١٣٥ ومسلم فضائل الصحابة رقم ١٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٦٦٢ و ٣٨٠٥ وابن ماجة ٩٧ والحاكم ٧٥/٣ وأبو نعيم في الحلية ١٠٩/٩ والبخاري في التاريخ ٢٠٩/٨ و٥٠/٩ وابن حبان ٢/٩٣ (موارد) أحمد ٣٨٢/٥.

عليّ، وأخذ بزمام راحلته وقال له: «أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك: ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: شم سيفك لا تفجعنا بنفسك. فوالله لئن أُصِبْنَا بك لا يكون للإسلام نِظام». فرجع وأمضى الجيش.

وكان له بيت مال بالسنح وكان يسكنه إلى أن انتقل إلى المدينة، فقيل له: ألا نجعل عليه مَنْ يحرسه. قال: لا. فكان يُنْفِق جميع ما فيه على المسلمين فلا يبقى فيه شيء. فلما انتقل إلى المدينة جعل بيت المال معه في داره.

وفي خلافته آنفتح معدن بني سليم، وكان يسوِّي في قسمته بين السابقين الأولين والمتأخرين في الاسلام، وبين الحُرّ والعبد، والذكر والأنثى. فقيل له: «لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم».

فقال: «إنما أسلموا لله ووجب أجرهُم عليه يوفيهم ذلك في الآخرة، وإنما هذه الدنيا بلاغ». وكان يشتري الأكسية، ويفرّقها في الأرامل في الشتاء.

ولما توفي ابو بكر جمع عمر الأمناء، وفتح بيت المال. فلم يجدوا فيه شيئاً غير دينار سقط من غرارة. فترحموا عليه.

قال أبو صالح الغفاري: كان عمر يتعهد آمرأة عمياء في المدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها. ففعل ما أرادت فرصده عمر فإذا هو ابو بكركان يأتيها ويقضي أشغالها سراً، وهو خليفة. فقال له: أنت هو لعمري! قال أبو بكر بن حفص بن عمر: لما حضرت أبا بكر الوفاة حضرته عائشة. وهو يعالج الموت - فتمثلت:

لعمـرِكَ مـا يغني الثـراءُ عن الفتىٰ ... إذا حشرجتْ يوما وضاق بهـا الصدرُ

فنظر إليها كالغضبان ثم قال:

«ليس كذلك ولكن ﴿جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1]، إني قد كنتُ نحلتُك حائط[2] كذا، وفي نفسي منه شيء فرُدِّيه على الميراث.

---

(١) ق: ١٩.

(٢) أي أعطيتك حائط نخل هدية.

فردته، فقال: «إنما هما أخواك وأختاك».

قالت: مَن الثانية! إنما هي أسماء. قال: ذات بطن بنت خارجة ـ يعني زوجته ـ وكانت حاملاً.

فولدت أم كلثوم بعد موته.

وقال لها: «أما أنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم، ولبسنا من خشن ثيابهم، وليس عندنا من فَيْءِ المسلمين إلا هذا العبد، وهذا البعير؛ وهذه القطيفة فإذا مِتُّ فابعثي بالجميع إلى عمر». فلما مات بعثته إلى عمر، فلما رآه بكى حتىٰ سالتْ دموعُه إلى الأرض وجعل يقول:

«رحم الله ابا بكر لقد أتعب من بعده» ويكرر ذلك وأمر برفعه.

فقال عبد الرحمن بن عوف: «سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عَبْداً وناضحاً وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم! فلو أمرتَ بردِّها عليهم. فقال: لا والذي بعث محمداً ﷺ لا يكون هذا في ولايتي ولا يخرج أبو بكر منه وأتقلدُهُ أنا.

وأمر أبو بكر أن يرد جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته.

وقيل: إنَّ زوجته آشتهت حلواً. فقال: ليس لنا ما نشتري به. فقالت: أنا استفضلُ من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به. قال: افعلي.

ففعلت ذلك فآجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير، فلما عرّفته ذلك ليشتري به حلواً أخذه فردّه إلى بيت المال، وقال: هذا يفضُل عن قوتنا، وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرِمَه لبيت المال من مِلْكٍ كان له.

هذا والله هو التقوى الذي لا مزيد عليه، وبحقٍ قَدَّمَهُ الناسُ رضي الله عنه وأرضاه.

وكان منزل أبي بكر بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة فأقام هنالك ستة أشهر بعدما بويع له، وكان يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب فرسه فيصلي بالناس، فإذا صلى العشاء رجع إلى السنح، وكان إذا غاب صلى بالناس عمر، وكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو بنفسه فيها

وربما رعيت له وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: «بلىٰ لعمري لأحلبنها لكم، وإنّي لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلتُ فيه. فكان يحلب لهم، ثم تحوّل إلى المدينة بعد ستة أشهر من خلافته وقال: ما تصلح أمور الناس مع التجارة، وما يصلح إلا التفرغ لهم والنظر في شأنهم. فترك التجارة، وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم ويحج ويعتمر، فكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم، وقيل: فرضوا له ما يكفيه، فلما حضرته الوفاة أوصىٰ أنْ تباعَ أرضٌ له ويُصْرَفُ ثمنُها عِوَضَ ما أخذه من مال المسلمين.

وكان أول وال فرض له رعيته نفقته، وأول خليفة وَلِيَ وأبوه حيّ، وأوّل من سمى مصحف القرآن مصحفاً، وأول من سُمِّيَ خليفة.

(زِنِّيرة) بكسر الزاي والنون مشددة. (وعُبَيْس) بضم العين المهملة وبالباء الموحدة المفتوحة ثم بالياء المثناة من تحت وبالسين المهملة. و (مُنْية) بالنون الساكنة والياء تحتها نقطتان.

ذكر استخلافه عمر بن الخطاب

لما نزل بأبي بكر رضي الله عنه الموت دعا عبد الرحمن بن عوف. فقال: أخبرني عن عمر. فقال: [يا خليفة رسول الله] هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل إلا إنه فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضىٰ الأمرُ إليه لتَرَكَ كثيراً مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبتُ علىٰ رجلٍ أراني الرضا عنه، وإذا لِنْتُ له أراني الشدة عليه.

ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر.

فقال: سريرته خيرٌ من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا مما قلتُ لكما شيئاً، ولو تركتُه ما عدوتُ عثمان، والخيرةُ له أنْ لا يلي من أموركم شيئاً، ولوددتُ أنّي كنتُ من أموركم خلواً، وكنتُ فيمن مضى من سلفكم.

ودخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد

رأيتَ ما يلقى الناس منه وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك!

فقال أبو بكر: أجلسوني. فأجلسوه. فقال: أبالله تخوفني! إذا لقيتُ ربي فسألني قلتُ: استخلفتُ علىٰ أهلِك خيرُ أهلك.

ثم إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خالياً ليكتب عهد عمر فقال له: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين. أما بعد». ثم أغمي عليه، فكتب عثمان أما بعد. فإني قد استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب ولم آلُكُم[1] خيراً. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليَّ فقرأ عليه فكبَّر أبو بكر وقال: أراك خفتَ أنْ يختلفَ الناسُ إنْ مِتُّ في غشيتي. قال: نعم.

قال: جزاك الله خيراً عن الاسلام وأهله. فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ علىٰ الناس، فجمعهم، وأرسل الكتاب مع مولى له، ومعه عمر. فكان عمر يقول للناس: أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله ﷺ، فإنه لم يألُكم نُصْحاً.

فسكن الناس، فلما قُرِئَ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: «أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإنّي ما استخلفت عليكم ذا قَرابة، وإني قد استخلفتُ عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما آلوت من جهد الرأي». فقالوا: سمعنا وأطعنا.

ثم أَحْضَرَ أبو بكر عمر فقال له: إنّي قد استخلفتُك على أصحاب رسول الله ﷺ. وأوصاه بتقوى الله، ثم قال: يا عمر إنّ لِلّهِ حقاً بالليل ولا يقبله في النهار وحقاً في النهار لا يقبله بالليل، وإنّه لا يقبل نافلةً حتى تؤدي الفريضة، ألم تر يا عمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثِقَلِهِ عليهم؟ وحُقَّ لميزانٍ لا يوضعُ فيه غداً إلاّ حَقٌّ أنْ يكون ثقيلاً. ألم تر يا عمر إنما خفت موازينُ مَنْ خِفّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل؟ وخفته عليهم؟ وحُقَّ لميزان أنْ لا يوضع فيه إلا باطل أنْ يكون خفيفاً.

ألم تر يا عمر، إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون

---

(١) أي: لم أقصر.

المؤمن راغباً راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه؟

ألم تر يا عمر إنما ذكر اللهُ أهل النار بأسوءِ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلتَ: إنِّي لأرجو أن لا أكون منهم؟ وإنه إنّما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنّه تجاوز لهم عما كان من سَيِّء فإذا ذكرتهم قُلْتَ: أين عملي من أعمالهم؟

فإنْ حفظتَ وصيتي فلا يكونن غائبٌ أحب إليك من حاضر من الموت، ولستَ بمعجزه.

خلافَــــة
عُمَــر بــن الخطّــاب
رضي الله عنــه
وأرضــاه



وتوفي أبو بكر فلما دُفِنَ صعد عمر بن الخطاب فخطب الناس، ثم قال: «إنما مَثَلُ العرب مثل جمل آنف اتبع قائده. فلينظر قائده حيث يقوده وأما أنا فورب الكعبة لأحملنّكم على الطريق».

وكان أول كتاب كتبه إلى أبي عُبَيْدَة بن الجراح بتولية جند خالد وبعزل خالد لأنه كان عليه ساخطاً في خلافة أبي بكر كلها لوقعته بابن نويرة، وما كان يعمل في حربه، وأول ما تكلم به عَزَلَ خالد[١]، وقال: لا يلي لي عملاً أبداً. وكتب إلى أبي عبيدة. إنْ أكْذَبَ خالد نفسه فهو الأمير على ما كان عليه، وإنْ لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه. وآنزع عمامته عن رأسه، وقاسِمه ماله.

فذكر ذلك لخالد فآستشار أخته فاطمة ـ وكانت عند الحارث بن هشام ـ فقالت له: «والله لا يحبك عمر أبداً، وما يريد إلّا أن تكذب نفسك ثم ينزعك» فقبَّلَ رأسها وقال: صدقتِ.

فأبىٰ أنْ يكذب نفسه، فأمر أبو عبيدة فنزع عمامة خالد، وقاسمه ماله، ثم قَدِمَ خالد على عمر بالمدينة؛ وقيل: بل هو أقام بالشام مع المسلمين[٢] وهو أصح.

---

(١) وسيأتي قول عمر رضي الله عنه (أني لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما) . انظر ص ٤١٩ من هذا الجزء .

ومراد عمر رضي الله عنه بعزله خالد لا كما يقول المرجفون بل أراد أن ينسب فضل انتشار الإسلام وكسر للفرس والروم الى رحمة الله ونصره لا أن يقال نصر بعبقرية قائد أو بقوة زعيم .

(٢) إنما أقام خالد في جيش المسلمين يقاتل معهم تحت راية هذا الدين وسيأتي في هذا الجزء ذكر كثير من أخباره تحت قيادة أبو عبيدة وغيره.

ذكر فتح دمشق

قيل: ولما هزم الله أهل اليرموك [وتهافت أهل الواقوصة[١] وفرغ من المقاسم والأنفال وبعث بالأخماس وسرحت الوفود] استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب الحميري وسار حتى نزل بالصفر [وهو يريد اتباع الفالة، ولا يدري يجتمعون أو يفترقون؟] فأتاه الخبر أنّ المنهزمين اجتمعوا بفِحْل[٢] وأتاه الخبر أيضاً بأنّ المدد قد أتىٰ أهل دمشق من حمص [فهو لا يدري أبدمشق يبدأ أم بفحل في بلاد الأردن؟] فكتب إلى عمر في ذلك فأجابه عمر يأمره بأن يبدأ بدمشق، [فأنهدوا لها] فإنها حصن الشام، وبيت ملكهم، وأن يشغل أهل فحل بخيل تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق سار إلى فحل، فإذا فتحت عليهم سار هو وخالد إلى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعَمْراً بالأردن وفلسطين.

فأرسل أبو عبيدة إلى فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريباً منها، وبثق[٣] الروم الماء حول فحل، فوحلت الأرض، فنزل عليهم المسلمون فكان أول محصور بالشام أهل فحل، ثم أهل دمشق.

وبعث أبو عبيدة جنداً فنزلوا بين حمص ودمشق، وأرسل جنداً آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين، وسار أبو عبيدة، وخالد فقدِموا على دمشق، وعليها نِسْطَاس فنزل أبو عبيدة علىٰ ناحية، وخالد علىٰ ناحية، وعَمْرو علىٰ ناحية، وكان هِرَقل قريب [من][٤] حمص فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصاراً شديداً وقاتلوهم بالزحف، والمجانيق، [وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث] ، وجاءت خيول هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص فَخُذِلَ أهل دمشق، وطمع فيهم المسلمون، ووُلِد للبطريق الذي علىٰ أهلها مولود. فصنع طعاماً فأكلَ القوم وشربوا وتركوا مواقفهم، ولا يعلم بذلك أحدٌ من المسلمين إلاّ ما كان من خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفىٰ

---

(١) الواقصة: منزل في طريق مكة بعد القرعاء نحو مكة.
وقيل ماء لبني كعب .وواقصة أيضاً بأرض اليمامة .

(٢) فحل : موضع بالشام .

(٣) أي : انساح وانفجر..

(٤) زيادة على المطبوعة يقتضيها السياق .

عليه من أمورهم شيء، [عيونه ذاكية، وهو مَعْنِيٌّ بما يليه]، وكان قد اتخذ حبالاً كهيئة السلاليم، وأوهاقاً، فلما أمسىٰ ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قَدِم عليهم، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو، ومذعور بن عَدِيّ. وأمثاله، وقالوا: إذا سمعتم تكبيراً علىٰ السور فأرقوا إلينا، وآقصدوا الباب.

فلما وصل هو وأصحابه إلى السور ألقوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان. فصعد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الحبال بالشرف،وكان ذلك المكان أحصن موضع بدمشق، وأكثره ماء [وأشده مدخلاً] فصَعِد المسلمون، ثم انحدر خالد وأصحابه، وترك بذلك المكان مَنْ يحميه، وأمرهم بالتكبير فكبروا، فأتاهم المسلمون إلى الباب وإلى الحبال، وانتهى خالد إلى من يليه فقتلهم، وقصد الباب فقتل البوابين، وثار أهلُ المدينة لا يدرون ما الحال، وتشاغل أهلُ كل ناحية بما يليهم، وفتح خالد الباب، وقتل كل من عنده من الروم، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح، فقبِلَ منهم، وفتحوا له الباب، وقالوا له: ادخل وآمنعنا مِنْ أهل ذلك الجانب. ودخل أهلُ كل بابَ بصلح مما يليهم، ودخل خالد عنوة فآلتقى خالد والقواد في وسطها هذا قتلاً ونهباً، وهذا صفحاً وتسكيناً فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح، وكان صُلْحُهُم على المقاسمة، وقسموا معهم للجنود التي عند فحل وعند حمص وغيرهم ممن هو رِدْءٌ للمسلمين، وأرسل أبو عبيدة إلى عمر بالفتح، فوصل كتاب عمر إلى أبي عبيدة يأمره بإرسال جُنْدِ العراق نحو العراق إلى سعد بن أبي وقاص، فأرسلهم، وأمّر عليهم هاشم بن عتبة المرقال، وكانوا قد قتل منهم فأرسل أبو عبيدة عِوَض مَنْ قتل، وكان ممن أرسل الأشتر وغيره، وسار ابو عبيدة إلى فِحْل.

ذكر غزوة فِحْل

فلما فتحت دمشق سار أبو عبيدة إلى فِحل، واستخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان [في خيله]، وبعث خالداً على المقدِّمة، وعلى الناس شرحبيل بن حسنة، وكان على المجنبتين أبو عبيدة، وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرجال عياض بن غنم، وكان أهل فحل قد قصدوا بيسان فهَمَّ بها فنزل شرحبيل بالناس فحلاً وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر [بالخبر وهم يحدثون أنفسهم بالمقام، ولا يريدون أن يريموا فحلاً حتى يرجع جواب كتابهم من عند

عمر، ولا يستطيعون الإقدام علىٰ عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال]، وكانت العرب تسمي تلك الغزاة ذات الردغة وبيسان وفحل، وأقام الناس ينتظرون كتاب عمر، فاغترهم الروم فخرجوا، وعليهم سقلار بن مخراق [ورجوا أن يكونوا على غِرَّة] فأتوهم والمسلمون حذِرُون، وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا علىٰ تعبية، فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم. فاقتتلوا أشد قتال. كان لهم ليلتهم ويومهم إلى الليل وأظلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزم الروم وهم حيارى، وقد أصيب رئيسهم صقلار، والذي يليه [فيهم] نسطوس، وظفر المسلمون بهم [أحسن ظفر وأهنأه]، وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة إلى الوحل فركبوه، ولحقهم المسلمون فأخذوهم، ولا يمنعون يدَ لامس، فوخزوهم بالرماح، فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالرداغ فأصيب الروم وهم ثمانون ألفاً لم يفلت منهم إلا الشريد، وقد كان الله يصنع للمسلمين، وهم كارهون، كرهوا البثوق والوحل فكانت عوناً لهم على عدوهم[وأناةً من الله ليزدادوا بصيرة وجِدًّا]، وغنموا أموالهم فاقتسموها، وانصرف أبو عبيدة بخالد، ومن معه إلى حمص.

وممن قُتلَ في هذه الحرب السائب بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي له صحبة.

(فِحْل) بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة وآخره لام.

ذكر فتح بلاد ساحل دمشق

لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وسار إلىٰ فِحْل؛ سار يزيد إلىٰ مدينة صيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، وهي سواحل دمشق على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها، وتولى فتح عرقة معاوية بنفسه في ولاية يزيد. ثم إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر، وأول خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها، ثم رمها وشحنها بالمقاتلة، وأعطاهم القطائع، ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى طرابلس؛ وهي ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى في مرج على أميال منها حصناً سمي حصن سفيان، وقطع المادة عن أهلها من البر والبحر، وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أنْ يمدهم أو يبعث

إليهم بمراكب يهربون فيها إلى بلاد الروم فوجّه إليهم بمراكب كثيرة ركبوا فيها ليلاً وهربوا، فلما أصبح سفيان وكان يبيت هووالمسلمونفي حصنه ثم يغدو على العدو فوجد الحصن خالياً فدخله، وكتب بالفتح إلى معاوية، فأسكنه معاوية جماعةً كثيرةً من اليهود، وهو الذي فيه الميناء اليوم، ثم بناه عبد الملك بن مروان وحصّنه، ثم نقض أهلُه أيـام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد في زمانه.

ذكر فتح بيسان وطبرِيّة

لما قصد أبو عبيدة حِمْص من فحل أرسَل شرحبيل ومن معه إلى بيسان، فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم صالحهم مَنْ بقي على صلح دمشق فقبل ذلك منهم، وكان أبو عبيدة قد بعث بالأعور إلى طبرية يحاصرها، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضاً وأن يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح إلى عمر.

قال أبو جعفر: وقد اختلفوا في أي هذه الغزوات كان قبل الأخرى؟ فقيل: ما ذكرنا، وقيل: إن المسلمين لما فرغوا من أجنادَين اجتمع المنهزمون بفِحْل فقصدها المسلمون فظفروا بها، ثم لحق المنهـزمون من فحـل بدمشق فقصـدها المسلمـون فحاصروها وفتحوها، وقدم كتاب عمر بن الخطاب بعزل خالد، وولاية أبي عبيدة، وهم محاصرون دمشق. فلم يُعَرِّفْهُ أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق، وكتب الكتاب باسم خالد، وأظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله، وكانت فِحْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، وفتح دمشق في رجب سنة أربع عشرة. وقيل: إن وقعة اليرموك كانت سنة خمس عشرة، ولم تكن للروم بعدها وقعة وإنما اختلفوا لقُرْب بعض ذلك من بعض.

ذكر خبر المثنى بن حارثة، وأبي عُبَيْد بن مسعود

[عود إلى حرب الفرس]

قد ذكرنا قدوم المُثَنَّىٰ بن حارثة الشيباني من العراق علىٰ أبي بكر ووصية أبي بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه، فلما أصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر كان أول ما عمل أنْ ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني، [إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر] ثم بايع الناس ثم ندب الناس وهو يبايعهم ثلاثاً، ولا ينتدب أحدٌ إلى فارس، وكانوا أثقل الوجوه على المسلمين وأكرهها إليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم، فلما كان اليوم الرابع ندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب أبو عُبَيْد بن مسعود الثقفي وهو والد المختار، وسعد بن عبيدة الأنصاري، وسليط بن قيس، وهو ممن شهد بَدْراً، وتتابع الناس وتكلّم المثنى بن حارثة فقال: «أيها الناس لا يعظمنَّ عليكم هذا الوجه فإنّا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم علىٰ خَيْر شِقَّي السواد؛ و[شاطرناهم] ونِلْنَا منهم واجترأنا عليهم ولنا إنْ شاء اللّهُ ما بعدها».

فاجتمع الناس[1] فقيل لعمر: أَمِّر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الأنصار قال: لا والله لا أفعل إنما رفعهم الله تعالى بسَبْقهم ومسارعتهم إلى العدو فإذا فعل فِعْلَهم قومٌ وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافاً وثِقَالاً ويسبقون إلى الدفع أولى بالرياسة منهم، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم أنتداباً ثم دعا أبا عُبَيْد، وسعداً، وسليطاً

---

(١) في الطبري بعد أن تكلم المثنى بن حارثة . قام عمر بن الخطاب في الناس فقال أن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك .

أين الطراء المهاجرون عن موعود الله سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فأنه قال ليظهره على الدين كله والله مظهراً دينه ومعز ناصره ومولي أهله مواريث الأمم .

اين عباد الله الصالحون ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ثم ثنى سعد بن عبيد أو سليط بن قيس .

وقال لهما: لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتما بها إلى مالكما من السابقة فأمَّرَ أبا عبيد [على الجيش] وقال له: اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم في الأمر [ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين] ولم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلّا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع الأعراب فإنه لا يصلحها إلا الرجل المكيث، وأوصاه بجنده، فكان بعث أبي عبيد أول جيش سيّره عمر، ثم بعده سير يعلى بن مُنْيَة إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران بوصية رسول الله ﷺ، وأن لا يجتمع بجزيرة العرب دينان.

ذكر خبر النمارق

فسار أبو عبيد الثقفي، وسعد بن عبيد، وسليط بن قيس الأنصاريان، والمثنى بن حارثة الشيباني أحد بني هند من المدينة، وأمر عمر المثنى بالتقدم إلى أنْ يقدم عليه أصحابه وأمرهم باستنفار مَنْ حسن إسلامه من أهل الردة ففعلوا ذلك، وسار المثنى فقدم الحيرة، وكانت الفرس تشاغلت عن المسلمين بموت شهر براز حتى أصطلحوا على سابور بن شهريار بن اردشير فثارت به آزرميدخت فقتلته وقتلت الفرخزاد وملكت بوران وكانت عدلاً بين الناس حتى يصطلحوا فأرسلت إلى رستم بن الفرخزاد بالخبر وتحثه على السير، وكان علىٰ فرج خراسان فأقبل لا يلقىٰ جيشاً لآزرميدخت إلا هزمه حتى دخل المدائن فاَقتتلوا وهزم سياوخش وحصره وآزرميدخت بالمدائن، ثم افتتحها رستم وقتل سياوخش وفقأ عين آزرميدخت ونصب بوران [ودعته إلى القيام بأمر أهل فارس وشكت إليه تضعضعهم وإدبار أمرهم] على أن تملكه عشر سنين، ثم يكون الملك في آل كسرى إنْ وَجَدوا من غلمانهم أحداً وإلّا ففي نسائهم.

[فقال رستم: أما أنا فسامعٌ مطيع غير طالب عِوَضاً ولا ثواباً. فقالت بوران: اغد عليّ. فغدا عليها] ودعت مرازبة فارس وأمرتهم أنْ يسمعوا له ويطيعوا وتوّجته فدانت له فارس قبل قدوم أبي عبيد، وكان منجِّماً حسن المعرفة به وبالحوادث، فقال له بعضهم: ما حملك على هذا الأمر وأنت ترى ما ترى؟ قال: حب الشرف والطمع.

ثم قدِم المثنى إلى الحيرة في عشر، وقدِم أبو عبيد بعده بشهر فكتب رستم إلى الدهاقين أنْ يثوروا[١] بالمسلمين، وبعث في كل رستاق رجلاً يثور[٢] بأهله، فبعث

---

(١) في الأصول كلها أن يؤثروا وصححنها من الطبري.

(٢) في الأصل يؤثر ـ وهو غلط.

جابان إلى فرات بادَقلي، وبعث نرسي إلى كسكر ووعدهم يوماً، وبعث جنداً لمصادمة المثنى، وبلغ المثنّى الخبر [فضم إليه مسالحه] فحذر، وعجل جابان ونزل النمارق وثاروا وتوالوا على الخروج، وخرج أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله، وخرج المثنى من الحيرة فنزل خَفّان[1] لئلا يؤتىٰ من خلفه بشيء يكرهه، وأقام حتى قَدِمَ عليه أبو عبيد، فلما قدم لبث أياماً يستريح هو وأصحابه وآجتمع إلى جابان بشرٌ كثير فنزل النمارق، وسار إليه أبو عبيد فجعل المثنى علىٰ الخيل، وكان علىٰ مجنبتي جابان جشنس ماه، ومردانشاه فاقتتلوا بالنمارق قتالاً شديداً فهزم الله أهل فارس وأسر جابان أسره مطر بن فضة التيمي، وأسر مردانشاه أسره أُكْتَل بن شماخ العكلي فقتله.

وأما جابان فإنه خدع مطراً وقال له: هل لك أنْ تؤمنني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عَمَلِك. وكذا وكذا؟ ففعل فخَلا عنه فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه جابان وأشاروا عليه بقتله فقال: إنّي أخاف الله أنْ أقتله وقد أمّنه رجلٌ مسلم والمسلمون [في التوادد والتناصر] كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم [فقالوا له: إنه الملك. قال: وإنْ كان لا أغدر. فتركه]، وتركوه، وأرسل في طلب المنهزمين حتى أدخلوهم عسكر نرسي وقتلوا منهم.

(أُكْتَل) بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة باثنتين من فوقها وفي آخره لام.

ذكر وقعة السقاطية بكسكر[2]

ولحق المنهزمون نحو كسكر وبها نرسي وهو ابن خالة الملك، وكان له النرسيان وهو نوع من التمر يحميه لا يأكله إلا مَلِكُ الفُرْسِ أو مَنْ أكرموه بشيء منه، ولا يغرسه غيرهم، واجتمع إلى النرسي الفالة، وهو في عسكره، فسار أبو عبيد إليهم من النمارق فنزل علىٰ نرسي بكسكر، وكان المثنى في تعبيته التي قاتل فيها بالنمارق، وكان على مجنبتي نرسي، بندويه، وتيرويه ابنا بسطام خال الملك، ومعه أهل باروسما، والزوابي.

---

(١) خَفّان: موضع قرب الكوفة فوق القادسية.

(٢) كورة واسعة قصبتها واسط القصب التي بين الكوفة والبصرة.

ولما بلغ الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان بعثا الجالينوس إلى نرسي فلحقه قبل الحرب فعاجلهم أبو عبيدة فٱلتقوا أسفل من كسكر بمكان يُدْعَىٰ السقاطية فٱقتتلوا [في صحارى ملس] قتالاً شديداً، ثم انهزمت فارس وهرب نرسي، وغلب المسلمون على عسكره وأرضه وجمعوا الغنائم، فرأىٰ أبو عبيد من الأطعمة شيئاً كثيراً فنفله مَنْ حوله من العرب وأخذوا النرسيان فأطعموه الفلاحين وبعثوا بخُمْسِهِ إلى عمر، وكتبوا إليه أنّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميها وأحببنا أن تروها لتشكروا إنعام الله وإفضاله.

وأقام أبو عبيد وبعث المثنى إلى باروسما، وبعث والقا إلى الزوابي، وعاصماً إلى نهر جُور فهزموا مَنْ كان تجمّع، وأخربوا وسبوا أهل زَنْدوَرْد[١] وغيرها وبذل لهم فروخ وفراونداذ عن أهل باروسما، والزوابي وكسكر الجزاء معجلاً فأجابوا إلى ذلك وصاروا صُلْحاً وجاء فروخ وفرا ونداذ إلى أبي عبيد بأنواع الطعام والأخبصة[٢] وغيرها فقال: هل أكرمتم الجند بمثلها؟

فقالوا: لم ـ يتيسر ونحن فاعلون ـ وكانوا يتربصون قُدُوم الجالينوس. فقال أبو عبيد: لا حاجة لنا فيه، بئس المرءُ أبو عبيد إنْ صحب قوماً من بلادهم آستأثر عليهم بشيء، ولا والله لا آكل ما أتيتم به ولا مما أفاء الله إلا مثل ما يأكل أوساطهم.

فلما هُزم الجالينوس أتوه بالأطعمة أيضاً فقال: ما آكل هذا دون المسلمين فقالوا له: ليس من أصحابك أحدٌ إلا وقد أتي بمثل هذا فأكل حينئذ.

ذكر وقعة الجالينوس

ولما بعث رستم الجالينوس أمره أن يبدأ بنرسي، ثم يقاتل أبا عبيد فبادره أبو عبيد إلى نرسي فهزمه، وجاء الجالينوس فنزل بباقسياثا من باروسما فسار إليه أبو عبيد وهو على تعبيته فٱلتقوا بها فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس، وغلب أبو عبيد على تلك البلاد، ثم آرتحل حتى قدم الحيرة، وكان عمر قد قال له: «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية، تَقْدُم على قوم تجرأوا على الشر فعلموه، وتناسوا الخير

---

(١) زند ورد : مدينة كانت قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط .

(٢) الخبيصة : القطعة من الخبيص وهو الحلوى المخبوصة من التمر والسمن .

فجهلوه، فانظر كيف تكون؟ وآحرز(١) لسانك، ولا تفشين سرك فإنّ صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعة.

ذكر وقعة قُسّ الناطف (٢)

ويقال لها «الجسر» ويقال «المروحة»(٣) ـ وقتل أبي عبيد بن مسعود

ولما رجع الجالينوس إلى رستم منهزماً ومن معه من جُنده قال رستم: أيّ العجم أشد على العرب [فيما ترون]؟

قالوا: بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب ـ وإنما قيل له: ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة ليرفعهما كِبْراً ـ فوجَّهه ومعه فيلة، ورد الجالينوس معه وقال لبهمن: إنْ انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه.

فأقبل بهمن جاذويه ومعه دِرَفش كابيان (راية كسرى) كانت من جلود النمر عرض ثماني أذرع وطول اثنتي عشرة ذراعاً، فنزل «بقُسّ الناطف»، وأقبل أبو عبيد فنزل «بالمروحة»، فرأت دومة امرأته أم المختار ابنه أنّ رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب فشرب أبو عبيد ومعه نفر، فأخبرت بها أبا عبيد فقال: «لهذه إنْ شاء الله الشهادة»، وعهد إلى الناس فقال: «إنْ قتلتُ فعلىٰ الناس فلان ،فإنقُتل فعليهم فلان»، حتى أمّر الذين شربوا من الإناء [على الولاء من كلامه].

ثم قال: فإنْ قتل فعلىٰ الناس المثنى.

وبعث إليه بهمن جاذويه إما أنْ تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإمّا أنْ تَدَعُونا نعبر إليكم، فنهاه الناس عن العبور ونهاه سليط أيضاً فلجّ وترك الرأي وقال: «لا يكونوا أجرأ على الموت منا»، فعبر إليهم على جسر عقده ابن صلوبا للفريقين، وضاقت الأرض بأهلها واقتتلوا، فلما نظرت الخيول إلى الفيلة والخيل عليها التجافيف رأت شيئاً منكراً لم تكن رأتْ مثله [فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم] فلم تقدم عليهم [خيولهم]

---

(١) أي: أحفظ.

(٢) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي.

(٣) المروحة: موضع بشاطىء الفرات الغربي.

وإذا حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت خيولهم وكراديسهم ورموهم بالنشاب واشتد الأمرُ بالمسلمين، فترجَّل أبو عبيد والناس ثم مشوا إليهم، ثم صافحوهم بالسيوف فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم، فنادىٰ أبو عبيد احتوشوا الفيلة، واقطعوا بِطَانَها[1]، واقلبوا عنها أهلها، ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع بطانه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله، وقتلوا أصحابه وأهوىٰ الفيل لأبي عبيد فضربه أبو عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه، فلما بَصُرَ به الناسُ تحت الفيل خشعتْ أنفسُ بعضهم.

ثم أخذ اللواء الذي أمّره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد فأخذه المسلمون فأحرزوه، ثم قتل الفيل الأمير الذي بعد أبي عبيد وتتابع سبعة أنفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء، ويقاتل حتى يموت، ثم أخذ اللواء المثنّىٰ فهرب عنه الناس، فلما رأىٰ عبدالله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه، وما يصنع الناس بادرهم إلى الجسر فقطعه؛ وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا، وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر فتواثب بعضهم إلى الفرات فغرق مَنْ لم يصبر، واسرعوا فيمن صبر، وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال: أنا دونكم فأعبروا على هينتكم ولا تدهشوا [فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب] ولا تغرقوا نفوسكم [فعبروا الجسر].

وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالاً شديداً وأبو محجن الثقفي، وقاتل أبو زبيد الطائي حَمِيّة للعربية وكان نصرانياً قَدِم الحيرة لبعض أمره ونادىٰ المثنّى: مَن عَبَر نجا، فجاء العلوج فعقدوا الجسر وعبر الناس وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس، وعبر المثنى وحمى جانبه، فلما عبر أرفض عنه أهل المدينة [حتى لحقوا بالمدينة، وتركها بعضهم ونزلوا البوادي]، وبقي المثنى في قلة، وكان قد جُرِحَ وأثبت فيه حلق من درعه [هتكهن]، وأخبر عمر عمن سار في البلاد من الهزيمة استحياء فاشتد عليه، [ذلك ورحمهم]، وقال: «اللهم إنّ كل مسلم في حِلٍّ مني، أنافئةُ كُلِّ مسلم، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إليّ لكنتُ له فئة.

---

(١) بطان الرحل: مثل الحزام.

وهلك من المسلمين[يومئذ] أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب ألفان، وبقي ثلاثة آلاف.

وقتل من الفرس ستة آلاف، وأراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فأتاه الخبر باختلاف الفرس وأنهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه وصاروا فريقين الفهلوج على رستم، وأهل فارس على الفيرزان، فرجع إلى المدائن.

وكانت هذه الوقعة في شعبان.

وكان فيمن قتل بالجسر عقبة، وعبدالله ابنا قبطي بن قيس، وكانا شَهِدا أحداً؛ وقتل معهما أخوهما عباد ولم يشهد معهما أحداً، وقتل أيضاً قيس بن السكن بن قيس أبو زيد الأنصاري وهو بدري لا عقب له، وقتل يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصاري شهد أحداً، وفيها قتل أبو أمية الفزاري له صحبة، والحكم بن مسعود أخو أبي عبيد، وابنه جبر بن الحكم بن مسعود.

ذكر خبر أُلَيِّس الصغرى

لما عاد ذو الحاجب لم يشعر جابان ومردانشاه بما جاء به من الخبر فخرجا حتى أخذا بالطريق، وبلغ المثنى فعلهما فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج في جريدة خيل يريدهما، فظنا أنه هارب فاعترضاه فأخذهما أسيرين، وخرج أهل أُلَيّس على أصحابهما فأتوه بهم أسرى وعقد لهم بها ذمة وقتلهما، وقتل الأسرى، وهرب أبو محجن من أُلَيّس ولم يرجع مع المثنى بن حارثة.

ذكر وقعة البُوَيْب(١)

لما بلغ عمر خبر وقعة أبي عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى، وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم إلى جرير بن عبدالله لأنه كان قد جمعهم من القبائل وكانوا متفرقين فيها فسأل النبي ﷺ أن يجمعهم فوعده ذلك، فلما ولي أبو بكر تقاضاه بما وعده النبي ﷺ فلم يفعل؛ فلما ولي عمر طلب منه ذلك [دعاه بالبينة فأقامها له] فكتب إلى عماله أنه مَنْ كان يُنْسَب إلى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الإسلام فأخرجوه إلى

---

(١) نهر كان بالعراق يأخذ من الفرات.

جرير ففعلوا ذلك، فلما اجتمعوا أمرهم عمر بالعراق وأبوا إلّا الشام فعزم عمر علىٰ العراق وينفلهم ربع الخمس فأجابوا وسيّرهم إلى المثنى بن حارثة، وبعث عصمة بن عبدالله الضبي فيمن تبعه إلى المثنى.

وكتب إلى أهل الردة[١] فلم يأته أحد إلا رمى به المثنى، وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا إليه في جمع عظيم، وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النمري في جمع عظيم من النمر نصارى، وقالوا: نقاتل مع قومنا.

وبلغ الخبر رستم، والفيرزان فبعثا مهران الهمذاني إلى الحيرة فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخفان فاستبطن فرات بادقلي وكتب إلى جرير وعصمة وكل من أتاه ممداً له يعلمهم الخبر ويأمرهم بقَصْد البويب فهو الموعد فانتهوا إلى المثنى وهو بالبُوَيْب ومهران بإزائه من وراء الفرات، فآجتمع المسلمون بالبويب مما يلي الكوفة اليوم وأرسل مهران إلىٰ المثنى يقول: إما أنْ تعبر إلينا وإما أنْ نعبر إليك، فقال المثنى: آعبروا. فعبر مهران فنزل علىٰ شاطىء الفرات وَعَبى المثنّى أصحابه وكان في رمضان فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوهم فأفطروا، وكان على مجنبتي المثنى بشير بن الخصاصية وبُسْر بن أبي رُهْم، وعلى مجردته المعني أخوه، وعلى الرَّجل مسعود أخوه، وعلى الردء مذعور، وكان على مجنبتي مهران بن الازاذبه مرزبان الحيرة، ومردانشاه، وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجلهم أمام فيلهم ولهم زجل. فقال المثنى للمسلمين: إنّ الذي تسمعون فشل فآلزموا الصمت [وآئتمروا همسا]، ودنوا من المسلمين؛ وطاف المثنى في صفوفه يعهد إليهم، وهو على فرسه «الشموس» وإنما سمي بذلك للينه وكان لا يركبه إلا إذا قاتل فوقف علىٰ الرايات [رايةً رايةً] يحرِّضُهُم [ويأمرهم بأمره] ويهزهم [بأحسن ما فيهم]، ولكلهم يقول: «إني لأرجو أنْ لا يؤتىٰ الناس من قِبَلِكُمُ اليوم، واللهِ ما يسرُّني اليوم لنفسي شيءٌ إلا وهو يسرني لعامتكم» فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم من نفسه في القول والفعل وخلط الناس في المحبوب والمكروه فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولا فعلاً، وقال: إني مُكَبِّرٌ ثلاثاً فتهيأوا ثم آملوا في الرابعة.

---

(١) مراده من تاب من أهل الردة.

فلما كبّر أول تكبيرة أعجلتهم فارس وخالطوهم [مع أول تكبيرة]، وركدت خيلهم وحربهم ملياً فرأى المثنى خللاً في بني عجل فجعل يمد لحيته لما يرى منهم وأرسل إليهم يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم.

فقالوا: نعم، وآعتدلوا فضحك فرحاً، فلما طال القتال واشتد. قال المثنى لأنس بن هلال النمري: إنّك امرؤٌ عربي وإنْ لم تكن على ديننا فإذا [رأيتني قد] حملتُ على مهران فآحمل معي.

فأجابه فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته. ثم خالطوهم، واجتمع القلبان، وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل لا يستطيعون أنْ يفرغوا لنصر أميرهم لا المسلمون ولا المشركون، وارتث مسعود أخو المثنى يومئذ وجماعة من أعيان المسلمين، فلما أصيب مسعود تضعضع من معه، فقال: يا معشر بكر آرفعوا رايتكم رفعكم الله ولا يهولنكم مصرعي وكان المثنى قال لهم: إذا رأيتمونا أُصِبْنَا فلا تدعوا ما أنتم فيه [فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف]، آلزموا مصافكم وآغنوا عمن يليكم، واوجع قلب المسلمين في قلب المشركين.

وقَتَل غلامُ نصراني من تغلب مهران واستوى على فرسه [ثم آنتمى[1] «أنا الغلام التغلبي، أنا قتلت المرزبان»]. فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله، وكان التغلبي قد جلب خيلاً هو وجماعة من تغلب، فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب.

قال: وأفنى المثنى قلب المشركين والمجنبات بعضها يقاتل بعضاً، فلما رأوه قد أزال القلب وأفنى أهله وَثَب مجنبات المسلمين على مجنبات المشركين، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول لهم: «عاداتكم في أمثالهم آنصروا الله ينصركم»، حتى هزموا الفرس، وسبقهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم فآفترقوا [بشاطىء الفرات] مصعدين ومنحدرين، وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثاً، فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمة منها بقيت عظام القتلى

---

(١) أي: آنتسب إلى قومه.

دهراً طويلاً، وكانوا يحزرون[١] القتلى مائة ألف، وسمي ذلك اليوم «الأعشار» أُحْصِيَ مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة، وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة، وغالب الكناني وعرفجة الأزدي، من أصحاب التسعة.

وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم وضفة الفرات، وتبعهم المسلمون إلى الليل ومن الغد إلى الليل، وندم المثنى على أخذه بالجسر؛ وقال: «عجزتُ عجزة وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر [وقطعه] حتى أحرجتهم فلا تعودوا [ولا تقتدوا بي] أيها الناس إلى مثلها فإنها كانت زَلّة، فلا ينبغي إحراج من لا يقوى على امتناع[٢]. ومات أناسٌ من الجرحى [من أعلام المسلمين]. منهم مسعود أخو المثنى، وخالد بن هلال فصلىٰ عليهم المثنى [وقدّمهم علىٰ الأسنان[٣] والقرآن]، وقال: «والله إنه ليهوّن عليّ وجدي أنْ صبروا وشهدوا البويب [ولم يجزعوا]، ولم ينكلوا، [وإن كان في الشهادة كفارة لتجوز الذنوب].

وكان قد أصاب المسلمون غَنَماً ودقيقاً وبقراً فبعثوا بها إلى عيال من قدم من المدينة وهم بالقوادس.

وأرسل المثنى الخيل في طلب العجم فبلغوا السِّيْب.

وغنموا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسمه فيهم، ونفل أهل البلاء [من جميع القبائل]، وأعطى بجيلة ربع الخمس، وأرسل الذين تبعوا المنهزمين إلى المثنى يعرّفونه سلامتهم وأنه لا مانع دون القوم ويستأذنونه في الإقدام فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط[٤]، وتحصّن أهله منهم وآستباحوا القرىٰ، ثم مخروا السواد فيما بينهم وبين دجلة لا يخافون كيداً ولا يلقون مانعاً، ورجعت مسالح العجم إليهم وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة.

(بُسْر بن أبي رهم) بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة.

---

(١) أي: يقدرون القتلى.

(٢) وهذا لعمري هو خلق المسلمين.

(٣) أي: الأكبر سناً.

(٤) ساباط: قرية كانت قريبة من المدائن على نهر الملك.

ذكر خبر الخنافس: وسوق بغداد

ثم خَلّف المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية. وسار يمخر السواد وأرسل إلى مَيْسَان، ودَست مَيْسَان[١] وأذكى المسالح ونزل أُلَيّس ـ قرية من قرى الأنبار، وهذه الغزوة تُدْعىٰ غزوة الأنبار الآخرة وغزوة أليس الآخرة.

وجاء إلى المثنى رجلان أحدهما أنباري فدّله على سوق الخنافس، والثاني حِيْرِيّ دله على بغداد، فقال المثنى: أيتهما قبل صاحبتها؟

فقالا: بينهما مسيرة أيام. قال: أيهما أعجل؟ قالا: سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد، وربيعة، وقضاعة يخفرونهم.

فركب المثنىٰ وأغار على الخنافس يوم سوقها، وبها خيلان من ربيعة وقضاعة، وعلىٰ قضاعة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء؛ فانتهب السوق وما فيها وسلب الخفراء، ثم رجع فأتىٰ الأنبار فتحصّن أهلُها منه، فلما عرفوه نزلوا إليه وأتوه بالأعلاف والزاد، وأخذ منهم الأدلاء على سوق بغداد، وأظهر لدهقان الأنبار أنه يريد المدائن وسار منها إلى بغداد ليلاً وعبر إليهم وصبّحهم في أسواقهم، فوضع السيف فيهم وأخذ ما شاء، وقال المثنى: لا تأخذوا إلّا الذهب والفضة، والحر من كل شيء[٢] ثم عاد راجعاً حتى نزل بنهر السَّيْلَحين[٣] بالأنبار فسمع أصحابه يقولون: ما أسرَعَ القوم في طلبنا؟ فخطبهم وقال: «احمدوا الله، وسلوه العافية وتناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا بالاثم والعدوان، انظروا في الأمور وقَدِّرُوها ثم تكلموا، إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ولو بلغهم لحالَ الرعبُ بينهم وبين طلبكم، إنّ للغارات رَوْعَات تضعف القلوب يوماً إلى الليل، ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم وأنتم على الفرات حتى تنتهوا إلى عسكركم، ولو أدركوكم لقاتلتهم [لاثنتين] التماس

---

(١) كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط.

(٢) الحر؛ الحسن والجميل.
وفي الأصول الخز بمعجمتين ولا معنى له هنا.

(٣) في الأصول: السالحين وهو غلط.
السيلحون: وهي ناحية قرب الحيرة ضاربة في البر بينها وبين القادسية.

الأجر، ورجاء النصر، فثقوا بالله وأحسِنوا به الظن. فقد نصركم في مواطن كثيرة [وهم أعد منكم] ».

ثم سار بهم الأنبار، وكان من خلفه من المسلمين يمخرون السواد ويشنون الغارات ما بين أسفل كسكر وأسفل الفرات، وجسوا مثقباً إلى عين التمر، وفي أرض الفلاليج، والمثنى بالأنبار.

ولما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار بعث المضارب العجلي في جمع إلى الكباث، وعليه فارس العناب التغلبي، ثم لحقهم المثنى فسار معهم فوجدوا الكباث قد سار من كان به عنه، ومعهم فارس العناب فسار المسلمون خلفه فلحقوه ـ وقد رحل من الكباث، فقتلوا في أخريات أصحابه وأكثروا القتل، فلما رجعوا إلى الأنبار سرّح فرات بن حيان التغلبي، وعتيبة بن النهاس، وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب بصِفّين. ثم اتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن ابي سلمى الهجيمي، فلما دنوا من صِفين فرّ من بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفني الزاد الذي مع المثنى وأصحابه فأكلوا رواحلهم إلا ما لا بد منه حتى جلودها ثم أدركوا عيراً من أهل دَبا، وحَوْرَان فقتلوا من بها وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير، فقالوا لهم: دلونا.

فقال أحدهم: أمِّنوني علىٰ أهلي ومالي وأدلكم على حَيٍّ من تغلب [غدوت من عندهم اليوم].

فأمّنه المثنى وسار معهم يومه، فهجم العشي على القوم والنعم صادرة عن الماء وأصحابها جلوس بأفنية البيوت [فبثّ غارته] فقتل المقاتلة وسبى الذرية وآستاق الأموال، وكان التغلبيون بني ذي الرويحلة فآشترى من كان مع المثنى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفيء وأعتقوهم، وكانت ربيعة لا تسابي إذا العرب يتسابون في جاهليتهم. وأخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجع شاطىء دجلة فخرج المثنى وعلى مجنبتيه النعمان بن عوف ومطر الشيبانيان. وعلى مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني فساروا في طلبهم فأدركوهم بتكريت، فأصابوا ما شاؤوا من النعم، وعاد إلى الأنبار ومضى عتيبة وفرات ومَنْ معهما حتى أغاروا على صِفِّيْن وبها النمر وتغلب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء فجعلوا ينادونهم الغرق الغرق، وجعل

عتيبة، وفرات يذمران الناس ويناديانهم تغريق بتحريق يذكرانهم يوماً من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوماً من بكر بن وائل في غيضة من الغياض، ثم رجعوا إلى المثنى، وقد غرّقوهم وقد بلغ الخبر عمر فبعث إلى عتيبة وفرات فٱستدعاهما فسألهما عن قولهما فأخبراه أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل إنما هو مثل فاستحلفهما وردهما إلى المثنى.

(عتيبة بن النهاس) بالتاء المثناة من فوقها والياء المثناة من تحتها والباء الموحدة.

ذكر الخبر عن الذي هيج أمر القادسية، وملك يزدجرد

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على أهل فارس: [أين يذهب بكم؟] لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهّنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوّهم؛ ولم يبلغ من أمركما أن نقرّكما على هذا الرأي، وأنْ تعرضاها للهلكة ما بعد بغداد، وساباط، وتكريت إلا المدائن، والله لتجتمعان أو لَنَبْدَأَنَّ بكما [قبل أن يشمت بنا شامت]، ثم نهلك وقد اشتفينا منكما.

فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى: اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم ففعلت، [ثم أخرجت ذلك إليهم في كتاب] فأحضروهن جميعهن وأخذوهن بالعذاب يستدلونهن على ذَكَر من أبناء كسرى فلم يوجد عند واحدة منهن أحد. وقال بعضهن: لم يبق إلاّ غلامٌ يُدْعَىٰ يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا.

فأرسلوا إليها وطلبوه منها وكانت قد أنزلته أيام شيري حين جمعهن، [في القصر الأبيض] فقتل الذكور وأرسلته إلى أخواله، فلما سألوها عنه دلتهم عليه فجاءوا به فملّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، واجتمعوا عليه فاطمأنّت فارس واستوثقه وتبارىٰ المرازبة في طاعته ومعونته فسمى الجنودَ لكل مسلحة وثغر، فسمى جند الحيرة والأبلة، والأنبار وغير ذلك.

وبلغ ذلك من أمرهم [واجتماعهم على يزدجرد] المثنى والمسلمين فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد مَنْ كان له عهد ومن لم يكن له عهد، فخرج المثنى [على حاميته] حتىٰ

نزل بذي قار ونزل الناس بالطفّ في عسكرٍ واحد.

ولمـا وصل كتـاب المثنى إلى عمر قـال: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب».

فلم يَدَع رئيساً، ولا ذا رأي، وذا شرف، وبسطة ولا خطيباً، ولا شاعراً إلا رماهم به. فرماهم بوجوه الناس وغُرَرِهِم، وكتب عمر إلى المثنى ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم [على حدود أرضكم وأرضهم] وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا أحضروه إما طوعاً أو كرهاً [آحملوا العرب على الجُدِّ إذْ جَدّ العجم، فلتلقوا جدهم بجدكم].

ونزل الناس بالجل، وشراف إلى غضي، وهو حيال البصرة، وبسلمان بعضهم ينظر إلى بعض ويغيث بعضهم بعضاً، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة.

وأرسل عمر في ذي الحجة من السنة مخرجه إلى الحج إلى عماله على العرب أنْ لا يَدَعُوا من له نجدة، أو فرس، أو سلاح أو رأي إلا وَجّهوه إليه؛ فأما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء إليه بالمدينة لَمّا عاد من الحج، وأما من كان أقرب إلى العراق فآنضمَّ إلى المثنىٰ بن حارثة، وجاءت أمداد العرب إلىٰ عمر.

وحج في هذه السنة عمر بن الخطاب بالناس وَحَجَّ سِنِيِّهِ كلها. وكان عامل عمر على مكة هذه السنة عتاب بن أسِيد ـ فيما قال بعضُهُم ـ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى بن مُنْيَة، وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن، وعلىٰ البحرين العلاء بن الحضرمِيّ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلىٰ فرج الكوفة وما فُتِح من أرضها المثنىٰ بن حارثة. وكان علىٰ القضاء فيما ذُكر عليّ بن أبي طالب.

وفي هذه السنة مات أبو كَبْشَة[1] ـ مولى رسول الله ﷺ، وقيل بعد ذلك.

وفي خلافة أبي بكر مات سهل بن عمرو[2] ـ أخو سُهَيْل ـ، وهـو من مُسْلِمَة

---

(١) أبو كبشة مولى النبي ﷺ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو من فارس أعتقه ﷺ وتوفي سنة ١٣ انظر أسد الغابة ٢٦١/٦/ ٢٦٢.

(٢) سهل بن عمر بن عبد شمس القرشي اسلم يوم الفتح وله عقب بالمدينة ودار، توفي اول خلافة عمر. انظر اسد الغابة ٢/ ٤٧٥.

الفتح .

وفي خلافته مات الصعب بن جَثَّامة الليثي[١] .

وفي أول خلافته مات ابنه عبدالله بن أبي بكر ـ وكان قد جرح في حصار الطائف ثم انتقض عليه جُرْحه فمات .

وفي هذه السنة تُوُفِّيَ الأرقم بن أبي الأرقم[٢] يوم مات أبو بكر، وهو الذي كان رسول الله ﷺ مستخفياً بداره بمكّة أول ما أرسل .

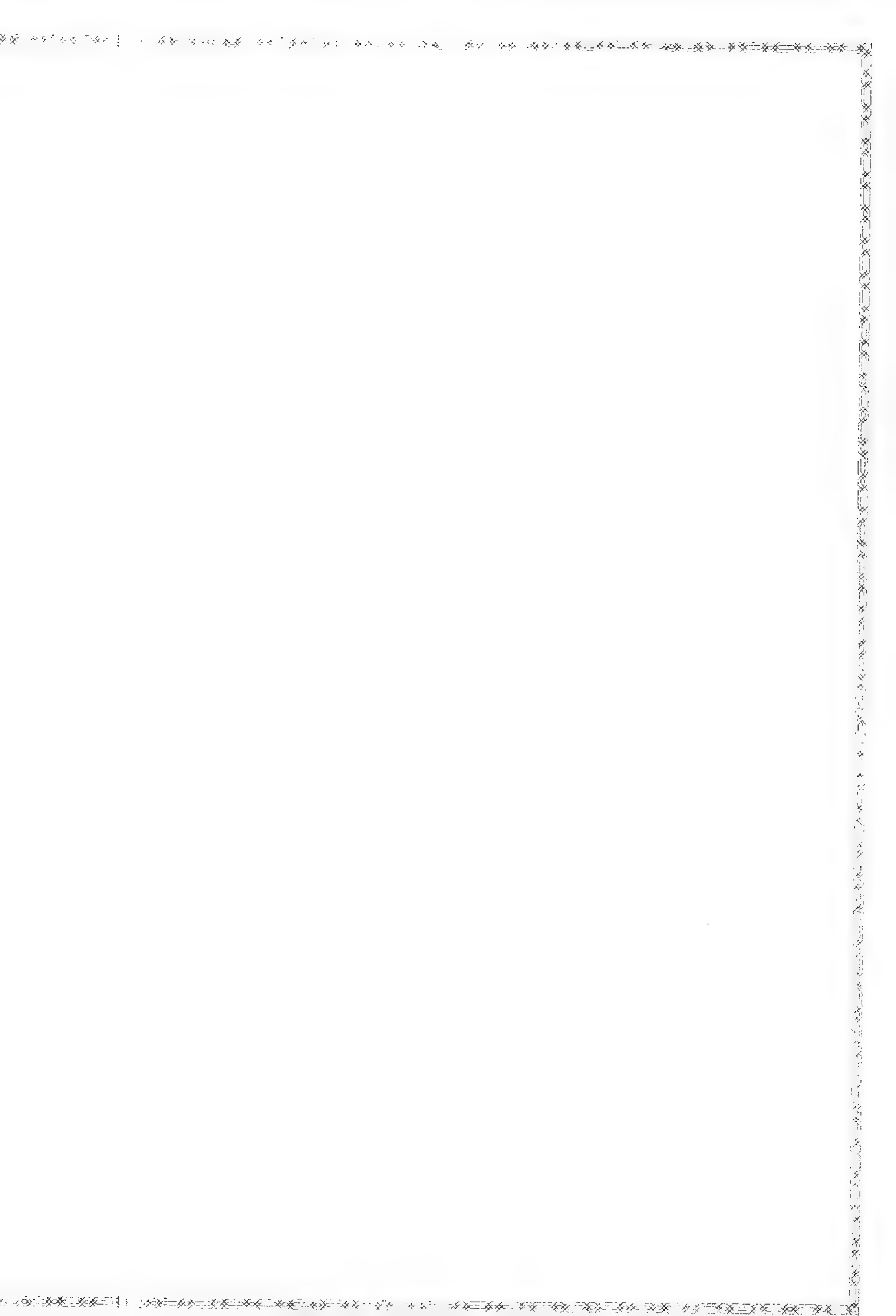
---

(١) الصعب بن جثامة : أسمه يزيد بن قيس بن ربيعة بن عبدالله الكناني الليثي توفي في خلافة أبو بكر رضي الله عنه اسد الغابة ٣/٢٠ .

(٢) الأرقم بن أبي الأرقم ، عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر المخزومي كان من السابقين إلى الإسلام وكان من المهاجرين الأولين ، استخفى رسول الله ﷺ في داره في أول الإسلام . توفي أبو الأرقم سنة ٥٣ .
اسد الغابة ١/٧٤ / ٧٥ .

مَعركة القادسية العُظمىٰ

« والله الذي لا إله إلاّ هو
ما اطلعنا على أحدٍ من أهل
القادسيّة أنه يريد الدنيا
مع الآخرة »
(جابر بن عبد الله)
رضي الله عنه



ثم دخلت سنة أربع عشرة

ذكر ابتداء أمر القادسية

لما اجتمع الناس إلىٰ عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى « صراراً » (١) فعسكر به ولا يدري الناسُ ما يريد أيسير أم يقيم؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيءٍ رَمَوهُ بعثمان، أو بعبد الرحمن بن عوف فإن لم يقدر هذان على عِلم شيءٍ مما يريدون ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب، فسأله عثمان عن سبب حركته فأحضر الناس فأعلمهمَ الخبر وآستشارهم في المسير إلى العراق، فقال العامةُ: سِرْ وسر بنا معك، فدخل معهم في رأيهم، [وكره أنْ يَدَعهم حتى يخرجهم منه في رفق]، وقال: آغدوا واستعدوا فإني سائرٌ إلا أن يجيىء رأيٌ هو أمثل من هذا.

ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله ﷺ [وأعلام العرب]، وأرسل إلى علي، وكان استخلفه على المدينة فأتاه، وإلىٰ طلحة وكان على المقدمة فرجع إليه، وإلى الزبير، وعبد الرحمن وكان على المجنبتين فحضرا، ثم استشارهم فاجتمعوا علىٰ أنْ يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ [ويقيم] ويرميه بالجنود فإنْ كان الذي يشتهي فهو الفتح وإلاّ أعاد رجلاً وبعث آخر ففي ذلك غيظُ العدوّ.

فجمع عمر الناس، وقال لهم: إنّي كنتُ عزمتُ على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيتُ أنْ أقيم وأبعث رجلاً فأشيروا عليّ برجل، وكان سعد بن أبي وقاص علىٰ صدقات هوازن فكتب إليه عمر بانتخاب ذوي الرأي والنجدة والسلاح فجاءه كتاب سعد وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول: قد انتخبتُ لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي، وصاحب حيطة يحوط حريم قومه [ويمنع ذمارهم]، إليهم انتهت آحسابهم ورأيهم، فلما وصل كتابه [وافق مشورتهم] قالوا لعمر: قد وجدته.

---

(١) صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق.

قال: من هو؟ قالوا: الأسد عادياً سعد بن مالك (١). فآنتهى إلى قولهم وأحضره وأمّره على حرب العراق ووصاه وقال: .

« لا يغرنك من الله أنْ قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ فإنّ الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس [شريفهم ووضيعهم] في ذات الله سواء، ؛ الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيتَ رسول الله ﷺ يلزمه فآلزمه » ووصاه بالصبر.

وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهو أربعة آلاف فيهم حُميضة بن النعمان بن حميضة على بارق، وعمرو بن معد يكرب، وأبو سبرة بن ذؤيب على مذحج، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء، وحبيب، ومسيلمة، وبشر بن عبد الله الهلالي في قيس عيلان.

وخرج إليهم عمر فمر بفتية من السكون مع حصين بن نمير ومعاوية بن خديج دلم سباط (٢) فأعرض عنهم فقيل له: مالك وهؤلاء؟ فقال: ما مَرّ بي قومٌ من العرب أكره إليّ منهم ثم أمضاهم. فكان بعد يذكرهم بالكراهة، فكان منهم سَوْدَان بن حمران قتل عثمان، وابن ملجم قتل علياً، ومعاوية بن خديج جرد السيف في المسلمين يظهر الأخذ بثأر عثمان، وحصين بن نمير كان أشد الناس في قتال عليّ، ثم إنّ عمر أخذ بوصيتهم وبعظتهم ثم سَيّرهم، وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بألفي يمانِيّ وألفي نَجِديّ، وكان المثنى بن حارثة في ثمانية آلاف.

وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحة انتقضت عليه، واستخلف على الناس بشير بن الخصاصية، وسعد يومئذ بزرود، وقد اجتمع معه ثمانية آلاف، وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن، والبسيطة فنزلوا في ثلاثة آلاف. وسار سعد إلى شَراف فنزلها ولحقه بها الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن. **فكان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفاً**، وجميع من

---

(١) أي : وهو سعد بن أبي وقاص .

(٢) الدلم ؛ جمع ادلم وهو الآدم والشديد السواد في ملوسه . ومن تهدلت شفتاه . والسبط الطويل .

قسم عليه فيؤها نحو من ثلاثين ألفاً، ولم يكن أحد أجرأ على أهل فارس من ربيعة. فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس، [وكانت العرب في جاهليتها تسمي فارس الأسد، والروم الأسد].

ولم يدع عمر ذا رأيٍ، ولا شرف، ولا خطيباً، ولا شاعراً، ولا وجيهاً من وجوه الناس إلا سَيّره إلى سَعْد.

وجَمَعَ سعدُ مَنْ كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنى. فاجتمعوا بشراف فعبّأهم، وأمّر الأمراء، وعرّف على كل عشرة عريفاً، وجعل على الرايات رجالاً من أهل السابقة، وولى الحروب رجالاً علىٰ ساقتها، ومقدمتها، ورجلها، وطلائعها، ومجنباتها ولم يفصل إلا بكتاب عمر، فجعل علىٰ المقدمة زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوّية فآنتهى إلى العذيب ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم ـ وكان من الصحابة أيضاً، واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي ـ [وكان غلاماً شاباً وكان قد قاتل أهل الردة]، وجعل خليفته خالد بنُ عرفطة ـ حليف بني عبد شمس، وجعل عاصم بن عمرو التميمي على الساقة، وسواد بن مالك التميمي على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة، وعلى الرجالة حمال بن مالك الأسدي، وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمين الحنفي [١].

وجعل عمر علىٰ القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وعلىٰ قسمة الفيء أيضاً، وجعل رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسي، والكاتب زياد بن أبيه، وقَدِمَ المعنى بن حارثة الشيباني وسلمى بنت خصفة زوج المثنى بشراف.

وكان المعني بعد موت أخيه قد سار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسية، وكان قد بعثه إليها الفرس يستنفر العرب فسار إليه المعني فقفله فأنامه [٢] ومن معه ورجع إلى ذي قار، وسار إلى سعد يُعلمه برأي المثنى له وللمسلمين يأمرهم أنْ يقاتلوا الفرس علىٰ حدود أرضهم علىٰ أدنى حَجَر من أرض العرب، ولا يقاتلوهم بِعُقر

---

(١) في الطبري: الخثعمي.
(٢) أي: قتلهم.

دارهم، فإنْ يُظْهِرُ اللّهُ المسلمين فلهم ما وراءهم، ؛ وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم، وأجرأ على أرضهم إلى أنْ يَرُدَّ اللّهُ الكرة عليهم.

فترحم سعد ومن معه على المثنى، وجعل المعني على عمله، وأوصىٰ بأهل بيته خيراً، ثم تزوج سعد سلمى زوج المثنى [وبنىٰ بها]، وكان معه تسعة وتسعون بدرياً (١)، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، ثلاثمائة ممن شهد الفتح، وسبعمائة من أبناء الصحابة.

وقدم علىٰ سعد [وهو بشراف] كتاب عمر بمثل رأي المثنى (٢).

وكتب عمر أيضاً إلى أبي عبيدة ليصرف أهل العراق، ومن آختار أن يلحق بهم إلى العراق.

وكان للفرس رابطة بقصر ابن مقاتل وعليها النعمان بن قبيصة الطائي، وهو ابن عم قبيصة بن إياس صاحب الحيرة، فلما سمع بمجيء سعد سأل عنه، وعنده عبد الله بن سنان بن خزيم الأسدي فقيل: رجل من قريش. فقال: والله لأجادنه القتال، فإن قريشاً عبيد من غَلَب، والله لا يخرجون من بلادهم الا بخفين.

فغضب عبد الله بن سنان من قوله وأمهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد وأسلم.

وسار سعد من شَراف فنزل العذيب، ثم سار حتى نزل القادسية بين العتيق. والخندق بحيال القنطرة، وقديس أسفل منها بميل، وكتب عمر إلى سعد: « إني أُلْقِيَ في روعي أنّكم إذا لقيتم العدوّ هزمتموهم [فآطرحوا الشك، وآثروا التقية عليه] فمتى

---

(١) في الطبري بضعة وسبعون بدرياً.

(٢) أورد الطبري كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وفيه:

« وإذا انتهيت إلى القادسية والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل وهو منزل رغيب خصيب حصين .... فتكون مسالحك على أنقابها .. ثم الزم مكانك فلا تبرحه فانهم إذا أحسوك أنغضتهم رموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم .... فإن أنتم صبرتم لعدوكم وأحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوتُ أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع عليكم مثلهم ابداً ...

لاعب أحدُ منكم أحداً من العجم بأمان أو باشارة أو بلسان [كان لا يدري الأعجمي ما كَلّمه به و] كان عندهم أماناً فأجروا له ذلك مجرىٰ الأمان، و[إيـاكم والضحك]، والوفاء الوفاء فإنّ الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخـطأ بالغـدر هلكة، وفيهـا وهنكم وقوة عدوكم، [وذهاب ريحكم وإقبال ريحهم.

وآعلموا أنّي أحذركم أنْ تكونوا شَيْناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم] ».

فلما نزل زهرة في المقدمة وأمسى بعث سرية في ثلاثين معروفين بالنجدة وأمرهم بالغارة علىٰ الحيرة فلما جاروا السيلحين [وقطعوا جسرها يريدون الحيرة] سمعوا جلبة (١) فمكثوا حتى حاذوهم وإذا أخت آزادمرد بن آزاذبه مرزبان الحيرة تـزف إلى صاحب الصِّنيِّن وهو من أشراف العجم؛ فحمل بكير بن عبد الله الليثي أمير السرية على شيرزاد بـن ازاذبـه [وهو بينها وبين الخيل] فدق صلبـه وطارت الخيـل على وجوهها، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذبه في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع، ومعهم ما لا يدرىٰ قيمته، فاستاق ذلك ورجع، فصبّح سعداً بعُذَيْب الهجانات (٢)[بما أفاء الله على المسلمين فكبروا تكبيرة شديدة، فقال سعد: إقسم بالله لقد كبرتم تكبيرة قوم عرفت فيهم العز] فقسّم ذلك على المسلمين وترك الحريم بالعذيب ومعها خيل تحوطها وأمّر عليهم غالب بن عبد الله الليثي. ونزل سعد القادسية وأقام بها شهراً لم يأته من الفرس أحد فأرسل سعد عاصم بن عمرو إلى ميسان فطلب غنماً أو بقراً فلم يقدر عليها وتحصن منه مَن هناك فأصاب عاصم رجلاً بجانب أجمة فسأله [وآستدله] عن البقر والغنم فقال: ما أعلم.

فصاح ثورٌ من الأجمة كذب عدوّ الله وها نحن أولاء. فدخل فآستاق البقر فأتىٰ بها العسكر فقسّمه سعد على الناس فأخصبوا أياماً فبلغ ذلك الحجاج في زمانه فأرسل إلى جماعة فسألهم فشهدوا أنهم سمعواذلك وشاهدوه فقال: كذبتم.

قالوا: ذلك إنْ كنتَ شهدتها وغبنا عنها. قال: صدقتم، فما كان الناس يقولون في ذلك. قالوا [آيةُ تبشير] يستدل بها على رضا الله وفتح عدونا. فقال: ما يكون هذا

---

(١) أي الصياح والصخب.

(٢) العُذَيْب: عُذَيْبَان: عذيب الهجانات، وعذيب القوادس.

إلا والجمع أبرار أتقياء. قالوا: والله ما ندري ما أجنت قلوبهم فأما ما رأينا فما رأينا قوماً قط أزهد في دنيا منهم ولا أشد بُغْضاً لها ليس فيهم جبان، ولا غالّ، ولا غدار. وذلك يوم الأباقر.

وبث سعد الغارات والنهب بين كسكر والأنبار فحووا من الأطعمة ما استكفوا به زماناً. وكان بين نزول خالد بن الوليد العراق وبين نزول سعد القادسية والفـراغ منها سنتان وشيء، وكان مقام سعد بالقادسية شهرين وشيئاً حتى ظفر فاستغاث أهلُ السواد إلى يزدجرد وأعلموه أنّ العرب قد نزلوا القادسية ولا يبقى علىٰ فعلهم شيء وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدوابّ والأطعمة وإنْ ابطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا، وكتب إليه بذلك الذين لهم الضياع بالطف وهيجوه علىٰ إرسال الجنود. فأرسل يزدجرد إلى رستم فدخل عليه فقال: « إني أريدُ أنْ أُوَجِّهَكَ في هذا الوجه [وإنما يعد للأمور على قدرها] فأنت رجل فارس اليـوم وقد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله ».

فأظهر له الاجابة ثم قال له: « دعني فإن العـرب لا تزال تهـاب العجم ما لم تضرهم [١] بي، ولعل الدولة أن تثبت بي إذا لم أحضر الحرب فيكـون الله قد كفىٰ ونكون قد أصبنا المكيدة، والرأي في الحرب أنفع من بعض الظفر، والأناة خير من العجلة، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمةٍ بمرّة وأشد على عدونا. فأبىٰ عليه، وأعاد رستم كلامه وقال: قد آضطرني تضييع الرأي إلـىٰ إعظام نفسي وتزكيتها ولو أجد من ذلك بُدّاً لم أتكلم به فأنشدك الله في نفسك ومُلكك دعني أُقِمْ بعسكري وأُسَرِّح الجالينوس فإنْ تكن لنا فذلك وإلا بعثنا غيره حتى إذا لم نجد بُدّاً صبرنا لهم وقد وَهَّنَّاهم ونحن حامون، فإني لا أزال مَرْجُوّاً في أهل فارس ما لم أُهْزَمْ. فأبىٰ إلاّ أنْ يسير، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط، وأرسل إلى الملك ليعفيه فأبىٰ.

وجاءت الأخبار إلـىٰ سعدٍ بذلك، فكتب إلـىٰ عمر فكتب إليه عمر: « لا يكربنك ما يأتيك عنهم [ولا ما يأتونك به]، واستعنْ بالله، وتوكل عليه، وآبعثْ إليه رجالاً من أهل المناظرة، والرأي، والجلد يدعونه فإنّ الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ».

فأرسل سعد نفراً منهم: النعمان بن مُقَرِّن، وبُسْر بن أبي رُهْم، وحملة بن

---

(١) في الأصول: تضربهم ـ وصححناه من الطبري (م).

جُوّية، وحنظلة بن الربيع، وفرات بن حيان؛ وعديّ بن سهيل، وعطارد بن حاجب، والمغيرة بن زرارة بن النباش الأسدي، والأشعث بن قيس، والحارث بن حسان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معد يكرب، والمغيرة بن شعبة، والمعني بن حارثة إلى يزدجرد دعاة، فخرجوا من العسكر فقدِمُوا علىٰ يزدجرد وطووا رستم واستأذنوا على يزدجر فحبسوا وأحضر وزراءه ورستم معهم وآستشارهم فيما يصنع بهم ويقوله لهم، واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها صهال، وعليهم البرود وبأيديهم السياط فأذِن لهم وأحضر الترجمان، وقال له: سَلْهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمِنْ أجل أننا تشاغلنا عنكم آجترأتم علينا؟

فقال النعمان بن مقرِّنَ لأصحابه: إنْ شئتم تكلمتُ عنكم ومن شاء آثرته.

فقالوا: بل تكلم. فقال: « إنّ الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا علىٰ إجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة إلاَ وقارّ به منها فرقة، وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أنْ نبتدىء إلى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين، مكره عليه فاغتبط، وطائع فآزداد، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أنْ نبتدىء مَنْ يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دِيْنٌ حَسَّنَ الحسنَ وقَبّح القبيحَ كله فإنْ أبيتم فأمرٌ من الشر هو أهون من آخر شر منه: الجزية، فإنْ أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه علىٰ أنْ تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإنْ بذلتم الجزاء قبلنا. ومنعناكم وإلا قاتلناكم ».

فتكلّم يزدجرد فقال: إنّي لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقىٰ ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم [لا تغزوكم فارس] ولا تطمعوا أنْ تقوموا لفارس فإنْ كان غرر لحقكم (١) فلا يغرنكم منا، وإنْ كان الجهد [دعاكم] فَرَضْنَا لكم قُوتاً إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم ومَلَّكْنَا عليكم ملكاً يَرْفُقْ بكم ».

فأسكت القوم، فقام المغيرة بن زرارة فقال: « أيها الملك إنّ هؤلاء رؤوس

---

(١) في الطبري ؛ فإنْ كان عدد لحق فلا يغرنكم منا . وهنا أظهر .

العرب، ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف ويعظِّم حقهم الأشراف وليس كل ما أرسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمتَ به أجابوك عنه [وقد أحسنوا ولا يُحْسِنُ بمثلهم إلا ذلك] فجاوبني لأكون الذي أبلغك، وهم يشهدون على ذلك لي.

فأمّا ما ذكرتَ من سوء الحال فهي علىٰ ما وصفتَ وأشدّ ـ ثم ذكر من سوء عيش العرب وإرسال الله النبي ﷺ إليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم أو الجزية، ثم قال له ـ : آختر إنْ شئتَ الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإنْ شئتَ فالسيف أو تُسْلم فتنجِّي نفسك».

فقال: [أتستقبلني بمثل هذا. فقال: ما استقبلتُ إلا من كَلّمني، ولو كلّمني غيرك لم أستقبلك به. فقال:] لولا أنّ الرُّسُلَ لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي. ثم استدعى بوِقْر [1] من تراب. فقال: آحْمِلوه علىٰ أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن، آرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسلٌ إليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خَنْدَقِ القادسية [وينكّل به وبكم]، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور. فقام عاصم بن عمر وليأخذ التراب، وقال: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحَمَلَه علىٰ عنقه وخرج [به من الإيوان والدار] إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد: « أبْشِر، فوالله لقد أعطانا اللّٰهُ أقاليد ملكهم».

واشتد ذلك على جلساء الملك، وقال الملك لرستم وقد حضر عنده من ساباط: « ما كنتُ أرى أنّ في العرب مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جواباً منهم، ولقد صدقني القوم لقد وُعِدُوا أمراً ليدركنه أو ليموتُنّ عليه، علىٰ أنّي وجدتُ أفضلهم أحمقهم حيث حمل التراب على رأسه [فخرج به].

فقال رستم: « أيها الملك إنّه أعقلهم، وتطيَّرَ إلى ذلك وأبصرها دون أصحابه. وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيباً، وبعث في أثر الوفد وقال لثقته: « إنْ أدركهم الرسولُ تلافينا أرْضَنَا، وإنْ أعجزوه سلبكم الله أرضكم ». فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال: « ذهب القوم بأرضكم من غير شك ». وكان منجماً كاهناً. وأغار

---

(١) الوِقر : الحِمْل الثقيل .

سواد بن مالك التميمي بعد مسير الوفد إلى يزدجرد على النجاف والفراض فآستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل، وحمار، وثور وأوقرها سمكاً وصبّح العسكر فقسمه سعد بين الناس وهذا يوم **الحيتان** وكانت السرايا تسري لطلب اللحوم فإنّ الطعام كان كثيراً عندهم فكانوا يسمون الأيام بها يوم الأباقر، ويوم الحيتان، وبعث سعد سرية أخرى فأغاروا فأصابوا إبلاً لبني تغلب والنمر وآستاقوها ومن فِيها فنحر سعد الابل وقسّمها في الناس فاخصبوا، واغار عمرو بن الحارث على النهرين فآستاق مواشي كثيرة وعاد.

وسار رستم من ساباط وجمع آلة الحرب وبعث على مقدمته الجالينوس في أربعين ألفاً، وخرج هو في ستين ألفاً، وفي ساقته عشرون ألفاً، وجعل في ميمنته الهرمزان، وعلى الميسرة مهران بن بهرام الرازي، وقال رستم للملك يشجعه بذلك: « إنْ فتح الله علينا توجّهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم إلى أنْ يقبلوا المسالمة ». وكان خروج رستم من المدائن في ستين ألف متبوع، ومسيره عن ساباط في مائة الف وعشرين الف متبوع، وقيل: غير ذلك.

ولما فصل رستم عن ساباط كتب إلى أخيه البنذوان: « أمّا بعد فرموا حصونكم وأعدوا وآستعدوا فكأنكم بالعرب قد [وردوا بلادكم] وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوساً، **فإنّ السمكة قد كدّرت الماء، وإنّ النعائم قد حسنت والزهرة قد حسنت، واعتدل الميزان**، وذهب بهرام، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلينا، وإنّ أشد ما رأيتُ أنّ الملك قال: « لتسيرن [إليهم] أو لأسيرنّ بنفسي ».

ولقي جابان رستم علىٰ قنطرة ساباط وكانا منجّمين فشكىٰ إليه وقال له: ألا ترى ما أرىٰ؟ فقال له رستم: « أما أنا فأقاد بخَشَاش [١] وزمام ولا أجد بُدًّا مِنْ الانقياد »، ثم سار فنزل بكُوْثي [٢] فأتى برجلٍ من العرب فقال له: ما جاء بكم؟ وماذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إنْ أبيتم أن تُسْلِموا. قال رستم: فإنْ قُتِلْتم قبل ذلك؟ قال: مَنْ قُتِلَ منا دخل الجنة ومَنْ بَقِيَ منا أنجزه الله ما وعده فنحن على

---

(١) الخِشَاش: ما يوضع في أنف البعير، وهو من خشب، ويريد أنه مسوق بقوة ومغلوب على ذلك ولو كان مطلقاً لما اقدم عليه.

(٢) كُوْثَى: ثلاث مواضع بسواد العراق بأرض بابل، وكوثى نهر بالعراق، وقد ضُمَّ وأخرج غيره.

يقين. فقال رستم: قد وُضعنا إذن في أيديكم. فقال: أعمالكم وَضَعتكمْ فأسلَمَكُم الله بها فلا يغرّنك من ترى حولك **فإنّك لستَ تجاول الإنس إنما تجاولُ [القضاء و] القدر.**

[فآستشاط غضباً فأمر به] فضربْت عنقه، ثم سار فنزل البرس فغصب أصحابه الناس [أبناءهم] وأموالهم، ووقعوا علىٰ النساء، وشربوا الخمور فضجَّ أهلها إلى رستم [فقام فيهم] فقال: « يا معشر فارس: والله لقد صدق العربيُّ، والله ما أسلمنا إلا أعمالُنا، والله إنّ العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسنِ سيرةً منكم، إنّ الله كان ينصركم على العدو ويمكّن لكم في البلاد بحسن السيرة وكَفّ الظلم[والوفاء بالعهود] والإحسان، فإذا تغيرتم فلا أرى الله إلاّ مغيراً ما بكم، وما أنا بآمن مِنْ أنْ ينزع اللّهُ سلطانه منكم. وأتى ببعض مَنْ يشكي منه فضرب عنقه، ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها وتهددهم وهَمَّ بهم، فقال له ابن بقيلة: لا تجمع علينا [اثنتين] أنْ تعجز عن نُصرتنا، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا. [وبلادنا فسكت].

ولما نزل رستم بالنجف رأىٰ كأنّ ملكاً نزل من السماء ومعه النبي ﷺ وعُمَر فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه إلى النبي ﷺ فدفعه النبي ﷺ إلى عمر، فأصبح رستم حزيناً، وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف، والجالينوس بين النجف والسيلحين، فطافت في السواد فبعث سواداً، وحُميضة في مائة مائة فأغاروا علىٰ النهرين، وبلغ رستم الخبر فأرسل إليهم خيلاً، وسمع سعد أنّ خيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابراً الأسدي في آثارهم [يقتصانها وسلكا طريقهما، وقال لعاصم: « إنْ جمعكم قتالٌ فأنت عليهم »]. فلقيهم عاصم [بين النهرين] وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم، وأرسل سعد عمرو بن معد يكرب، وطليحة الأسدي طليعة فسارا في عشرة فلم يسيروا إلا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فرجع عمرو ومن معه وأبىٰ طليحة الا التقدم، فقالوا له: أنت رجل في نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فآرجع معنا فأبىٰ، فرجعوا إلى سعد فأخبروه بقُرب القوم، ومضىٰ طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسم، فهتك أطناب بيت رجل عليه، وآقتاد فرسه، ثم هتك علىٰ آخر بيته وحَلّ فرسه، ثم فعل بآخر كذلك، ثم

خرج يعدو به فرسه ونذر به الناس فركبوا في طلبه فأصبح وقد لَحِقَه فارس من الجند فقتله طليحة، ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأىٰ مصرع صاحبيه، وهما ابنا عمه فآزداد حنقاً فلحق طليحة فكرّ عليه طليحة وأسره، ولحقه الناس فرأوا فارسي الجند قد قتلا وأسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فأحجموا عنه، ودخل طليحة علىٰ سعد ومعه الفارسي وأخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسي فطلب الأمان فأمّنه سعد قال:

« أخبركم عن صاحبكم هـذا قبل أنْ اخبركم عمن قِبَلي : باشرتُ الحروب [وغشيتُها] منذ أنا غلام إلى الآن وسمعتُ بالأبطال [ولقيتُها] ولم أسمع بمثل هذا، إنّ رجلاً قطع فرسخين إلى عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرضَ أنْ يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت [فطلبناه] فلما أدركناه قتل الأول وهو يعد بألف فارس ثم الثاني وهو نظيره [فقتله] ثم أدركته أنا ـ [ولا أظن] خَلَّفْتُ مِنْ بعدي مَنْ يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين [وهما ابنا عمي] ـ فرأيتُ الموتَ واستؤسرت » .

ثم أخبره عن الفُرس [بأنّ الجند عشرون ومائة ألف ، وأنّ الأتباع مثلهم خدم لهم] ، وأسلم ولزم طليحة ، وكان من أهل البلاء بالقادسية ، وسماه سعد مسلماً .

ثم سار رستم وقدم الجالينوس وذا الحاجب فنزل الجالينوس بحيال زهرة من دون القنطرة ، ونزل ذو الحاجب بطيزنا باذ ، ونزل رستم بالخرارة . ثم سـار رستم فنزل بالقادسية ، وكان بين مسيره من المدائن ووصوله القادسية أربعة أشهر لا يقدم رجاء أنْ يضجروا بمكانهم فينصرفوا ، وخاف أنْ يلقى ما لقي مَنْ قبله وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ينهضه .

وكان عمر قد كتب إلىٰ سعد يأمره بالصبر والمطاولة أيضاً فأعدّ للمطاولة(١) ، فلما وصل رستم القادسية وقف على العتيق بحيال عسكر سعد ، ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون حتى اعتموا من كثرتهم والمسلمون ممسكون عنهم ، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فِيْلاً منها فيل سابور الأبيض ، وكانت الفيلةُ تألفه فجعل في القلبَ ثمانية عشر فيلاً ، وفي المجنبتين خمسة عشر فيلاً .

---

(١) أي أطال في المكث دون أن ينشب قتال .

فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار من العتيق نحو « خفان » حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتىٰ انتهى إلى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف علىٰ موضع يُشْرِفُ منه عليهم ووقف على القنطرة ، وأرسل إلى زهرة فواقفه فأراده علي أنْ يصالحه ويجعل له جُعْلاً على أنْ ينصرفوا عنه مِنْ غير أن يصرّح له بذلك بل يقول لـه : « كنتم جيراننـا وكنا نحسن إليكم ، ونحفـظكم » ، ويخبـره عن صنيعهم مـع العرب .

فقال له زهرة: «ليس أمرنا أمر أولئك [ولا طلبتنا طلبتهم]، إنّا لم نأتكم لـطلب الدنيا إنما طلبتنا وهِمّتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرتَ إلىٰ أنْ بعث الله فينا رسولاً فدعانا إلى ربه فأجبناه فقال لرسوله : إني قد سلطتُ هذه الطائفة علىٰ من لم يدن بديني فأنا منتقمٌ بهم منهم ، وأَجْعَل لهم الغلبة ماداموا مقرِّين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلاّ ذلّ ، ولا يعتصم به أحد إلاّ عز . فقال له رستم : ما هو؟ قال ؛ أما عموده الذي لا يصلح إلا به فشهادة أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله [والإقرار بما جاء به من عند الله] قال : [ما أحسن هذا ؟] وأيّ شيء أيضاً ؟ قال ؛ وإخراج العباد من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله . قال ؛ حسنٌ وأيُّ شيء أيضاً : قال :] والناس بنو آدم وحواء إخوة لأبٍ وأم قال : ما أحسن هذا ؟ ثم قال رستم : أرأيت إنْ أجبتُ إلى هذا ومعي قومي كيف يكون أمركم ؟ أترجعون ؟ قال : أيْ والله [ثم لا نقربُ بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة] قال : صَدَقْتَني والله ، أما إن أهل فارس منذ ولّي أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة ، وكانوا يقولون : إذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشرافهم . فقال له زهرة : نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون بل نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا .

[المراسلة بين سعد ورستم]

فآنصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هـذا فأَنِفُـوا ، [فقال : أبعدكم الله وأسحقكم، أخزىٰ الله أخرعنا وأجبننا]، فأرسل إلى سعـد أن آبعث إلينا رجـلاً نكلّمه ويكلّمنا.

فدعا سعد جماعة ليرسلهم إليهم فقال له ربعي بن عامر: [إنّ الأعاجم لهم آراءٌ وآداب و] متى نأتهم جميعاً يَروا أنّا قد احتفلنا بهم فلا تَزِدْهُم على رجل .

[فمالَئوه جميعاً على ذلك] فأرسله وحده ، فسار إليهم فحبسوه على القنطرة وأعلم رستم بمجيئه [فآستشار عظماء فارس فقال: ما ترون أنباهي أم نتهاون؟ .

فأجمع ملأهم على التهاون] فأظهر زينته ، وجلس على سريرٍ من ذهب ، وبسطَ البُسُط ، والنمارق ، والوسائد المسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خِرْقَه ورمحه مشدود بعصب وقدّ ،

فلما انتهى إلى البُسُط قيل له : آنزل فحمل فرسه عليها ونزل ، وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبلَ فيهما فلم [يستطيعوا أنْ] ينهوَهْ وأروه التهاون [وعرِفَ ما أرادوا فأراد استحراجهم] وعليه درع وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدَّها على وسَطَه بسلب [فقالوا] : ضع سلاحك .

فقال : لم آتِكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتموني [فإنْ أبيتم أنْ آتيكم إلاّ كما أريد وإلاّ رجعتُ] .

فاخبروا رستم فقال : ائذنوا له [هل هو إلاّ رجل واحد] .

فأقبل يتوكأُ على رمحه ويقارب خطوه [ويزج النمارق والبسط] فلم يدع لهم نمرقاً ولا بساطاً إلاّ أفسده وهتّكه ، فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحه علىٰ البُسْط لقيل له : ما حملك على هذا ؟

قال : إنّا لا نستحب القعودَ على زينتكم [هذه] فقال له ترجمان رستم واسمه عبود من أهل الحيرة ما جاء بكم ؟ قال : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلىٰ سَعَتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه [لندعوهم إليه] فمَنْ قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نُفْضِي إلى الجنة أو الظفر. فقال رستم : قد سمعنا قولكم فهل لكم أنْ تؤخِّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه [وتنظروا] ؟ قال [نعم كم أحبُّ إليكم أيوماً أو يومين ؟ قال : بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساءِ قومنا ـ وأراد مقاربته ومدافعته فقال :] وإنّ مما سنّ لنا رسول الله ﷺ [وعمل به أئمتنا] أنْ لا نمكِّن الأعداء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فآنظر في أمرك وآختر واحدةً من ثلاث بعد الأجل : إما الإسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك ، وإنْ احتجت الينا نصرناك ، أو

المنابذة في اليوم الرابع[١] [ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع] إلّا أنْ تبدأنا ، أنا كفيلٌ بذلك عن أصحابي .

قال: أسيدُهُم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضُهم من بعض يجير أدناهم علىٰ أعلاهم .

فخلا رستم برؤساء قومه فقال : [ما ترون] ؟ هل رأيتم كلاماً قط أعزّ وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ .

فقالوا : معاذ الله أنْ نميل إلىٰ دين هذا الكلب ، أما ترىٰ إلى ثيابه فقال : ويحكم لا تنظروا إلىٰ الثياب ولكن أنظروا الى الرأي والكلام ، والسيرة إنّ العرب تستخف باللباس [والمأكل] وتصون الأحساب ليسوا مثلكم .

فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد أن آبعث إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم حذيفة بن محصن فأقبل في نحو من ذلك الزي ، ولم ينزل عن فرسه ، ووقف على رستم راكباً قال له : انزل قال : لا أفعل فقال له : ما جاء بك ولم يجىء الأول ؟ قال له : إنّ أميرنا يحبُّ أنْ يعدل بيننا في الشدة والرخاء ، وهذه نوبتي فقال : ما جاء بكم ؟ فأجابه مثل الأول فقال رستم : المواعدة إلى يوم ما ، قال : نعم ثلاثاً من أمس ، فردَّه ، وأقبل على أصحابه وقال : ويحكم أما ترون ما أرى ؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقّر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجنا [وربطه به] . وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا وهو في يمن الطائر يقوم علىٰ أرضنا دوننا ، [حتى أغضبهم وأغضبوه] .

فلما كان الغد أرسل ؛ آبعثوا الينا رجلاً . فبعث المغيرة بن شُعْبَة[٢] فاقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبُسُطهم عَلَىٰ غلوة لا يوصل إلى

---

(١) في المطبوعة بدون الألف بعد الراء .

(٢) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، أبو عبدالله أسلم عام الخندق وشهد الحديبية ، وله في صلحها كلام مع عروة بن مسعود ، (انظر سيرة ابن هشام ١/٣١٣) .
قال الشعبي : دهاة العرب أربعة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد .
شهد اليمامة ، وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، وشهد القادسية ، وفتح نهاوند ، وهمدان ، وغيرها ، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان ، وشهد الحكمين .
انظر أسد الغابة ٥/٢٤٧ : ٢٤٩ .

صاحبهم حتى يمشي عليها ، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم علىٰ سريره فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه ، وقال : « قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم إنّا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً [إلا أنْ يكون محارباً لصاحبه] فظننت أنّكم تواسون قومكم كما نتواسى ، فكان أحسن من الذي صنعتم أنْ تخبروني أنّ بعضكم أرباب بعض فإنّ هـذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد ، واني لم آتكم ولكن دعوتموني ، اليوم علمتُ [أنّ أمركم مضمحل و] أنّكم مغلبون ، وأنّ ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول » .

فقالت السفلة : صدق والله العربي ، وقالت الدهاقين : والله لقد رمىٰ بكلامٍ لا تزال عبيدنا ينزعون إليه قاتل الله أولينا [ما كان أحمقهم] حين كانوا يصغِّرُون أمر هذه الأمة .

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال : لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء ، أشرافاً في الأمم فليس لأحدٍ مثل عِزِّنَا وسلطانِنَا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا إلا اليوم ، واليومين ، والشهر للذنوب ، فإذا أنتقم الله منا ورضي علينا رد لنا الكرّة على عدونا ،ولم يكن في الأمم أمة أصغر عندنا أمراً منكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئاً وكنتم تقصدوننا إذا قَحطتْ بلادكم فنأمر لكم بشيء من التمر ، والشعير ، ثم نردّكم ، وقد علمتُ أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا [ما أصابكم من] الجهد في بلادكم فأنا آمرٌ لأميركم بكسوة وبغل ، وألف درهم ، وآمر لكل منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا فإني لستُ أشتهي أن أقتلكم [ولا أسركم] .

فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال : إنّ الله خالق كل شيء ورازقه فمن صنع شيئاً فإنما هو بصنعه ، وأمّا الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم ، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله آبتلانا به والدنيا دُوَل ، **ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهلُ الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم [ويصيروا إليها] ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتم** وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيّر الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل الكفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلباً من الله رحمة ورأفة علينا ، [ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه أو كنتم تعرفوننا

به] ، إنّ الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً ـ ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الإسلام ، والجزية ، والقتال . وقال له : وإنّ عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا : لا صبر لنا عنه .

فقال رستم : إذاً تموتون دونها فقال المغيرة : يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم [يدخل] النار ، ويظفر مَنْ بقي منا بمن بقي منكم .

فآستشاط رستم غضباً ثم حلف [بالشمس] أنْ لا يـرتفع الصبـح غداً حتى نقتلكم أجمعين .

وانصرف المغيرة وخلص رستم بأهل فارس وقال : أين هؤلاء منكم ! هؤلاء والله الرجالَ صادقين كانوا أم كاذبين ـ والله لئن كان بَلَغَ من عقلهم وصَوْنهم لِسِرِّهم أنْ لا يختلفوا فما قومٌ أبلغ لما أرادوا منهم ، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء .

فلجوا وتجلدوا وقال : والله إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم ، وإن هذا منكم رئاء .

فآزدادوا لجاجة ، فأرسل رستم رسولاً خَلْف المغيرة ، وقال له : إذا قطع القنطرة [ووصل إلى أصحابه] فأعلمه أنّ عينه تُفْقَأ غداً فأعلمه الرسول ذلك فقال المغيرة : بشرتني بخيرٍ وأجر ، ولولا أنْ أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت أنّ الأخرىٰ ذهبت [أيضاً فرآهم يضحكون من مقالته ويتعجبون من بصيرته] ، فرجع إلى رستم فأخبره فقال : أطيعوني يا أهل فارس إني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها .

ثم أرسل إليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا ـ وكانوا ثلاثة ـ إلىٰ رستم فقالـوا له : إنّ أميرنا يدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، والعافية أنْ تقبل ما دعاك إليه ونرجع إلى أرضنا وترجع إلى أرضك وداركم لكم ، وأمركم فيكم ، وما أصبتم [مما وراءكم] كان زيادة لكم دوننا ، وكنا عَوْناً لكم علىٰ أحد إنْ أرادكم ، فاتق الله ولا يكونَنّ هلاكُ قومك علىٰ يدك ، وليس بينك وبين أن تغبط بهذا الأمر إلاّ أنْ تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنـك .

فقـال لهم : إنّ الأمثال أوضـح من كثير من الكـلام [وسأضـرب لكم مثلكم تبصروا :] إنكم كنتم أهل جهد [في المعيشة] وقشف [في الهيئة] لا تنتصفون ولا تمتنعـون فلم نُسِيءْ جـوارَكم ، وكنـا نميركم ونحسن إليكم ، فلمـا طعمتم طعامنـا

وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ودعوتموهم ، ثم أتيتمونا .

وإنما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كَرْم فرأىٰ فيه ثَعْلباً ، فقال : وما ثعلب ؟ فآنطلق الثعلبُ فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم، فلما آجتمعوا إليه سد صاحب الكرم النقب الذي كن يدخلن منه فقتلهن .

فقد علمت أنّ الذي حملكم على هذا : الحرص [والطمع] والجهد فآرجعوا [عنا عامكم هذا] ونحن نميركم فإنّي لا أشتهي أنْ أقتلكم .

ومثلكم أيضاً : كالذباب يرى العسل فيقول: مَنْ يوصلني إليه وله درهمان ؟ فإذا دخله غَرِقَ ونشب ، فيقول : من يخرجني وله أربعة دراهم ؟

وقال أيضاً : إنّ رجلًا وضع سلةً ، وجعل طعاماً فيها فأتىٰ الجرذان فخرقوا السلة . فدخلوا فيها فأراد سَدَّها فقيل له : لا تفعل إذن تخرقه لكن آنقب بحياله ثم اجعل قصبة مجوفة فإذا دخلها الجرذان وخرجن منها فآقتل كل ما خرج منها ؛ وقد سددت عليهم أنْ يقتحموا القصبة ولا يخرج منها أحدٌ إلا قتل .

فما دعاكم إلى ما صنعتم ؟ ولا أرىٰ عدداً ولا عُدَّة .

قال : فتكلم القوم وذكروا سُوءَ حالهم وما مَنَّ الله به عليهم من إرسال رسوله وآختلافهم أولاً ثم آجتماعهم علىٰ الإسلام ، وما أمرهم به من الجهاد وقالوا :

وأما ما ضربتَ لنا من الأمثال فليس كذلك ولكن [سنضرب مثلكم] : إنما مثلكم كمثل رجل غرس أرضاً وآختار لها الشجر [والحبّ] وأجرى إليها الأنهار، وزيّنها بالقصور، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها، فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحبّ، [وفي الجنان بمثل ذلك] فأطال إمهالهم فلم يَسْتَحْيِوا [مِنْ تلقاء أنفسهم استعتبهم فكابروه] فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس، وإنْ أقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم الخسف أبداً.

والله لو لم يكن ما نقول ، حقاً ولم يكن إلا الدنيا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذِ عيشكم ورأينا مِنْ زبرجكم ولقارعناكم [حتى نغلبكم] عليه ، فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ، فقالوا : بل اعبروا إلينا ورجعوا من عنده عشياً.

وأرسل سعدٌ إلىٰ الناس أن يقفوا مواقفهم ، وأرسل إليهم شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة فقال: لا ولا كرامة أما شيء غلبناكم عليـه فلن نرده عليكم [تَكَفّلوا معبـراً غير القناطر !].

فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً واستتم بعدما ارتفع النهار .

ورأى رستم من الليل كأنَّ مَلَكاً نزل من السماء فأخذ قسيّ(١) أصحابه فختم علينا ثم صعد بها إلى السماء ، فآستيقظ مهموماً وآستدعى خاصّته فقصّها عليهم ، وقال : إنّ الله ليعظُنا لو آتّعظنا .

ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ، ومغفر ، وأخذ سلاحه ، [وأمر بفرسه فأسرج فأتي به] فوثب فإذا هو على فرسه ولم يضع رجله في الركاب ، وقال : غداً نَدُقُّهم دَقّاً :

فقال له رجل : إن شاء الله ، فقال : وإنْ لم يشأ . ثم قال : إنّما ضغا الثعلب(٢) حين مات الأسد ـ يعني كسرى ـ ، وإنّي أخشىٰ أنْ تكون هذه سنَّةُ القرود ، وإنما قال : هذه الأشياء توهينا للمسلمين عند الفرس ؛ وإلا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين وقد أظهر ذلك إلى من يثق به .

---

(١) القَسِّيّ : ثياب من كتان وحرير كانت تصنع بمصر والشام مضلعة مزينة بأمثال الأترج .

(٢) أي صاح الثعلب ، وهو صوت كل ذليل مقهور .

وفي الأصول : (صفا) ـ بالفاء ـ وهو تحريف غريب (م).

ذكر يوم أرماث

لما عَبَر الفرس العتيق جلس رستم علىٰ سريره وضرب عليه طيارة . وعَبَّى[1] في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها صناديق ورجال ، وفي المجنبتين ثمانية أو سبعة، وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والفيرزان بينه وبين ميسرته [وبقيت القنطرة بين الخيلين] .

وكان يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالاً على كل دعوة رجلاً أَوَّلُهُم علىٰ باب إيوانه وآخرهم مع رستم ، فكلما فعل رستم شيئاً قال الذي معه للذي يليه : كان كذا وكذا ، ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه وهكذا إلى أنْ ينتهي إلى يزدجرد في أسرع وقت .

وأخذ المسلمون مصافّهم ، وكان بسعد دَمَامِيْل وعِرق النسا فلا يستطيع الجلوس إنما هو مُكبٌّ على وجهه في صدره وسادة علىٰ سطح القَصر يشرف علىٰ الناس والصفّ في أصل حائطه لو تعداه الصف فُوَاق ناقة[2] لأخذ برمته فما كرته هول تلك الأيام شجاعة ، وذكر ذلك الناس وعابه بعضهم بذلك فقال :

نقاتل حتى انزل الله نصره[3] وسعد بباب القادسية معصم
فابنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن ايّم

فبلغت أبياته سعداً فقال : « اللهم إنْ كان هذا كاذباً وقال الذي قاله ، رياء

---

(١) : عبأ .

(٢) هو ما بين الحلبتين من الراحة .

(٣) روى السطر الأول من البيت في المعجم هكذا :
ألم تر أنّ الله أنزل نصره (م).

وسمعة فٱقطع عني لسانه » فإنّه لواقف في الصف يومئذ اتاه سهم غَرَب(١) فأصاب لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى ، وقال جرير بن عبدالله نحو ذلك أيضاً : وكذلك غيره .

ونزل سعد إلى الناس فٱعتذر إليهم وأراهم مابه من القروح في فخذيه وإليتيه فعذره الناس وعلموا حاله ، ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عُرفطة علىٰ الناس فٱختلف عليه فأخذ نفراً ممن شغب عليه فحبسهم في القصر ، منهم أبو محجن الثقفي وقيّدهم وقيل : بل كان حبس أبي محجن بسبب الخمر ـ وأعْلَمَ الناسَ أنه قد ٱستخلف خالداً وإنما يأمرهم خالد فسمعوا وأطاعوا ، وخطب الناس يومئذ ، وهو يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكّرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس ، وكذلك فعل أمير كل قوم ، وأرسل سعد نفراً من ذوي الرأي والنجدة ، منهم المغيرة وحذيفة ، وعاصم ، وطليحة ، وقيس الأسدي ، وغالب ، وعمرو بن معد يكرب وأمثالهم ، ومن الشعراء الشماخ ، والحطيئة ، وأوس بن مغراء ، وعَبدة بن الطبيب وغيرهم ، وأمرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا .

وكان صف المشركين على شفير العتيق ، وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق، فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق ومع الفرس ثلاثون ألفَ مسلسَل ، وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد ، وهي الأنفال ، فلما قُرِئَتْ هَشَّتْ قلوبُ الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها .

فلما فرغ القراء منها قال سعد : الزموا مواقفكم حتى تُصَلُّوا الظهر فإذا صليتم فإنّي مكبرٌ تكبيرة فكبروا واستعدوا فإذا سمعتم الثانية فكبروا وٱلبسوا عدتكم ، ثم إذا كبَّرتُ الثالثة فكبروا لينشط فرسانكم الناس ، فإذا كبّرْتُ الرابعة فٱزحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوّكم وقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فلما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج إليهم من الفرس أمثالهم فٱعتوروا الطعن والضرب ، وقال غالب بن عبدالله الأسدي :

---

(١) أي : لا يعرف راميه .

قــد علمت واردة الـمســائـح ... ذات اللسـان والبيـان الـواضـح
أني سمــام البطل المســالـح ... وفــارج الأمم المـهم الـفـادح

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب [والأبواب] وكان مُتَوَّجاً فأسره غالب فجاء به سعداً ورجع ، وخرج عاصم وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفـراء اللبب ... مثـل اللجين إذْ تغشاه الـذهب
أنِّي آمـرؤٌ لامن يُعنيه السبب[١] ... مثلي علىٰ مثلك يغـريـه العتب

فطارد فارسياً فآنهزم فاتبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه ، فأخذ عاصم رجلاً على البغل وعاد به وإذ هو خبّاز الملك معه من طعام الملك وخبيصة فاتىٰ به سعداً فنفله أهل موقفه ، وخرج فارسيٌ فطلب البراز فبرز إليه عَمْرو بن معد يكرب فأخذه وجلد به الأرض فذبحه وأخذ سوارَيْه ومنطقته .

وحملت الفيلةُ عليهم ، ففرقت بين الكتائب فنفـرتْ الخيلُ وكـانت الفرسُ قـد قصَدت بجيلة بسبعة عشر فيلاً فنفرت خيلُ بجيلة فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها ، وأرسل سعد إلى بني أسد أنْ دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس ، فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مـالك في كتـائبهما فباشروا الفيلة حتى عـدلها ركبانها ، وخرج إلى طليحة عظيمٌ منهم فقتله طليحة .

وقـام الأشعث بن قيس في كندة [حين استصرخهم سعد] فقـال : يـا معشـر كندة لله درّ بني أسد أي فري يفرون وأي هز يهزون عن موقفهم أغنى كلُّ قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم[البأس] ،أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم من العرب [منذ اليوم وأنهم ليقتلون ويقاتلون وأنتم جثاة على الركب تنظرون فوثب إليه عددُ منهم عشرة فقالوا : عثر الله جدك إنك لتؤبسنا جاهداً ونحن أحسن الناس موقفاً فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا أسوتهم فها نحن معك] فنهد ونهدوا معه فأزالوا الذين بإزائهم ، فلما رأى الفرس مايلقى الناس والفيلة من [كتيبة] أسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب ؛ والجالينوس ، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد ، فآجتمعت

---

(١) في تاريخ الطبري : إني امرؤ لا من يعينه السبب بالنون بعد الياء ، وفي مروج الذهب :
إني امـرؤ لا مـن يـصيبـه الـسـبـب ... مـثلي عـلى مـثـلك يـعـديـه الـكـتـب

حَلَبَةٌ فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم وكبّر سعد الرابعة وزحف إليهم المسلمون ، ورحا الحرب تدور على أسد ، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميمي ، فقال : يا معشر بني تميم [ألستم أصحاب الإبل والخيل] أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟

قالوا : بلى والله ، ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال : « يا معشر الرماة ذُبُّوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال : يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها[1] وخرج يحميهم .

ورحا الحرب تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد ، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذناب توابيتها فقطعوا وضنها وآرتفع عوَاؤهم فما بقي لهم فيل إلا أوى وقتل أصحابها ، ونُفِّسَ عن أسد ، وردوا فارساً عنهم إلى مواقفهم واقتتلوا حتى غربت الشمس ، ثم حتى ذهبت هدأةٌ[2] من الليل ، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء .

وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردءاً للناس ، وكان عاصم حامية للناس .

وهذا اليوم الأول وهو يوم أرماث فقال عمرو بن شاس الأسدي :

جلبنا الخيل من أكناف نيق ... إلى كسرى فوافقها رعالا
تركن لهم على الأقسام شَجْواً ... وبالحقوين أياماً طوالا
قتلنا رستماً وبنيه قسرا ... تثير الخيل فوقهم الهيالا[3]

الأبيات ، وكان سعد قد تزوج سلمى آمرأة المثنى بن حارثة الشيباني بعده بشراف ، فلما جال الناس يوم أرماث وكان سعد لا يطيق الجلوس جعل سعد يتململ جزعاً فوق القصر ، فلما رأتْ سلمى ما يصنع الفرس قالت : وامثيناه ولا مثنى للخيل

---

(١) جمع وضين : وهو بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج (م) .
(٢) أي مضى طائفة من الليل ثلثه أو ربعه (م) .
(٣) في تاريخ الطبري ذكر قبل البيت الأخير بيتاً وبعده أبيات فليراجع .

اليوم ، قالت ذلك عند رجل صخر مما يرى في أصحابه ونفسه فلطم وجهها ، وقال : أين المثنى عن هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحا يعني أسداً وعاصماً :

فقالت : أغيرة وجُبْناً فقال : والله لا يعذرني اليوم أحدٌ إن لم تعذريني وأنت ترين ما بي [والناس أحق أنْ لا يعذروني] فتعلّقها الناس لم يبق شاعر إلا اعتدّ بها عليه ، وكان غير جبان ولا ملوم .

ذكر يوم أغواث

ولما أصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى مَنْ ينقلهم [إلى العذيب] فسلّم الجرحى الى النساء ليقمن عليهم ، وأمّا القتلىٰ فدفنوا هنالك على مُشَرَّق وهو وادٍ بين العذيب وعين الشمس .

[مقدم القعقاع بن عمرو]

فلما نقل سعد القتلىٰ والجرحىٰ طلعت نواصي الخيل من الشام ، وكان فتح دمشق قبل القادسية [بشهر] ، فلما قدم كتاب عمر على أبي عبيدة بن الجراح بإرسال أهل العراق سَيَّرهم وعليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي ، فتعجل القعقاع فقدم علىٰ الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم أغواث : وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعشاراً وهم ألف كلما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا [في آثارهم] عشرة فقدم أصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود، وحرَّضهم على القتال، وقال: [أيها الناس إنّي قد جئتكم في قومٍ والله إنْ لو كانوا بمكانكم ثم أحسوكم حسدوكم خطوتها وحاولوا أن يطيروا بها دونكم] آصنعوا كما أصنع .

وطلب البراز فقالوا فيه: يقول أبو بكر : لا يُهزم جيشٌ فيهم مثل هذا [وسكنوا إليه].

فخرج إليه ذو الحاجب فعرَفه القعقاع فنادىٰ: يالثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب الجسر، وتضاربا فقتله القعقاع.

وجعلت خيله ترد إلى الليل وتُنَشِّط الناس وكأنْ لم يكن بالأمس مُصيْبَة ، وفرحوا بقتل ذي الحاجب وآنكسرت الأعاجم بذلك .

وطلب القعقاع البراز فخرج إليه الفيرزان والبنذوان فآنضم إلى القعقاع

الحارث بن ظبيان بن الحارث أحد بني تيم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحارث البنذوان .

ونادى القعقاع : يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فإنما يُحصَد الناسُ فاَقتتلوا حتى المساء فلم يَرَ أهلُ فارس في هذا اليوم ما يعجبهم ، وأكثرَ المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل ، كانت توابيتُها تكسَّرت بالأمس فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد ، وجعل القعقاع كلما طلعت قطعةٌ من أصحابه كَبَّر وكبَّر المسلمون ، ويحمل ويحملون ، وحمل بنو عم للقعقاع عشرة عشرة على إبل قد ألبسوها وهي مجلَّلة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميهم وأمرهم القعقاع أنْ يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث ، فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين ، فلما رأى الناسُ ذلك سُرُّوا بهم فلقيَ الفرسُ من الإبل [يوم أغواث] أعظم مالقي المسلمون من الفيلة ، [يوم أرماث] .

وحملَ رجلٌ من تميم [ممن كان يحمي العشرة يقال له سواد] على « رستم » يريد قتله فقُتِل دونه ، وخرج رجلٌ من فارس يبارز فبرز إليه الأعراف بن الأعلم العقيلي فقتله ، ثم برز إليه آخر فقتله ، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوا سلاحه فغبَّر في وجوههم التراب حتى رجع إلى اصحابه[١] .

---

(١) وأعلم أن محاربة المسلمين للفرس إنما كانت لإعلاء كلمةلا الله ونصر المسلمين وإعزاز دينه ودفع الظلم ومنع الإستبداد ليس إلا .

ومما يشهد لذلك ما حكاه الطبري في تاريخه في هذه الوقعة قال : ـ خرج رجل من أهل فارس ينادي من يبارز فبرز له علباء بن جحش العجلي فنفحه علباء فأسمره ونفحه الآخر فأعماه وخرّا فأما الفارسي فمات من ساعته وأما الآخر فانتثرت أمعاءه فلم يستطع القيام فعالج إدخالها فلم يتأت له حتى مرّ به رجل من المسلمين فقال يا هذا أعنّي على بطني فأدخله له فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه إلى صف فارس وقال :

أرجو بها من ربنا ثواباً   قد كنت ممن أحسن الضراب

ومما حكاه أيضاً عن الشعبي قال : ـ

كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القادسية فقالت لبنيها: إنكم أسلمتم فلم تبدّلوا وهاجرتم فلم تثربوا ولمْ تنب بكم البلاد ولم تقحمكم السنّة ؟ ثم جئتم بإمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين أيدي =

وحمل القعقاع بن عمرو يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعةٌ حمل حملة وأصاب فيها وقتل فكان آخرهم بزرجمهر الهمذاني .

وبارز الأعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه .

وقاتلت الفرسان إلى انتصاف النهار ، فلما اعتدل النهار وتزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل ، فكانت ليلة أرماث تدعى **الهدأة** ، وليلة أغواث تدعى **السواد** .

ولم يزل المسلمون يرون يوم أغواث الظفر ، وقتلوا فيه عامة أعلامهم ، وجالت فيه خيل القلب ، وثبت رجلهم ، فلولا أنّ خيلهم عادت أُخِذَ رستم أَخْذاً ، وبات الناس على [مثل] ما بات عليه القوم ليلة أرماث ، ولم يزل المسلمون ينتمون[1] ، [لدن أمسوا حتى تفايأوا] فلما سمع سعد ذلك قال لبعض من عنده : إن تم الناس على الانتماء فلا توقظني فإنهم أقوياء [على عدوهم] وإنْ سكتوا ولم ينتمِ الآخرون فلا توقظني فإنهم على السواء، فإن سمعتهم ينتمون فأيقظني فإنّ انتماءهم من السوء.

[قتال أبي محجن الثقفي]

ولما اشتد القتال [بالسواد] وكان أبو محجن قد حبس وقُيِّد فهو في القصر [فصعد حين أمسىٰ إلى سعد يستعفيه ويستقيله فزبره وردّه فنزل] قال لسلمى زوج سعد؛ هل لك [إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال :] أن تخلينَ عني وتعيريني « البلقاء » فالله عليّ إنْ سَلَّمَنِي الله أنْ أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي ، فأبت ، فقال :

كفى حزناً أنْ ترتدي الخيل بالقنا ... وأُتْــرَكُ مَشْــدُوداً عَلَيَّ وَثَــاقِـيَــا
إذَا قُمْتُ عنـاني الحديـد وأغلقت ... مصـارع دوني قـد تصم المناديـا
وقــد كنت ذا مـال كثيـر واخـوة ... فقـد تـركـوني واحـداً لا أخـاً ليـا

= أهل فارس والله أنكم لبنو رجل واحد . . انطلقوا فأشهدوا أول القتال وآخره .

فأقبلوا يشتدون فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهي تقول :

« اللهم أدفع عن بني فرجعوا إليها وقد أحسنوا القتال ماكُلِمَ منهم رجل كَلْماً فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ثم يأتون أمهم فيلقونه في حجرها فترده عليهم وتقسمه فيهم على ما يصلحهم ويرضيهم (م) .

(١) أي ينتسبون إلى قومهم .

ولله عـهـد لا أخيس بـعـهـده لئن فـرجت أنْ لا أزور الحـوانيـا

فرقَّت له سلمى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد [1] فركبها حتى إذا كان بحيال الميمنة كَبّر، ثم حمل على ميسرة الفرس، ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنتهم، وكان يقصف الناس قصفاً منكراً وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه [ولم يروه من النهار] فقال بعضهم: هو من أصحاب هاشم أو هاشم بنفسه، وكان سعد يقول: [وهو مشرف على الناس مكبٌّ من فوق القصر والله] لولا محبس أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء.

وقال بعض الناس: هذا الخضر، وقال بعضهم: لولا أنّ الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا: إنه ملك [يثبتنا ولا يذكره الناس ولا يأبهون له لانه بات في محبسه].

فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل ابو محجن فدخل القصر وأعاد رجليه في القيد وقال:

لـقـد عَلِمَتْ ثقيفُ غـيـر فـخـر بـأنـا نـحن أكـرمـهم سـيـوفـاً
وأكـثـرهـم دروعـاً سـابـغـات وأصبـرهم إذا كـرهـوا الـوقـوفـا
وأنـا وفـدهـم فـي كـل يـوم فـإن عميـوا فسـل بهم عـريفـا
ولـيـلة قـادس لـم يـشـعـروا بـي ولم أشعـر بمخـرجي الـزحـوفـا
فـإنْ أحـبس فـذلـكـم بـلائـي وإنْ أتـرك أذيـقـهَـم الـحـتـوفـا

(١) في الطبري أنها لم ترض بإعطائه فرس سعد فأخذها بنفسه بعدما ذهبت هي وفي تاريخ المسعودي فأطلقته وقالت شأنك وما أردت ؟ فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دبَّ عليها حتى إذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبرّ ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالاً كثيراً من نساكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بأبصارهم ـ وقد تنوزع في البلقاء فمنهم من قال إنه ركبها عرياً ومنهم من قال بل ركبها بسرج ـ ثم غاص في المسلمين وخرج من ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس إلا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص في قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بإزاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس إلا اختطفه وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذي لم نره في يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من إخواننا من الشام وقال بعضهم إن كان الخضر عليه السلام شهد الحرب فهذا هو الخضر وقال قائل منهم لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا أنه ملك وأبو محجن برز كاليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين ينظرون إليه وقد حاروا في أمره .

فقالت له سلمى : في أي شيء حبسك [هذا الرجل] ؟ . فقال : والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فقلت:

إذا مت فـآدفِنّي إلى أصل كـرمة   تـروّى عـظامي بعـد مـوتي عـروقهـا
ولا تـدفـنـني بـالـفـلاة فـإنـني   أخـاف إذا مـا مـت أن لا أذوقهـا

فلذلك حبسني . فلما أصبحتْ أتت سعداً فصالحته وكانت مغاضبة له وأخبرته بخبر أبي محجن [فدعا به] فأطلقه فقال: آذهبْ فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله . قال: لا جَرَم [والله] لا أجيب لساني إلى [صفة] قبيح أبداً .

* * *

ذكر يوم عماس

ثم أصبحوا اليوم الثالث وهم على مواقفهم، وبين الصفين مِنْ قتلى المسلمين ألفان من جريح وميت، ومن المشركين عشرة آلاف، فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم إلى المقابر والجرحى إلى النساء، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور، وكان على الشهداء حاجب بن زيد.

وأما قتلى المشركين فبين الصفين لم ينقلوا، وكان ذلك مما قَوّىٰ المسلمين. وبات القعقاع تلك الليلة يسرّب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه . [من الأمس] وقال: إذَا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فإنْ جاء هاشم فذاك وإلاّ جددتم للناس رجاءً وجِدّاً .

[ففعلوا] ولا يشعر به أحد، وأصبح الناس على مواقفهم، فلما ذر قرنُ الشمس أقبل أصحاب القعقاع فحين رآهم كبر وكبر المسلمون [وقالوا : جاء المدد، وقد كان عاصم بن عمرو امر أن يصنع مثلها فجاؤوا من قِبَل خفا] وتقدموا وتكتبت الكتائب، وآختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع ، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى آنتهى إليهم هاشم فأخبر بما صنع القعقاع فعبى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادي ولم يكن من أهل الأيام إنما كان باليرموك فانتدب مع هاشم حتى إذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون؛ [وقد أخذوا

مصافهم] وقال: هاشم أول قتال المطاردة، ثم المراماة، ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم إلى العتيق ثم عاد.

وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيتهم حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت الرجالة مع الفيل يحمونها أنْ تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم [إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفّروا بهم خيلهم] فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالأمس لأنّ الفيل إذا كان وحده كان أوحش وإذا أطافوا به كان آنس، [فكان القتال كذلك حتى عدل النهار] وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً، العرب والعجم فيه سواء، ولا تكون بينهم نقطة إلا أبلغوها يزدجرد بالأصوات فيبعث إليهم أهل النجدات ممن [بقي] عنده، [فيقوون بهم] فلولا أنّ الله ألهم القعقاع ما فعل في اليومين [وأتاح لهم بهاشم] وإلاّ كُسِرَ ذلك المسلمين.

وقاتل قيس بن المكشوح وكان قد قدم مع هاشم قتالاً شديداً وحرّض أصحابه، وقال عمرو بن معد يكرب: إنّي حامل على الفيل ومن حوله لفيل بإزائهم فلا تَدَعُوني أكثر من جزر جزور فإن تأخرتم عني فقدتم أبا ثور يعني نفسه وأين لكم مثل أبي ثور. [فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيد].

فحمل وضرب فيهم حتى ستره الغبار وحمل أصحابه فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه [1] وإنّ سيفه لفي يده يصارمهم وقد طُعن فرسه فأخذ بِرجل فرس أعجمي فلم يطق الجري فنزل عنه صاحبه الى أصحابه وركبه عمرو، وبرز فارسي فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له: شبر بن علقمة وكان قصيراً فترجّل الفارسي إليه فاحتمله وجلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه ـ ومقود فرسه مشدود في منطقته ـ فلما سلّ سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه وتبعه المسلم فقتله وأخذ سلبه فباعه باثني عشر ألفاً.

فلما رأى سعد الفيول قد فَرّقت بين الكتائب وعادت لفعلها [يوم أرماث] أرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو آكفياني الأبيض وكانت كلها آلفة له وكان بإزائهما، وقال لحمال، والزبيل: آكفياني « الأجرب » وكان بازائهما فأخذ القعقاع وعاصم رمحين [أصمَّيْن لينين] وتقدما في خيل ورجل، وفعل حمال، والزبيل بمثل فعلهما

---

(١) أي: صرعوا فرسه.

[فلما خالطوهما اكتنفوهما فنظر كلٌّ واحدٍ منهما يمنة ويسرة وهما يريدان أن يتخبطا] فحمل القعقاع وعاصم [والفيل متشاغل بمن حوله] فوضعا رمحيهما في عيني الفيل الأبيض فنفض رأسه فطرح ساسته ودلى مشفره فضربه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا مَنْ كان عليه، وحمل حمال، والزبيل الأسديان على الفيل الآخر [وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه] فطعنه حمال في عينه فأقعى ثم استوى، وضربه الزبيل فأبان مشفره وبصر به سائسه فبقر أنفه وجبينه بالطبرزين فأفلت الزبيل جريحاً فبقي الفيل جريحاً متحيراً بين الصفين كلما جاء صف المسلمين وخزوه وإذا أتى صف المشركين نخسوه، وولى الفيل وكان يدعي « الأجرب » وقد عَوّر حمال عينيه فألقى نفسه في العتيق فاتّبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم فعبرت في أثره فأتت المدائن في توابيتها وهلك من فيها.

فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون والفرس ومال الظل تزاحف المسلمون فآجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء، فلما أمسى الناسُ اشتد القتالُ وصبر الفريقان فخرجا على السواء.

ذكر ليلة الهرير، وقتل رستم

قيل: إنّما سميت بذلك لتركهم الكلام إنما كانوا يهرون هريراً.

وأرسل سعدُ طليحةَ وعَمْراً ليلة الهرير إلى مخاضة أسفل العسكر ليقوما عليها خشية أنْ يأتيَه القوم منها. [وقال لهما: إنْ وجدتما القومَ قد سبقوكما إليها فآنزلا بحيالهم وإنْ لم تجداهم علموا بها فأقيما حتى يأتيكما أمري]،

فلما أتياها قال طليحة: لو خضنا وأتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل نعبر أسفل فآفترقا، وأخذ طليحة وراء العسكر وكبّر ثلاث تكبيرات، ثم ذهب وقد آرتاع أهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الأعاجم فلم يُدْركوه، وأما عَمْرو فانه أغار أسفل المخاضة ورجع.

وخرج مسعود بن مالك الأسدي؛ وعاصم بن عمرو، وابن ذي البردين الهلالي، وابن ذي السهمين، وقيس بن هبيرة الأسدي وأشباههم فطاردوا القوم فإذا هم لا يشدون ولا يريدون غير الزحف فقدموا صفوفهم وزاحفهم الناس بغير إذن سعد [فأصيب ليلتئذ

خالد بن يعمر التميمي ثم العمري] وكان أول من زاحفهم القعقاع .

وقال سعد : اللهم اغفرها له وآنصره فقد أذنتُ له إذْ لم يستأذني . ثم قال: أرىٰ الأمر ما فيه هذا فإذا كبرتُ ثلاثاً فآحملوا. وكبّر واحدة فلحقهم أسد فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، ثم حملت النخع فقال: اللهم آغفرها لهم وانصرهم، ثم حملت بجيلة فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، ثم حملت كندة فقال: اللهم آغفرها لهم وانصرهم، ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع، وتقدم حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار وطليحة، وغالب، وحمال وأهل النجدات.

ولما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالاً بعدما صلوا العشاء، وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون [1] ليلتهم إلى الصباح وأفرغ الله الصبر عليهم إفراغاً، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأىٰ العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وآنقطعت الأخبار والأصواتُ عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلما كان عند الصبح آنتمى الناس فآستدل بذلك على أنهم الأعلون.

وكان أول شيء سمعه نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحن قتلنا معشراً وزائداً ... أربعة وخمسة وواحداً
نحسب فوق اللبد الأساودا ... حتى إذا ماتوا دعوت جاهداً
الله ربي واحترزت عامداً

وقتلْت كندةُ تركا الطبري، وكان مقدّماً فيهم، وأصبح الناس ليلة الهرير ـ وتُسَمَّى « ليلة القادسية » من بين تلك الليالي ـ وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع في الناس فقال: « انّ الدائرةَ بعد ساعة لمن بدأ القوم. فآصبروا ساعة وآحملوا فإنّ النصر مع الصبر [فآثِروا الصبر على الجزع]. فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح، فلما رأتْ ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا: لا يكونن هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم، ولا هؤلاء يعني الفرس أجرأ على الموت منكم [ولا أسخى أنفساً عن الدنيا تنافسوها] فحملوا فيما يليهم وخالطوا مَن بإزائهم فآقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة، فكان أول من زال الفيرزان، والهرمزان

(١) جمع قين وهو الحداد .

فتأخَّرُوا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب وركد عليهم النقع، وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور؛ ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال [يومئذ] فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله، وضرب هلال بن علفة [1] الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال عن ظهره فقارا، وضربه هلال ضربة فنفحت مسكاً، ومضى [رستم] نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه [فتناوله وقد عام وهلال قائم] وأخذ برجليه، ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم ألقاه بين أرجل البغال، ثم صعد السرير، وقال: « قتلتُ رستم ورب الكعبة، إليَّ إليَّ » فأطافوا به [ولا يحسُّون السرير ولا يرونه] وكبروا فنفله سعد سلبه، وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف.

وقيل: إنّ هلالاً لما قصد رستم رماه رستم بنشابة أثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فضربه فقتله، ثم احتز رأسه وعلقه ونادى: « قتلت رستم »، فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم ونادىٰ الفرس إلى العبور، وأما المقترنون فإنهم جشعوا [2] فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر، وهم ثلاثون ألفاً.

وأخذ ضرار بن الخطاب « دِرَفش كابيان » وهو العلم الأكبر الذي كان للفُرس فعوض منه ثلاثين ألفاً، وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف [3]، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الأيام قبله.

وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف فدفنوا في الخندق حيال مشرّق، ودفن من كان قبل ليلة الهرير على مشرّق، وجمعت الأسلاب، والأموال، فجمع منها شيءٌ لم يُجمع قبله ولا بعده مثله.

وأرسل سعد إلى هلال فسأله عن رستم فأحضره فقال؛ جَرِّدْهُ إلّا ما شئت فأخذ

---

(١) في الأصول هلال بن علقمة وهو غلط صححناه من الطبري وأسد الغابة .

(٢) هو بالجيم في أوله أي حرصوا على الحياة ففروا من القتال مقدرين النجاة فيها فوقعوا في العتيق .

(٣) أي : ١,٢٠٠,٠٠٠ (مليون ومائتي ألف) .

سلبه فلم يدع عليه شيئاً. وأمر القعقاع وشرحبيل بأتْبَاعِهِم حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية.

وخرج زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلاثمائة فارس، ثم أدركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف، وعادوا من أثر المنهزمين ومعهم الأسرىٰ فرؤي شابٌ من النخع وهو يسوق ثمانين رجلاً أسرى من الفرس؛ واستكثر سعد سلب الجالينوس، فكتب فيه إلىٰ عمر فكتب عمر إلىٰ سعد: «تعمد إلىٰ مثل زهرة، وقد صلى بمثلي ما صلى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي [تكسر قرنه، و] تفسد قلبه! آمض له سلبه وفضّله علـى أصحابه عند عطائه بخمسمائة. ولما اتبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير إلىٰ الفارسي فيأتيه فيقتله، وربما أخذ سلاحه فقتله به، وربما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه.

ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي، وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة منهم قد نصبوا راية، وقالوا: لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه.

وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة ابتحيوا من الفرار وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس، وكان قتال أهل الكتائب من الفرس على وجهين؛ منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل، وكان ممن هرب من أمـراء الكتائب الهرمزان وكان بازاء عطارد، ومنهم أهود، وكان بإزاء حنظلة بن الربيع، وهو كاتب النبي ﷺ، ومنهم زاد بن بهيش وكان بإزاء عاصم بن عمر، ! ومنهم قارن، وكان بإزاء القعقاع.

وكان ممن ثبت وقتل شهـريار بن كنـارا، وكان بـإزاء سلمان بن ربيعـة، وابن الهربذ، وكان بإزاء عبد الـرحمن بن ربيعة، والفرخان الأهوازي، وكان بازاء بسر بن أبي رهم الجهني، ومنهم خشدسوم الهمذاني (١)، وكان بإزاء ابن الهذيـل الكاهلي وتراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قُتِل مؤذنهم فتشاحّ (٢) المسلمون في الأذان

---

(١) كذا في الأصول وفي الطبري خسروشنوم.

(٢) أي تنازعوا.

حتى كادوا يقتتلون؛ وأقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فأذّن، وفضل أهل البلاء من أهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلاً، منهم زهرة، وعصمة الضبي، والكلج، وأمّا أهل الأيام قبلها فإنّهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فُضِّلوا على أهل القادسية، فقيل لعمر: لو ألحقت بهم أهل القادسية فقال: لم أكن لألحق بهم من لم يدركهم. وقيل له: لو فضلت من بعدت داره على مَنْ قاتلهم بفَنائِه قال: كيف أفضل عليهم، وهم شجن العدو؟ [وما سويت بينهم حتى استطبتهم]، وهل فعل المهاجرون بالأنصار [إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا]؟.

وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العـذيب إلى عدن أبين وفيما بين الأبلة وأيلة ـ يرون أنّ ثبات ملكهم وزواله بها ـ، وكانت في كل بلد مصيّخة إليها تنظر ما يكون من أمرها [حتى إنْ كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية].

فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فأتت بها أناساً من الأنس فسبقت أخبار الإنس [إليهم]، وكتب سعد إلى عمر بالفتح، وبعدة من قتلوا، وبعدة من أصيب من المسلمين وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري.

وكان عمر يسأل الركبان من حينِ يصبح إلـى آنتصاف النهار عن أهل القادسية، ثم يرجع إلـى أهله ومنزله.

قال: فلما لقي البشير سأله: من أين؟ فأخبره قال: يا عبد الله حدثني. قال: هزم اللّهُ المشركين، وعمر يخب معه يسأله والآخر يسير علـى ناقتـه لا يعرفـه حتى دخل المدينة، وإذا الناس يُسَلِّمُون عليه بإمرة المؤمنين. قال البشير: هَلاَّ أخبرتني رحمك الله إنك أمير المؤمنين؟

فقال عمر: **لا بأس عليك يا أخي**[1].

وأقام المسلمون بالقادسية في آنتظار قدوم البشير وأمر عمر الناس أنْ يقوموا على أقباضهم ويصلح أحوالهم ويتابع إليهم أهل الشام ممن شهد اليرموك، ودمشق ممدين

(١) لله درك يا أمير المؤمنين يا من هدم الله بك امبراطوريتين (لا بأس عليك يا أخي) في لحظة بلوغك النبأ العظيم والنصر المبين. أيها السادة إنها أخلاق المسلمين وبها سحقوا الفرس والروم وكل أهل الشرك.

لهم وجاء أولهم يوم أغواث وآخرهم بعد الغد يوم الفتح فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عما ينبغي أن يشار فيه مع نذير بن عمرو.

وقيل: كانت وقعة القادسية سنة ست عشرة قال: وكان بعض أهل الكوفة يقول: إنها كانت سنة خمس عشرة، وقد تقدم أنها كانت سنة أربع عشرة.

(حُمَيْضَة بن النعمان) بضم الحاء المهملة وفتح الميم وبالضاد المعجمة.

و (بُسْر بن أبي رهم) بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة.

و (الحَوِية) بفتح الحاء المهملة وكسر الواو، وقيل: بالجيم المضمومة وفتح الواو والأول أصح.

و (حَمّال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم.

و (المُعَنَّى) بضم الميم وفتح العين المهملة والنون المشددة.

و (حُصَيْن بن نمير) بضم الحاء وفتح الصاد.

و (معاوية بن حُدَيْج) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم [1].

و (المُعْتَمّ) بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح التاء فوقها نقطتان وآخره ميم مشددة.

و (صِرار) بكسر الصاد المهملة بالراءين المهملتين بينهما ألف موضع عند المدينة.

و (صِنّين) بكسر الصاد المهملة والنون المشددة بعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها وآخره نون موضع من ناحية الكوفة، انتهى خبر القادسية.

* * *

(١) تقدم في صفحة ٣٧٧ معاوية بن خديج بالخاء المعجمة ؟ وصوابه بالحاء المهملة.
وفي صفحة ٤٠٤ تكرر فيها لفظ الزبيل بالزاي وهو غلط في الأصول كلها وصوابه الربيل بالراء. صححناه من القاموس وغيره (م).

ذكر ولاية عتبة بن غزوان [1] البصرة

قيل: في هذه السنة بعثَ عمر عُتْبَة بن غزوان إلى البصرة، وكان بها قطبة بن قتادة السدوسيّ يغيِر بتلك الناحية كما كان يغير المثنى بناحية الحيرة فكتب إلى عمر يُعلمه مكانه؛ وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن كان قبله من العجم فنفاهم عن بلادهم ـ [وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة] ـ فكتب إليه عمر يأمره بالمقام، والحذر، ووجَّه إليه شريح بن عامر أحد بني سعد بن بكر فأقبل إلى البصرة وترك بها قطبة ومضى الى الأهواز حتى انتهى إلى دارس. وفيها مسلحة الأعاجم فقتلوه، فبعث عمر عتبة بن عزوان.

قال له حين وجهه: يا عتبة إني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعرفجة بن هرثمة وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو، فإذا قدم عليك فأستشِرْه [وقرّبه] وآدع إلى الله فمَنْ أجابك فاقبل منه، ومَنْ أبى فالجزية [عن صَغَارٍ وذِلّة] وإلا فالسيف [في غير هوادة]، وآتَق الله فيما وليتَ وإيّاك أنْ تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك أخوّتك، وقد صحبتَ رسولَ الله ﷺ فعززتَ به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرتَ أميراً مسلطاً وملكاً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك فيا لها نعمة إنْ لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك؛ واحتفظ مِن النعمةِ احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أنْ تستدرجُك وتخدعك فتسقط سقطةً تصيرُ بها إلى جهنم أعيذك بالله ونفسي من ذلك. إنّ الناس اسرعوا إلى الله حتى

---

(١) هو عتبة بن عزوان بن جابر بن وهيب بن نسيب بن قيس عيلان أبو عبدالله.
سابع سبعة في الإسلام هاجر إلى الحبشة والمدينة وكان من السابقين فشهد بدراً والمشاهد كلها توفي بالربذة سنة ١٧ ـ أنظر أسد الغابة ٣/٥٦٥ : ٥٦٧).

رفعت لهم الدنيا فأرادوها فأرِد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين.

انطلق أنتْ ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا.

فسار عتبة ومن معه حتى إذا كانوا بالمربد تقدّموا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير فنزلوا، فبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل في أربعة آلاف فألتقوا فقاتلهم عتبة بعد الزوال وكان في خمسمائة فقتلهم أجمعين ولم يبق إلاّ صاحب الفرات فأخذه أسيراً.

ثم خطب عتبة أصحابه وقال: « إنّ الدنيا قد تصرمت وولت جداً ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء؛ ألا وإنّكم منتقلون منها إلى دار القرار فانتقلوا بخير ما يحضر بكم، وقد ذكر لي لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم لهوت سبعين خريفاً ولتملأنه، أو عجبتم؟ ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين خريفاً وليأتين عليه يوم وهو كظيظ [١]، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي ﷺ ما لنا طعام إلاّ ورق السَّمُر [٢] حتى تقرحت أشداقنا، والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فما منا أولئك السبعة مِنْ أَحَدٍ إلاّ وهو أمير مصرٍ من الأمصار، وسيجربون الناس بعدنا.

وكان نزوله البصرة في ربيع الأول أو الآخر سنة أربع عشرة، وقيل: إن البصرة مصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء، وتكريت أرسله سعد إليها بأمر عمر، وأن عتبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر فخرج إليه أهل الأُبلّة وكان بها خمسمائة أسوار يحمونها وكانت مرفأ السفن من الصين فقاتلهم عتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة إلى عسكره وألقى الله الرعب في قلوب الفرس فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خف وعبروا الماء وأخلوا المدينة ودخلها المسلمون فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً فاقتسموه وأخرج الخمس منه، وكان المسلمون ثلاثمائة، وكان فتحها في رجب أو في شعبان.

ثم نزل موضع مدينة الرزق، وخط موضع المسجد وبناه بالقصب، وكان أول مولود بها عبد الرحمن بن أبي بكرة. فلما ولد ذبح أبوه جَزُوراً فكفتهم لقلة الناس،

---

(١) أي ممتلىء والكظيظ الزحام.

(٢) السَّمُر: ضرب من شجر الطلح واحدتها سمرة.

وجمع لهم أهل دَسْتِميسان [١]. [يقاتلونهم] فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها أسيراً؛ وأخذ قتادة منطقته فبعث بها مع أنس بن حجنة [٢] إلى عمر فقال له عمر: كيف الناس؟

فقال: آنثالت عليهم الدنيا. فهم يهيلون الذهب والفضة. فرغب الناس في البصرة فأتوها، واستعمل عتبة مجاشع بن مسعود على جماعة وسيّرهم إلى الفرات، واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة إلى أنْ يقدم مجاشع بن مسعود فإذا قدم فهو الأمير، وسار عتبة إلى عمر فظفر مجاشع بأهل الفرات وجمع الفليكان عظيم من الفرس للمسلمين فخرج إليه المغيرة بن شعبة فلقيهم بالمرغاب فاقتتلوا فقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم فكنا معهم فآتخذن من خُمُرِهِنَّ رايات، وسرن إلى المسلمين [فآنتهين إليهم والمشركون يقاتلونهم] فلما رأى المشركون الرايات ظنوا أنّ مدداً للمسلمين قد أقبل فآنهزموا، وظفر بهم المسلمون، وكتب إلى عمر بالفتح. فقال عمر لعتبة: من استعملت على البصرة؟

فقال: مجاشع بن مسعود؟ قال: أتستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المَدَر [٣]؟ وأخبره بما كان من المغيرة، وأمره أن يرجع إلى عمله فمات في الطريق، وقيل في موته: غير ذلك، وسيرد ذكره سنة سبع عشرة.

وكان من سبي ميسان يسار أبو الحسن البصري، وأرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان. وقيل: إنَّ إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة، وقيل: ست عشرة والأول أصح؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر.

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقي سنتين ثم رُمِي بما رمِيَ، واَستعمل أبا موسى، وقيل: آستعمل بعد عتبة أبا موسى وبعده المغيرة. .

وفيها أعني سنة أربع عشرة ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه في شراب شربوه وأبا مِحجن.

---

(١) كورة جليل بين واسطة والبصرة والأهواز وهي أقرب إلى الأهواز .

(٢) في الطبري أنس بن حجية بالياء المثناة التحتية .

(٣) المدر الطين اللزج المتماسك والقطعة منه مدرة . وأهل المدر . سكان البيوت المبنية خلاف أهل الوَبر وهم البدو سكان الخيام .

وفيها أمر عمر بالقيام في شهر رمضان في المساجد بالمدينة وجمعهم على أُبَيٍّ بن كعب. وكتب إلى الأمصار بذلك.

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب. وكان على مكة عتاب بن أَسِيد في قول، وعلى اليمن يعلى بن مُنْية، وعلى الكوفة سعد [بن أبي وقاص]، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص، وقيل: العلاء بن الحضرمي، وعلى عمان حذيفة بن حصن.

وفي هذه السنة مات أبو قحافة والد أبي بكر الصديق (١) بعد موت ابنه. وفيها مات سعد بن عبادة الأنصاري (٢)، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة. وفيها قتل سليط بن عمرو بن عامر بن لؤي. وفيها ماتت هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية (٣)، وكان إسلامها يوم الفتح.

---

(١) أبو قحافة: إسمه عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيّم القرشي التيميّ له صحبة. أسلم يوم الفتح ومات في المحرم سنة ١٤ (أنظر أسد الغابة ٦/٢٥١ - ٢٥٢).

(٢) هو سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حزيمة الأنصاري الساعدي أبو ثابت. نقيب بن ساعدة شهد بدراً والمشاهد كلها سيداً جواداً ذا رياسة وسيادة كان غيوراً شديد الغيرة قال فيه ﷺ إنّ سعداً لغيور وإني لأغير من سعد والله أغير منّا.
توفي سنة ١٥ وفيه ١٧.
(أنظر أسد الغابة ٢/٣٥٦ - ٣٥٨).

(٣) هند هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية الهاشمية امرأة سفيان بن حرب وأم معاوية أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها وشهدت أحداً كافرة ولما قتل حمزة مثلت به شهدت اليرموك وحرضت على قتال الروم مع زوجها وماتت في خلافة عمر (أنظر أسد الغابة ٧/٢٩٢ - ٢٩٣).

ثم دخلت سنة خمس عشرة

وقيل: إنّ الكوفة مصَّرها سعد بن أبي وقاص في هذه السنة دلهم على موضعها ابن بُقيلة قال لسعد: أدلك على أرضٍ لله ارتفعت عن البقعة وانحدرت عن الفلاة فدَّله على موضعها، وقيل: غير ذلك ويأتي ذكره.

ذكر الوقعة بمرج الروم [(١)]

في هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم، وكان سبب ذلك أنّ أبا عبيدة، وخالد بن الوليد سارا بمن معهما من فحل قاصدين حمص فنزلا على ذي الكلاع، وبلغ الخبر هرقل فبعث توذر البطريق حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق، ونزل أبو عبيدة بمرج الروم أيضاً [وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية] ونازله يوم نزوله شنش [(٢)] الرومي في مثل خيل توذر أمداداً لتوذر ورداً لأهل حمص، فلما نزل أصبحت الأرض من توذر بلاقع، وكان خالد بإزائه، وأبو عبيدة بإزاء شنش، وسار توذر يطلب دمشق، فسار خالد وراءه في جريدة [(٣)]، وبلغ يزيد بن أبي سفيان فعل توذر فآستقبله فآقتتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فأخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم إلاّ الشريد، وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد في أصحابه، وأصحاب خالد، وعاد يزيد إلى دمشق ورجع خالد إلى أبي عبيدة وقد قتل توذر.

وقاتل أبو عبيدة بعد مسير خالد شنش. فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل [أبو عبيدة] شنش [وآمتلأ المرج من قتلاهم فأنتنت منهم الأرض]،

---

(١) هو غربي دمشق.

(٢) في الطبري شنس بسين مهملة في آخره.

(٣) الجريدة خيل لا رجالة فيها.

وتبعهم المسلمون إلى حمص، فلما بلغ هرقل ذلك أمر بطريق حمص بالمسير إليها، وسار هو إلـى الرها، وسار أبو عبيدة إلى حمص.

ذكر فتح حمص ، وبعلبك وغيرهما

فلما فرغ أبو عبيدة من دمشق سار إلى حمص فسلك طريق بعلبك فحاصرها فطلب أهلها الأمان فأمّنهم وصالحهم وسار عنهم فنـزل علىٰ حمص ومعـه خـالد ؛ وقيل : إنما سار المسلمون إلى حمص من مرج الروم وقد تقدم ذكره ، فلما نزلوها قاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم في كل يوم بارد ، ولقي المسلمون برداً شديداً و[لقي] الروم حصاراً طويلاً فصبر المسلمون ، والروم ، وكان هرقل قد أرسل إلى أهل حمص يَعِدُهُم المدد ، وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهز إلى حمص فساروا نحـو الشام لمنعـوا حمص عن المسلمين ، فسيّر سعـد بن أبي وقاص السـرايـا من العراق إلى هِيت[١] وحصروها ، وسار بعضهم إلى قرقيسيا[٢] فتفـرّق أهل الجـزيرة وعادوا عن نجدة أهل حِمْص ، فكان أهلُها يقولون : تمسكوابمدينتكم فإنهم حفاة فإذا أصـابهم البرد تقـطعْت أقدامُهم ، فكـانت أقدام الـروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع ، فلما خرج الشتاء قام شيخٌ من الروم فدعـاهم إلى مصالحـة المسلمين فلم يجيبوه ، وقام آخر فلم يجيبوه ، فناهدهم المسلمون فكبّروا تكبيرة فآنهدم كثيرٌ من دور حمص وزلزلت حيطانهم فتصدعتْ ، فكبّروا ثانية فأصابهم أعظم من ذلك ، فخرج أهلها إليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وصالحوهم على صلح دمشق .

وأنزلها أبو عبيدة السمط بن الأسود الكندي في بني معـاوية . والأشعث بن ميناس في السكون ، والمقداد في بلى ، وأنزلها غيرهم ، وبعث بالأخماس إلى عمر مع عبدالله بن مسعود ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن أقم بمدينتك وادع أهل القـوة [والجلد] من عرب الشام فإني غير تارك البعثة إليك.

ثم استخلف أبو عبيدة على حمصٍ عبادة بن الصامت وسار إلى حماة فتلقّاه أهلها

(١) بلدة على الفرات من نواحي بغداد .

(٢) بلد على نهر الخابور بين الخابور والفرات .

مذعنين فصالحهم أبو عبيدة علىٰ الجزيةلرؤوسهموالخراج على أرضهم ، ومضى نحو شَيْزر(١) فخرجوا إليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة .

وسار أبو عبيدة إلى معرّة ، وهي معرة النعمان نُسِبَتْ بعد إلى النعمان بن بشير الأنصاري فأذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص ، ثم أتى اللاذقية ، فقاتله أهلها ، وكان لها باب عظيم يفتحه جَمْعٌ من الناس ، فعسكر المسلمون على بعدٍ منها ، ثم أمر فحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكباً ، ثم أظهروا أنهم عائدون عنها ورحلوا ، فلما جنّهم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر ، وأصبح أهل اللاذقية . وهم يرون أنّ المسلمين قد انصرفوا عنهم فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد ، فلم يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة ، ومُلِكَتْ عنوة ، وهرب قوم من النصارى ، ثم طلبوا الأمان علىٰ أن يرجعوا إلى أرضهم ، فقوطعوا علىٰ خراج يؤدونه ، قلوا أو كثروا ، وتُركت لهم كنيستُهم ، وبنىٰ المسلمون بها مسجداً جامعاً بناه عبادة بن الصامت ، ثم وسع فيه بعد .

ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا أهل جَبَلة من الروم عنها ، فلما كان زمن معاوية بنىٰ حصناً خارج الحصن الروميّ ، وشحنه بالرجال ، وفتح المسلمون مع عبادة بن الصامت أنطرطوس ، وكان حصيناً فجلا عنه أهله ، فبنىٰ معاوية مدينة انطرطوس ومصرها، وأقطع بها القطائع للمقاتلة وكذلك فعل ببانياس(٢) وفتحت سَلَمْيَة(٣) أيضاً ، وقيل : إنما سميت سلمية لأنه كان بقربها مدينة تدعى « المؤتفكة » آنقلبتْ بأهلها ، ولم يسلم منهم غير مائة نفس فبنوا لهم مائة منزل وسميت سلم مائة ، ثم حرف الناس فقالوا : سلمية ، وهذا يتمشى لقائله لو كان أهلها عرباً ، ولسانهم عربياً ، وأمّا إذا كان لسانهم أعجمياً فلا يسوغ هذا القول .

ثم إن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس آتخذها داراً وبنى ولده فيها ومصّروها ونزلها من نزلها من ولده . فهي وأرضوها لهم .

---

(١) قلعة تشمل كورة بالشام قرب المعرّة بينها وبين حماه يوم .

(٢) كذا في الأصول وفي معجم البلدان بلنياس .

(٣) قيل هي قرب المؤتفكة وقيل بليدة في ناحية البريّة من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين .

ذكر فتح قِنَّسْرِين[1] ودخول هرقل القسطنطينية

ثم ارسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما نزل الحاضر زحف إليهم الروم وعليهم ميناس ، وكان من أعظم الروم بعد هرقل . فٱقتتلوا فقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فماتوا على دم واحد . [وأما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب وأنهم إنما حشروا ولم يكن مِنْ رأيهم حربه فقبِلَ منهم] .

وسار خالد حتى نزل على قِنسرين فتحصنوا منه فقال : [إنّكم] لو كنتم في السحاب لحَمَلَنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا .

فنظروا في أمرهم ورأوا ما لقي أهل حمص فصالحوهم على صلح حمص فأبىٰ خالد إلاّ علىٰ خراب المدينة فأخربها ، فعند ذلك دخل هرقل القسطنطينية ، وسببه أن خالداً ، وعياضاً أدربا إلى هرقل من الشام ، وأدرب عمر[2] بن مالك من الكوفة ، فخرج من ناحية قرقيسيا ، وأدرب عبدالله بن المعتم من ناحية الموصل ، ثم رجعوا فعندها دخل هرقل القسطنطينية ، وكانت هذه أول مدربة في الإسلام سنة خمس عشرة ، وقيل : ست عشرة . فلما بلغ عمر صنيع خالد ، قال أمَّر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني ، وقد كان عزله والمثنى بن حارثة ؛ وقال : إنّي لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيتُ أن يوكلوا إليهما .

فأما المثنى فإنه رجع عن رأيه فيه لما قام بعد أبي عبيدة ، ورجع عن خالد بعد قِنّسرين . وأما هرقل فإنه أخرج من الرها .

وكان أول من أنبح كلابها ، ونفر دجاجها من المسلمين زياد بن حنظلة ، وكان من الصحابة .

وسار هرقل فنزل بشمشاط[3] ثم أدرب منها نحو القسطنطينية ، فلما أراد المسير منها علا على نشز ثم ٱلتفت الى الشام فقال :

---

(١) مدينة بينها وبين حلب مرحلة كانت عامرة آهلة فلما غلب الروم على حلب خاف أهل قنسرين وجلوا عنها وتفرقوا في البلاد .

(٢) في الأصل عمرو بزيادة واو في آخره وهو غلط صححناه من الطبري وأسد الغابة .

(٣) مدينة بالروم على شاطىء الفرات وهي غير سميساط التي بالشام .

« السلام عليك يا سورية ، سلامٌ لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رُوْمِيٌّ أبداً إلّا خائفاً حتىٰ يولدَ المولودُ المشؤوم ، ويا ليته لا يولد ـ فما أحلى فعله وأمرّ فتنته[1] على الروم .

ثم سار فدخل القسطنطينية ، وأخذ أهل الحصون التي بين اسكندرية[2] وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم ، وشعث الحصون ، فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً ، وربما كمن عندها الروم . فأصابوا غرة المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك .

ذكر فتح حلب وأنطاكية وغيرهما من العواصم

لما فرغ أبو عبيدة من قِنسرين سار إلى حلب، فبلغه أنّ أهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجَّه إليهم السمط الكندي فحصرهم وفتحها وأصاب فيها بقراً وغنماً ، فقسم بعضه في جيشه ، وجعل بقيته في المغنم .

ووصل أبو عبيدة الى حاضر حلب ، وهو قريب منها . فجمع أصنافاً من العرب ، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك ، وأتىٰ حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري فتحصَّن أهلها ، وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا أنْ طلبوا الصلح والأمان علىٰ أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد ، وكان الذي صالحهم عياض فأجاز أبو عبيدة ذلك .

وقيل : صولحوا على أن يقاسموا منازلهم وكنائسهم ، وقيل : إنّ أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحداً لأن أهلها انتقلوا إلىٰ أنطاكية وراسلوا في الصلح ، فلما تمَّ ذلك رجعوا إليها ، وسار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية ، وقد تحصَّن بها كثيرٌ من الخلق من قِنّسرين وغيرها ، فلما فارقها لقيه جمعُ العدو فهزمهم فألجأهم إلىٰ المدينة ، وحاصرها من جميع نواحيها ، ثم إنهم صالحوه على الجلاء أو الجزية فجلا بعضٌ وأقام بعضٌ فأمّنهم ثم نقضوا ، فوجَّه أبو عبيدة إليهم عياض بن غنم ، وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول ، وكانت أنطاكية عظيمة الذِّكْر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر

---

(١) في الطبري : وأمر عاقبته على الروم وهو أظهر (م) .

(٢) يريد الاسكندرونة (م) .

إلىٰ أبي عبيدة أنْ رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين وآجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء .

وبَلَغَ أبا عبيدة أنْ جمعاً من الروم بين مَعرّة مَصرين وحلب ، فسار اليهم فلقيهم فهزمهم . وقتل عدة بطارقة وسبى وغنم ، وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب ، وجالت خيوله فبلغت بُوقا[١] وفتحت قرى الجُومة[٢] وسَرْمين[٣] وبيرين[٤] وغلبوا على جميع أرض قنسرين وأنطاكية .

ثم أتى أبو عبيدة حلب وقد آلتاث أهلُها فلم يزل بهم حتى أذعنوا وفتحوا المدينة .

وسار أبو عبيدة يريد قورس وعلى مقدمته عياض فلقيه راهب من رهبانها يسأله الصلح فبعث به إلىٰ أبي عبيدة فصالحه على صلح أنطاكية ، وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس ، وفتح تل عزاز ، وكان سلمان بن ربيعة الباهلي في جيش أبي عبيدة فنزل في حصن بقورس فنسب إليه فهو يعرف بحصن سلمان .

ثم سار أبو عبيدة إلى مَنبج[٥] وعلى مقدمته عياض فلحقه وقد صالح أهلها علىٰ مثل صلح أنطاكية . وسَيَّر عياضاً إلىٰ ناحية دُلوك[٦] ورعبان[٧] فصالحه أهلها على مثل منبج ، واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم ، وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملاً وضم اليه جماعة وشحن النواحي المخوفة ، وسار إلى بالس[٨] ، وبعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة إلىٰ قاصرين ، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء فجلا أكثرهم إلىٰ بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ، ولم يكن الجسر يومئذ وإنما

---

(١) قرية من قرى أنطاكية .
(٢) من نواحي حلب .
(٣) بلدة مشهورة من أعمال حلب .
(٤) من قرى حمص .
(٥) بلد قديم بينه وبين حلب عشرة فراسخ .
(٦) من نواحي حلب .
(٧) مدينة بين حلب وسميساط قرب الفرات .
(٨) بلدة بين حلب والرقة .

آتخذ في خلافة عثمان للصوائف ، وقيل : بل كان له رسم قديم ، واستولى المسلمون على الشام ، من هذه الناحية إلى الفرات .

وعاد أبو عبيدة إلىٰ فلسطين ، وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها : جُرجُـرومة وأهلها يقال لهم الجراجمة ، فسار حبيب بن مسلمة إليها من أنطاكية فآفتتحها صُلْحاً على أنْ يكونوا أعواناً للمسلمين .

وفيها سيّر أبو عبيدة بن الجراح جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بغراس[١] من أعمال أنطاكية إلىٰ بلاد الروم ، وهو أول مَنْ سَلَكَ ذلك الدرب فلقيَ جَمْعاً للروم معهم عرب من غسان ، وتنوخ ، وإياد ، يريدون اللحاق بهرقل ، فأوقع بهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم لحق به مالك الأشتر النخعي مدداً من قبل أبي عبيدة ، وهو بأنطاكية فسلموا وعادوا .

وسيّر جيشاً آخر إلى مَرْعَش[٢] مع خالد بن الوليـد ففتحها على إجـلاء أهلها بالأمان وأخربها ، وسير جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة إلى حصن « الحَدَث » وإنما سمّي الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاماً حدثاً فقاتلهم في أصحابه فقيل : درب الحدث ، وقيل : لأن المسلمين أصيبوا به فقيـل : درب الحدث ، وكـان بنو أميـة يسمونه درب السلامة لهذا المعنى .

ذكر فتح قيسارية وحصر غزة

في هذه السنة فتحت قيسارية ، وقيل : سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة عشرين .

وكان سببها أنّ عمر كتب إلىٰ يزيد بن أبي سفيان أنْ يرسل معاوية إلى قيسارية ، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك[٣] ، فسار معاوية إليها فحصر أهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم إلى حصنهم . ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً وكملها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها .

---

(١) مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ .

(٢) مدينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم .

(٣) في الطبري نص كتابه وهو : « أما بعد فإني قد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير » .

وكان علقمة بن مجزِّز قد حصر القيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه أحد بما يريد فأتاه كأنه رسول علقمة فأمر القيقار رجلاً أن يقعد له في الطريق فإذا مر به قتله ففطن علقمة فقال : إنّ معي نفراً يشركونني في الرأي فأنطلق فآتيك بهم فبعث القيقار إلى ذلك الرجل أنْ لا يعرض له فخرج علقمة من عنده فلم يَعُد ، وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون .

(مجزّز) بجيم وزايين الأولى مكسورة .

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

ولما انصرف أبو عبيدة ؛ وخالد إلى حمص نزل عمرو ، وشرحبيل على أهل بيسان فافتتحاها وصالحا أهل الأردن ، واجتمع عسكر الروم بغزّة ، وأجنادين ، وبيسان .

وسار عمرو ، وشرحبيل إلى الأرطبون ومَنْ معه ، وهو بأجنادين ، واستخلف علىٰ الأردن أبا الأعور فنزل بالأرطبون ومعه الروم ، وكان « الأرطبون » أدهىٰ الروم وأبعدها غوراً [وأنكاها فعلاً] وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً وبإيلياء جُنْداً عظيماً [وكتب إلى عُمَر بالخبر] فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال : « قد رَمَيْنا أرطبون الروم بأرطبون العرب فأنظروا عَمَّ تَنْفرج » .

وكان معاوية قد شغل أهل قيسارية عن عمرو ، وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن فلان العكي على قتال [أهل] إيلياء فشغلوا من به عنه ، وجعل أيضاً أبا أيوب المالكي على مَنْ بالرملة فشغلهم عنه ، وتتابعت الأمداد من عند عمر إلىٰ عمرو، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على شيء ولا تشفيه الرسل ، فسار إليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول [فأبلغه ما يريد وسَمِع كلامه وتأمّل حصونه حتى عرف ما أراد] ففطِن به الأرطبون ، وقال : « لا شك أنّ هذا هو الأمير أو مَنْ يأخذ الأميرُ برأيه [وما كنت لأصيب القوم بأمرٍ أعظم عليهم مِنْ قَتلِهِ] » . فأمر إنساناً أنْ يقعد علىٰ طريقه ليقتله إذا مرَّ به ، وفطن عمرو لِفعله فقال له : قد سمعتَ مني وسمعتُ منك ، وقد وقع قولك مني موقعاً ، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر [بن الخطاب] إلى هذا الوالي لنكانفه [ويشهدنا أموره] فأرجع فآتيك بهم الآن فإنْ رأوا

الذي عرضت عليَّ الآن فقد رآه الأمير وأهل العسكر وإنْ لم يروه رددتهم إلى مأمنهم [وكنت على رأس أمرك] فقال : نعم ورَدَّ الرجل الذي أمر بقتله [وقال لعمرو : انطلق وجيء بأصحابك .

فخرج عمرو من عنده [ورأى أنْ لا يعد لمثلها] ، وعلم الرومي أنها خدعة اختدعه بها فقال : [خدعني الرجل] هذا أدهى الخلق .

وبلغت خديعته عمر بن الخطاب فقال : « لله دَرُّ عَمْرو » . وعرف عمرو مأخذه فلقيه فاقتتلوا بأجنادين قتالاً شديداً كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ، وانهزم أرطبون إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجنادين ، وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لأرطبون فدخل إيلياء وأزاح المسلمين عنه إلى عمرو .

وقد تقدم ذكر وقعة أجنادين على قول : من يجعلها قبل اليرموك ، وسياقها على غير هذه السياقة فلهذا ذكرناها هنالك وها هنا .

ذكر فتح بيت المقدس وهو إيلياء

في هذه السنة فتح بيت المقدس ـ وقيل : سنة ست عشرة في ربيع الأول ـ وسبب ذلك أنه لما دخل أرطبون إيلياء[١] فتح عمرو غزة ـ وقيل : كان فتحها في خلافة أبي بكر ، ثم فتح سَبَسْطِيَة[٢] وفيها قبر يحيى بن زكريا عليه السلام ، وفتح نابلس بأمان علىٰ الجزية ، وفتح مدينة لُدّ[٣] ثم فتح تُبْني[٤] ، وعمواس ، وبيت جبرين ، وفتح يافا ـ وقيل : فتحها معاوية ـ وفتح عمرو « مرج عيون » فلمّا تم له ذلك أرسل إلى أرطبون رجلاً يتكلم بالرومية وقال له : « اسمع ما يقول » ، وكتب معه كتاباً .

فوصل الرسول ودفع الكتاب إلى أرطبون وعنده وزراؤه فقال أرطبون : « لا يفتح والله عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين » .

فقالوا له : مِنْ أين علمت هذا؟ . فقال : صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر .

فرجع الرسول إلىٰ عمرو فأخبره الخبر فكتب إلىٰ عمر بن الخطاب يقول : «إن أعالج عَدُوّاً شديداً وبلاداً قد ٱدُّخِرَتْ لك فرأيك» .

فعلم عمر أنّ عَمْراً لم يقل ذلك إلا بشيء سمعه فسار عمر عن المدينة .

وقيل كان سبب قدوم عمر إلىٰ الشام أنّ أبا عبيدة حصر بيت المقدس فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وأنْ يكون المتولي للعقد عمر بن

---

(١) إسم مدينة ببيت المقدس عبري قيل معناه بيت الله .

(٢) بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين بيت المقدس يومان وهي من أعمال نبلس .

(٣) قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين يقتل عيسى بن مريم الدجال ببابها .

(٤) بلدة بحوران من أعمال دمشق .

الخطاب ، فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة ، واستخلف عليها عليّ بن أبي طالب . فقال له علي : أين تخرج بنفسك ؟ إنّك تريد عدواً كلباً .

فقال عمر : **أبادر بالجهاد قبل موت العباس إنكم لو فقدتم العباس لأنتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل** .

فمات العباس لسِتِّ سنين من خلافة عثمان فانتقض بالناس الشر .

وسار عمر فقدِم الجابية على فرس ـ وجميع ما قدم الشام أربع مرات ، الأولى على فرس ، والثانية على بعير ، والثالثة على بغل ، ورجع لأجل الطاعون ، والرابعة على حمار ـ وكتب إلىٰ أمراء الأجناد أنْ يوافوه بالجابية ليوم سماه لهم في المجردة ويستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجابية .

فكان أول من لقيه يزيد ، وأبو عبيدة ، ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال :

« ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم ! إياي تستقبلون في هذا الزي ؛ وإنما شبعتم مذ سنتين ، وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلتُ بكم غيركم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنها يلامقة[1] وإنّ علينا السلاح . قال : فنعم إذن .

وركب حتى دخل عليه الجابية وعمرو ، وشرحبيل كأنهما لم يتحركا [مِنْ مكانهما] ، فلما قدم عمر الجابية ، قال له رجل من اليهود : « يا أمير المؤمنين إنّك لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء » ، وكانوا قد شجوا عَمْراً وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة فبينما عمر مُعَسِكْر بالجابية فزع الناس إلى السلاح ، فقال : ما شأنكم؟ فقالوا : ما شأنكم ؟ فقالوا : ألا ترىٰ إلى الخيل والسيوف .

فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف فقال عمر : مستأمنة فلا تُرَاعوا ، فأمنوهم وإذا [هم] أهل إيلياء وحيزها فصالحهم على الجزية وفتحوها له .

وكان الذي صالحه العوامّ [من أهل إيلياء والرملة] لان أرطبون والتذارق دخلا مصر لمّا وصل عمر إلىٰ الشام وأخذوا كتابه على إيلياء وحيزها ، والرملة وحيزها ،

(١) اليلمق : القباء المحشو . وفي الأصول اليلامعة وهو تصحيف صححناه من النهاية وتاريخ الطبري .

فشهد ذلك اليهودي الصلح فسأله عمر عن الدجال ـ وكان كثير السؤال عنه ـ فقال له : وما مسألتُك عنه يا أمير المؤمنين ؟ أنتم والله [معشر العرب] تقتلونه دون باب لدّ ببضع عشرة ذراعاً ؟

وأرسل عمر إليهم بالأمان ، وجعل علقمة بن حكيم علىٰ نصف فلسطين وأسكنه الرملة وجعل علقمة بن مجزز على نصفها الآخر وأسكنه إيلياء ، وضم عمراً وشرحبيل إليه بالجابية فلقياه راكباً فقبّلا ركبته وضم كلُّ واحدٍ منهما محتضنهما .

ثم سار إلىٰ بيت المقدس من الجابية فركب فرسه فرأىٰ به عَرَجاً فنزل عنه ، وأتى ببرذون[1] فركبه فجعل يتجلجل به فنزل وضرب وجهه وقال : « لا أعلم مَنْ عَلّمك هذه الخُيَلاء » ! ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده .

وفتحت إيلياء وأهلها على يديه ، وقيل : كان فتحها سنة ستة عشرة ، ولحق أرطبون ومن أبىٰ الصلح من الروم بمصر ، فلما ملك المسلمون مصر قُتِلَ ـ وقيل : بل لحق بالروم . فكان يكون علىٰ صوائفهم وآلتقى هو وصاحب صائفة المسلمين ومع المسلمين رجل من قيس يقال له : ضريس فقطع يد القيسي وقتله القيسي فقال فيه :

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها ... فإنّ فيها بحمد الله متنفعاً
وإن يكن أرطبون الروم قطعها ... فقد تركت بها أوصاله قطعاً[2]

---

(١) البرذون : يطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية عظيم الخلقة غليظ الأعضاء قوي الأرجل عظيم الحوافر جمعه براذين .

(٢) زاد الطبري بيتين بعد البيت الأول فراجعه.

ذكر فروض العطاء وعمل الديوان[1]

وفي سنة خمس عشرة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودوَّن الدواوين ، وأعطىٰ العطايا علىٰ السابقة ، وأعطى صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وسُهَيْل بن عمرو في أهل الفتح أقلّ ما أخذ من قبلهم فآمتنعوا من أخذه ، وقالوا : « لا نعترف أن يكون أحدٌ أكرم منا » . فقال : إنّي إنما أعطيتكم علىٰ السابقة في الإسلام لا على الأحساب قالوا : فنعم إذن . وأخذوا .

وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك الدروب ، وقيل : ماتا في طاعون عمواس .

ولما أراد عمر وضع الديوان ، قال له علي ، وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك قال لا ، بل أبدأ بعَمّ رسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب .

ففرض للعباس وبدأ به ؛ ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلىٰ الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ؛ ومن ولى الأيام قبل القادسية ، كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفَيْن ألفين .

وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقيل له: لو ألحقتَ أهل القادسية بأهل الأيام . فقال: لم أكن لألحقهم بدرجة مَنْ لم يدركوا . وقيل

---

(١) الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال (م) .

له : قد سوَّيْتَ مَنْ بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فنائه! فقال: من قربت داره أحق بالزيادة لأنهم كانوا أردءاً(١) للحتوف وشجى للعدو فهلا قال المهاجرون : مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والأنصار فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم وهاجر إليهم المهاجرون من بعد .

وفرض لمن بعده القادسية واليرموك ألفاً ألفاً ، ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ، ثم للروادف الليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة سوىٰ كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم ، وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر ، والعباد على مائتين .

وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها الحسن ، والحسين ، وأباذر وسلمان .

وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفاً، وقيل : آثني عشر ألفاً ، وأعطى نساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف إلا مَنْ جرى عليها الملك ، فقال نسوة رسول الله ﷺ : « ما كان رسول الله ﷺ يفضلنا عليهن في القسمة فَسَوِّ بيننا فْفعل ، وفضّل عائشة بألفين لمحبة رسول الله ﷺ إياها فلم تأخذ ، وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة خمسمائة ، ونساء من بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ، ونساء مَنْ بعد ذلك إلى الأيام ثلاثمائة ثلاثمائة ، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ، ثم سَوَّىٰ بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ، ثم جمع ستين مسكيناً وأطعمهم الخبز فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ، ففرض لكل إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر .

وقال عمر قبل موته : « لقد هممتُ أنْ أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ألفاً يجعلها الرجل في أهله ، وألفاً يزودها معه ، وألفاً يتجهز بها وألفاً يترفق بها » ، فمات قبل أنْ يفعل. وقال له قائل عند فرض العطاء: «يا أمير المؤمنين لو تركتَ في بيوت الأموالُ عدة لكون إنْ كان فقال: «كلمةُ ألقاها الشيطان علىٰ فِيِّك وقاني الله شرّها وهي فتنةُ لمن بعدي، بل أُعِدُّ لهم ما أعدّ اللهُ ورسوله: طاعة الله ورسوله هما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان المال ثمن دِيْن أحدكم هلكتم».

---

(١) أي كانوا رِدءاً والردء المعين والناصر .

وقال عمر للمسلمين إنِّي كنتُ آمرءاً تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم هذا فما ترون أنه يحل لي في هذا المال ؟

[فأكثر القومُ] وعليٌّ ساكت فقال : ما تقول يا علي ؟ فقال : ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فقال القوم : القول ما قال علي فأخذ قُوْتَه .

واشتدت حاجةُ عمر فاجتمع نفرٌ من الصحابة [المهاجرين] ، منهم عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير فقالوا: لو قُلنا لعمر في زيادة نزيده إيّاها في رزقه. فقال عثمان : هَلُمُّوا فلنستبرىء ، ما عنده من وراء وراء .

فأتوا حفصة آبنته فأعلموها الحال وآستكتموها أنْ لا تخبر بهم عمر ، فلقيت عمر في ذلك فغضب وقال : مَن هؤلاء ؟ لأسوأنّهم قالت : لا سبيل إلى علمهم قال : أنت بيني وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس ؟ قالت : ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد و [يخطب فيهما] للجمع قال : فأيّ الطعام ناله عندَكِ أرفع ؟ قالت : حرفاً من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة حلوة فأكل كل منها قال : وأيّ مبسط كان يبسط عندك كان أوطأ ؟ قالت : كِسَاءٌ ثخين كُنَّا نرّبعه في الصيف [فنجعله تحتنا] فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال : يا حفصة فأبلغيهم [عنّي] أنَّ رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلَّغ بالترجية ، [وإني قَدِرتُ] فوالله لأضعنَّ الفضول مواضعها ولأتبلّغن بالترجية ، وإنما مَثَلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً فمضىٰ الأول وقد تزود [زاداً] فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ، ثم اتبعه الثالث فإنْ لزم طريقهما ورضيَ بزادهما أُلحق بهما [وكان معهما] وإنْ سلك غير طريقهما لم يجامعهما .

ذكر الحروب إلى آخر السنة فمن ذلك

يوم برس وبابل وكوثى

لمّا فرغ سعد من أمر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين ؛ وكاتَبَ عمر فيما يفعل ، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى « المدائن » ، وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق ، وأنْ يجعل معهم جنداً كثيفاً ، و [عهد إليه] أنْ يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم ، ففعل ذلك ، وسار من القادسية لأيام بقين من شوال ، وكل الناس مُؤد مذ نقل الله إليهم ما كان في عسكر الفرس ، [من سلاح ، وكراع ، ومال] فلما وصلتْ مقدمة المسلمين بُرس[1] وعليهم عبدالله بن المعتم ، وزهرة بن حوّية ، وشرحبيل بن السمط لقيهم بها بصبهرا في جمع من الفرس فهزمه المسلمون ومن معه إلى بابل ، وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم النخير خان[2] ومهران الرازي ، والهرمزان وأشباههم ، وقد استعملوا عليهم الفيرزان وقدم بصبهرا منهزماً من بُرس فوقع في النهر ومات من طعنة كان طعنه زهرة ، ولما هزم بصبهرا أقبل بسطام دهقان برس فصالح زهرة وعقد له الجسور وأخبره بمن اجتمع ببابل فأرسل زهرة إلى سعد يُعَرِّفُهُ ذلك ، فقدم عليه سعد ببرس ، وسيّره في المقدمة واتبعه عبدالله ، وشرحبيل ، وهاشماً المرقال واتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل ، وقد قالوا : نقاتلهم قبل أنْ نفترق فاقتتلوا فهزمهم المسلمون [في أسرع من لفت الرداء] ، فٱنطلقوا على وجهين فسار الهرمزان نحو الأهواز فأخذها فأكلها، وخرج الفيرزان نحو نهاوند فأخذها فأكلها وبها كنوز كسرى ، وأكل الماهَين ، وسار النخير خان ، ومهران إلى المدائن وقطعا الجسر وأقام سعد ببابل[أياماً وبلغه أنّ النخير خان قد خلف شهريار دهقاناً من

---

(١) موضع بأرض بابل به أثاء لبختنصر وتل مفرط العلو .

(٢) في الأصول كلها بخاءين معجمتين وفي الطبري بجيم بدل الخاء المعجمة الثانية .

دهاقين الباب بكوثى في جمع] فقدم زهرة بين يديه بكير بن عبدالله الليثي ، وكثير بن شهاب السعدي حتى عبرا الصَّراة[١] فلحقا بأخريات القوم ، وفيهم فيومان ، والفرّخان هذابيساني وهذا أهوازي فقتل بكير الفرّخان ، وقتل كثير فيومان بسورا ، وجاء زهرة فجاز سورا ونزل ، وجاء سعد وهاشم والناس ونزلوا عليه ، وتقدم زهرة نحو الفرس ـ وكانوا قد نزلوا بين الدير وكوثى ، وقد استخلف النخير خان ومهران على جنـودهما شهريار دهقان البابَ فنازلهم زهرة فبرزوا إلى قتاله ، وخرج شهريار يطلب المبارزة ، فأخرج زهرة إليه أبا نباتة نايل بن جعشمَ الأعرجي ـ وكان من شجعان بني تميم وكلاهما وثيق الخلق ـ فلما رأىٰ شهريار نايلاً ألقى الرمح ليعتنقه وألقى أبو نباتة رمحه ليعتنقه أيضاً وانتضيا سيفيهما فآجتلدا . ثم آعتنقا فسقطا عن دابتيهما فوقع شهريار عليه كأنه جمل . فضغطه بفخذه وأخذ الخنجر وأراد حل أزرار درعه فوقعت إصبعه في فيّ نايل فكسر عظمها ورأى منه فتوراً فبادره وجلد به الأرض ، ثم قعد علىٰ صدره وأخذ خنجره وكشف درعه عن بطنه ، وطعن به بطنه وجنبه حتى مات ، وأخذ فرسه وسواريه وسلبه ، وآنهزم أصحابه فذهبوا في البلاد .

وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فقدم إليه نـايلاً وألبسـه سلاح شهـريار وسواريه وأركبه برذونه وغنمه الجميع ، فكان أول أعرجي سور بالعراق ، وأقام بها سعد أياماً ، وزار مجلس إبراهيم[٢] الخليل عليه السلام .

وقيل : كانت هذه الوقعات سنة ست عشرة .

(نايل) بالنون وبعد الألف ياء تحتها نقطتان وآخره لام .

ذكر بَهُرَسِيْر[٣] وهي المدينة العتيقة، وهي المدائن الدنيا من الغرب

ثم إنّ سعداً قدم زهرة إلى بهرسير، فمضى في المقدمات فتلقاه شير زاد دهقان ساباط بالصلح فأرسله إلى سعد فصالحه علىٰ تأدية الجزيـة، ولقى زهرة كثيبـة بنت

---

(١) الصراة : نهران ببغداد الصراة الكبرى والصراة الصغرى .

(٢) أي المكان الذي جلس فيه إبراهيم عليه السلام بكوثى (م) .

(٣) أحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن وهي معربة من : ده أردشير وقيل من به أردشير ومعناه خير مدينة أردشير .

كسرى التي تدعى بوران، وكانوا يحلفون كل يوم أن لا يـزول ملك فارس مـا عشنا فهزمهم، وقتل هاشم بن عتبة ـ وهو ابن أخي سعد المقرطِ[١] وهو أسد كان لكسرى قد ألفه ـ فقبّل سعد رأس هاشم، وقبّل هاشم قدم سعد، وأرسله سعد في المقدمة إلى بَهُرَسِيْر فنزل إلى المظلم وقرأ ﴿ أَوَلَم تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِن قَبْلُ مَا لَكُم مِن زَوَالٍ ﴾.

ثم آرتحل فنزل على بهرسير، ووصلها سعد والمسلمون فـرأوا الإيوان، فقـال ضرار بن الخطاب: الله أكبر أبيضُ كِسْرَىٰ، هذا ما وعد الله ورسوله. وكبّر وكبّر الناس معه، فكانوا كلما وصلت طائفةٌ كبّروا، ثم نزلوا علىٰ المدينة، وكان نزولهم عليها في ذي الحجة، [فكان مقامه بالناس على بهرسير شهرين وعبروا في الثالث].

وحج بالنـاس في هذه السنـة عمر بن الخـطاب، وكان عـامله فيها على مكـة عتـاب بن أسيد في قـول، وعلى الطائف يعلى بن مُنيـة، وعلى اليمامـة والبحـرين عثمان بن أبي العاص، وعلىٰ عمان حذيفـة بن محصن، وعليٰ الشام أبـو عبيدة بن الجراح، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص، [وعلى القضاء أبو فروة]، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة.

وفيها مات سعد بن عُبَادة الأنصاري، وقيل: توفي في خلافة أبي بكر، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب، وكان أسن من أسلم من بني هاشم.

---

(١) في الأصول القرط وهو غلط صححناه من الطبري (م).

ثم دخلت سنة ست عشرة

ذكر فتح المدائن الغربية، وهي بهرسير

في هذه السنة في صفر دخل المسلمون بَهُرَسِيْر، وكان سعد محاصِراً لها، وأرسل الخيول فأغارت علىٰ مَنْ ليس له عهد فأصابوا مائة ألف فلاح فأصاب كلٌّ واحد منهم فلاحاً لأن كل المسلمين كان فارسا [فخندق لهم، فقال له شيرازاد دهقان ساباط: إنك لا تصنع بهؤلاء شيئاً إنَّما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجروا إليك فدعهم إليَّ حتى يفرق لكم الرأي.

فأرسل سعد إلى عمر يستأذنه فأجابه أنّ من جاءكم من الفلاحين [إذا كانوا مقيمين] ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانهم ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به فخَلَّىٰ سعد عنهم وأرسل إلىٰ الدهاقين ودعاهم إلىٰ الإسلام، أو الجزية ولهم الذمة [والمَنَعَة] فتراجعوا [على الجزاء والمنعة] ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى [ومن دخل معهم]، فلم يبق غربي دجلة إلىٰ أرض العرب سوادِيّ إلا آمن، واغتبط بمُلك الإسلام، وأقاموا على بهرسير شهرين يرمونهم بالمجانيق، ويدنون إليهم بالدبابات، ويقاتلونهم بكل عدة، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً، فشغلوهم بها، وربما خرج العجم فقاتلوهم فلا يقومون لهم.

وكان آخر ما خرجوا متجردين للحرب وتبالغوا على الصبر، فقاتلهم المسلمون [فلم يثبتوا لهم] وكان على زهرة بن الحويّة درع مفصوم، فقيل له: لو أمرتَ بهذا الفصم فسرد. فقال لهم: [ولم قالوا: نخاف عليك منه. قال:] إنّي علىٰ الله لكريم إنْ نزل سهمُ فارس الجند كلهم أنْ لا يؤمنني من هذا الفصم حتى يثبت فيّ، فكان أول رجل أصيب من المسلمين يومئذ هو بنشابة من ذلك الفصم فقال بعضهم: انزعوها [عنه]. فقال: دعوني فإنّ نفسي معي ما دامتْ فيّ لعلي أن أصيب منهم بطعنة أو

ضربة. فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار من أهل إصطخر فقتله وأحيط به فقُتِل وما انكشفوا.

وقيل: إنّ زهرة عاش إلى أيام الحجاج فقتله شبيب الخارجي، وسيرد ذكره، وآشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنانير والكلاب، وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم، فبيناهم يحاصرونهم إذْ أشرف عليهم رسولُ الملك، فقال: الملكُ يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أنّ لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم. فقال لهم أبو مفزر الأسود بن قطبة وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه، فرجع الرجل فقطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية التي فيها الإيوان فقال له من معه: يا أبا مفزر ما قلتَ له؟ قال: والذي بعث محمداً بالحق ما أدري، وأنا أرجو أنْ أكون قد نطقتُ بالذي هو خير.

وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم، فنادىٰ سعد في الناس فنهدوا إليهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجلٌ إلاّ رجلٌ ينادي بالأمان فأمّنوه، فقال لهم: ما بقي بالمدينة من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيئاً ولا أحداً إلا أسارى وذلك الرجل، فسألوه لأي شيء هربوا؟ فقال: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل افريدون باترج كوثى فقال الملك: يا ويلتيه إنّ الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا [وتجيبنا عن العرب]. فساروا إلى المدينة القُصْوَىٰ فلما دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل وأرادوا العبور إلىٰ المدائن فوجدوا المعابر قد أخذوها ما بين المدائن وتكريت.

ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى

وكان فتحها في صفر أيضاً سنة ست عشرة، قيل: وأقام سعد ببهر سير أياماً من صفر فأتاه علج[١] فدلّه على مخاضة تخاض إلى صلب الفرس فأبىٰ وتردد عن ذلك وقحمهم المد[٢] وكانت السنة كثيرة المدود، ودجلة تقذف بالزَّبَد فأتاه علج فقال: ما

(١) العلج كل جاف شديد من الرجال جمعه علوج وأعلاج.
(٢) أي السيل.

يقيمك لا يأتي عليك ثالثة حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن فهيّجه ذلك علىٰ العبور، ورأوا رؤيا أنّ خيول المسلمين آقتحمت دجلة فعبرت، فعزم سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه ويخلصون إليكم إذ شاؤوا في سفنهم فينا وشؤونكم وليس وراءكم شيءٌ تخافون أنْ تؤتوا منه قد كفاكموهم أهل الأيام، وعطّلوا ثغورهم [وأفنوا ذادتهم] وقد رأيتُ مِنْ الرأي أنْ تُجاهدوا العدو قبل أن تحصدكم الدنيا ألا إنّي قد عزمتُ علىٰ قطع هذا البحر إليهم.

فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك علىٰ الرشد فآفعل فندب الناس إلى العبـور، وقال: مَنْ يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكي لا يمنعوهم من العبور؟ فانتدب له عاصم بن عمرو ذو الباس في ستمائة من أهل النجدات فآستعمل عليهم عاصماً فقدّمهم عاصم في ستين فارساً وجعلهم على خير ذكور وإناث ليكون أسلس لسباحة الخيل، ثم اقتحموا دجلة.

فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقتحموا عليهم دجلة فلقوا عاصماً وقد دنا من الفراض فقال عاصم: الرماح الرماح آشرعوها وتواخوا العيون فالتقوا فآطعنوا وتوخّى المسلمون عيونهم فـولّوا، ولحقهم المسلمـون فقتلوا أكثرهم، ومَنْ نجا منهم صار أعور من الطعن، وتلاحق الستمائة بالستين غير متعتعين، ولما رأى سعد عاصماً علىٰ الفراض قد منعها أذِنَ للناس في الاقتحام، وقال: قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونِعْم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهـرن دينه، وليهز من عدوه [لا حول] ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وتلاحق الناسُ في دجلة وإنهم يتحدثون كما يتحدثون في البر، وطبقوا دجلة حتى ما يرىٰ من الشاطىء شيءٌ وكان الذي يساير سعداً، [في الماء] سلمان الفارسي فعامت بهم خيولهم وسعد يقول: « حسبنا الله ونعم الوكيـل، والله لينصرن الله وليـه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه إنْ لم يكن في الجيش بَغْيٌ أو ذُنُوب تغلب الحسنات ». فقال له سلمـان: « الاسلامُ جديد ذُلِّلَتْ لهم [والله] البحور كما ذُلّل لهم البرْ، أما والذي نفس سلمـان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً ».

فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً، [ولم يغـرق منهم أحد] إلا أنّ

مالك بن عامر العنبري سقط منه قَدَح فذهبت به جرية الماء فقال له الذي يسايره مُعَيِّراً له: أصابه القدر فطاح فقال: والله إني لعلىٰ حالة ما كان الله ليسلبني قدحي من بين العسكرين. فلما عبروا ألقته الريح إلىٰ الشاطىء فتناوله بعضُ الناس وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه، ولم يغرق منهم أحد غير أنّ رجلاً من بارق يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له أشقر فثنى القعقاع عنان فرسه إليه فأخذ بيده فأخرجه سالماً، [فقال البارقي وكان من أشد الناس: أعجز الأخوات أنْ يلدن مثلك يا قعقاع. وكان للقعقاع فيهم خؤولة][1] وخرج الناس سالمين وخيلهم تنفض أعرافها، فلما رأىٰ الفرس ذلك وأتاهم أمرٌ لم يكن في حُسابهم خرجوا هاربين نحو حُلوَان، وكان يزدجرد قد قدم عياله إلىٰ حلوان قبل ذلك وخلف مهران الرازي، والنخيرخان وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه وما قدروا عليه من بيت المال وبالنساء والذراري وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والألطاف، والأدهان ما لا يدرىٰ قيمته، وخلّفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات أخذ منها رستم عند مسيره إلى القادسية النصف، وبقي النصف.

وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال وهي كتيبة عاصم بن عمرو، ثم كتيبة الخرساء وهي كتيبة القعقاع بن عمرو؛ فأخذوا في سككها لا يَلْقَون فيها أحداً يخشونه[2] إلّا من كان في القصر الأبيض فأحاطوا بهم، ودعوهم، فآستجابوا علىٰ تأدية الجزية والذمة، فتراجع إليهم أهلُ المدائن على مثل عهدهم ليس في ذلك ما كان لآل كسرى [ومن خرج معهم] ونزل سعد القصر الأبيض، وسرح سعد زهرة في آثارهم إلى النهروان، [وسرح] مقدار ذلك من كل جهة، وكان سلمان الفارسي رائد المسلمين وداعيتهم دعا أهل بهرسير ثلاثاً، وأهل القصر الأبيض ثلاثاً، وآتخذ سعد إيوان كسرىٰ مصلى ولم يغيّر ما فيه من التماثيل، ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء، وكان يدعى يوم الجراثيم لا يبقى أحدٌ إلا آشمخرّت له جرثومة من الأرض يستريح عليها ما يبلغ الماء حزام فرسه، ولذلك يقول أبو بُجَيْد نافع بن الأسود:

---

(١) أي أخواله.

(٢) في الطبري لا يلقون فيها أحداً ولا يحسونه إلا من كان . . . إلخ (م).

وأملنا على المدائن خيلاً ... بحرها مثل برّهن أريضا
فانتثلنا خزائن المرء كسرى ... يوم ولوا وخاض منها جريضا

ولما دخل سعد الإيوان قرأ ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ ﴾ إلى قوله ﴿ قَوْماً آخرين ﴾[١] وصلىٰ فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهن ولا يصلي جماعة، وأتم الصلاة لأنه نوىٰ الإقامة، وكانت أول جمعة بالعراق ـ وجمعت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة.

ولما سار المسلمون وراءهم أدرك رجلٌ من المسلمين فارسياً يحمي أصحابه فضرب فرسه ليقدم على المسلم فأحجم وأراد الفرار فتقاعس فأدركه المسلم فقتله وأخذ سلبه، وأدرك رجلٌ آخر من المسلمين جماعة من الفرس يتلاومون[٢] وقد نصبوا لاحدهم كُرة[٣] وهو يرميها لا يخطئها، فرجعوا فلقيهم المسلم فتقدم إليه ذلك الفارسي فرماه بأقرب مما كانت الكرة فلم يصبه فوصل المسلم إليه فقتله وهرب أصحابه.

(أبو بُجَيْد) بضم الباء الموحدة وفتح الجيم وبعدها ياء تحتها نقطتان ودال مهملة.

ذكر ما جُمِعَ من غنائم أهل المدائن وقسمتها

كان سعد قد جعل علىٰ الأقباض عَمْرو بن عَمْرو بن مقرن، وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهلي، فجمع ما في القصر والإيوان والدور، وأحصى ما يأتيه به الطلب؛ وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا في كل وجه فما أفلت أحدٌ منهم بشيء ألا أدركهم الطلب، فأخذوا ما معهم، ورأوا بالمدائن قِباباً تركية مملوءة سِلَالاً مختومة برصاص فحسبوه طعاماً فإذا فيها آنية الذهب والفضة، وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين، ورأوا كافوراً كثيراً فحسبوه مِلْحاً فعجنوا به فوجدوه مُرًّا.

وأدرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فآزدحموا عليه

---

(١) الدخان : ٢٥

(٢) أي يلوم بعضهم بعضاً على الفرار.

(٣) وهو البعر العفن تجلى به الدروع. وفي الأصول الكربى ولا معنى له هنا وصححناه من الطبري والصحاح (م).

فوقع منهم بغلٌ في الماء فعجلوا وكلبوا عليه، فقال بعض المسلمين: إنّ لهذا البغل لشانا فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه، وفيه حلية كسرىٰ ثيابه؛ وخرزاته؛ ووشاحه، ودِرْعه التي فيها الجوهر ـ وكان يجلس فيها للمباهاة، ولحق الكلج بغلين معهما فارسيان فقتلهما وأخذ البغلين فأبلغهما صاحب الأقباض وهو يكتب ما يأتيه به الرجال، فقال له: قِفْ حتىٰ ننظر ما معك فحَطّ عنهما فإذا سَفَطان[١] فيهما تاج كسرىٰ مرصعاً وكان لا يحمله إلا الأسطوانيان[٢] وفيه الجوهر، وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرىٰ التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً.

وأدرك القعقاع بن عمرو فارسياً فقتله، وأخذ منه عَيْبَتَيْن[٣] و[غلافين] في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف، و[إذا في العيبتين] أدراع منها درع كسرى ومغافره، ودرع هرقل، ودرع خاقان ملك الترك، ودرع داهر ملك الهند، ودرع بهرام جوبين، ؛ ودرع سياوخش ، ودرع النعمان آستلبها الفرس أيام غزاهم خاقان، وهرقل، وداهر، وأما النعمان وجوبين فحين هربا من كسرى والسيوف من سيوف كسرى، وهرمز، وقباذ، وفيروز، وهرقل، وخاقان وداهر، وبهرام، وسياوخش، والنعمان فأحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيّره بين الأسياف فآختار سيف هرقل، وأعطاه درع بهرام ونفل سائرها في الخرساء إلّا سيف كسرىٰ، والنعمان بعث بهما إلى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك [لمعرفتهم بهماو] حسبوهما[٤] في الأخماس. وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه إلى عمر ليراه المسلمون.

وأدرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما حماران فقتل أحدهما وهرب الآخر وأخذ الحمارين فأتى بهما صاحب الأقباض فإذا علىٰ أحدهما سفطان في أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة، وعلى ثفره ولباته الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة، ولجام كذلك، وفارس من فضة مكلل بالجوهر، وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل[٥] من

(١) السفط : وعاء يوضع فيه الطيب ونحوه من أدوات النساء جمعه أسفاط .

(٢) في الصحاح للجوهري ، جمل إسطوان أي مرتفع وفي الطبري وكان لا يحمله إلا إسطوانتان (م) .

(٣) العيبة : وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين . والعيبة وعاء من أدم ونحوه .

(٤) في الطبري وحبسوهما في الأخناس .

(٥) هو مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرحل .

ذهب، وبطان من ذهب، ولها زمام من ذهب، وكل ذلك منظوم بالياقوت، وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما على أسطوانتي التاج.

وأقبل رجل بحُقٍّ إلى صاحب الأقباض فقال: هو والذين معه: ما رأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: والله لولا الله ما أتيتكم به. فقالوا: مَن أنت؟ فقال: والله لا أخبركم فتحمدوني [ولا غيركم ليقرظوني]، ولكني أحمد الله وأرضىٰ بثوابه. فأتبعوه رجلاً [حتىٰ أنتهى إلى أصحابه] فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس. وقال سعد: والله إنّ الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر لقلتُ إنهم علىٰ فضل أهل بدر لقد تتبعتُ [من أقوام] منهم هناة ما أحسبها من هؤلاء. وقال جابر بن عبد الله : **والذي لا إله إلا هو ما آطلعنا علىٰ أحدٍ من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة** فلقد آتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم وزهدهم، وهم طليحة [بن خويلد] وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح، وقال عمر لما قدم عليه بسيف كسرىٰ ومنطقته وبزبرجده: « إنّ قوماً أدوا هذا لذوو أمانة ». فقال عليّ: إنّك عففت فعفّتْ الرعية.

فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفيء بين الناس بعدما خمّسه، وكانوا ستين ألفاً، فأصاب الفارس اثني عشر ألفاً، وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل، ونفل من الأخماس في أهل البلاء وقسم المنازل بين الناس، وأحضر العيالات فأنزلهم الدور فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحلوان، وتكريت، والموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة، وأرسل سعد في الخمس كل شيء أراد أن يعجب منه العرب وما كان يعجبهم أنْ يقع [إليهم].

[القطيف]:

وأراد إخراج خُمس القطيف فلم تعتدل قسمته ـ وهو بهار كسرى ـ فقال للمسلمين : هل تطيب أنفسكم عن أربعة أخماسه فنبعث به إلى عمر يضعه حيث يشاء؟ فإنّا لا نراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعاً. فقالوا: نعم. فبعثه إلى عمر.

والقطيف بساط واحد طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً مقدار جريب كانت الأكاسرة تعده للشتاء إذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم في رياض فيه طرق

كالصور، وفيه فصوص كالأنهار أرضها مذهبة، وخلال ذلك فصوص كالدر، وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقّلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان، الذهب وزهره الذهب والفضة، وثمره الجوهر وأشباه ذلك، وكانت العرب تسميه القطيف.

فلما قدمت الأخماس على عمر نفل منها مَن غاب ومن شهد من أهل البلاء، ثم قسم الخمس في مواضعه. ثم قال: أشيروا عليّ في هذا القطيف. فمنْ بين مشير بقبضه، وآخر مفوّض إليه، فقال له عليّ: لم يجعل الله علمك جهلاً، ويقينك شكًّا إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيتَ فأمضيت، أو لبست فأبليتَ، أو أكلتَ فأفنيتَ، وإنّك إنْ تُبْقِهِ على هذا اليوم لم تعدم في غدٍ من يستحق به ما ليس له. فقال: صدقتني، ونصحتني. فقطعه بينهم فأصاب علياً قطعة منه فباعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القطع.

وكان الذي سار بالأخماس بشير بن الخصاصية، والذي [ذهب بالفتح حليس بن فلان الأسدي، والذي ولي القبض عمرو، والقسم سلمان]. وأثنى الناس على أهل القادسية فقال عمر : أولئك أعيان العرب، ولما رأى عمر سيف النعمان سأل جبير بن مطعم عن نسب النعمان فقال جبير: كانت العرب تنسبه إلىٰ أشلاء قنص، وكان أحد بني عجم بن قنص. فجهل الناس عجم فقالوا: لخم[1] فنفله سيفه، ووَلّى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص صلاة ما غلب عليه وحربه، ووَلّىٰ الخراج النعمان وسويداً ابني عمروبن مقرّن ـ سويدا على ما سقت الفرات، والنعمان على ما سقت دجلة ـ [وعقدوا الجسور]، ثم استعفيا فولي عملهما حذيفة أبي أَسِيد، وجابر بن عمرو المزني، ثم ولي عملهما بعد حذيفة ابنَ النعمان، وعثمان بن حنيف.

(حذيفة بن أَسِيد) بفتح الهمزة وكسر السين.

---

(١) وعبارة الطبري : فقال جبير كانت العرب تنسبه إلى الاشلاء أشلاء قنص وكان أحد بني عجم بن قنص . . . فجهل الناس عجم وقالوا لخم .

وفي الأصول الأسلاء بالسين المهملة ، وقبص بالباء الموحدة بدل النون وهو غلط صححناه من الطبري وصحاح الجوهري (م) .

ذكر وقعة جَلُولاء وفتح حُلوان

وفي هذه السنة كانت وقعة جلولاء، وسببها أن الفرس لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جَلُولَاء(١) وافترقت الطرق بأهل أَذَرْبِيْجَان والباب، وأهل الجبال، وفارس [تذامروا] وقالوا: لو افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكانٌ يفرّق بيننا، فهلُّموا فلنجتمع للعرب به، ولنقاتلهم فإنْ كانت لنا فهو الذي نحب، وإنْ كانت الأخرىٰ كنا قد قضينا الذي علينا وأبدينا عُذْراً.

فٱحتفروا خندقاً، واجتمعوا فيه علىٰ مهران الرازي، وتقدم يزدجرد إلىٰ حلوان [فنزل بها، ورماهم بالرجال وخلف فيهم الأموال فأقاموا] وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد إلا طرقهم.

فبلغ ذلك سعداً، فأرسل بذلك إلىٰ عمر، فكتب إليه أن عمر سرِّح هاشم بن عتبة إلى جَلُولاء، وٱجعل علىٰ مقدّمته القعقاع بن عمرو [وعلى ميمنته مسعر بن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة، وٱجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني] وإنْ هزم اللّهُ الفرس فٱجعل القعقاع بين السواد والجبل على حد سوادكم، وليكن الجند اثني عشر ألفاً. ففعل سعد ذلك.

وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة في اثني عشر ألفاً منهم وجوه المهاجرين، والأنصار، وأعلام العرب ممن كان ٱرتد ومن لم يرتد، فسار من المدائن فمرّ ببابل مهروذ، فصالحه دهقانها علىٰ أن يفرش له جريب الأرض دراهم، ففعل وصالحه، ثم مضىٰ حتىٰ قدِم جلولاء فحاصرهم في خنادقهم وأحاط بهم وطاولهم

---

(١) جلولاء: في طريق خراسان وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوباء ويشق بين منازلها وعليه في وسطها قنطرة. وجلولاء مدينة مشهورة بأفريقيا مبنية بالصخر.

الفرس، وجعلوا لا يخرجون [إليهم] إلّا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوماً كل ذلك ينصر المسلمون عليهم، وجعلت الأمداد تَرِدُ مِنْ يزدجرد إلى مهران وأمدّ سعد المسلمين، وخرجت الفرس، وقد اختلفوا فٱقتتلوا؛ فأرسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم في الخندق فجعلوا فيه طُرُقاً مما يليهم تصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم، وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا إليهم وقاتلوهم قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير إلا أنه كان أعجل، وٱنتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذي زحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذ به وأمر منادياً فنادىٰ :

« يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل الخندق، وأخذ به فَأَقْبِلُوا إليه ولا يمنعكم مَنْ بينكم وبينه من دخوله »، وإنما أمر بذلك ليقوّي المسلمين [به] فحملوا ولا يشكُّون بأنّ هاشماً في الخندق [فلم يقم لحملتهم شيء حتى انتهوا إلى باب الخندق] فإذا هم بالقعقاع بن عمرو، وقد أخذ به، فانهزم المشركون عن المجال يمنة ويسرة فهلكوا فيما أعدوا من الحسك، فعقرت دوابهم وعادوا رجالة، واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلا من لا يُعَدّ، وقتل يومئذ منهم مائة ألف فجَلَّلَتْ القتلىٰ المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جَلولاء بما جللها من قتلاهم فهي جلولاء الوقيعة، فسار القعقاع بن عمرو في الطلب حتى بلغ خانقين.

ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حُلوان نحو الرَّيّ[١]، وقدم القعقاع حلوان فنزلها في جند من الأفناء[٢] والحمراء، وكان فتح جلولاء في ذي القعدة سنة ست عشرة. ولما سار يزدجرد عن حلوان ٱستخلف عليها خسر سنوم[٣]، فلما وصل القعقاع قصر شيرين خرج عليه خسر سنوم وقدم إليه الزينبي دهقان حلوان فَلَقِيَه القعقاع فقتل الزينبي وهرب خسر سنوم وٱستولىٰ المسلمون علىٰ حلوان، وبقي القعقاع بها إلى أنْ تحوّل سعد إلىٰ الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف علىٰ حلوان قباذ، وكان أصله خراسانياً، وكتبوا إلى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستاذنوه في ٱتباعهم فأبىٰ وقال: « لوددتُ أنّ بين السواد وبين الجبل سَدًّا لا يخلصون إلينا ولا نُخلص إليهم، حسبُنا من الريف السواد إنِّي آثرتُ

(١) مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الخيرات ينسب إليها كثير من العلماء والفضلاء.

(٢) من الأصول من الأمناء بالميم وصححناه من الطبري (م).

(٣) كذا في الأصول والذي في الطبري خسر شنوم بالشين المعجمة (م).

سلامة المسلمين علىٰ الأنفال.

وأدرك القعقاع في اتباعه الفرس مهران بخانِقِيْن[١] فقتله، وأدرك الفيرزان فنزل وتوغّل في الجبل فتحامىٰ، وأصاب القعقاع سبايا فأرسلهن إلى هاشم فقسمهن فاتخذن فولدن، وممن ينسب إلى ذلك السبي أم الشعبي[٢]، [وقعت لرجلٍ من بني عبس، فولدت فمات عنها فخلف شراحيل فولدت لـه عامـراً ونشأ في بني عبس] وقسمت الغنيمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب؛ وقيل: إنّ الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف فقسّمها سلمان بن ربيعة، وبعث سعد بالأخماس إلى عمر، وبعث الحساب مع زياد بن أبيه [وكان الذي يكتب للناس ويدوّنهم] فكلّم عمر فيما جاء له ووصف له فقال عمر : هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل ما كلمتني به؟ فقال: والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك؟ فقام في الناس بما أصابوا وما صنعوا وبما يستأنفون من الأنسياح في البلاد، فقال عمر : هذا الخطيب المصقع. فقال: إنّ جندنا أطلقوا [بالفعال] ألسنتنا.

فلما قدم الخُمس علىٰ عمر قال: والله لا يُجِنُّه[٣] سقف [بيت] حتى أقسمه. فبات عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في [صحن] المسجد، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه [جلابيبه وهي الأنطاع] فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى. فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إنّ هذا لموطنُ شُكْر. فقال عمر : والله ما ذلك يبكيني - **وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم**، ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام، والغياض، وتبعيض المياه، وما كان لبيوت النار ولسكك البرد، وما كان لكسرىٰ ومن جامعه، ومن كان لمن قتل والأرحام، وخـاف أيضاً الفتنـة بين المسلمين فلم يقسمه، ومنع من بيعه لأنه لم يقسم وأقروها حبيساً يولونها من أجمعوا

---

(١) بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد .

(٢) الشعبي : هو عامر بن شراحيل بن عبدالله الشعبي الحميري أبو عمرو الكوفي من شعب همدان قال أدركت خمسمائة من الصحابة وقال فيه الحسن البصري كان والله كثير العلم عظيم العلم قديم السن من الإسلام بمكانه .
كان من المحدثين المبرزين ولد سنة ١٩ ومات سنة ١٠٩ .

(٣) أي لا يظله .

عليه بالرضا، وكانوا لا يجمعون إلا على الأمراء، فلا يحل بيع شيء من أرض السواد ما بين حلوان والقادسية. واشترى جرير أرضاً على شاطىء الفرات فردّ عمر ذلك الشراء وكرهه.

ذكر فتح تكريت، والموصل

وفي هذه السنة فتحت تكريت[1] في جمادى، وسبب ذلك أنّ الأنطاق سار من الموصل إلى تكريت وخَنْدَق [فيه] عليه ليحمي أرضه، ومعه الروم، وإياد، وتغلب، والنمر، والشهارجة، فبلغ ذلك سعداً فكتب إلى عمر فكتب إليه عمر أن سَرِّح إليه عبد الله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل، [وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي، وعلى ساقته هانىء بن قيس]، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة، فسار عبد الله إلى تكريت ونزل علىٰ الانطاق فحصره، ومن معه أربعين يوماً فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفاً، وكانوا أهون شوكة [وأسرع أمراً] من أهل جلولاء، وأرسل عبد الله بن المعتم إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نصرته [على الروم] وكانوا لا يخفون عليه شيئاً، ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم ونقلوا متاعهم إلىٰ السفن، فأرسلت تغلب، وإياد، والنمر إلى عبد الله بالخبر، وسألوه الأمان وأعلموه أنهم معه، فأرسل إليهم: إنْ كنتم صادقين [بذلك] فأسلِموا فأجابوه وأسلموا، فأرسل إليهم عبد الله: إذا سمعتم تكبيرنا فآعلموا أنّا أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب التي تلي دجلة وكبِّروا وآقتلوا مَنْ قدرتم عليه.

ونهد عبد الله والمسلمون وكبّروا وكبّرت تغلب، وإياد، والنمر وأخذوا الأبواب، فظن الروم أنّ المسلمين قد أتوهم من خلفهم مما يلي دجلة فقصدوا الأبواب التي عليها المسلمون، وأخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين أسلموا تلك الليلة فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب، وإياد، والنمر، وأرسل عبد الله بن المعتم ربعي بن الأفكل إلى الحصنين، وهما نينوى والموصل فسمى نينوى الحصن

---

(١) مدينة مشهورة بين بغداد والموصل وكانت لها قلعة حصينة أحد جوانبها إلى دجلة .

الشرقي، وسمى الموصل الحصن الغربي، وقال: أسبق الخبر [وسر ما دون القيل وأحيي الليل] وسرح ومعه تغلب، وإياد، والنمر فقدّمهم ابن الأفكل إلى الحصنين فسبقوا الخبر وأظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالأبواب وأقبل ابن الأفكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا أبوابهما فنادوا بالاجابة إلى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنيمة، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم، وسهم الراجل ألف درهم وبعثوا بالأخماس [مع فرات بن حيان وبالفتح مع الحارث بن حسان] إلى عمر.

وولى حرب الموصل ربعي بن الأفكل، والخراج عرفجة بن هرثمة. وقيل: إنّ عمر بن الخطاب استعمل عتبة بن فرقد على قصد الموصل وفتحها سنة عشرين فأتاها فقاتله أهل نينوىٰ فأخذ حصنها، وهو الشرقي عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الغربي وهو الموصل على الجزية؛ ثم فتح المرج، وبانهذرا، وباعذرا، وحِبتون، وداسن، وجميع معاقل الأكراد. وقرْدي، وبازبدي، وجميع أعمال الموصل فصارت للمسلمين.

وقيل: إنّ عياض بن غنم لما فتح بلداً على ما نذكره أتى الموصل ففتح أحد الحصنين، وبعث عتبة بن فرقد إلى الحصن الآخر ففتحه على الجزية والخراج. والله أعلم.

(المُعْتَمّ) بضم الميم وسكون العين المهملة وآخره ميم مشددة.

ذكر فتح ما سَبَذَان (١)

ولما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن بلغ سعداً أنّ آذين بن الهرمزان قد جمع جمعاً وخرج بهم إلى السهل. [فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر آبعث إليهم ضرار بن الخطاب في جُنْدٍ، وآجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي، وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي، والمضارب بن فلان العجلي]. فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب (٢) في جيش فآلتقوا بسهل ما سبذان فآقتتلوا، فأسرع المسلمون في

---

(١) هي مدن عدة أصله ماه سبذان منها أريوجان يخرج ماؤها إلى البندنيجين ومن هذه المدينة إلى الروذ عشرة فراسخ.

(٢) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو القرشي الفهري كان من فرسان قريش وشعراءهم المطبوعين المجودين وهو أحد الأربعة الذين وثب الخندق وكان من مسلمة الفتح.
(أنظر أسد الغابة ٣/٥٣ ـ ٥٤).

المشركين، وأخذ ضرار آذين أسيراً فضرب رقبته، ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فهرب أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحوّل سعد إلى الكوفة فأرسل إليه فنزل الكوفة، واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الأسدي فكانت أحد فروج الكوفة. وقيل: إن فتحها كان بعد وقعة نهاوند.

ذكر فتح قرقيسيا

ولما رجع هاشم [بن عتبة] من جلولاء إلى المدائن، وقد آجتمعت جُموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص، وبعثوا جنداً إلى أهل هِيت [وكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب إليه عمر أن آبعث إليهم عمر بن مالك في جند، وعلى مقدمته الحارث، وعلى مجنبتيه ربعي بن عامر، ومالك بن حبيب].

فأرسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند، وجعل على مقدمته الحارث بن يزيد العامري، فخرج عمر بن مالك في جنده نحو هِيت فنازل من بها وقد خندقوا عليهم، فلما رأى عمر بن مالك اعتصامهم بخندقهم ترك الأخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم، وخرج في نصف الناس فجاء قرقيسيا على غرة فأخذها عنوة فأجابوا إلى الجزية، وكتب إلى الحارث بن يزيد إنْ هُم استجابوا فَخَلِّ عنهم فليخرجوا وإلا فخندِق على خندقهم خندقاً أبوابه مما يليك حتى أرى رأيي، فراسلهم الحارث فأجابوا إلى العَوْد إلى بلادهم فتركهم، وسار الحارث إلى عمر بن مالك.

وفيها غَرّب عمر بن الخطاب أبا محجن الثقفي إلى ناصع [(١)].

وفيها تزوج ابن عمر صفية بنت أبي عبيد أخت المختار. وفيها حمى عمر الرَّبَذَة[(٢)] لخيل المسلمين. وفيها ماتت مارية أم ابراهيم ابن رسول الله ﷺ، وصلى عليها عمر ودفنها بالبقيع في المحرم. وفيها كتب عمر التاريخ بمشورة علي بن أبي طالب. وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، واستخلف على المدينة زيد بن

---

(١) كذا بالأصول بالنون في أوله وصاد مهملة بعد الألف وفي آخره عين مهملة وفي الطبري باضع بباء موحدة في أوله وضاد معجمة وكلاهما في بلاد الحبشة.

(٢) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها على طريق الحجاز خربت سنة ٣١٩ بالقرامطة.

ثابت. وكان عماله على البلاد كانوا في السنة قبلها، وكان على حرب الموصل ربعي بن الأفكل، وعلى خراجها عرفجة بن هرثمة، وقيل: كان على الحرب والخراج بها عتبة بن فرقد، وقيل كان ذلك كله إلى عبدالله بن المُعْتَمّ، وعلى الجزيرة عياض بن غنم.

ثم دخلت سنة سبع عشرة

ذكر بناء الكوفة والبصرة

في هذه السنة اختُطّتَ الكوفة، وتحوّل سعد إليها من المدائن.

وكان سبب ذلك أن سعداً أرسل وفداً إلى عمر بهذه الفتوح المذكورة فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم، فقالوا: وخومة البلاد غَيَّرَتْنَا. فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس. وكان قد حضر مع الوفد نفر من بني تغلب ليعاقدوا عمر على قومهم فقال لهم عمر: أعاقدهم على أنّ من أسلم منكم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومَنْ أبى فعليه الجزية. فقالوا: إذن يهربون ويصيرون عجماً.

وبذلوا له الصدقة فأبى فجعلوا جزيتهم مثل صدقة المسلم فأجابهم على أنْ لا يُنَصِّرُوا وليداً [ممن أسلم آباؤهم. فقالوا: لك ذلك]. فهاجر هؤلاء التغلبيون ومَنْ أطاعهم من النمر، وإياد إلى سعد بالمدائن ونزلوا بالمدائن ونزلوا معه بعد بالكوفة. وقيل بل كتب حذيفة إلى عمر: « إنّ العرب قد رقّت بطونها، وجفّت أعضادُها، وتغيّرت ألوانها ».

وكان مع سعد [يومئذ] فكتب عمر إلى سعد: أخبرني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومهم؟

فكتب إليه سعد: إن الذي غيرهم وخومة البلاد وإنّ العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان.

فكتب إليه عمر أنْ آبعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر. فأرسلهما سعد فخرج سلمان حتى أتى الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وسار حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وكل رملة وحصباء مختلطين فهو « كوفة » فأتيا عليها، وفيها

ديرات ثلاثة: دير حرمة (١)، ودير أم عمرو، ودير سلسلة، وخصاص خلال ذلك. فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى أنْ يجعلهما منزل الثبات، فلما رجعا إلى سعد بالخبر، وقدم كتاب عمر إليه أيضاً كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو، وعبد الله بن المعتم أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده، ففعلا فآرتحل سعد [بالناس] من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة، وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران، وكان فيما بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر.

ولما نزلها سعد كتب إلى عمر إنّي قد نزلتُ بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً ينبت الحلفاء والنصيّ (٢) وخيّرت المسلمين بينها وبين المدائن، فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة.

ولما استقروا بها عرفوا أنفسهم ورجع إليهم ما كانوا فقدوا من قُوَّتِهِم، واستأذن أهلُ الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة أيضاً، واستقر منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها فكتب إليهم إن العسكر أشد لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم فآبتنى أهل المصرَيْن بالقصب، ثم إن الحريق وقع في الكوفة والبصرة وكانت الكوفة أشد حريقاً في شوال، فبعث سعد نفراً منهم إلى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن فقدموا عليه بخبر الحريق واستئذانه أيضاً فقال: «افعلوا، ولا يزيدنَّ أحدكم علىٰ ثلاث أبيات ولا تطاولوا في البنيان، وآلزموا السنة تلزمكم الدولة».

فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى [عتبة وأهل] البصرة بمثل ذلك، وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك. وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الجرباء وقدر المناهج أربعين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين ذراعاً، والأزقة سبع أذرع، والقطائع ستين ذراعاً [إلّا الذي لبني ضبة] وأول شيء خط فيهما وبنى مسجداهما، وقام في وسطهما رجل شديد النزع فرمى في كل جِهَةٍ بسهم وأمر أنْ يبنى ما وراء

---

(١) في الطبري: دير حرقة بالقاف المثناة.

(٢) في الطبري: ينبت الحلي والنص اهـ. والنص تنبت ما دام رطباً فإذا ابيض فهي الطريفة وإذا ضخم ويبس فهو الحلي.

ذلك، وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيان. وبنوا لسعدٍ داراً بحياله [بينهما طريق منقب مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال] وهي قصر الكوفة اليوم بناه روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة، وجعل الأسواق على شبه المساجد مَنْ سَبَق إلى مقعدٍ فهو له حتى يقوم منه إلى بيته، ويفرغ من بيعه.

وبلغ عمر أنّ سعداً قال ـ وقد سمع أصوات الناس من الأسواق ـ سكّنُوا عني الصويت، وأن الناس يسمونه « قصر سعد »، فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأمره أنْ يحرق باب القصر ثم يرجع، ففعل، فبلغ سعداً ذلك فقال: « هذا رسولٌ أُرسل لهذا، فاستدعاه سعد فأبى أنْ يدخل إليه فخرج إليه سعد وعَرَض عليه نفقة فلم يأخذ، وأبلغه كتاب عمر إليه: (بلغني أنك اتخذت قصراً جعلته حصناً ويسمى « قصر سعد » بينك وبين الناس باب، فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال انزل منه مما يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل على القصر باباً يمنع الناس من دخوله [وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت]) فحلف له سعد ما قال الذي قالوا، فرجع محمد [مِنْ فوره حتى إذا دنا من المدينة فني زاده فتبلّغ بلحاء من لحاء الشجر، فقدِم المدينة] فأبلغ عمر قول سعد فصدّقه [وقال: « هو أصدق ممن رُوِيَ عليه ومن أبلغني] [١] ».

---

(١) أقول وكأني بصائحين يصيحون ما هذا الحرج الذي استفز عمر إلى أن يزعج محمد بن مسلمة ويكلفه أن يذرع ما بين المدينة والكوفة لإحراق باب قصر أو باب بيت اتخذه أمير ليكون حجاباً بينه وبين من لا يروق منظره ومن لا يحب مقابلته ؟ وهل يريد عمر أن يسكن الناس في القبور وهم أحياء ومن ذا الذي حرّم زينة الله لعباده والطيبات من الرزق وأي حرج على الناس إذا استطالوا في البناء وجملوا دورهم .

أما أنا فأعرض عن هؤلاء الصائحين وإنما أقول لكم إن القوم على أثر من رسالة قد بهرتهم عجائبها (بنور الحقيقة) وفي عقب نبوة قد أخذت نواصيهم (وعلمتهم الاعراض عن الدنيا وزينتها) وعلى بينة من دين استغرق أفئدتهم وملك عليهم مشاعرهم وعلمهم في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وقوله ﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً ألا يعلوا بعضهم على بعض﴾.

وهذه يد عمر لم تغسل من دماء الأعاجم والروم الذين كانوا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وملوكهم يتخذون المصانع الشامخة والقصور المزخرفة فغرتهم الحياة الدنيا وسوغوا لأنفسهم استعباد الرعية وتسخير الكافة في توفير لذتهم فأدال الله منهم هؤلاء القوم وهم على حال أخوه وتواسٍ فيما بينهم لا ميز لأحد منهم على الآخر إلا بحسن البلاء أكرمهم عند الله وفيما بينهم أتقاهم لم تبهرهم الدنيا بزخرها ولم =

وكانت ثغور الكوفة أربعة، حلوان، وعليها القعقاع، وماسَبذان، وعليها ضرار بن الخطاب، وقرقيسيا، وعليها عمر بن مالك، أو عمرو بن عتبة بن نوفل، والموصل وعليها عبد الله بن المعتم. وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها، [فكان خليفة القعقاع على حُلوان قباذ بن عبد الله، وخليفة عبد الله على الموصل مسلم بن عبد الله، وخليفة ضرار رافع بن عبد الله، وخليفة عمر عشنق بن عبد الله]، وولي سعد الكوفة بعدما آختطّت ثلاث سنين ونصفاً سوى ما كان بالمدائن قبلها.

* * *

= تختلب قلوبهم بنقشها ورقشها فمثل عمر يخشى أن يغمس أمثال سعد بن أبي وقاص ومن على شاكلته أيديهم فيما غمست فارس والروم أيديهم فيه فيديل الله من الاسلام كما أدالهم من جيرانهم بالأمس .
واتخاذ الأبواب دون الأمير وصعوبة الوصول إليه أمر لم تجربه عادة العرب ولم يألفوه فيما بينهم إلى اليوم وعمر يخشى أن يكون بداية جبروت يقترفها سعد سرت إليه من أهل فارس وهم إنما كانوا يعيرون العجم بالأمس بمثل ما يتخوف عليهم عمر منه اليوم .
وأما تحجيره على أهل المصرين أن يبنوا بيوتهم في أول الأمر ثم تسويغهم ذلك على شرط القصد في البناء وعدم الإستطالة فسببه أن القوم هم جند الإسلام وأعباء الجهاد أحمات تلك النواحي وذادت الملة وهم على أهبة النجعة وعلى أوفاز للإغاثة إن دعا داعٍ من ناحية من النواحي والجندي إذا تأثل العقار وتبحبح في اتخاذ الدور المنجدة بأنواع الزخرف والزينة كان ذلك أدعى إلى ثقل الجهاد على نفسه ورغبته عن مزايلة مستقر راحته وإذا أزعج من مكانه هذا إلى وجه من الوجوه أو ناحية من النواحي كان قلبه دائم الإلتفات إلى ما خلّف وراءه من نعيم وما فارق من مال . (م بتصرف) .

ذكر خبر حِمْص حين قصد هرقل مَن بها من المسلمين

وفي هذه السنة قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من [جند] المسلمين بِحمْص، وكان المهيّج للروم أهل الجزيرة فإنهم أرسلوا إلى ملكهم وبعثوه على إرسال الجنود إلى الشام ووعدوا من أنفسهم المعاونة ففعل ذلك، فلما سمع المسلمون بآجتماعهم ضَمّ أبو عبيدة إليه مسالحه وعسكر بفناء مدينة حمص، وأقبل خالد من قِنّسرين إليهم فآستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصين إلى مجيء الغياث فآشار خالد بالمناجزة وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فأطاعهم، وكتب إلى عمر بذلك وكان عمر قد اتخذ في كل مصر خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عدة لكون إنْ كان؛ فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس، وكان القيّم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة، وفي كل مِصْر من الأمصار الثمانية على قدره فإن تأتهم آتية ركبها الناس، وساروا إلى أنْ يتجهز الناس، فلما سمع عمر الخبر كتب إلى سعد أنْ آندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرِّحْهم من يومهم [الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص] فإن أبا عبيدة قد أحيط به.

وكتب اليه أيضاً سَرّح سُهَيْل بن عدي إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وأمره أنْ يسرّح عبد الله بن عِتبان إلى نصيبين ثم ليقصد حرّان والرها وأنْ يسرّح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وأنْ يسّرح عياض بن غنم فإن كان قتال فأمرهم الى عياض [1] فمضى القعقاع في أربعة آلاف مِنْ يومهم [الذي أتاهم فيه الكتاب] إلى حمص، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة

---

(١) وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدين لأهل الشام وممن انصرف ايام انصراف اهل العراق ممدين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة .

وأخذوا طريق الجزيرة وتوّجه كل أمير إلى الكورة التي أُمِّر عليها، وخرج عمر من المدينة فأتىٰ الجابية لأبي عُبيدة مغيثاً يريد حمص، ولمّا بلغ أهلُ الجزيرة الذي أعانوا الروم علـى أهل حمص وهم معهم خبر الجنود الإسلامية تفرّقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم، فلما فارقوهم آستشار أبو عبيدة خالداً في الخروج إلى الروم فـأشار بـه فخرج إليهم فقاتلهم ففتح الله عليه.

وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام فكتبوا إلى عمر بالفتح، وبقدوم المدد عليهم، والحكم في ذلك فكتب إليهم أنْ أشركوهم فإنّهم نفروا إليكم، وأنفرق لهم عدوكم، وقال: « جـزىٰ الله أهل الكـوفة خيـراً يكفون حـوزتهم ويمدون أهـل الأمصار». فلما فرغوا رجعوا.

ذكر فتح الجزيرة وإرْمِينِيَة (١)

وفي هذه السنة فتحت الجزيرة قد ذكرنا إرسال سعد العساكـر إلى الجزيـرة، فخرج عياض بن غنم ومن معه فأرسل سهيل بن عدي إلى الرَّقـة، وقد أرفض أهـل الجزيرة عن حمص إلىٰ كورهم حين سمعوا بأهل الكوفة فنزل عليهم فأقام يحاصرهم حتىٰ صالحوه فبعثوا في ذلك إلىٰ عياض وهو في منزل وسط بين الجزيرة، فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمة.

وخرج عبد الله بن عتبان على الموصل إلىٰ نصيبين فلقوه بالصلح وصنعوا كصنع أهل الرقة فكتبوا إلى عياض فقبل منهم وعقد لهم.

وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلاّ إياد بن نزار فإنهم دخلوا أرض الروم فكتب الوليد بذلك إلى عمر، ولما أخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض إليه سهيلاً، وعبد الله، وسار بالناس إلىٰ حرّان، فلما وصل أجابه أهلها إلى الجزية فقبل منهم، ثم إنّ عياضاً سرّح سهيلاً، وعبد الله إلى الرها فأجابوهما إلىٰ الجزية وأجروا كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا، ورجع سهيل، وعبد الله إلى الكوفة. وكتب أبـو عبيدة إلى عمـر بعد

---

(١) إرمينيَة : إسم لصقع واسع عظيم من جهة الشام وحدّها من برذعة إلى باب الأبواب ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق وهي صغرى وكبرى .

آنصرافه من الجابية يسأله أنْ يضم إليه عياض بن غنم إذا أخذ خالداً إلى المدينة، فصرفه إليه فآستعمل حبيب بن مسلمة علىٰ عجم الجزيرة وحَرْبها، والوليد بن عقبة على عَرَبها، فلما قدم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الروم من العرب كتب عمر إلى ملك الروم: «**بلغني أنَّ حَيّاً مِنْ أحياء العرب ترك دارنا وأتىٰ دارك فوالله لتخرجنه إلينا أو لنخرجن النصارى إليك**».

فأخرجهم ملك الروم [١] فخرج منهم أربعة آلاف وتفرّق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف؛ وأبىٰ الوليدُ بن عقبة أنْ يقبل من تغلب إلّا الاسلام فكتب فيهم إلى عمر فكتب إليه عمر: إنّما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم [فيها] إلّا الاسلام فَدَعْهُم على أنْ لا يُنَصِّرُوا وليداً، ولا يمنعوا أحداً منهم من الاسلام.

وكان في تغلب عِزٌّ وامتناع [ولا يزالون ينازعون الوليد] فهم، بهم الوليد [٢] فخاف عمر أن يسطو عليهم فعزله وأمَّر عليهم فرات بن حيان، وهند بن عمرو الجملي.

وقال ابن إسحاق: إنّ فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة. وقال: إنّ عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إذا فتح الله [على المسلمين] الشام والعراق فآبعث جنداً إلىٰ الجزيرة وأمّر عليه خالد بن عُرفطة ـ أو هاشم بن عتبة، أو عياض بن غنم ـ قال سعد: ما أخَّرَ أمير المؤمنين عياضاً إلا لأن له فيه هوى [أنْ أوّليه] وأنا موليه. فبعثه وبعث معه جيشاً فيه أبو موسى الأشعري وآبنه عمر بن سعد [وهو غلام حَدَث] ليس له من الأمر شيء فسارَ عياض ونزل بجنده علىٰ الرها فصالحه أهله مصالحة حران.

وبعث أبا موسى إلى نصيبين فآفتتحها، وسار عياض بنفسه إلى « دارا » فافتتحها، ووجَّه عثمان بن أبي العاص إلى إرمينية الرابعة فقاتل أهلها فآستشهد صفوان بن المُعَطّل وصالح أهلها عثمان علىٰ الجزية [على كل أهل بيت دينار].

---

(١) وهذه هي عثرة الاسلام وقوة الدين إن تنصروا الله ينصركم.

(٢) وقال في ذلك:

إذا ما عصبت الرأس مني بمشوذٍ ... فغيك مني تغلب أبنة وائل

فبلغت عنه عمر فخاف أن يحرجوه وأن يضعف صبره فيسطو عليهم فعزلهم.

ثم كان فتح قيسارية من فلسطين، وهرب هرقل.

فعلىٰ هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق، والأكثر على أنها من فتوح أهل الشام، فإنّ أبا عبيدة سيّر عياض بن غنم إلى الجزيرة، وقيل: إنّ أبا عبيدة لما تُوُفي آستخلف عياضاً فـورَدَ عليه كتاب عمر بولايته حمص، وقنسرين، والجزيرة فسار إلى الجزيرة سنة ثمان عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، وعلى ميسرته صفوان بن المعطل، وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق، فآنتهت طليعة عياض إلى «الرَّقَّة»[١] فأغاروا على الفلاحين وحصروا المدينة؛ وبَثَّ عياض السرايا فأتوه بالأسرىٰ والأطعمة وكان حصرها ستة أيام فطلب أهلها الصلح فصالحهم علىٰ أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم؛ وقال عياض: الأرض لنا قد وَطِئْنَاهَا ومَلكناها. فأقرها في أيديهم على الخراج ووضع الجزية، ثم سار إلى حَرَّان فجعل عليها عسكراً يحصرها، عليهم صفوان بن المعطل، وحبيب بن مسلمة وسار هو إلىٰ الرها فقاتله أهلها. ثم آنهزموا، وحصرهم المسلمون في مدينتهم فطلب أهلها الصلح فصالحهم وعاد إلىٰ حرّان فوجد صفوان وحبيباً قد غَلَبَا علىٰ حصون وقرى مِنْ أعمال حَرّان فصالحه أهلها علىٰ مثل صلح الرها، وكان عياض يغزو ويعود إلى الرها وفتح سميساط، وأتىٰ سَروج[٢]، ورأس كيفا[٣]؛ والأرض البيضاء فصالحه أهلها علىٰ صُلح الرها. ثم إنّ أهل سميساط غدروا فرجع إليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها، ثم أتى قرَيّات على الفرات وهي جسر منبج وما يليها ففتحها، وسار إلى رأس عين، وهي «عين الوردة» فآمتنعت عليه وتركها وسار إلى تل موزن ففتحها علىٰ صلح الرها سنة تسع عشرة، وسار إلىٰ «آمِدْ»[٤] فحصرها فقاتله أهلها ثم صالحوه على صلح الرها وفتح «مَيَّافارِقين»[٥] على مثل ذلك، وكفرتُوثا[٦] فسار إلىٰ نصيبين فقاتله أهلها، ثم صالحوه على مثل صلح الرها؛ وفتح طور عَبدين، وحصن ماردين، وقصد الموصل ففتح أحد

---

(١) مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام.

(٢) بلدة قريبة من حران.

(٣) هي من ديار مضر بالجزيرة قرب حرّان.

(٤) هي من مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً.

(٥) مدينة بديار بكر.

(٦) قرية كبيرة من أعمال الجزيرة.

الحصنين، وقيل: لم يصل إليها وأتاه بطريق الزوزان فصالحه ثم سار إلى أرزن ففتحها، ودخل الدرب فأجازه إلى بدليس، وبلغ خلاط فصالحه بطريقها وآنتهى إلى العين الحامضة من إرمينية. ثم عاد إلى الرقة ومضى إلى حمص فمات سنة عشرين.

واستعمل عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث إلّا قليلاً حتى مات؛ فآستعمل عمير بن سعد الأنصاري ففتح رأس عين بعد قتال شديد.

وقيل: إنّ عياضاً أرسل عمير بن سعد إلى رأس عين ففتحها بعد أنْ آشتد قتالُه عليها، وقيل: إنّ عمر أرسل أبا موسى الأشعري إلى رأس عين بعد وفاة عياض. وقيل: إنّ خالد بن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل حماماً بآمد فأطلي بشيءٍ فيه خمر فعزله عمر، وقيل: إن خالداً لم يسر تحت لواء أحد غير أبي عبيدة والله أعلم.

ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها عنوة، ثم نقض أهلها الصلح، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجّه إليها حبيب بن مسلمة أيضاً ففتحها عنوة ورَتَّب فيها جُنْداً من المسلمين مع عاملها.

ذكر عزل خالد بن الوليد

في هذه السنة وهي سنة عشرة عزل خالد بن الوليد عما كان عليه من التقدم على الجيوش والسرايا، وسبب ذلك أنّه كان أَدْرَبَ[1] هو وعياض بن غنم فأصابا أموالاً عظيمة وكانا توجها من « الجابية » مرجع عمر إلى المدينة، وعلىٰ حِمْص أبو عبيدة، وخالد تحت يده علىٰ قنسرين؛ وعلىٰ دمشق يزيد، وعلىٰ الأردن معاوية، وعلىٰ فلسطين علقمة بن مجزر، وعلىٰ الساحل عبد الله بن قيس، فبلغ الناس ما أصاب خالد فآنتجعه رجالٌ [من أهل الآفاق] وكان منهم الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف، ودخل خالد الحمام فتدلّك بغسل فيه خمر فكتب إليه عمر: « بلغني أنّك تدلكت بخمر وإنّ الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه [كما حرم ظاهر الإثم وباطنه]، و[قد حرّم] مسه فلا تمسوها أجسادكم، [وإنْ فعلتم فلا تعودوا] ». فكتب إليه خالد إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر[2]. فكتب إليه عمر : « إنّ آلَ المغيرة آبتُلوا بالجفاء فلا

---

(١) أي سار في طرق الروم.

(٢) أي صارت خلاً.

فلا أماتكم الله عليه ».

فلما فرَّق خالد في الذين انتجعوه الأموال سمع بذلك عمر بن الخطاب، وكان لا يخفىٰ عليه شيءٌ من عمله، فدعا عمر البريد فكتب معه إلى أبي عبيدة أنْ يقيم خالداً ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حَتّى يعلمكم من أين أجاز الأشعث؟ أمن ماله أم من مال إصابةٍ أصابها؟ فإنْ زعم أنّه فرّقه من إصابةٍ أصابها فقد أقر بخيانة، وإنْ زعم أنه من ماله فقد أسرف وآعزله على كل حال وآضمم إليك عمله، فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فسأل خالداً، من أين أجاز الأشعث؟ فلم يجبه، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال [إليه] فقال: إنّ أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ونزوع عمامته فلم يمنعه سمعاً وطاعة، ووضع قلنسوته، ثم أقامه فعقله بعمامته، وقال: مِنْ أين أجزتَ الأشعث مِنْ مالك أجزتَ؟ أم من إصابة أصبتها؟ فقال: بل من مالي.

فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عَمَّمَه بيده ثم قال: نسمع ونطيع لولاتنا ونفخّم ونخدم موالينا، قال: وأقام خالد متحيراً لا يدري أمعزولٌ أو غير معزول؟ ولا يُعْلِمُهُ أبو عبيدة بذلك تكرمة وتفخمة، فلمّا تأخر قدومه علىٰ عمر ظنّ الذي كان، فكتب إلى خالد بالإقبال إليه [فأتىٰ خالد أبا عبيدة فقال: رحمك الله ما أردتَ إلى ما صنعتَ كتمتني أمراً كنتُ أحبُّ أن أعلمه قبل اليوم؟. فقال أبو عبيدة: إنّي والله ما كنتُ لأروعك ما وجدتُ لذلك بُدًّا، وقد علمتُ أنّ ذلك يروعك].

فرجع [خالد] إلى قنسرين فخطب الناس وودَّعهم، ورجع إلى حمص فخطبهم، ثم سار إلى المدينة، فلما قدم علىٰ عمر شكاه، وقال: قد شكوتك إلى المسلمين فبالله إنّك في أمري لغير مجمل [يا عمر] فقال له عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: مِن الأنفال والسهمان ما زاد على ستين ألفاً فلك. فقوَّم عمر ماله فزاد عشرين ألفاً فجعلها في بيت المال، ثم قال: « يا خالد والله إنّك عليَّ لكريم وإنك إليّ لحبيب، [ولن تعاتبني بعد اليوم علىٰ شيء]. وكتب إلى الأمصار: « **إنّي لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخَّمُوه وفُتِنُوا به فخفت أن يوكلوا إليه [ويبتلوا به]**

فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة ». وعوَّضه عما أخذ منه[١].

ذكر بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه

.وفيها ـ أعني سنة سبع عشرة ـ آعتمر عمر بن الخطاب، وبنى المسجد الحرام، ووسَّع فيه، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم علىٰ قوم أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتىٰ أخذوها. وكانت عمرته في رجب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وأمر بتجديد أنصاب الحرم فأمر بذلك مخرمة بن نوفل، والأزهر بن عبد عوف، وحويطب بن عبد العزى، وسعيد بن يربوع. وآستأذنه أهل المياه في أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة فأذِن لهم وشرط عليهم أنّ ابن السبيل أحق بالظل والماء.

وفيها تزوج عمر: أمَّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ ودخل بها في ذي القعدة.

ذكر غزوة فارس من البحرين

قيل: كان عمر يقول لمّا أخذت الأهواز وما يليها: « وددتُ أنّ بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا نصل إليهم منه ولا يصلون إلينا »، وقد كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر فعزله عمر وجعل موضعه قدامة بن مظعون، ثم عزل قدامة وأعاد العلاء يناوىء[٢] سعد بن أبي وقاص ففاز العلاء في قتال أهل الردة بالفضل، فلما ظفر سعد بأهل القادسية وأزاح الأكاسرة [عن الدار وأخذ حدود ما يلي السواد] جاء بأعظم مما فعله العلاء فأراد العلاء أنْ يصنع في الفرس شيئاً ولم ينظر في [ما بين فضل] الطاعة والمعصية، وقد كان عمر نهاه عن الغزو في البحر ونهىٰ غيره أيضاً آتباعاً لرسول الله ﷺ وأبي بكر، وخوف الغرر، فندب العلاء الناس إلى فارس فأجابوه وفرّقهم أجناداً، على أحدها الجارود بن المعلى، وعلى الآخر سوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن

---

(١) وفي الطبري لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلاً .

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع ... وما يصنع الأقوام فالله يصنع

فأغرمه شيئاً ثم عوضه وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم وليبصرهم .

(٢) إنما هي منافسة في سبيل الله والله تعالى يقول: ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

المنذر بن ساوى، وخليد على جميع الناس، وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذْن عمر فعبرت الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا إلى إصْطَخْر، وبإزائهم أهل فارس، وعليهم الهربذ، فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم، فقام خليد في الناس فخطبهم، ثم قال: « أما بعد فإنّ القوم لم يدعوكم إلى حربهم وأنما جئتم لمحاربتهم، والسفن والأرض لمن غلب ﴿ فَاسْتَعِيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِيْن ﴾[1] فأجابوه إلى ذلك.

ثم صلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً بمكان يدعىٰ طاوس، فقتل سوار والجارود وكان خليدٌ قد أمر أصحابه أنْ يقاتلوا رجالة ففعلوا فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة [لم يقتلوا مثلها قبلها]، ثم خرجوا يريدون البصرة ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً، وأخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا [في نشوبهم].

ولما بلغ عمر صنيع العلاء أرسل إلى عتبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جند كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: « فإنّي قد أُلْقِيَ في رَوْعِي كذا وكذا » نحو الذي كان، وأمر العلاء بأثقل الأشياء عليه تأمير سعد عليه فشخص العلاء إلى سعد بمن معه، وأرسل عتبة جيشاً كثيفاً في اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصم بن عمرو، وعرفجة بن هرثمة والأحنف بن قيس وغيرهم فخرجوا على البغال يجنبون الخيل، وعليهم أبو سبرة بن أبي رُهم أحد بني عامر بن لؤي فسار بالناس وسَاحَلَ بهم لا يعرض له أحد حتى التقىٰ أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم الطريق عقيب وقعة طاوس، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطخر وحدهم، ومن شَذَّ من غيرهم، وكان أهل إصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين فجمعوا أهل فارس عليهمفجاؤوامن كل جهة فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس، وقد توافت إلى المسلمين أمدادهم وعلى المشركين « شهرك » فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين، وقتل المشركين، وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا، وهي الغزوة التي شرفت فيها نابتة البصرة، وكانوا أفضل نوابت الأمصار، ثم انكفؤا بما أصابوا، وكان عتبة كتب إليهم بالحث وقِلّة العرجة فرجعوا إلى البصرة سالمين.

ولما أحرز عتبة الأهواز، وأوطأ فارس فاستأذن عمر في الحج، فأذِن له فلما قضىٰ حجه استعفاه فأبىٰ أنْ يعفيه، وعزم عليه ليرجعنَّ إلى عمله فدعا الله، ثم انصرف

---

(١) البقرة: ٤٥ .

فمات في بطن نخلة فدُفن، وبلغ عمر موته فمر به زائراً لقبره وقال: « أنا قتلتُك لولا أنّه أجلٌ معلوم [وكتابٌ مرقوم] » وأثنىٰ عليه خيراً، ولم يختط فيمن اختط من المهاجرين، وأنما ورث ولده منزلهم من فاختة بنت غزوان، وكانت تحت عثمان بن عفان، وكان خباب مولاه قد لزم شيمته فلم يختط.

ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد [بالمدائن] وذلك بعد أنْ استنفذ الجند الذي بفارس ونزولهم البصرة، واستخلف على الناس أبا سبرة بن أبي رهم بالبصرة فأقرّه عمر بقية السنة، ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها، فلم ينتقض عليه أحدٌ [في عمله وكان مرزوقاً السلامة] ولم يُحْدِث شيئاً إلا ما كان بينه وبين أبي بكرة، ثم آستعمل [عمر] أبا موسى علىٰ البصرة، ثم صرف إلى الكوفة، ثم استعمل عمرو بن سراقة، ثم صرف ابن سراقة إلى الكوفة من البصرة، وصُرِف أبو موسى من الكوفة إلى البصرة فعمل عليها ثانيـة. وقد تقـدم ذكر ولايـة عتبة بن غـزوان البصرة والاختلاف فيها سنة أربع عشرة.

ذكر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسى

في هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة، وآستعمل عليها أبا موسى وأمره أن يشخص إليهالمغيرة بن شعبة في ربيع الأول قاله الواقدي. وكان سبب عزله أنّه كان بين أبي بكرة والمغيرة بن شعبة منافرة، وكانا متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين في كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكرة نفرٌ يتحدّثون في مشربته فهبتّ الريح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليسدّه فبصر بالمغيرة، وقد فتحت الريحُ بابَ كوّة مشربته، وهو بين رجلي امرأة. فقال للنفر: قوموا فـانظروا. فقامـوا فنظروا، وهم أبو بكرة ونافع بن كلدة، وزياد بن أبيه، وهو أخو أبي بكرة لأمه، وشبل بن معبد البجلي. فقـال لهم: اشهدوا قـالوا: ومَن هـذه؟ قال: أم جميـل بن الأفقم؛ وكانت من بني عامر بن صعصعة وكانت تغشى المغيرة والأمراء [والأشراف]، وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها، فلما قامت عرفوها.

فلما خرج المغيرة إلى الصلاة منعه أبو بكرة [وقال لا تصل بنا]. وكتب إلى عمر [بذلك]، فبعث عمر أبا موسى أميراً علىٰ البصرة، وأمره بلزوم السنة. فقال: أَعِنّي

بعدة من أصحاب رسول الله ﷺ [من المهاجرين والأنصار] فإنهم في هذه الأمة كالملح [لا يصلح الطعام إلاّ به]. قال له: خذ من أحببت. فأخذ معه تسعة وعشرين رجلاً، منهم: أنس بن مالك، وعمران بن حصين، وهشام بن عامر، وخرج معهم فقدم البصرة فدفع الكتاب بإمارته إلى المغيرة وهو أوجز كتاب وأبلغه(١): أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم فبعثتُ أبا موسى أميراً فسلمْ إليه ما في يدك والعَجَل.

فأهدى إليه المغيرة وليدة تسمى عقيلة، ورحل المغيرة، ومعه أبو بكرة والشهود فقدِموا على عمر فقال له المغيرة: سَلْ هؤلاء الأعبد كيف رأوني أمستقبلهم أم مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها؟ فإنْ كانوا مستقبلي فكيف لم أستتر؟ أو مستدبري فبأيّ شيء استحلوا النظر إليّ في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيتُ إلاّ امرأتي؛ وكانت تشبهها(٢). فشهد أبو بكرة أنه رآه على أم جميل يدخله [ويخرجه] كالميل في المكحلة وأنه رآهما مستدبرين، وشبل ونافع مثل ذلك، وأما زياد فإنه قال: « رأيتُه جالساً بين رجلي امرأة فرأيتُ قدمين مخضوبتين يخفقان، وأستين مكشوفتين وسمعتُ حفزاً شديداً. قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟ قال: لا، قال: هل تعرف المرأة؟ قال: لا ولكن أشبهها. قال: فتنح وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد فقال: المغيرة، أشفني من الأعبد قال: اسكت أَسْكَتَ الله نامتك، أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك.

---

(١) لأنه أربع كلم عزل فيه وعاتب واستحث وأمر وكتب عمر إلى أهل البصرة أما بعد فاني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم وليحصي لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم ولينقي لكم طريقكم (م) .

(٢) والظاهر أن هذا هو الحق في المسألة وأنها ما كانت إلا امرأته ، أما قوله (فلما قامت عرفوها) فلا أظن هذه الزيادة تصح .

ذكر الخبر عن فتح الأهواز ومَنَاذِر، ونهر تِيْرَىٰ[١]

وفي هذه السنة فتحت الأهواز، ومناذر، ونهر تيري، وقيل: سنة عشرين، وكان السبب في هذا الفتح أنّه لما آنهزم الهرمزان يوم القادسية، وهو أحد البيوتات السبعة في أهل فارس، وكانت أمته منهم مهرجان قـذق[٢]، وكور الأهـواز، فلما انهـزم قصد خوزستان فملكها، وقاتل بها مَنْ أرادهم، فكـان الهرمـزان يغير علىٰ أهـل ميسان، ودستميسان من [وجهين من] مناذر، ونهر تيري.

فآستمد عتبة بن غزوان سعداً فأمده بنعيم بن مقرن، ونعيم بن مسعود، وأمرهما أنْ يأتيا أعلى ميسان، ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيري، ووجـه عتبة بن غزوان سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين مع رسول الله ﷺ، وهما من بني العدوية من بني حنظلة فنزلا علىٰ حدود [أرض] ميسان، ودستميسان بينهم وبين منـاذر، ودعوا بني العم فخـرج إليهم غـالب الـوائلي، وكليب بن وائـل الكليبي. فتركا نعيماً وأتيا سلمى وحرملة، وقالا: أنتما من العشيرة، وليس لكما مترك فإذا كان يوم كذا وكذا: فآنهدوا للهرمزان فإنّ أحدنا يثور بمناذر، والآخر بنهر تيري فنقتل المقاتلة، ثم يكون وجهنا إليكم فليس دون الهرمزان شيء إنْ شاء الله، ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك، وكانوا ينزلون خوزستان قبل الإسلام فأهل البلاد يأمنونهم.

---

(١) الأهواز بفتح الهمزة كورة ويغلب عند العامة على سوق الأهواز بفارس.
مناذر بلدان بنواحي خزستان صغرى وكبرى نهر تيرَىٰ بلد من نواحي الأهواز.

(٢) كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى.
وفي الأصـول قذف وهو غلط صححناه من المعجم (م).

فلما كان تلك الليلة ليلة الموعد بين سلمى ،وحرملة ، وغالب وكليب ، وكان الهرمزان يومئذ بين نهر تيرى ، وبين دُلث[١] وخرج سلمى وحرملة صبيحتهما في تعبية وأنهضا نعيماً ومن معه فالتقوا. هم والهرمزان بين دلث ونهر تيرى ، وسلمى بن القين على أهل البصرة ، ونعيم بن مُقَرن على أهل الكوفة ، فاقتتلوا فبيناهم على ذلك أقبل مدد من قبل غالب ، وكليب .

وأتى الهرمزان الخبر بأنّ مناذر ، ونهر تيرى قد أُخذتا فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه ، وهزمه الله وإياهم فقتل المسلمون منهم ما شاؤوا وأصابوا ما شاؤوا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطىء دُجَيْل وأخذوا ما دونه ، وعسكروا بحيال سوق الأهواز ، وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقام [بها] ، وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين ، فلما رأى الهرمزان مالا طاقة به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فأجاب إلى ذلك على الأهواز لها ، ومهرجان قذق ما خلا نهر تيرى ، ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد عليهم ، وجعل سلمى على مناذر مسلحة وأمرها إلى غالب ؛ وحرملة على نهر تيرى وأمرها إلى كليب ، فكانا على مسالح البصرة ، وهاجرت طوائف من بني العم فنزلوا البصرة [وجعلوا يتتابعون على ذلك] ووفد عتبة وفداً إلى عمر منهم سلمى ، وجماعة من أهل البصرة فأمرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم فكلهم قال : أما العامة فأنت صاحبها وطلبوا لأنفسهم [إلا ما كان من] الأحنف[٢] بن قيس فإنه قال : يا أمير المؤمنين إنك كما ذكروا ولقد يعزب عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة ، وإنما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ، ويسمع بآذانهم فإنّ إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب ، والجنان الخصاب ، فتأتيهم ثمارهم ولم يحصدوا ، وإنا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة ، وعقة نشاشة[٣] طرفٌ لها في الفلاة ، وطرفٌ لها في البحر الأجاج ، يجري إليها ما جرى في مثل مريء النعامة دارنا فعمة ، وطبقتنا مضيقة ، وعددنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأهل البلاء فينا كثير ، درهمنا كبير ، وقفيزنا صغير ، وقد وسَّع الله علينا وزادنا في أرضنا فوسِّع علينا يا أمير المؤمنين وزِدْنا طبقة تطوف علينا ونعيش بها .

---

(١) في الأصول دلب بالموحدة التحتية وهو غلط صححناه من المعجم (م) .

(٢) في الأصل وطلبوا لأنفسهم الأحنف وهو غلط صريح .

(٣) الأرض السبخة ذات ملح ونزّ والهشاشة الرخوة اللينة ؟ وعقة بشاشة أي أرض ذات شقوق يظهر فيها ماء السباخ فينش فيها حتى يعود ملحاً .

فلما سمع عمر قوله أحسن إليهم وأقطعهم مما كان فيئاً لأهل كسرىٰ وزادهم، ثم قال: « هذا الفتى سيد أهل البصرة ». وكتب إلى عتبة فيه بأنْ يسمع منه ويرجع إلىٰ رأيه، وردَّهم إلى بلدهم.

وبينا الناس على ذلك من ذمتهم مع الهرمزان وقع بين الهرمزان، وغالب، وكليب في حدود الأرضين آختلاف فحضر [ذلك] سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم فوجدا غالباً وكليباً محقين والهرمزان مبطلاً، فحالا بينهما وبينه فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالأكراد فكثف جنده، وكتب سلمى ومن معه إلى عتبة بذلك فكتب عتبة إلى عمر، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمدّ المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي[١] وكانت له صحبة مع رسول الله ﷺ، وأمَّره على القتال، وعلى ما غلب عليه، وسار الهرمزان ومن معه، وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه إمّا أنْ تعبر إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال: آعبروا إلينا. فعبروا فوق الجسر فآقتتلوا مما يلي سوق الأهواز فآنهزم الهرمزان وسار إلى رامَهرُمز، وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها، واتسعت له بلادها إلى تُسْتَر ووضع الجزية، وكتب بالفتح إلى عمر وأرسل إليه الأخماس.

ذكر صلح الهرمزان، وأهل تُسْتَر[٢] مع المسلمين

وفي هذه السنة فتحت تُسْتَر، وقيل: سنة ست عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة. قيل: ولما انهزم الهرمزان يوم سوق الأهواز وآفتتحها المسلمون بعث حرقوص جزء بن معاوية[٣] في أثره بأمر عمر إلى سوق الأهواز، فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشعر[٤] وأعجزه الهرمزان فمال جزء إلى دَوْرَق وهي مدينة سُرَّق[٥] فأخذها صافية،

---

(١) حرقوص بن زهير السعدي بقي إلى أيام علي وشهد معه صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي بن أبي طالب وكان من الخوارج لما قاتلهم عليّ فقتل يومئذ سنة ٣٧. (أنظر أسد الغابة ١/٤٧٤ - ٤٧٥).

(٢) تستر: أعظم مدينة بخوزستان وهي تعريب شوشتر.

(٣) هو جزي بن معاوية بن حصين بن عبادة السعدي عَمّ الأحنف بن قيس. قيل له صحبة وقيل لا تصح له صحبة وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأهواز وقيل في اسمه جزء بالهمز (ابن الأسير ١/٣٣٧).

(٤) كذا بالأصول وفي الطبري قرية الشغر ولم أجدها في المعجم نصاً ولعل ما في الطبري هو الصحيح (م).

(٥) هي إحدى كور الأهواز.

ودعا مَنْ هرب إلى الجزية فأجابوه، وكتب إلىٰ عمر، وعتبة بذلك فكتب عمر إلى حرقوص وإليه بالمقام فيما غلبا عليه حتى يأمرهما بأمره فعمّر جزء البلاد وشق الأنهار، وأحيا الموات وراسلهم الهرمزان يطلب الصلح، فأجاب عمر إلى ذلك وأنْ يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم ثم آصْطلحوا علىٰ ذلك وأقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه إذا قصده الأكراد ويجيء إليهم، ونـزل حرقـوص جبل الأهـواز وكان يشق علىٰ النـاس الاختلاف إليه، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه يأمره بنزول السهل وأنْ لا يشـق علىٰ مسلم ولا معاهد، ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك، وبقي حرقوص إلى يوم صفين وصار حرورياً، وشهد النهروان مع الخوارج.

ذكر فتح رَامَهرمُز[١]، وتستر وأسر الهرمزان

قيل: كان فتح رامهرمز، وتُسْتَر، والسوس في سنة سبع عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وكان سبب فتحها أنّ يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير أهل فارس أسفاً على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز وتعاقدوا على النُّصْرَة فجاءت الأخبار حرقوص بن زهير وجزءاً، وسلمى، وحرملة فكتبـوا إلى عمر بالخبر، فكتب عمر إلى سعد: أن آبعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مُقَرِّن وعَجِّلْ.

فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره، وكتب إلى أبي موسى أن آبعث إلى الأهواز جُنْداً كثيفاً وأمر عليهم سهل[٢] بن عـدي أخا سهيـل وآبعث معه البَـرَاء بن مالـك؛ ومجزأة بن ثور، وعرفجة بن هرثمة وغيرهم. وعلى أهل الكوفة والبصـرة جميعاً أبـو سبرة بن أبي رُهم، [وكل من أتاه ممد له] فخرج النعمان بن مقرِّن في أهل الكوفة فسار إلى الأهواز علىٰ البغال يجنبون الخيل فخلف حرقوصاً، وسلمى؛ وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطعه ومعه أهل فارس فآلتقى النعمان والهرمزان بَاربك فآقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إنَّ الله عز وجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتُسْتَر، وسار النعمان إلى رامهرمز ونزلها

---

(١) مدينة مشهورة بنواحي خوزستان.

(٢) في الأصول سعد بن عديّ وهو غلط صححناه من كتب تراجم الصحابة (م).

وصعد إلى إيذج،[١] فصالحه تيرويه على إيذج ورجع إلى رامهرمز فأقام بها، ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الأهواز وهم يريدون رامهرمز فأتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الأهواز وأتاهم الخبر أنّ الهرمزان قد لحق بتستر فساروا نحوه، وسار النعمان أيضاً، وسار حرقوص، وسلمى، وحرملة؛ وجزء فآجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس، والجبال، والأهواز في الخنادق، وأمدهم عمر بأبي موسى وجعله على أهل البصرة، وعلى الجميع أبو سبرة فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل وقتل البَرَاء بن مالك وهو أخو أنس بن مالك في ذلك الحصار إلى الفتح مائة مبارزة سوى من قتل في غير ذلك، وقتل مثله مجزأة بن ثـور، وكعب بن ثور، وعِـدَّة من أهل البصـرة وأهل الكوفة.

وزاحفهم المشركون أيام تُسْتَر ثمانين زحفاً يكون لهم مرة ومرة عليهم، فلما كان في آخر زحف منها وآشتد القتال قال المسلمون: يا براء اقسم على ربـك ليهزمنهم [لنا] قال: « اللهم اهزمهم لنا واستشهدني » ـ وكان مجاب الدعوة، فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم، ثم دخلوا مدينتهم، وأحـاط بها المسلمـون فبينما هم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم خرج رجلٌ إلى النعمان يستأمنه على أنْ يدله على مدخل يدخلون منه، ورمىٰ في ناحية أبي موسى بسهم إنْ أمنتموني دللتكم على مكان تأتون المدينة منه، فأمنوه في نشابة فرمى إليهم بأخرى، وقال: انهدوا مِنْ قِبَل مخرج الماء فإنّكم تقتحمونها.

فندب الناس إليه فانتدب له عامر بن عبد قيس وبشر كثير ونهدوا لذلك المكان ليلاً وقد ندب النعمان أصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلهم على المدخل إلى المدينة فآنتدب له بشر كثير فآلتقوا هم وأهل البصرة علىٰ ذلك المخرج فدخلوا في السرب والناس من خارج، فلما دخلوا المدينة كبّروا فيها وكبّر المسلمون من خارج وفتحت الأبواب فآجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل، وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها وأطاف به الذين دخلوا فنزل إليهم على حكم عمر فأوثقوه وآقتسموا ما أفاء الله عليهم، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألفاً، وجاء صاحب الرمية والرجل الذي خرج بنفسه فأمّنوهما ومَنْ أغلق بابه معهما.

---

(١) كورة وبلد بين خوزستان وأصفهان.

وقتل من المسلمين تلك الليلة بشرٌ كثير، وممن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور، والبراء بن مالك، وخرج أبو سبرة بنفسه في أثر المنهزمين إلىٰ السوس ونزل عليها ومعه النعمان بن مقرّن، وأبو موسى، وكتبوا إلى عمر فكتب إلى أبي موسى بردّه إلى البصرة وهي المرة الثالثة. فآنصرف إليها من على السوس، وسار زر بن عبد الله بن كليب الفقيمي إلى جُنْدَ يسَابور[1] فنزل عليها وهو من الصحابة، وأمَّر عمر على جند البصرة المقترب وهو الأسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك وهو صحابي أيضاً وكانا مهاجرين، وكان الأسود قد وَفَدَ علىٰ رسول الله ﷺ وقال: « جئت لأقترب إلى الله بصحبتك » فسماه المقترب.

وأرسل أبو سبرة وفداً إلى عمر بن الخطاب فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللاً بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون، فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل: جلس في المسجد لوفد من الكوفة فوجدوه في المسجد متوسداً برنسه[2] وكان قد لبسه للوفد، فلما قاموا عنه توسده، ونام فجلسوا دونه، وهو نائم والدرة في يده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ قالوا: هوذا. فقال: أين حرسه وحُجَّابه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب، ولا كاتب. قال: فينبغي أن يكون نبياً. قالوا: بل يعمل بعمل الأنبياء. فاستيقظ عمر بجلبة الناس فآستوىٰ جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. [فتأمله وتأمل ما عليه، وقال: أعوذ بالله من النار وأستعين الله] فقال: الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وغيره أشباهه. فأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً، فقال له عمر: [هيه] يا هرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر إنّا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم [إذ لم يكن معنا ولا معكم]. فلما كان الآن معكم غلبتمونا. [فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا].

ثم قال له: ما حجتك وما عذرك في آنتقاضك مرة بعد أخرى؟ فقال: أخاف أنْ تقتلني قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك، واستسقىٰ ماءً فأتي به في قدح غليظ

---

(١) مدينة بخوزستان.

(٢) هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به.

فقال: لو مِتُّ عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا فأتي به في إناء يرضاه [فجعلت يده ترجف] فقال: إني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه. فأكفأه فقال عمر : أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء إنما أردتُ أنْ استأمن به فقال عمر له: إني قاتلك فقال: قد أمنتني. فقال: كذبت قال أنس: صَدَقَ يا أمير المؤمنين قد أمنته قال عمر : [ويحك] يا أنس أنا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك واللهِ لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك. قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال: خدعتني والله لا أنخدع إلا أن تسلم فأسلم، ففرض له في ألفين وأنزله المدينة، وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة وكان يفقه بالفارسية إلى أن جاء المترجم.

وقال عمر للوفد: لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلهذا ينتقضون بكم. قالوا: ما نعلم إلا وفاء. قال: فكيف هذا؟ فلم يشفه أحد منهم إلا إنّ الأحنف قال له: يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد [وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا] وإنّ مَلِك فارس [حَيٌّ] بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا ما دام مَلِكُهُم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يُخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم، وإم مَلِكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هـذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونُزِيْل ملكهم فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جاشا] فقال: صدقتني والله. ونظر في حوائجهم وسرحهم، وأتىٰ عمر الكتاب بآجتماع أهل نهاوند فأذن في الانسياح في بلاد الفرس، وقتل محمد بن جعفر بن أبي طالب شهيداً على تستر في قول بعضهم (أربك) بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الباء الموحدة. وفي آخره كاف موضع عند الأهواز.

ذكر فتح السُّوس[١]

قيل: ولما نزل أبو سبرة على السوس وبها شهريار أخو الهرمزان أحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين فأشرف عليهم

---

(١) بلدة بخوزستان .

[يوماً] الرهبان والقسيسون فقالوا: « يا معشر العرب إنّ مما عهد إلينا علماؤنا [وأوائلنا] أنّه لا يفتح السوس ألا الدجال أو قَوْمٌ فيهم الدجال، فإنْ كان فيكم فستفتحونها ».

وسار أبو موسى إلى البصرة من السوس وصار مكانه علىٰ أهل البصرة بالسوس المقترب بن ربيعة، واجتمع الأعاجم بنهاوند، والنعمان على أهل الكوفة محاصراً أهل السوس مع أبي سبرة، وزرّ محاصراً أهل جندَ يسابور، فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهاوند من وجهه ذلك فناوشهم القتال قبل مسيره فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم، وكان صاف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان فأتىٰ صاف باب السوس فدقّه برجله فقال: آنفتح بظار وهو غضبان فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق، وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون، وألقىٰ المشركون بأيديهم، ونادوا الصلح الصلح، فأجابهم إلى ذلك المسلمون بعد ما دخلوها عنوة واقتسموا ما أصابوا [قبل الصلح]، ثم افترقوا، فسار النعمان حتى أتىٰ نهاوند، وسار المقترب حتى نزل على جند يسابور مع زر.

وقيل لأبي سبرة: هذا جسد « دانيال » في هذه المدينة. قال: وما علمي بذلك؟ فأقره في أيديهم، وكان دانيال قد لزم نواحي فارس بعد بختنصر فلما حضرته الوفاة ولم ير أحداً [ممن هو بين ظهريهم] على الإسلام أكرم كتاب الله عمن لم يجبه [ولم يقبل منه فأودعه ربه] فقال: لأبنه آئت ساحل البحر فآقذف بهذا الكتاب فيه فأخذه الغلام [وضن به] وغاب عنه وعاد، وقال له: قد فعلتُ قال: ما صنع البحر [حين هوى فيه]؟ قال: ما صنع شيئاً. فغضب وقال: والله ما فعلتَ الذي أمرتُك به، فخرج من عنده وفعل [مثل] فعلته الأولىٰ [ثم أتاه] فقال: كيف رأيتَ البحر صنع [حين هوى فيه]؟ قال: ماج واصطفق فغضب أشد من الأول، وقال: والله ما فعلت الذي أمرتُك به فعاد إلى البحر وألقاه فيه فآنفلق البحر عن الأرض [حتى بدت] وانفجرت له الأرض عن مثل التنور فهوىٰ فيها، ثم انطبقت عليه واختلط الماء، فلما رجع إليه وأخبره بما رأى فقال: الآن صدقت. ومات دانيال بالسوس، وكان هناك يستسقىٰ بجسده، فآستأذنوا عمر فيه فأمر بدفنه.

وقيل في أمر السوس: أنّ يزدجرد سار بعد وقعة جلولاء، فنزل إصطخر ومعه سياه

في سبعين من عظماء الفرس، فوجهه إلى السوس والهرمزان إلى تستر فنزل سياه الكَلْتَانِيّة(١) وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول يزدجرد إصطخر [منهزماً] فسألوا أبا موسى الصلح وكان محاصراً لهم فصالحهم، وسار إلى رامهرمُز، ثم سار إلى تُسْتَر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر، ودعا مَنْ معه مِنْ عظماء الفرس، وقال لهم: قد علمتم أنّا كنا نتحدث أنّ هؤلاء القوم [أهل الشقاء والبؤس] سيغلبون على هذه المملكة، وتروث دوابهم في إيوانات إصطخر [ومصانع الملوك] ويشدُّون خيولهم في شجرها وقد غلبوا علىٰ ما رأيتم [وليس يلقون جنداً إلا فَلُّوه، ولا ينزلون بحصن إلاّ فتحوه] فانظروا لأنفسكم قالوا: رأينا رأيك.

قال: أرىٰ أنْ تدخلوا في دينهم، ووجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسىٰ، فشرط عليهم أن يقاتلوا معه العَجَم ولا يقاتلوا العرب وإنْ قاتلهم أحدٌ من العرب منعهم منهم، وينزلوا حيث شاؤوا،ويلحقوا بأشرف العطاء ويعقد لهم ذلك عمر علىٰ أن يُسْلموا فأعطاهم عمر ما سألوا، فأسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تُسْتَر، ومضىٰ سياه إلىٰ حصن قد حاصره المسلمون في زِيِّ العجم فألقى نفسه إلىٰ جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم فرآه أهل الحصن صريعاً فظنوه رجلاً منهم ففتحوا باب الحصن ليُدْخلوا إليهم، فوثب وقاتلهم حَتَّى خلوا عن الحصن، وهربوا فملكه وحده. وقيل: إنّ هذا الفعل كان منه بتستر.

ذكر مصالحة جُنْدَ يْسَابُور

وفي هذه السنة سار المسلمون عن السوس فنزلوا بجند يسابور، وزر بن عبدالله محاصرهم، فأقاموا عليها يقاتلونهم فرمىٰ إلى مَنْ بها من عسكر المسلمين بالأمان فلم يفجأ المسلمين إلاّ وقد فتحت أبوابها، وأخرجوا أسواقهم، وخرج أهلها فسألهم المسلمون فقالوا: رميتم بالأمان فقبلناه وأقررنا بالجزية [على أنْ تمنعونا]. فقالوا: ما فعلنا [فقالوا: ما كذبنا].

وسأل المسلمون [فيما بينهم] فإذا عبْد يدعى مكثفاً(٢) كان أصله منها فعل هذا

---

(١) هو ما بين السوس والصيمرة أو نحو ذلك.

(٢) في الطبري مكنفاً بالنون بدل الثاء المثلثة.

فقالوا : هو عبد فقال أهلها : لا نعرف العبد من الحر ، وقد قبلنا الجزية وما بدّلنا فإنْ شئتم فاغدروا .

فكتبوا إلىٰ عمر فأجاز أمانهم فأمنوهم وٱنصرفوا عنهم .

ذِكْر مسير المسلمين إلىٰ كِرَمْان[1] وغيرها

قيل : في سنة سبع عشرة أذن عمر للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس وٱنتهى في ذلك إلىٰ رأي الأحنف [بن قيس وعرف فضله وصدقه] فأمر أبا موسىٰ انْ يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه أمره ، وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدي فدفع لواء خراسان إلىٰ الأحنف بن قيس ، ولواء أردشير خرة ، وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء فسا ؛ ودارا بجرد إلى سارية بن زنيم الكناني ، ولواء كرمان إلىٰ سهيل بن عدي ، ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو ـ وكان من الصحابة ، ولواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبي ، فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم إلا سنة ثمانية عشرة ، وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة ، فأمد سهيل بن عدي بعبدالله بن عتبان ، وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر ، وبعبدالله بن أبي عقيل . وبربعي بن عامر ، [وبابن أم غزال] . وأمد عاصم بن عمرو بعبدالله بن عمير الأشجعي ، وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق في جموع ، وقيل : كان ذلك سنة إحدى وعشرين ، وقيل : سنة ٱثنتين وعشرين ، وسنذكر كيفية فتحها هناك وذكر أسبابها إن شاء الله تعالى ، وكان على مكة هذه السنة عتاب بن أسيد في قول ، وعلى اليمن يعلى بن مُنْيَة ، وعلىٰ اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص ، وعلىٰ عمان حذيفة بن محصن ، وعلىٰ الشام من ذكر قبل. وعلى الكوفة وأرضِها سعد بن أبي وقاص، وعلى قضائها أبو قرة، وعلى البصرة وأرضها أبو موسىٰ، وعلى القضاء أبو مريم الحنفي، وقد ذكر من كان على الجزيرة والموصل قبل. وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب.

---

(١) ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بفارس .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة

ذكر القحط وعام الرمادة

في سنة ثمان عشرة أصاب الناس مجاعة شديدة ، وجدب وقحط وهو « عام الرمادة » وكانت الريح تسفي تراباً كالرمادة فسُميّ عام الرمادة واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الأنس ، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قُبْحِها .

وفيه أيضاً طاعون عمّواس .

وفيه ورد كتاب أبي عبيدة علىٰ عمر يذكر فيه أنّ نفراً من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار ، وأبو جندل فسألناهم فتأوّلوا وقالوا : خُيِّرْنَا فآخترنا : قال : ﴿ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُون ﴾[1] ولم يعزِم ؟ [علينا] فكتب إليه عمر إنّما معناه فآنتهوا ، وقال له : « آدعُهُم علىٰ رؤوس الناس وسَلْهم : أحلال الخمر أم حرام ؟ فإن قالوا : حرام فآجلدهم ثمانين ثمانين ، وإنْ قالوا : حلال فآضرب أعناقهم .

فسألهم فقالوا : « بل حرام فجلدهم وندِموا على لجاجتهم[2] وقال : لَيَحْدُثَنَّ فيكم يا أهل الشام حدث ، فحدث عام الرمادة[3] .

(١) المائدة : ٩١ .

(٢) في الطبري : بعد أن جلدوا لزموا البيوت من حيائهم فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فأرسل إليهم بالنصيحة والتذكرة وهاكَ نصه :

فاستحيوا فلزموا البيوت ووسوس أبو جندل فكتب أبو عبيدة إلى عمر إن أبا جندل قد وسوس إلا أن يأتيه الله على يديك بفرج فاكتب إليه وذكره .

فكتب إليه عمر وذكره فكتب إليه من عمر إلى أبي الجندل (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فإن الله عز وجل يقول ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ فلما قرأه عليه أبو عبيدة تطلق وأسفر عنه وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا وكتب إلى الناس عليكم انفسكم ومن استوجب التغيير فيغيروا عليه ولا يعيروا أحداً فيفشوا فيكم البلاء (م) .

(٣) كما حدث طاعون عمواس بالشام .

وأقسم عمر أن لا يذوق سَمْناً ولا لَبَناً ولا لَحْماً حتى يحيا الناس ، فقدمتْ السوق عكة سمن ، ووطب من لبن فآشتراهما غلامٌ لعمر بأربعين درهماً ثم أتى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين قد أَبَرَّ اللهُ يمينَك وعَظَّمَ أجركَ قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً .

فقال عمر: أغليتَ بهما فتصدَّقْ بهما فإنّي أكره أن آكل إسرافاً. وقال: كيف يعنيني شأن الرعيّة إذا لم يصبني ما أصابهم؟

وكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومَنْ حولها ويستمدهم ، فكان أول من قَدِم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام فولّاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسّمها . [فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم فقال : لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين إنما أردتُ اللهَ وما قبله فلا تدخل على الدنيا .

فقال : خُذْهَا فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه .

فأبىٰ وكرر ذلك مراراً فقبل أبو عبيدة] وآنصرف إلىٰ عمله ، وتتابع الناس ، وآستغنى أهل الحجاز ، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم ، وأرسل فيه الطعام إلىٰ المدينة فصار الطعام بالمدينة كسِعْر مصر ، ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حَتَّىٰ حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان فذلُّوا وتقاصروا ، وكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار ، فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم وهو بلال بن الحارث : قد هلكنا ، فآذبح لنا شاة . قال : ليس فيهن شيء فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر فنادىٰ : يا محمداه . فأرى في المنام أنّ رسول الله ﷺ أتاه فقال : « أبِشر بالحياة آئت عمر فأقرئه مني السلام وقل له : إني عهدتُك وأنتَ وفيّ العهد ، شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر .

فجاء حتىٰ أتىٰ باب عمر فقال لغلامه : آستأذِنْ لرسول رسول الله ﷺ فأتىٰ عمر فأخبره ، ففزع وقال : رأيت به مَسًّا[1] قال لا . [قال] : فأدخله [فدخل] وأخبره الخبر ، فخرج فنادىٰ في الناس وصعد المنبر فقال : نشدتُكم الله الذي هداكم هل رأيتم [مني] شيئاً تكرهونه ؟ .

---

(١) أي جنوناً .

قالوا: اللهم لا، ولم ذاك؟ فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر، فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء فٱستسق بنا، فنادىٰ في الناس، وخرج معه العباس ماشياً فخطب وأوجز وصلى، ثم جثا لركبتيه وقال: «اللهم عجزتْ عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزتْ عنا أنفسُنَا ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم فٱسقنا وأحي العباد والبلاد.

وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ . وإنّ دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال : « اللهم إنّا نتقرب إليك بعم نبيك ﷺ وبقية آبائه وأكبر رجاله ، فإنك تقول وقوله الحق : ﴿ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلمدِينَةِ ﴾[١] فحفظتهما بصلاح آبائهما فٱحفظ اللهم نبيك ﷺ في عمه فقد دلونا به إليك مستشفعين مستغفرين » .

ثم أقبل على الناس فقال : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّه كَانَ غَفَّاراً ﴾[٢] .

وكان العباس قد طال عمره وعيناه تذرفان ولحيته تجول علىٰ صدره وهو يقول : اللهم أنت الراعي فلا تُهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار مُضيّعة فقد صرخ الصغير ، ورَقَّ الكبيرُ وارتفعتْ الشكوىٰ، وأنت تعلم السر وأخفىٰ ، اللهم فٱغنهم بغناك قبل أن يقنَطُوا فيهلَكُوا ، فإنه لا ييأس إلا القومُ الكافرون .

فنشأت طريرة من سحاب ، فقال الناس : ترون ترون ثم ٱلتأمتْ ، ومشت فيها ريح ، ثم هدأت ودَرَّت ، فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر ، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون : « هنيئاً لك ساقي الحرمين » ، فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

بعمي سقى الله الحجازَ وأهلَه	عشية يستسقي بشيبته عُمَر
توجه بالعباس في الجدب راغباً	إليه فما أنْ رام حتى أتىٰ المَطر
ومنّا رسول الله فينا تُراثُه	فهل فوق هذه للمُفَاخِرِ مُفْتَخَر

---

(١) الكهف: ٨٢ .

(٢) نوح: ١٠ .

ذكر طاعون عَمَوَاس[١]

في هذه السنة كان طاعون عمواس بالشام فمات فيه أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعتبة بن سهيل ، وعامر بن غيلان الثقفي مات وأبوه حيّ ، وتفانىٰ الناس منه .

قال طارق بن شهاب : أتينا أبا موسىٰ في داره بالكوفة نتحدث عنده [فلما جلسنا] فقال : لا عليكم أنْ تخفقوا فقد أصيب في الدار إنسان [بهذا السقم] ولا عليكم أنْ تنزعوا من هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتىٰ يُرْفَعَ هذا الوباء ، وسأخبركم بما يكره ويتقي من ذلك أنْ يظن من خرجَ أنّه لو أقام مات ويظُن مَنْ أقام فأصابه [ذلك أنّه] لو خرج لم يصبه ، فإذا لم يظن المسلم هذا فلا عليه أنْ يخرج .

إنّي كنت مع أبي عبيدة بالشام عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوجع ، وبلغ ذلك عمر كتب إلىٰ أبي عبيدة ليستخرجه منه : أنْ سلامٌ عليك ، أما بعد فقد عَرَضَتْ لي إليك حاجةٌ أريدُ أن أشافهك فيها فعزمتُ عليك إذا أنتَ نظرتَ في كتابي هذا ألَّا تضعه من يدك حتى تُقبل [إليّ] . فعرف أبو عبيدة ما أراد فكتب إليه يا أمير المؤمنين قد عرفتُ حاجتك إليَّ وإنّي في جُنْدٍ من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فلستُ أريدُ فراقهم حتى يقضيَ الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه فخللني من عزيمتك .

فلما قرأ عمر الكتاب بكىٰ فقال الناس : يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ فقال : لا وكأنْ قد .

وكتب إليه عمر ليرفعنّ بالمسلمين من تلك الأرض ، فدعا أبا موسى فقال له : « آرتد للمسلمين منزلاً قال. فرجعتُ إلىٰ منزلي لأرتحل فوجدتُ صاحبتي قد أصيبت فرجعتُ إليه فقلتِ له: والله لقد كان في أهلي حَدَث».

فقال: لعلِ صاحبتك أصيبت قلت: نعم. قال: فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طُعِن[٢] فقال : والله لقد أصبتُ ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ،

---

(١) ينسب إلى كورة في فلسطين بالقرب من بيت المقدس .

(٢) أي أصيب بالطاعون .

وكان أبو عبيدة قد قام في الناس [خطيباً] فقال: «أيها الناس إنّ هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوةُ نبيكم، وموتُ الصالحين قبلكم وإنّ أبا عبيدة سأل الله أن يقسم له منه حظه «فطُعِنَ فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيباً بعده. فقال: أيها الناس إنّ هذاالوجع رحمةُ ربكم، ودعوةُ نبيكم، وموتُ الصالحين قبلكم وإنّ معاذاً يسألُ الله أن يقسم لآل معاذ حظهم». فطعن ابنه عبد الرحمن فمات.

ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته، فلقد كان يقبِّلُها ثم يقول: «ما أُحبُّ أنّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا».

فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص [فقام خطيباً في الناس فقال: [أيها الناس إنّ هذا الوجع وقع فإنّما يشتعل آشتعالَ النار فتجبَّلوا منه في الجبال».

فقال أبو واثلة الهذلي: «كذبتَ، والله لقد صحبتُ رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا» قال: والله ما أردُّ عليك ما تقول، وأيمُ الله لانقيم عليه] فخرج بالناس إلى الجبال ورَفَعَهُ اللهُ عنهم فلم يكره عمر ذلك من عَمرو.

وقد قيل: إنّ عمر بن الخطاب قدم الشام، فلما كان بسرغ[1] لقيه أمراء الأجناد. فيهم أبو عبيدة بن الجراح فأخبروه بالوباء وشدته، وكان معه المهاجرون والأنصار خرج غازياً فجمع المهاجرين الأولين والأنصار فآستشارهم، فآختلفوا عليه، فمنهم القائل خرجتَ لوجه الله فلا يصدك عنه هذا، ومنهم القائل إنه بلاء وفناءٌ فلا نرى أنْ تُقْدِم عليه.

فقال لهم: «قوموا [عني]» ثم أحضر مهاجرَة الفتح من قريش فآستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعَوْد، فنادىٰ عمر في الناس: إنّي مصبح علىٰ ظهر فقال أبو عبيدة: أفراراً من قَدَرِ الله؟ فقال: نعم، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيتَ لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عُدوتان[2] إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس إنْ رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإنْ رعيتَ الجدبة رعيتها بقدر الله؟

---

(١) هو أول الحجاز وآخر الشام بين المعيشة وتبوك من منازل حاج بالشام.

(٢) تثنية عُدوة وهو جانب الوادى.

فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف[1] فقال : إنّ النبي ﷺ قال : « إذا سمعتُم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه »[2] .

فانصرف عمر بالناس إلى المدينة .

وهذه الرواية أصح فإنّ البخاري ومسلماً أخرجاها في صحيحيهما ، ولأن أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام لكن هكذا ذكره ، وإنما أوردناه لننبه عليه .

(عَمَوَاس) بفتح العين المهملة والميم والواو بعد الألف سين مهملة .

و (سَرْغ) بفتح السين المهملة وسكون الراء المهملة وآخره غين معجمة .

ومعنى قوله دعوة نبيكم حين جاءه جبريل فقال : « فناء أمتك بالطعن[3] أو الطاعون فقال رسول الله ﷺ : فبالطاعون .

ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها ، واستعمل شرحبيل بن حَسَنة على جُنْد الأردن وخراجها ، وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط ، وطمع له العدو في المسلمين لطول مكثه مكث شهوراً وأصاب الناس بالبصرة مثله .

وكان عدة من مات في طاعون عَمَوَاس خمسة وعشرين ألفاً .

ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون

لما هلك الناس في الطاعون كتب أُمَراءَ الأجناد إلى عمر بما في أيديهم من المواريث فجمع الناس وآستشارهم وقال لهم : « قد بدا لي أنْ أطوف على المسلمين في بُلْدَانِهِم لأنظر في آثارهم فأشيروا عليّ » .

---

(١) عبارة الطبري أوضح وهي (ثم قال لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ثم حلا به بناحية دون الناس فبينما الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس فقال ما شأن الناس فأخبر الخبر فقال عندي من هذا علم فقال عمر فأنت عندنا الأمين المصدق فماذا عندك قال سمعت الخ (م) .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري ١٦٨/٧ ، ١٦٩ ، ٣٤/٩ مسلم السلام ٩٨ ، ١٠٠ .

(٣) أي القتل بالرماح.

وفي القوم كعب الأحبار[١] ، وفي تلك السنة أسلم فقال كعب : « يا أمير المؤمنين بأيها تريد أن تبدأ ؟ قال : بالعراق . قال فلا تفعل فإنّ الشرّ عشرة أجزاء تسعة منها بالمشرق وجزء بالمغرب والخير عشرة أجزاء تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق . وبها قرن الشيطان وكل داءٍ عُضَال .

فقال عليّ : يا أمير المؤمنين : إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة وإنّها لَقُبَّةُ الاسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم إلا وَحَنّ إليها لينتصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط .

فقال عمر : إنّ مواريث أهل عمواس قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع ، فأتقلب في البلاد وأبدي إليهم أمري » .

فسار عن المدينة وآستخلف عليها عليّ بن أبي طالب واتخذ أيلة طريقاً ، فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه الناس قالوا : أين أمير المؤمنين ؟ قال : أمامكم . يعني نفسه فساروا أمامهم وانتهى هو إلى أيلة فنزلها ، وقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين إليها ونزلها فرجعوا [إليه] وأعطى عمر الأسقف بها قميصه وقد تخرّق ظهره ليغسله ، ويرقعه ففعل وأخذه ولبسه وخاط له الأسقف قميصاً غيره فلم يأخذه ، فلما قدم الشام قسّم الأرزاق وسمى الشواتي والصوائف ، وسد فروج الشام ومسالحها ، وأخذ يدورها ، واستعمل عبدالله بن قيس على السواحل من كل كورة ، واستعمل معاوية ، وعزل شرحبيل بن حَسَنة وقام يَعْذُرُهُ في الناس. وقال: «إنّي لم أعزله عن سخطة ولكني أريدُ رجلاً أقوى من رجل».

واستعمل عمرو بن عتبة[٢] على الأهراء . وقسم مواريث أهل عَمَوَاس فورث بعض الورثة من بعض وأخرجها إلى الأحياء من ورثة كل منهم ، وخرج الحارث بن

---

(١) هو كعب بن مانع الحميري أبو اسحاق المعروف بكعب الأحبار أدرك الجاهلية وأسلم في أيام أبي بكر وقيل أيام عمر روى عن النبي ﷺ مرسلاً وعن عمر وصهيب وعائشة .
ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام وقال كان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان .

(٢) في تاريخ الطبري عمرو بن عبسة .

هشام في سبعين من أهل بيته فلم يرجع منهم إلا أربعة ، ورجع عمر الى المدينة في ذي القعدة[1] .

ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس : لو أمرت بلالاً فأذّن . فأمره فَأَذَّن فما بقي أَحَدٌ [كان] أدرك النبي ﷺ وبلال يؤذن [له] إلاّ وبكىٰ حتى بَلَّ لحيته وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله ﷺ .

قال الواقدي : إنّ الرها ؛ وحرّان ، والرّقة فتحت هذه السنة على يد عياض بن غنم ، وإنّ عين الوردة ، وهي رأس عين فتحت فيها على يد عمير بن سعد ، وقد تقدم شرح فتحها .

وفي هذه السنة في ذي الحجة حول عمر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت .

وفيها استقضى عمر شريح بن الحارث الكندي على الكوفة ، وعلى البصرة كعب بن سور الأزدي ، وكانت الولاة على الأمصار الولاة [الذين كانوا عليها] في السنة قبلها .

وحج بالناس [في هذه السنة] عمر بن الخطاب .

---

(١) في الطبري أن عمر رضي الله تعالى عنه رجع إلى المدينة في ذي الحجة والذي يظهر أن ما هنا هو الصحيح لأن عمر حج في هذه السنة ولو كان في ذي الحجة لما أدرك الحج (م).

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال بعضهم : إنّ فتح جلولاء والمدائن كان [في] هذه السنة [على يدي سعد] وكذلك فتح الجزيرة وقد تقدم ذكر فتح الجميع والخلاف فيه .

وقيل فيها : كان فتح قيسارية على يد معاوية ، وقيل : سنة عشرين ، وقد تقدم أيضاً ذكر ذلك سنة ست عشرة :

وفي هذه السنة سالت حرة ليلى وهي قريب المدينة ناراً ، فأمر عمر بالصدقة فتصدق الناس فأنطفأت .

وحج بالناس هذه السنة عمر ، وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم .

وفيها قتل صفوان بن المعطل السلمي ، وقيل : بل مات سنة ستين آخر خلافة معاوية .

وفيها مات أبيّ بن كعب[1] وقيل : بل مات سنة عشرين ، وقيل : اثنتين وعشرين ، وقيل : اثنتين وثلاثين والله أعلم .

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد النجاريّ الأنصاري أبو المنذر وأبو الطفيل قال له النبي ﷺ إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال الله سمّاني لك قال نعم فجعل أبي يبكي توفي سنة ٢٢ وقيل سنة ٣٠ (أسد الغابة ١/٦٦ : ٦٣).

ثم دخلت سنة عشرين

ذكر فتح مِصر

قيل : في هذه السنة فُتحت مصر في قول بعضهم على يد عمرو بن العاص ، والاسكندرية أيضاً .

وقيل : فتحت الاسكندرية سنة خمس وعشرين ، وقيل : فتحت مصر سنة ست عشرة في ربيع الأول ، وبالجملة فينبغي أنْ يكون فتحها قبل عام الرَّمادة لأن عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر إلى المدينة والله اعلم ، وقيل : غير ذلك .

وأما فتحها فإنّه لما فتح عمر بيت المقدس وأقام به أياماً وأمضىٰ عمرو بن العاص إلى مصر وأتبعه الزبير بن العوام [مدداً له] فأخذ المسلمون بابليون[١] وساروا إلى مصر ، فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ، ومعه الأسقف بعثه المقوقس لمنع بلادهم ، فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم : لا تعجلونا حتى نعذر إليكم [وترون رأيكم بعد] ، وليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام ، فكفوا وخرجا إليه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية ، وأخبرهما بوصية النبي ﷺ بأهل مصر بسبب هاجر أم اسماعيل عليه السلام فقالوا: قرابةٌ بعيدة لا يصلُ مثلَها إلّا الأنبياء[٢]، آمِنّا حتى نرجع إليك .

فقال عمرو: مثلي لا يُخْدَع، ولكنني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا. فقالا : زدنا فزادهم يوماً. فرجعا إلى المقوقس [فهمّ] فأبىٰ ارطبون أنْ يجيبهما وأمر بمناهدتهم، فقال لأهل مصر: أمّا نحن فسنجهد أنْ ندفع عنكم [ولا نرجع إليهم]، فلم يفجأ عَمْراً إلا البيات وهو على عدة فلقوه فقتل أرطبون وكثير ممن معه وانهزم الباقون .

---

(١) هو اسم لموضع الفسطاط قيل معناه الفرقة الطيبة .

(٢) في الأصول إلى وهو غلط (م) .

وسار عمرو ، والزبير إلى عين الشمس وبها جمعهم وبعث إلى فَرَمَا[1] أبرهة بن الصباح [فنزل عليها] ، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية فنزل عليها ، قيل : وكان الاسكندر وفرما أخوين .

ونزل عمرو بعين الشمس فقال أهل مصر لملكهم : ما تريد إلا قتال قوم هزموا كسرىٰ وقيصر وغلبوهم على بلادهم ؟ فلا تعرض لهم ولا تعرِّضْنَا ، وذلك في اليوم الرابع .

[فأبى] ، وناهدوهم ، وقاتلوهم ، فلما آلتقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس وآقتتلوا جال المسلمون فذمرهم عمرو فقال له رجل من اليمن : إنّا لم نخلق من [حجارة ولا] حديد فقال له عمرو : اسكت إنما أنت كلب قال : فأنت أميرُ الكلاب .

فنادىٰ عمرو بأصحاب النبي ﷺ فأجابوه فقال : تقدموا فبكم ينصر الله [المسلمين] فتقدموا ، وفيهم أبو بردة ، وأبو برزة وتبعهم الناس وفتح الله على المسلمين وظفروا وهزموا المشركين ، فآرتقىٰ الزبير بن العوام سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم .

ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم فعقدوا صلحاً بعدما أشرفوا علىٰ الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة مجرىٰ الصلح فصاروا ذمة ، وأجروا مَنْ دخل في صلحهم من الروم والنوبة مجرى أهل مصر ومن اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه .

واجتمعت خيول المسلمين بمصر وبنوا الفسطاط ونزلوه .

وجاء أبو مريم وابو مريام إلى عمرو وطلبا منه السبايا التي أصيبت بعد المعركة فطردهما فقالا : كل شيء أصبتموه منذ فارقناكم إلى أنْ رجعنا إليكم ففي ذمة .

فقال عمرو لهما : أتغيرون علينا وتكونون في ذمة ؟ قالا : نعم .

فقسم عمرو بن العاص السبيَ علىٰ الناس ، وتفرّق في بلدان العرب ، وبعث

---

(١) هي بين العريش والفسطاط .

بالأخماس إلى عمر بن الخطاب ومعها وفد ، فأخبروا عمر بن الخطاب بحالهم كله وبما قال أبو مريم فردّ عمر عليهم سبي مَنْ لم يقاتلهم في تلك الأيام الأربعة وترك سبي من قاتلهم فردوهم .

وحضرت القبط باب عمرو وبلغ عَمْراً انهم يقولون : ما أرثّ العرب [وأهون عليهم انفسهم] ما رأينا مثلنا دان لهم ؟ فخاف أن يطمعهم ذلك فأمر بجُزُر[1] [فذبحت] فطبخت [بالماء والملح] ، ودعا أمراء الأجناد فأعلموا أصحابهم فحضروا عنده وأكلوا أكلاً عربياً ابتشكوا[2] وحشواوهم في العباء بغير سلاح فآزداد طمعهم ، وأمر المسلمين أنْ يحضروا الغد في ثياب [أهل] مصر وأحذيتهم[3] ففعلوا وأذن لأهل مصر فرأوا شيئاً غير ما رأوا بالأمس وقام عليهم القوّام بألوان مصر فأكلوا أكل أهل مصر [ونحوا نحوهم] فآرتاب القبط ، وبعث أيضاً إلى المسلمين تسلحوا للعرض غداً وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم : علمتُ حالكم حين رأيتم اقتصادَ العرب فخشيتُ أنْ تهلكوا فأحببتُ أنْ أُريكم حالهم في أرضهم كيف كانت ، ثم حالهم في أرضكم ، ثم حالهم في الحرب فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني[4] فأردتُ أن تعلموا أنّ ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجعٌ إلى عيش اليوم الأول .

فتفرقوا وهم يقولون : لقد رمتكم العرب برجلهم .

وبلغ عمر ذلك فقال : « والله إنّ حربه لمنية ، مالها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره » .

ثم إنّ عمراً سار إلى الإسكندرية وكان مَنْ بين الإسكندرية والفسطاط من الروم والقبط قد تجمعوا له وقالوا : نغزوه قبل أنْ يغزونا ويروم الأسكندرية فآلتقوا واقتتلوا فهزمهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وسار حتى بلغ الإسكندرية ، فوجد أهلها معدِّين لقتاله ، فأرسل المقوقس إلى عمرو يسأله الهدنة إلى مدة فلم يجبه إلى ذلك ، وقال :

---

(١) في الأصول جذور وهو غلط (م) .

(٢) أي أسرعوا .

(٣) في الأصول في باب مصر وأحديتهم وهو غلط صريح . (م) .

(٤) عبارة الطبري : وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني .

« لقد لقينا ملككم الأكبر هرقل ، فكان منه ما بلغكم » .

فقال المقوقس لأصحابه : صَدَق ، فنحن أولىٰ بالإذعان . فأغلظوا له في القول، وآمتنعوا، فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر، وفتحها عَمْرو عنوة، وغنم ما فيها وجعلهم ذمة.

وقيل: إنّ المقوقس صالح عَمْراً علىٰ اثني عشر ألف دينار على أنْ يخرج من الاسكندرية من أراد الخروج ويقيم من أراد القيام، وجعل فيها عَمْرو جنداً.

ولما فتحت مصر غزوا النوبة فرجع المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم فسموهم «رماة الحدق»، فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أيام عثمان [بن عفان] صالحهم على هدية عدة رؤوس [يؤدونها إلى المسلمين] في كل سنة ويهدي إليهم المسلمون كل سنة طعاماً مسمى وكسوة، وأمضى ذلك الصلح عثمان ومَنْ بعده من ولاة الأمور.

وقيل: إن المسلمين لما انتهوا إلى بلهيب، وقد بلغت سباياهم إلى اليمن أرسل صاحبهم إلى عمرو: « إنني كنتُ أُخرج الجزية إلى من هو أبغض إليّ منكم فارس والروم فإنْ أحببت الجزية على أنْ تردّ ما سبيتم من أرضي فعلت. فكتب عَمرو إلى عُمر يستأذنه في ذلك ورفعوا الحرب إلى أنْ يرد كتاب عمر، فورد الجواب من عمر « لعمري جزية قائمة [تكون لنا ولمن بعدنا] أحبّ إلينا من غنيمة تقسّم ثم كأنها لم تكن، وأما السبي فإنْ أعطاك ملكهم الجزية على أنْ تخيروا من في أيديكم منهم بين الاسلام ودين قومه، فمن اختار الاسلام فهو من المسلمين ومن آختار دين قومه فضع عليه الجزية، وأما من تفرق في البلدان فإنّا لا نقدر على ردهم فآفعل ».

فعرض عمرو ذلك على صاحب الاسكندرية فأجاب إليه، فجمعوا السبي، واجتمعت النصارى وخيروهم واحداً واحداً فمن اختار المسلمين كبروا، ومن اختار النصارى جزعوا عليه وسار عليه جزية حتى فرغوا.

وكان من السبي أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن فآختار الاسلام، وصار عريف زبيد. وكان ملوك بني أمية يقولون: إن مصر دخلت عنوة وأهلها عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ولم يكن كذلك.

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة أعني سنة عشرين غزا أبو بحرية عبد الله بن قيس أرض الروم وهو أول من دخلها فيما قيل، وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي فسبى وغنم.

وقيل: فيها عزل عمر قدامة بن مظعون من البحرين وحده في [شرب] الخمر، وآستعمل أبا بَكْرة [1] على البحرين واليمامة.

وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وفيها عزل عمر سعد بن أبي وقاص عن الكوفة لشكايتهم إياه، وقالوا: لا يحسن يصلي. وفيها قسّم عمر خيبر بين المسلمين وأجلىٰ اليهود عنها، وقسم وادي القرى. وفيها أجلى يهود نجران إلى الكوفة. وفيها بعث عمر علقمة بن مجزِز المدلجي إلى الحبشة وكانت تطرفت بلاد الاسلام فأصيب المسلمون فجعل عمر على نفسه أنْ لا يحمل في البحر أحداً أبداً يعني للغزو، وقيل: سنة إحدى وثلاثين.

(مجزز) بجيم وزايين الأولى مكسورة مشددة.

وفيها مات أُسَيْد بن حُضَيْر [في شعبان] (أُسَيْد) تصغير أسد، و (حُضَيْر) بالحاء المهملة المضمومة والضاد المفتوحة والراء. وفيها مات هرقل وملك ابنه قسطنطين. وفيها ماتت زينب بنت جحش ونزل في قبرها أسامة بن زيد، وابن أخيها محمد بن عبدالله بن جحش. وحج بالناس عمر.

وكان عماله على الأمصار من كان قبل هذه السنة إلا من ذكرت أنه عزله. وكان قضاته فيها القضاة في السنة قبلها.

---

(١) في الطبري: واستعمل أبا هريرة على البحرين واليمامة بدل أبي بكرة.
وأبو بكْرة هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي وهو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله ﷺ في بكرة فأسلم وكني أبا بكرة وأعتقه رسول الله ﷺ (والبكر الفتى من الإبل والانثى بكرة) وهو معدود من موالي النبي ﷺ وكان من فضلاء أصحاب رسول الله وصالحيهم وكان كثير العبادة حتى مات قال الحسن لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من عمران بن حصين وأبي بكرة توفي سنة ٥١.
(أنظر أسد الغابة ٣٨/٦ : ٣٩).

وفيها مات عِياض بن غَنْم (١). وهو الذي فتح الجزيرة، وهو أول من أجاز الدرب إلى الروم. وفيها مات بلال بن رباح (٢) مؤذن النبي ﷺ بدمشق، وقيل: بحلب. وفيها مات أُنَيْس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي(٣)، وله ولأبيه ولجده صحبة، وقتل أبوه في غزوة الرجيع. وفيها مات سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي(٤) شهد فتح خيبر، وكان فاضلاً، وكان على حمص حتىٰ مات، وقيل: مات سنة تسع عشرة، وقيل: سنة إحدى وعشرين، وعمره أربعون سنة. وفيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب(٥). وفيها ماتت صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ. وفيها قتل المُظَهِّر بن رافع الأنصاري قدم من الشام ومعه من علوج الشام فلما كان بخيبر أمرهم قوم من اليهود فقتلوه فاجلاهم عمر.

(المُظَهِّر) بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء وآخره راء مهملة.

---

(١) هو عياض بن غَنْم بن زهير بن أبي شداد القرشي أبو سعد له صحبة أسلم قبل الحديبية وشهدها ولما توفي أبو عبيدة استخلفه بالشام فأقرّه عمر وقال ما أنا بمبدل أميراً أمرّه أبو عبيدة وهو الذي فتح بلاد الجزيرة وصالحه أهلها وهو أول من أجاز الدرب.
توفي سنة ٢٠.
(انظر أسد الغابة ٤/٣٢٧ ـ ٣٢٩).

(٢) هو بلال بن رباح أبو عبد الكريم من مولدي مكة لبني جمح ومولى أبي بكر شهد بدراً والمشاهد كلها وكان من السابقين إلى الإسلام وممن يعذب في الله تعالى فيصبر على العذاب توفي سنة ١٧ وقيل سنة ٢٠.
(انظر أسد الغابة ١/٢٤٣ : ٢٤٥).

(٣) أنيس بن مرسد بن أبي مرسد الغنوي ويقال أنس والأول أكثر أبو زيد شهد فتح مكة وحنين وكان عين النبي ﷺ يوم حنين بأوطاس توفي سنة ٢٠ (انظر أسد الغابة ١/١٥٩ : ١٦٠).

(٤) هو سعيد بن عامر بن حزين بن سلامان بن ربيعة الجمحيّ أسلم قبل خيبر وهاجر إلى المدينة وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد وكان من زهاد الصحابة وفضلائهم ووعظ عمر بن الخطاب يوماً فقال له: ومن يقوى على ذلك قال أنت يا أمير المؤمنين.
ولاه عمر حمص توفي سنة ١٩.
(انظر أسد الغابة ٢/٣٩٣ : ٣٩٤).

(٥) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة كان من الشعراء المطبوعين حضر مع الرسول الفتح وشهدا حنيناً فأبلى فيها بلاءاً حسناً وهو معدود في فضلاء الصحابة روي أنه لما حضرته الوفاة قال لا تبكو عليّ فإني لم أنتطف (أي لم أصب) بخطيئة منذ أسلمت.
توفي سنة ٢٠.
(انظر أسد الغابة ٦/١٤٤ ـ ١٤٧).

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

ذكر وقعة نَهَاوَنْد (١)

قيل: فيها كانت وقعة نهاوند، وقيل: كانت سنة ثمان عشرة، وقيل سنة تسع عشرة.

وكان الذي هيّج أمر نهاوند أنّ المسلمين لما خلصوا جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الأهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو بمرو فحركوه، وكاتب الملوك من بين الباب، والسند، وخراسان، وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا إلى نهاوند، ولما وصلها أوائلهم بلغ سعداً الخبر فكتب إلى عمر [بذلك] وثار بسعد قومٌ سعوا به وألّبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس، وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سنان الأسدي في نفر فقال لهم عمر: والله ما يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم.

فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس، وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكىٰ زمان عمر، فطاف بسعد علىٰ أهل الكوفة يسأل عنه، فمما سأل عنه جماعةً إلّا أثنوا عليه خَيْراً سوىٰ مَنْ مالأ الجراح الأسدي فإنهم سكتوا ولم يقولوا: سُوءاً ولا يسوغ لهم [ويتعمدون ترك الثناء]، حتى انتهى إلى بني عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة: « اللهم إنّه لا يقسّم بالسوية، ولا يعدل في القضية، ولا يغزو في السرية ».

فقال سعد: « اللهم إنْ كان قالها رياءً وكذباً وسمعةً فأعم بصره وأكثر عياله، وعرّضه لمضلات الفتن ». فعمي، واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسُّها فإذا عثر عليه قال: دعوةُ سعد الرجل المبارك.

---

(١) نَهَاوَنْد: مدينة عظيمة في همذان ببلاد فارس، وهي أقدم مدينة في الجبل، وكان في وسطها حصن عجيب البناء.

ثم دعا سعد علىٰ أولئك النفر فقال: « اللهم إن كانوا خرجوا أشراً وبطراً ورياءً فآجهد بلادهم فجهدوا، وقُطِّع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن علي عليه السلام ليغتاله بساباط، وشُدخ قبيصة بالحجارة، وقُتل أربد بالوج. وبنعال السيوف»[١].

وقال سعد: « إنّي أول رجل أهراق دماً من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه وما جمعهما لأحدٍ قبلي. ولقد رأيتُني خمس الإسلام وبنو أسد تزعم أنّي لا أحسن أصلي، وأنّ الصيد يلهيني »!

وخرج محمد بسعد وبهم معه إلى المدينة فقدِموا علىٰ عمر فأخبروه الخبر فقال: كيف تصلي يا سعد؟.

قال: أطيل الأوليين واحذف الآخريين. فقال: هكذا الظن بك يا أبا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا. وقال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟

فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقرّه فكان سبب نهاوند وبعثها زمن سعد.

وأمّا الوقعة فهي زمن عبد الله فنفرت الأعاجم بكتاب يزدجرد فآجتمعوا بنهاوند علىٰ الفيرزان في خمسين ألفاً ومائة ألف مقاتل، وكان سعد كتب إلىٰ عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه، وقال له: «إنّ أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح وأن يبدأوهم بالشدة ليكون أهيب لهم علىٰ عدوهم».

فجمع عمر الناس واستشارهم، وقال لهم: « هذا يومٌ له ما بعده، وقد هممتُ أنْ أسيرَ فيمن قِبَلي ومَنْ قدرتُ عليه فأنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين ثم أستنفرهم وأكون لهم رِدْءاً حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب فإنْ فتح الله عليهم صببتُهم في بلدانهم ».

فقال طلحة بن عبيد الله: يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الأمور، وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك ورأيك لا ننبو في يديك ولا نكل عليك إليك هذا الأمر فَمُرْنا نطع وادعنا نجب وآحملنا نركب و[وفدنا نفد] وقُدْنا ننقد، فإنّك وليُّ هذا

---

(١) يقال: وجأهُ بالسكين والسيف: ضربه به.
ونعل السيف: حديدة توضع في أسفل جفن السيف.

الأمر وقد بلوتَ وجربتَ وآختبرتَ فلم ينكشف شيءٌ من عواقب قضاء الله لك إلاّ عن خيارهم.

ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال: أرىٰ يا أمير المؤمنين أنْ تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يَمَنِهِم ثم تسيرُ أنت بأهل [هذين] الحَرَمَيْن إلى الكوفة والبصرة فتلقىٰ جمع المشركين بجمع المسلمين فإنّك إذا سرتَ [بمن معك] قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنتَ أعز عزاً وأكثر، يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي بعد نفسك من العرب باقية ولا تمنع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز إنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك، ولا تغب عنه. وجلس.

فعاد عمر [فقال: إنّ هذا يومٌ له ما بعده من الأيام فتكلموا].

فقام إليه علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين فإنّك إنْ أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الرومُ إلى ذراريهم، وإنْ اشخصتَ أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشةُ إلىٰ ذراريهم، وإنك إنْ أشخصتَ من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكونَ ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات.

أقررِ هؤلاء في أمصارهم وآكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فِرَق فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقةٌ إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم، إنّ الأعاجم إنْ ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير المؤمنين أمير العرب وأصلها فكان ذلك أشد لكلبهم عليك. وأمّا ما ذكرت من مسير القوم فإنّ الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما [ما ذكرتَ مِنْ] عددهم **فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضىٰ بالكثرة ولكن بالنصر.**

فقال عمر: هذا هو الرأي كنتُ أحبُ أنْ أتابع عليه، فأشيروا عليّ برجلٍ أولّيه [ذلك الثغر]. وقيل: إنّ طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام والله أعلم.

فلما قال عمر: أشيروا عليّ برجل أولّيه ذلك الثغر وليكن عِرَاقيّاً فقالوا: أنت أعلم بجندِك وقد وفدوا عليك [ورأيتهم وكلّمتهم].

فقال: والله لأوَلِّيَنَّ أمرهم رجلاً يَكون أول الأسنة إذا لقيها غداً. فقيل: من هو؟ فقال: هو النعمان بن مقرّن المزني. فقالوا: هو لها.

وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جند يسابور، والسوس، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى ماه لتجتمع الجيوش عليه، فإذا اجتمعوا إليه سار بهم إلى الفيرزان ومن معه.

وقيل بل كان النعمان [عاملاً] بكسكر فكتب إلى عمر يسأله أنْ يعزله ويبعثه إلى جيش من المسلمين، فكتب إليه عمر يأمره بنهاوند فسار، فكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان أسرعهم إلى ذلك الروادف ليبلوا في الدين وليدركوا حظاً، فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرّن حتى قدموا علىٰ النعمان، وتقدم عمر إلى الجند الذين كانوا بالأهواز ليشغلوا فارساً عن المسلمين وعليهم المقترب، وحرملة، وزر فأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا أمداد فارس عن أهل نهاوند، وآجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان، وابن عمر، وجرير بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم. فأرسل النعمان طليحة بن خويلد، وعمرو بن معد يكرب، وعَمْرو بن ثنى ـ وهو ابن أبي سلمى ـ ليأتوه بخبرهم وخرجوا وساروا يوماً إلى الليل فرجع إليه عمرو بن ثنى فقالوا: ما رجعك؟ فقال: لم أكن في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها.

ومضى طليحة. وعمرو بن معد يكرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا: ما رجعك؟ قال: سرنا يوماً وليلة ولم نر شيئاً [وخفتُ أنْ يؤخذ علينا الطريق] فرجعتُ، ومضىٰ طليحة [ولم يحفل بهما] حتى آنتهى إلى نهاوند وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخاً فقال الناس: آرتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم [وآطّلَع علىٰ الأخبار] ورجع، فلما رأوه كبروا فقال: ما شأنكم؟ فأعلموه بالذي خافوا عليه، فقال: والله لو لم يكن دين إلا العربي ما كنت لاجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة. فأعلم النعمان أنه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد.

فرحل النعمان وعبى [١] أصحابه وهم ثلاثون ألفاً، فجعل علىٰ مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، وقد توافت إليه أمداد المدينة، فيهم المغيرة بن شعبة فآنتهوا إلى اسبيذهان والفرس وقوف علىٰ تعبيتهم، وأميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق، وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب، وقد توافى اليهم الأمداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم.

فلما رآهم النعمان كبرّ وكبر معه الناس فتزلزلت الأعاجم وحطت العرب الأثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر أشرافُ الكوفة فضربوه منهم حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة، وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب، وجرير بن عبد الله البجلي، والأشعث بن قيس، وسعيد بن قيس الهمداني، ووائل بن حجر، وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء.

وأنشب النعمان القتال بعد ما حط الاثقال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وأنهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة، وحصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج فخاف المسلمون أنْ يطول أمرهم حتىٰ إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من المسلمين [فتكلموا] وقالوا: نراهم علينا بالخيار. وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروي في الذي رووا فيه فأخبروه [فقال: على رِسْلِكم، لا تبرحوا]. فبعث إلى من بقي من أهل النجدات والرأي فأحضرهم فتكلم النعمان فقال: قد ترون المشركين وآعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وأنهم لا يخرجون إلينا إلاّ إذاشاؤوا ولا يقدر المسلمون على إخراجهم، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق، فما الرأي الذي به نستخرجهم إلى المناجزة وترك التطويل؟

فتكلم عمرو بن ثنى وكان أكبر الناس [يومئذ سناً] وكانوا يتكلمون على الأسنان فقال: التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتِل من أتاك منهم. فردوا عليه رأيه. وتكلم عمرو بن معد يكرب فقال: ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم. فردوا جميعاً عليه رأيه وقالوا: إنما يناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا.

---

(١) عبأ.

وقال طليحة: أرىٰ أنْ نبعث خيلاً لينشبوا القتال فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا آستطراداً فإنا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم فإذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب.

فأمر النعمان القعقاع بن عمرو ـ وكان على المجردة ـ فأنشب القتال [بعد آحتجاز من العجم] فأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أنْ لا يفرُّوا وقد قرن بعضهم بعضاً كل سبعة في قران وألقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا، فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الأعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا: هي هي. فلم يبق أحدٌ إلا من يقوم على الأبواب وركبوهم، ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون علىٰ تعبية في يوم جمعة صدر النهار، وقد عهد النعمان إلىٰ الناس عهده وأمرهم أنْ يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي. وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح وشكا بعض الناس [ذلك إلى بعض] وقالوا للنعمان: ألا ترىٰ ما نحن فيه فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم.

فقال: رويداً رويداً. وآنتظر النعمان بالقتال أحب الساعات كانت إلى رسول الله ﷺ أن يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال [وتفيؤ الأفياء ومهب الرياح]، فلما كان قريباً من تلك الساعة ركب فرسه، وسار في الناس ووقف على كل راية يذكِّرهم ويحرّضهم ويمنّيهم الظفر وقال لهم: إني مكبّر ثلاثاً فإذا كبرتُ الثالثة فإني حاملٌ إنْ شاء الله فآحملوا وإنْ قتلتُ فالأمير بعدي حذيفة، فإن قتل ففلان حتى عَدّ سبعة آخرهم المغيرة. ثم قال: اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، وآجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

وقيل: بل قال: اللهم إنّي أسألك أنْ تقر عيني اليوم بفتحٍ يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيداً.

فبكىٰ الناسُ ورجع إلىٰ موقفه فكبر ثلاثاً والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته آنقضاض العقاب والنعمان معلّم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها وما

كان يسمع إلا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبراً عظيماً، وانهزم الأعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق أرض المعركة دماً يزلق الناس والدواب فيه، فلما أقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيداً زَلَق به فرسه فصرع.

وقيل: بل رمِيَ بسهمٍ في خاصرته فقتله، فسجّاه أخوه نعيم بثوب، وأخذ الراية [قبل أنْ تقع] وناولها حذيفة، فأخذها وتقدم إلىٰ موضع النعمان وترك نعيماً مكانه. وقال لهم المغيرة: « ٱكتُمُوا مصابَ أميركم حتىٰ ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس ». فاقتتلوا، فلما أظلم الليل عليهم ٱنهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون، وعمي عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا [نزلوا] دونه باسبيذهان فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعضهم في قياد واحد فيقتلون جميعاً وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة ألف أو يزيدون سوىٰ مَنْ قتل في المعركة. وقيل: قتل في اللهب ثمانون ألفاً، وفي المعركة ثلاثون ألفاً سوىٰ من قتل في الطلب، ولم يفلت إلاّ الشريد، ونجا الفيرزان من [بين] الصرعى فهرب نحو همذان [في ذلك الشريد] فٱتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع قدامه فأدركه بثنيّة همذان وهي إذْ ذاك مشحونةمن بغال وحمير موقرة عسلاً، فحبسه الدواب علىٰ أجله، فلما لم يجد طريقاً نزل عن دابته وصعد في الجبل فتبعه القعقاع راجلاً فأدركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا: إنّ لله جنوداً من عسل، واستاقوا العسل وما معه من الأحمال وسميت الثنية « ثنية العسل ».

ودخل المشركون همذان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها، فلما رأىٰ ذلك خسروشنوم استأمنهم، ولما تمّ الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل: « هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة »، فٱتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة، واحتووا ما فيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من الأسلاب والأثاث، وجمعوا إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع وانتظر من بنهاوند ما يأتيهم من إخوانهم الذين على همذان مع القعقاع، ونعيم فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال: أتؤمنني ومَنْ شئتُ على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان؟

قال: نعم. فأحضر جوهراً نفيساً في سفطين فأرسلهما مع الأخماس إلىٰ عمر،

وكان حذيفة قد نفل منها وأرسل الباقي مع السائب بن الأقرع الثقفي وكان كاتباً حاسباً أرسله عمر إليهم وقال له: إنْ فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيأهم، وخُذْ الخمس، وإنْ هلك هذا الجيش فآذهب فبطن الأرض خير من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح الله على المسلمين وأحضر الفارسي السفطين اللذين أودعهما عنده النخيرجان فإذا فيهما اللؤلؤ، والزبرجد، والياقوت، فلما فرغت من القسمة آحتملتهما معي وقدمتُ على عمر، وكان قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الأخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع إلىٰ المدينة ليلاً فمرّ به راكب فسأله من أين أقبل؟

فقال: من نهاوند. وأخبره بالفتح وقَتْل النعمان، فلما أصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة، فبلغ الخبر عمر فسأله فأخبره فقال: ذلك بريد الجن.

ثم قدم البريد بعد ذلك فأخبره بما يسرّه ولم يخبره بقتل النعمان. قال السائب: فخرج عمر من الغد يتوقع الأخبار قال: فأتيته فقال: ما وراءك؟ فقلت: خيراً يا أمير المؤمنين فتح اللّهُ عليك وأعظم الفتح، وآستشهد النعمان بن مقرّن فقال عمر: إنّا لله وإنا إليه راجعون. ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده قال: فلما رأيتُ ذلك وما لقي قلتُ: يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه.

فقال: أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يضنع أولئك بمعرفة عمر، ثم أخبرته بالسفطين فقال: أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما وآلحق بجندك قال: ففعلتُ وخرجتُ سريعاً إلىٰ الكوفة وبات عمر، فلما أصبح بعث في أثري رسولاً، فما أدركني حتى دخلتُ الكوفة فأنختُ بعيري وأناخ بعيره علىٰ عرقوبي بعيري فقال: آلحق بأمير المؤمنين فقد بعثني في طلبك، فلم أقدر عليك إلا الآن.

قال: فركبتُ معه فقدمتُ علىٰ عمر فلما رآني قال: إليّ، مالي وللسائب. قلت: ولماذا؟ قال: ويحك والله ما هو إلا أن نمتُ الليلة التي خرجتَ فيها فباتت الملائكة تسحبني إلىٰ [ذينك] السفطيْن يشتعلان ناراً فيقولون: لنكوينّك بهما، فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين، فخذهما عني [لا أبالك وآلحق بهما] فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم. قال: فخرجتُ بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة [وغشيني

التجار] فآبتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف درهم، ثم خرج بهما إلىٰ أرض الأعاجم فباعهما بأربعة الآف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالاً بعد.

وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين.

ولما قدم سبي نهاوند المدينة جعل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكىٰ وقال له: أكل عمر كبدي. وكان من نهاوند فأسرته الروم [أيام فارس] وأسره المسلمون من الروم بعد فنسب إلىٰ حيث سبي. وكان المسلمون يسمُّون فتح نهاوند « فتح الفتوح » لأنه لم يكن للفرس بعده آجتماع ومَلَكَ المسلمون بلادهم.

ذكر فتح الدِّيْنَور (١) والصَّيْمَرَة (٢) وغيرهما

لما انصرف أبو موسىٰ من نهاوند وكان قد جاء مدداً علىٰ بعث أهل البصرة فمر بالدِّيْنَور فأقام عليها خمسة أيام وصالحه أهلها علىٰ الجزية ومضىٰ فصالحه أهل شِيْرَوَان على مثل صلحهم؛ وبعث السائب بن الأقرع الثقفي إلى الصيمرة (مدينة مهرجان قذق) ففتحها صلحاً، وقيل: إنه وجه السائب من الأهواز ففتح ولاية مهرجان قذق.

ذكر فتح هَمَذَان (٣) والماهين وغيرهما

لما انهزم المشركون دخل من سَلِمَ منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرّن، والقعقاع بن عمرو، فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على أنْ يضمن منهم همذان، ودستبي وأنْ لا يؤتى المسلمون منهم فأجابوه إلىٰ ذلك وأمَّنوه ومَنْ معه من الفرس، وأقبل كلُّ من كان هرب.

وبلغ الخبر [أهل] الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها فآقتدوا بخسروشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا، وأجمعوا علىٰ القبول، وأجمعوا علىٰ إتيان حذيفة فخدعهم دينار ـ وهو أحد أولئك الملوك وكان أشرفهم قارن وقال: لا تلقوهم في جمالكم ففعلوا وخالفهم فأتاهم في الديباج والحليّ فأعطاهم حاجتهم، واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدأ من متابعته والدخول في أمره، فقيل: ماه دينار لذلك.

وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهراذان علىٰ مثل ذلك فنسبت إلى بهراذان،

---

(١) الدِّيْنَوَر : بكسر أوله ويفتح مدينة من أعمال الجبل ببلاد فارس .

(٢) صَيْمَرَة : بلدة بين ديار الجبل وديار خوزستان بفارس.

(٣) هَمَذَان ـ بالتحريك ـ : مدينة من الجبال أعذبها ماءً وأطيبها هواءً وهي أكبر مدينة بها .

وكان قد وكل للنُّسَيْر بن ثور بقلعة قد لجأ إليها قومٌ فجاهدهم فٱفتتحها فنُسبت إلى النسير وهو تصغير نسر.

قيل: دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال: يا أهل الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان، ثم تغيرتم وفَشَت فيكم خصال أربع: بخل، وخَبٌّ [1]، وغدر، وضِيْق ولم يكن فيكم واحدة منهن. وقد رمقتُكم فرأيتُ ذلك في مولديكم فعلمتُ مِنْ أين أُتيتُم، فإذا الخب مِنْ قِبَل النبط، والبخل من قبل فارس، والغَدْر من قبل خراسان، والضيق من قبل الأهواز.

ذكر دخول المسلمين بلاد الأعاجم

وفيها أمر عمر المسلمين بالانسياح في بلاد العجم وطلب الفرس أين كانوا، وقيل: كان ذلك سنة ثمان عشرة وقد تقدم ذكره.

وسبب ذلك ما كان من يزدجرد وبعثه الجنود مرة بعد أخرى، فوجَّه الأمراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد وعمل عمار بن ياسر أميران، أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفي زمانه كانت وقعة نهاوند، والآخر زياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي، وفي زمانه أمر بالانسياح وعزل عبد الله وبعث في وجه آخر، وولى زياد وكان من المهاجرين فعمل قليلاً وألَحَّ في الاستعفاء فأعفاه عمر، وولى عمار بن ياسر وكتب معه إلى أهل الكوفة: «إنِّي بعثتُ عماراً أميراً، وجعلتُ معه ابن مسعود مُعَلِّماً، وكان ابن مسعود بحمص فسيَّره عمر إلى الكوفة وأمدّ أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله وأمد أهل الكوفة بأبي موسى.

وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصلح فبعث عمر لواء إلى نعيم بن مقرن وأمره بقصد همذان فإذا فتحها سار إلى ما وراء ذلك إلىٰ خراسان، وبعث عتبة بن فرقد، وبكير بن عبد الله إلى أذربيجان [وفرقها بينهما] يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل، وبعث عبد الله بن عبد الله إلى أصبهان وأمر عمر بن سراقة على البصرة.

* * *

---

(١) الخَبّ: الخداع والغش.

ذكر فتح أَصْبَهَان [١]

وفيها بعث عمر إليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعاً من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار حليفاً لبني الحبلى [من بني اسد] وأمدّه بأبي موسىٰ، وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحي، وعصمة بن عبد الله، فساروا إلى نهاوند ورجع حذيفة إلىٰ عمله على ما سقتْ دجلة وما وراءها.

وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان، وعلى جندها الاستندار، وعلى مقدمته شهربراز بن جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم [فآلتقى المسلمون]. ومقدمة المشركين برستاق لاصبهان فآقتتلوا قتالاً شديداً ودعا الشيخ إلى البِرَاز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحي فقتله وآنهزم أهل أصبهان فسمي ذلك الرستاق رستاق الشيخ إلىٰ اليوم وصالحهم الاستندار على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان، ثم سار عبد الله إلى مدينة جَيّ [٢] وهي مدينة أَصْبَهَان فآنتهى إليها والملك بأصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس علىٰ جَيّ وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وأنّ علىٰ مَنْ أقام الجزية وأقام علىٰ ماله وأنْ يجري مَنْ أخذت أرضه عنوة مجراهم، ومَنْ أبىٰ وذهب كان لكم أرضه.

وقدم أبو موسىٰ علىٰ عبد الله من ناحية الأهواز وقد صالح فخرج القوم من جَيّ ودخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلاً من أهل أصبهان [خالفوا قومهم وتجمّعوا و] لحقوا بكرمان.

ودخل عبد الله، وأبو موسى جَيّاً، وكتب بذلك إلىٰ عمر فقدم كتاب عمر إلىٰ عبدالله أَنْ سِرْ حتى تقدم علىٰ سُهَيل بن عدي فتكون معه على قتال مَنْ بكرمان، فسار وآستخلف علىٰ أصبهان السائب بن الأقرع ولحق بسهيل قبل أنْ يصل إلىٰ كرمان.

قيل: وقد روي عن معقل بن يسار أن الأمير كان على الجند الذين فتحوا أصبهان النعمان بن مقرن وأنّ عمر أرسله من المدينة إلىٰ أصبهان وكتب إلىٰ أهل الكوفة أنْ يمدّوه، فسار إلى أصبهان وبها ملكها ذو الحاجبين فأرسل إليه المغيرة بن شعبة وعاد

---

(١) أَصْبَهَان ـ وتكسر الهمزة ـ، ويقال لها أيضاً «أصفهان» ـ: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره بلاد فارس.

(٢) جَيّ: بفتح ثم تشديد اسم مدينة أصبهان القديم ثم خربت بعد ذلك.

من عنده فقاتلهم وقتل النعمان ووقع ذو الحاجبين عن دابته فانشقّت بطنه وآنهزم أصحابه.

قال معقل: فأتيت النعمان وهو صريع فجعلت عليه عَلَماً، فلما آنهزم المشركون أتيته ـ ومعي أداوة فيها ماء ـ فغسلتُ عن وجهه التراب فقال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم. قال: الحمدُ لله. ومات، هكذا في هذه الرواية، والصحيح أنّ النعمان قتل بنهاوند وافتتح أبو موسى قم وقاشان.

ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة

وفيها وَلّى عمر عمار بن ياسر على الكوفة، وابن مسعود علىٰ بيت المال، [وعثمان ذي النورين علىٰ مساحة الأرض] فشكا أهلُ الكوفة عَمّاراً فآستعفىٰ عمارٌ عمرَ بن الخطاب فولّىٰ عمر جبير بن مطعّم الكوفة وقال له: « لا تذكره لأحد ». فسمع المغيرة بن شعبة أنّ عمر خلا بجبير فأرسل آمرأته إلى آمرأة جبير بن مطعّم لتعرض عليها طعام السفر ففعلت فقالت: نِعْم ما حييتني به. فلما علم المغيرة جاء إلى عمر فقال له: بارك الله لك فيمن وليت [(١)] وأخبره الخبر فعزله، وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر.

وقيل: إنّ عماراً عزل سنة اثنتين وعشرين وولى بعده أبو موسى، وسيرد ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

قيل: وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري فافتتح زَوِيْلَة [(٢)] صلحاً وما بين بَرْقَة، وزويلة سلم للمسلمين، وقيل: سنة عشرين.

وكان الأمراء في هذه السنة عمير بن سعد على دمشق، وحوران، وحمص،

---

(١) عبارة الطبري: (فرجع إلى امرأته فقال: اذهبي الى امرأة جُبَيْر بن مُطعِّم فاعرضي عليها طعاماً. فأتتها فعرضت عليها، فاستعجمت عليها، ثم قالت: نعم فَجيئيني به.
فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر فقال: بارك الله لك فيمن وليت.
قال: فمن وليتُ! فأخبره أنه وَلّى جبير بن مطعِّم. فقال عمر: لا أدري ما أصنع. . . .).

(٢) زَوِيْلَة: بَلَدَان بالمغرب أحدهما زويلة السودان، والأخرى غير مشهورة، وسط الصحراء.

وقنسرين، والجزيرة، ومعاوية على البلقاء، والأردن، وفلسطين، والسواحل. وانطاكية، وقلقية، ومعرة مصرين وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة علىٰ قلقية، وانطاكية، ومعرة مصرين.

وفيها ولد الحسن البصري [1]، [وعامر] الشَّعبِي[2].

وحج بالناس عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت، وكان عامله على مكة، والطائف، واليمن، واليمامة، ومصر، والبصرة من كان قبل ذلك.

وكان على الكوفة عمار بن ياسر، وشريح على القضاء.

وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثاً إلى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدي، فقتل الجارود بعقبة تعرف بعقبة الجارود، وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان. وفيها مات حممة وهو من الصحابة [3] بأصبهان بعد فتحها، والعلاء بن الحضرميّ [4] وهو على البحرين فاستعمل عمر مكانه أبا هريرة. وفيها مات خالد بن الوليد بحمص[5] وأوصى إلى عمر بن الخطاب، وقيل: مات سنة ثلاث وعشرين، وقيل: مات بالمدينة والأول أصح.

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصريّ، أبو سعيد مولى الأنصار (٢١ - ١١٠) = (٦٤٢ - ٧٢٨ م) زاهد مشهور بالبصرة، من التابعين، سمع سبعين من أهل بدر وأكثر عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(انظر : التهذيب ٢/٢٦٣ - الحلية ٢/١٣١ - . . .).

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشَّعْبِيّ، الحميريّ، أبو عمرو، الكوفيّ، من شَعب هَمْذان (٢٠ - ١٠٩).
من التابعين أدرك خمسمائة من الصحابة. قال فيه الحسن البصري : « كان والله كثير العلم، عظيم الحلم. قديم السلم، مِنْ الإسلام بمكان.
(انظر : التهذيب ٥/٦٥ - الحلية ٤/٣١٠ - . . .).

(٣) هو حُمَمَة بن أبي حمية الدَّوسي صحب النبي ﷺ. وتوفي بأصبهان.

(٤) هو العلاء بن الحضرمي - عبدالله - بن عباد بن أكبر بن ربيعة، من حضرموت، وَلَّاهُ النبي ﷺ البحرين وتوفي وهو عليها،، وأقره أبو بكر وعمر حتى توفي في خلافته، واختلف في سنة وفاته فقيل ١٤ وقيل سنة ٢١، وكان العلاء مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات دعا بها، ولما قتل أهل الردة بالبحرين كان له في قتالهم أثر كبير.

(٥) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ القرشيّ، أبو سليمان سيف الله، وأحد الشجعان المشهورين، لم يقهر في جاهلية ولا إسلام، أسلم سنة ثمان هجرية، وشهد مؤته وانتهت إليه الإمارة بها، وتوفي بحمص، وقيل بالمدينة، وقيل دفن بقرية على بُعْد ميل من حمص.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

في هذه السنة افتتحت أَذَرْبِيْجَان، وقيل. سنة ثمان عشرة بعد فتح همذان، والري، وجرجان، فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثم نذكر أذربيجان بعدها.

ذكر فتح هَمَذَان ثانياً

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن إلى همذان وفتحها على يده وبد القعقاع بن عمرو، فلما رجعا عنها كفر أهلَهَا مع خسروشنوم فلما قدم عهد نعيم من عند عمر وَدَّع حذيفة وسار يريد همذان، وعاد حذيفة إلى الكوفة فخرج نعيم بن مقرن علىٰ تعبية إلى همذان فٱستولىٰ علىٰ بلادها جميعاً وحاصرها، فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية، وقد قيل: ان فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر.

فبينما نعيم بهمذان في إثني عشر ألفاً من الجند كاتب الديلم، وأهل الري أذربيجان إذ خرج موتا في الديلم حتى نزل بواج روذ، وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الري، وأقبل اسفنديار أخو رستم في أهل أذربيجان فٱجتمعوا وتحصّن منهم أمراء المسالح وبعثوا إلى نعيم بالخبر فٱستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج إليهم فٱقتتلوا بواج روذ قتالاً شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فٱنهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يُحْصَوْن فأرسلوا إلى عمر مبشراً فأمر عمر نعيماً بقصد الري وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها.

وقيل: إن المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله إلى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم. فقال: «احتسبتها عند الله الذي زَيَّنَ بها وجهي وَنَوَّر لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله». ثم فتحها علىٰ مِثْل صلح نهاوند وغلب

علىٰ أرضها قسراً، وقيل. كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته، وقيل: فتحها قرظة بن كعب الأنصاري.

ذكر فتح قَزْوِيْن(١) وزَنْجَان(٢)

لما سيّر المغيرة جريراً إلى همذان ففتحها سيّر البراء بن عازب في جيش إلى قزوين وأمره أنْ يسير إليها فإنْ فتحها غزا الديلم منها وإنما كان مغزاهم قبل من دستبي، فسار البراء حتى أتى أبهر - وهو حصن - فقاتلوه ثم طلبوا الأمان فأمّنهم وصالحهم، ثم غزا قزوين، فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا إلى الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم، ووصل المسلمون إليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وُقُوفٌ علىٰ الجبل لا يمدون يداً، فلما رأىٰ أهلُ قزوين ذلك طلبوا الصلح علىٰ صلح أبهر، وقال بعض المسلمين:

قد علم الديلم إذْ تحارب ... حين أتىٰ في جيشه ابن عازب
بأنّ ظن المشركين كاذب ... فكم قطعنا في دجى الغياهب

من جبل وعر ومن سباسب

وغزا البراء الديلم حتى أدُّوا إليه الاتاوة، وغزا جيلان، والطيلسان وفتح زنجان عنوة، ولما ولي الوليد بن عقبة الكوفة غزا الديلم، وجيلان، وموقان، والبير، والطيلسان ثم آنصرف.

ذكر فتح الرَّيّ(٣)

ثم انصرف نعيم من بواج روذ حتى قدم الري وخرج الزينبي أبو الفرخان من الريّ فلقي نعيماً طالباً الصلح ومسالماً له ومخالفاً لملك الريّ وهو سياوخش بن مرهان بن بهرام جوبين، فآستمد سياوخش أهل دُنْباوند، وطبرستان، وقومس، وجرجان فأمدُّوه خوفاً من المسلمين فآلتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري إلى جنب مدينتها فآقتتلوا به، وكان الزينبيّ قال لنعيم: إنّ القوم كثير وأنت في قلة فآبعث معي خيلاً أدخل بهم

---

(١) قَزْوين: مدينة مشهورة ببلاد فارس بينها وبين الريّ سبعة وعشرون فرسخاً.
(٢) زَنْجَان: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بفارس قريب من أبهر وقزوين.
(٣) الرَّيّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن بفارس، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً.

مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلاً من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم وبيَّتهم نعيم بياتاً فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير مِنْ ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عدواً بالقصب فيها وأفاء الله على المسلمين بالري نحواً من في المدائن وصالحه الزينبي على الري ومرزبه عليهم نعيم[1] فلم يزل شرف الري في أهل الزينبي، [الأكبر ومنهم شهرام، وفرخام، وسقط آل بهرام]، وأخرب نعيم مدينتهم وهي التي يقال لها «العتيقة»، وأمر الزينبي فبنى مدينة الريّ الحدثي، وكتب نعيم إلى عمر بالفتح وانفذ الأخماس وكان البشير المضارب العجلي وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدي به منه علىٰ دنباوند فأجابه إلى ذلك. وقد قيل: إن فتح الري كان على يد قرظة بن كعب، وقيل: كان فتحها سنة إحدى وعشرين، وقيل غير ذلك والله أعلم.

ذكر فتح قُوْمِس[2] وجُرْجَان[3] وطَبِرِسْتَان[4]

لما أرسل نعيم إلى عمر بالبِشارة وأخماس الري كتب إليه عمر يأمره بإرسال أخيه سويد بن مقرِّن ومعه هند بن عمرو الجملي وغيره إلى قُوْمِس، فسار سويد نحو قومس فلم يقم له أحد فأخذها سِلْماً وعسكر بها وكاتبه الذين لجأوا إلى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فأجابهم إلى الصلح والجزية، وكتب لهم بذلك، ثم سار سويد إلى جُرْجَان فعسكر بها ببسطام، وكتب إلى ملك جرجان وهو زرنان صول[5] وكاتبه زرنان صول وصالحه على جرجان على الجزية وكفاية حرب جرجان وأن يعينه سويد إنْ غلب، فأجابه سويد إلى ذلك، وتلقّاه زرنان صول قبل دخوله جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جبىٰ الخراج وسمىٰ فروجها فسدّها بترك دهستان. ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من الباقين. وقيل: كان فتحها سنة ثمان عشرة، وقيل: سنة ثلاثين زمن عثمان.

---

(١) أي جعله مرزباناً عليهم.

(٢) قومس: كورة كبيرة واسعة بها مدن وقرىٰ ومزارع في ذيل جبل طبرستان بين الريّ ونيسابور.

(٣) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بفارس بين طبرستان وخراسان.

(٤) طَبَرستان: بلاد واسعة ومدن كثيرة يشملها هذا الاسم بفارس يغلب عليها الجبال.

(٥) في الطبري (رزبان صول) بزاي معجمة في أوله وباء موحدة قبل الألف.

قيل: وراسل الأصبهبد صاحب طبرستان سويداً في الصلح[١] على أنْ يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة علىٰ أحدٍ فقبل ذلك منه وكتب له كتاباً.

ذكر فتح طرابلس الغرب وبَرْقة

في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر إلى برقة فصالحه أهلها علىٰ الجزية وأنْ يبيعوا من أبنائهم مَنْ أرادوا بيعه، فلما فرغ من برقة سار إلى طرابلس الغرب فحاصرها شهراً فلم يظفر بها، وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة فلما رجعوا آشتد عليهم الحر فأخذوا علىٰ جانب البحر ولم يكن السور متصلاً بالبحر وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم فرأى المدلجي وأصحابه مسلكاً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبَّروا فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم لأنهم ظنوا أنَّ المسلمين قد دخلوا البلد، ونظر عمرو ومن معه فرأىٰ السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم إلا بما خَفَّ معهم في مراكبهم وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو علىٰ طرابلس فلما آمتنعوا عليه بطرابلس أمِنُوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس جَنَّد عَمْرو عسكراً كثيفاً، وسيَّره إلى سبرة فصبّحوها، وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لأنهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا إلى عَمْرو، ثم سار عمرو بن العاص إلى برقة وبها لواتة وهم من البربر.

وكان سبب مسير البربر إليهَا وإلى غيرها من الغرب أنهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت، فلما قتل سارت البرابر وطلبوا الغرب حتى إذا انتهوا إلى لوبية، ومرافية وهما كورتان من كور مصر الغربية تفرقوا فسارتْ زناتة، ومغيلة وهما قبيلتان من البربر إلى الغرب فسكنوا الجبال وسَكنتْ لواتة أرض برقة وتعرف قديماً

---

(١) وأحب أن يتأمل القارىء نص الوثيقة وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطىٰ النعمان بن مقرّن أهل ماه بهراذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يُغَيَّرون عن ملة، ولا يُحَالُ بينهم وبين شرائعهم لهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلىٰ مَنْ وليهم على كل حالم في ماله ونفسه علىٰ قَدْر طاقته، وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق. وقروا جنود المسلمين ممن مَرَّ بهم فآوى إليهم يوماً وليلة ووفوا، ونصحوا، فإنْ غَشُّوا وبَدَّلوا فذمتنا منهم بريئة».

بأنطابلس وآنتشروا فيها حتى بلغوا السوس، ونزلت هوارة مدينة لبدة. ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم لذلك وقام الأفارق ـ وهم خدم الروم ـ علىٰ صلح يؤدونه إلى مَنْ غلب علىٰ بلادهم، وسار عمرو بن العاص كما ذكرنا فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية وشرطوا أنْ يبيعوا مَنْ أرادوا من أولادهم في جزيتهم.

ذكر فتح أَذَرْبِيْجان

قال: فلما آفتتح نعيم الريّ بعث سماك بن خرشة الأنصارِيّ ـ وليس بأبي دُجَانة ـ ممداً لبكير بن عبد الله بأذربيجان أمره عمر بذلك فسار سماك نحو بكير وكان بكير حين بعث إليها سار حتى إذا طلع بجبال جرميذان طلع عليهم اسفنديار[1] بن فرخزاذ مهزوماً من بواج روذ، فكان أول قتال لقيه بأذربيجان فآقتتلوا فهزم الفرس وأخذ بكير اسفنديار اسيراً فقال له اسفنديار: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ قال: بل الصلح قال: امسكني عندك فإنّ أهل أذربيجان إنْ لم أصالح عليهم أو أجيء إليهم لم يقوموا لك وجلوا إلى الجبال التي حولها [من القبج والروم] ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما.

فأمسكه عنده وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن. وقدم عليه سماك بن خرشة ممداً واسنفديار في أساره وقد آفتتح ما يليه؛ وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه، وكتب بكير إلى عمر يستأذنه في التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب، وأنْ يستخلف على ما افتتحه، فآستخلف عليه عتبة بن فرقد فأقرّ عتبة سماك بن خرشة علىٰ عمل بكير الذي كان آفتتحه وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاذ قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره حتى قَدِم عليه عتبة فآقتتلوا فآنهزم بهرام فلما بلغ خبره اسنفديار وهو في الأسر عند بكير قال: الآن تمّ الصلح وطُفِئَت الحرب. فصالحه وأجاب إلى ذلك أهل أذربيجان كلهم وعادت أذربيجان سلماً وكتب بذلك بكير، وعتبة إلى عُمر وبعثا بما خَمّسا. ولما جمع عمر لعتبة عمل بكير كتب لأهل أذربيجان كتاباً بالصلح. وفيها قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهدى له وكان عمر يأخذ عماله بموافاة الموسم كل سنة يمنعهم بذلك عن الظلم.

---

(١) الطبري: (اسفندياذ) بذال معجمة في آخره.

ذكر فتح الباب(١)

في هذه السنة كان فتح الباب، وكان عمر رَدَّ أبا موسى إلى البصرة وبعث سراقة بن عمرو وكان يُدْعىٰ ذا النور إلى الباب، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضاً يدعى ذا النور، وجعل علىٰ إحدى مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفاري، وعلى الأخرىٰ بكير بن عبد الله الليثي، وكان بكير سبقه إلى الباب، وجعل على المقاسم سلمان بن ربعية الباهلي فسار سراقة، فلما خرج من أذربيجان قدم بكير إلى الباب وكان عمر قد أمد سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة.

ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ شهريار(٢) وهو من ولد شهريار الذي أفسد بني اسرائيل وأغزى الشام بهم(٣) فكاتبه شهريار وأستأمنه علىٰ أنْ يأتيه، ففعل فأتاه فقال: إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب، ولا ينبغي لذي الحَسَب والعقل أنْ يعينهم علىٰ ذي الحسب، ولستُ من القبج ولا الأرمن في شيء، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي فأنا [اليوم] منكم ويدي مع أيديكم وجزيتي إليكم والنصرُ لكم والقيامُ بما تحبُّون فلا تسوموننا الجزية فتوهنونا بعدوكم. قال: فسيّره عبد الرحمن إلى سراقة فلقيه بمثل ذلك فقبل منه سراقة ذلك وقال: لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو. فأجابه إلى ذلك، وكتب سراقة في ذلك إلى عمر فأجازه عمر وآستحسنه.

ذكر فتح مُوْقَان(٤)

لما فرغ سراقة من الباب أرسل بكير بن عبد الله، وحبيب بن مسلمة، وحذيفة بن أَسِيْد، وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجّه بكيراً إلى موقان، وحبيباً إلى تفليس، وحذيفة إلى جبال اللان، وسلمان إلى الوجه الآخر. وكتب سراقة بالفتح إلى عمر وبإرسال هؤلاء النفر إلى الجهات المذكورة فأتىٰ عمر أمر لم يظن أن

---

(١) الباب: بُلَيْدة في طرف وادي بُطْنَان من أعمال حلب.

(٢) الطبري: شهربراز.

(٣) الطبري، وابن خلدون: (أفسد بني إسرائيل وأعرىٰ الشام منهم).

(٤) مُوْقَان: ولاية كانت تضم قرىٰ ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعي، وهي من أذربيجان.

يستتم له بغير مؤنة لأنه فرج عظيم، وجند عظيم، فلما استوثقوا واستحلوا الإسلام وعدله مات سراقة. واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتتح أحدٌ من أولئك القواد إلا بكير فإنه فض أهل موقان ثم تراجعوا علىٰ الجزية عن كل حالم دينار، وكان فتحها سنة إحدى وعشرين، ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقرّ عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك.

(أَسِيْد) في هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين، و (النور) في الموضعين بالراء .

ذكر غزو الترك

لَمّا أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريار: ما تريد أنْ تصنع؟ قال: أريد غزو بلنجر والترك. قال: إنا لنرضى منهم أنْ يدعونا من دون الباب. قال عبد الرحمن : لكنا لا نرضى [منهم بذلك] حتى نغزوهم في ديارهم وبالله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم[1]، قال: وما هم؟ قال: أقوام صَحِبُوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بِنيّة [كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية فآزداد حياؤهم وتكرمهم] ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم. فغزا بلنجر[2] غزاة في زمن عمر فقالوا: ما آجترأ علينا إلّا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت. فهربوا منه وتحصنوا، فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء علىٰ رأس مائتي فرسخ من بلنجر، وعادوا ولم يقتل منهم أحد.

ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان مَنْ كان آرتد آستصلاحاً لهم [ولم يصلحهم ذلك] فزادهم فساداً، فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتذامرت الترك واجتمعوا في الغياض فرمىٰ رجلٌ منهم رجلاً من المسلمين علىٰ غِرَّة فقتله، وهرب عنه أصحابه، فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا وآشتد قتالهم، ونادىٰ منادٍ من الجو : « صَبْراً [آل] عبد الرحمن وموعدكم

---

(١) الطبري : الردم ـ بالدال المهملة ، وهو صحيح المعنىٰ .

(٢) بَلَنْجَر : مدينة ببلاد الخزر خلف الباب والأبواب.

الجنة ». فقاتل عبد الرحمن حتى قُتل وآنكشف أصحابه، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها، ونادىٰ مناد من الجو: «صبراً آل سلمان ». فقال سلمان : أو ترى جزعاً! وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدوسي علىٰ جيلان فقطعوها إلىٰ جرجان، [وآجترأ الترك بعدها] ولم يمنعهم ذلك من آتخاذ جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به إلىٰ الآن.

ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة

في هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم، وسبب ذلك أنّ عمر بن سراقة كتب إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم وسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان، وبلغ أهل الكوفة ذلك وقالوا لعمار بن ياسر - وكان على الكوفة أميراً سنة وبعض أخرى : آكتب إلىٰ عمر أنّ رامهرمز وأيذج لنا دونهم لم يعينونا عليهما [بشيء] ولم يلحقونا حتى آفتتحناهما. فلم يفعل عمار فقال له عطارد: أيها العبد الأجدع فعلام نَدَع فيئنا؟ فقال: لقد سببتَ أحبَّ أذنيَّ إلي. [ولم يكتب في ذلك] فأبغضوه لذلك، واختصم أهل الكوفة، وأهل البصرة وآدعىٰ أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان أيام أمدّ به عمر بن الخطاب أهل الكوفة فقال لهم أهل الكوفة: أتيتمونا مدداً وقد افتتحنا البلاد فأنشبناكم في المغانم، والذمة ذمتنا والأرض أرضنا.

فقال عمر : صدقوا. فقال أهل الأيام والقادسية ممن سكن البصرة: فلتعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم. فأعطاهم عمر مائة دينار برضا أهل الكوفة أخذها من شهد الأيام والقادسية، ولَمَّا ولي معاوية وكان هو الذي جنّد قنسرين ممن أتاه من أهل العراقين أيام علي، وإنما كان قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص [حتى حصرها معاوية فوجدها بمن ترك الكوفة والبصرة ذلك الزمان] فأخذ لهم معاوية حين ولي بنصيبهم من فتوح العراق، واذربيجان، والموصل، والباب لأنه من فتوح أهل الكوفة. وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ نافلة انتقل إليها كل من نزل بهجرته من أهل البلدين أيام عليّ فأعطاهم معاوية من ذلك نصيباً، وكفر أهل أرمينية أيام معاوية وقد أمّر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان، وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال من جرزان فاستجابوا له.

ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبي موسى والمغيرة بن شعبة

وفيها عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أبا موسى. وسبب ذلك أنّ أهل الكوفة شكوه وقالوا له: إنه لا يحتمل ما هو فيه وإنه ليس بأمين، ونزا به أهل الكوفة.

فدعاه عمر فخرج معه وَفْد فكانوا أشد عليه ممن تخلّف عنه وقالوا: إنه غير كاف وعالم بالسياسة ولا يدري علىٰ ما استعملته، وكان منهم سعد بن مسعود الثقفي عم المختار، وجرير بن عبدالله فسعيا به [وأخبرا عمر بأشياء يكرهها] فعزله عمر وقال عمر لعمار: أساءَكَ العزلُ؟ قال: [والله] ما سَرَّني حين آستعملت ولقد ساءني حين عزلت. فقال له: قد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولتُ ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ آسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الوَارِثِيْن ﴾[1].

ثم أقبل عمر على أهل الكوفة فقال: من تريدون؟ قالوا: أبا موسىٰ. فأمره عليهم بعد عمار فأقام عليهم سنَة فباع غلامه العلف فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا: إنّ غلامه يتّجر في جسرنا[2] فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة، وصرف عمر بن سراقة إلى الجزيرة، وخلا عمر في ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتىٰ آستيقظ فقال: ما فعلتُ هذا يا أمير المؤمنين إلّا من عظيم. فقال: وأي شيء أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير؟ ولا يرضى عنهم أمير. وأحيطت الكوفة [حين اختطت] على مائة ألف مقاتل، وأتاه أصحابه فقالوا: ما شأنك؟ فقال: إنّ أهل الكوفة قد عضلوني. واستشارهم فيمن يوليه، وقال ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مسدد؟ فقال المغيرة: أما الضعيف المسلم فإنّ إسلامه لنفسه وضعفه عليك [وعلىٰ المسلمين]، وأما القوي المسدد فإن سداده لنفسه وقوته [لك و] للمسلمين. فولّى المغيرة الكوفة فبقي عليها حتى مات عمر وذلك نحو سنتين وزيادة، وقال له حين بعثه: «يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليَخَفْكَ الفجار». ثم أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل عمر قبل ذلك فأوصىٰ به.

---

(١) القصص: ٥.

(٢) الطبري: يتجر في حشرنا بدل جسرنا.

ذكر فتح خُرَاسان

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس خراسان في قول بعضهم، وقيل: سنة ثمان عشرة. وسبب ذلك أنّ يزدجرد لمّا سار إلى الري بعد هزيمة أهل جلولاء وآنتهى إليها وعليها أبان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يزدجرد: يا أبان تغدر بي؟ قال: لا، ولكن قد تركتَ ملكك فصار في يد غيرك فأحببتُ أن أكتتب على ما كان لي من شيء. وأخذ خاتم يزدجرد واكتتب الصكاك [وسجَّل السجلات] بكل ما أعجبه، ثم ختم عليها وردَّ الخاتم، ثم أتى بعد سعداً فردّ عليه كل شيء في كتابه.

وسار يزدجرد من الريّ إلى أصبهان، ثم منها إلىٰ كرمان والنار معه، ثم قصد خراسان فأتىٰ مرو فنزلها وبنى للنار بيتاً وآطمأن وأمن مِنْ أن يؤتىٰ ودان له من بقي من الأعاجم، وكاتب الهرمزان، وأثار أهل فارس فنكثوا، وأثار أهل الجبال والفيرزان فنكثوا فأذِن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس، فسار الأحنف إلىٰ خراسان فدخلها من الطَّبَسين[1] فآفتتح « هراة »[2] عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدري، ثم سار نحو مرو الشاهجان فأرسل إلىٰ نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير وإلى سرخس الحارث بن حسان، فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد إلىٰ مرو الروذ حتى نزلها، ونزل الأحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد ـ وهو بمرو الروذ ـ إلىٰ خاقان، وإلى ملك الصغد، وإلىٰ ملك الصين يستمدهم.

وخرج الأحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة [علىٰ أربعة أمراء : علقمة بن النضر النضري، وربعي بن عامر التميمي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وابن أم غزال الهمداني] وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها إلى بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ، وقدم أهل الكوفة إلى يزدجرد واتبعهم الأحنف فآلتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فآنهزم يزدجرد [في أهل فارس] وعبر النهر ولحق الأحنف بأهل الكوفة، وقد فتح الله عليهم، فبلخ من فتوحهم، وتتابع أهل خراسان من هرب وشذ علىٰ الصلح فيما بين نيسابور إلىٰ

---

(١) طَبَسَان : تثنية طَبَس ـ : قصبة ناحية بين نيسابور وأصبهان .

(٢) هَرَاة : مدينة عظيمة مشهورة من مهمات مدن خراسان ، كانت فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة إلا أن التتار خرّبوها .

طخارستان [ممن كان في مملكة كسرىٰ]، وعاد الأحنف إلىٰ مرو الروذ فنزلها واستخلف على طَخارستان ربعيّ بن عامر وكتب الأحنف إلىٰ عمر بالفتح، فقال عمر: « وددتُ [أني لم أكن بعثتُ إليها جنداً، ولوددتُ] أن بيننا وبينها بحراً من نار. فقال علي: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنّ أهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة فكان ذلك بأهلها أحب إلي من أن يكون بالمسلمين، وكتب عمر إلىٰ الأحنف أنْ يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه.

ولما عبر يزدجرد النهر مهزوماً أنجده خاقان في الترك وأهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان إلى خراسان فنزلا بلخ ورجع أهل الكوفة إلىٰ الأحنف بمرو الروذ، ونزل المشركون عليه بمرو أيضاً، وكان الأحنف لمّا بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر إليه خرج ليلاً يتسمع هل يسمع برأي ينتفع به، فمرّ برجلين ينقيان علفاً وأحدهما يقول لصاحبه: لو أسندنا الأمير إلىٰ هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوتُ أن ينصرنا الله.

فرجع، فلما أصبح جمع الناس ورحل بهم إلىٰ سفح الجبل وكان معه من أهل البصرة عشرة آلاف ومِنْ أهل الكوفة نحو منهم وأقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم وفي الليل يتنحون عنهم، فخرج الأحنف ليلةً طليعة لأصحابه حتى إذا كان قريباً من عسكر خاقان وقف، فلما كان وجه الصبح خرج فارس [من] الترك بطوقه فضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفاً يقفه مثله فحمل عليه الأحنف فتقاتلا فطعنه الأحنف فقتله وأخذ طوق التركي ووقف، فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه فحمل عليه الأحنف فتقاتلا فطعنه فقتله. وأخذ طوقه ووقف، ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين فحمل عليه الأحنف فقتله، ثم انصرف الأحنف إلى عسكره، وكانت عادة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم أكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا علىٰ فرسانهم مقتلين تشاءم خاقان وتطيَّر فقال: « قد طال مقامنا وقد أصيب فرسانناما لنا في قتال هؤلاء القوم خير ». فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم أحداً وأتاهم الخبر بآنصراف خاقان والترك إلى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ وآنصرف إلى مرو الشاهجان فتحصّن حارثة بن النعمان ومن معه

فحصرهم وآستخرج خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ [فقال المسلمون للاحنف : ما ترى في آتباعهم ؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم].

فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة وأراد أن يلحق بخاقان قال له أهل فارس: أي شيء تريد أن تصنع؟ قال: أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين. قالوا له: [مهلاً] إنّ هذا رأي سوء [إنّك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتَدَع أرضك وقومك آرجع بنا إلىٰ هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء هم أهل دين وإنّ عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم. فأبىٰ عليهم [وأبوا عليه] فقالوا: دَعْ خزائننا نردها إلىٰ بلادنا ومَنْ يلينا لا تخرجها من بلادنا. فأبى فآعتزلوه وقاتلوه فهزموه وأخذوا الخزائن وآستولوا عليها وانهزم منهم، ولحق بخاقان، وعبر النهر من بلخ إلى فرغانة، وأقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيماً زمن عمر كله إلىٰ أنْ كفر أهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك في موضعه.

ثم أقبل أهل فارس بعد رحيل يزدجرد علىٰ الأحنف فصالحوه [وعاقدوه] ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال وتراجعوا إلىٰ بلذانهم وأموالهم علىٰ أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة، واغتبطوا بملك المسلمين، وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية، وسار الأحنف إلى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة في كورها الأربع، ثم رجع إلى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلىٰ عمر. [وبعث إليه الأخماس ووفد إليه الوفود] ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذي أرسله إلى ملك الصين فأخبرهما أن ملك الصين قال له: صف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فإنّي أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم إلاّ بخير عندهم وشر فيكم. فقلت: سلني عما أحببت؟ فقال: أيوفون بالعهد؟ قلت نعم. قال: وما يقولون لكم قبل القتال؟ قال: قلت يدعوننا إلىٰ واحدة من ثلاث إما دينهم فإنْ أجبنا أجرونا مجراهم، أو الجزية والمنعة، أو المنابذة. قال: فكيف طاعتهم أمراءهم؟ قلت: أطوع قوم وأرشدهم. قال: فما يحلون وما يحرمون؟ فأخبرته. قال: هل يحلون ما حرم عليهم أو يحرمون ما حلل لهم؟ قلت: لا. قال: فإنّ هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا حرامهم أو يحرموا حلالهم.

ثم قال: أخبرني عن لباسهم؟ فأخبرته، وعن مطاياهم؟ فقلت: الخيل العراب

ووصفتها له فقال: نعمت الحصون. ووصفْتُ له الأبل وبروكها وقيامها بحملها فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق. وكتب معه إلىٰ يزدجرد: إنه لم يمنعني أنْ أبعث إليك بجندٍ أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق عليّ ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلالهم سربهم أزالوني ما داموا على وصف، فسالِمهم وأرضَ منهم بالمسالمة ولا تهيّجهم ما لم يهيّجوك. فأقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان.

ولما وصل خبر الفتح إلى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله في خطبته على إنجاز وعده ثم قال: ألا وإنّ مُلْك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضر بمسلم. ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فإنّي لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم.

وقيل: إن فتح خراسان كان زمن عثمان وسيرد هناك.

ذكر فتح شَهْرَزور[1] والصامغان[2]

لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شَهْرَزُور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال علىٰ مثل صلح حلوان، فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت، وصالح أهل الصامغان وداراباذ علىٰ الجزية والخراج وقتل خلقاً كثيراً من الأكراد، وكتب إلىٰ عمر أنّ فتوحي قد بلغ أذربيجان فولاه إياها، وولى هرثمة بن عرفجة الموصل، ولم يزل شهرزور وأعمالها مضمومة إلىٰ الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد.

ذكر عدة حوادث

في هـذه السنة غـزا معاويـة بلاد الـروم، ودخلها في عشـرة آلاف فـارس من

---

(١) كورة واسعة في الجبال بفارس بين إربل وهمذان.

(٢) كورة في حدود طبرستان من كور الجبل.

المسلمين. وفيها ولد يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عماله على الأمصار فيها عماله في السنة قبلها إلا الكوفة فإنّ عامله كان عليها المغيرة بن شعبة، وإلا البصرة فإن عامله عليها صار أبا مـوسى الأشعري.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

قال بعضهم: كان فتح اصطخر سنة ثلاث وعشرين. وقيل: كان فتحها بعد توج الآخرة.

ذكر الخبر عن فتح تَوَّج[1]

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا إلى فارس أمراء عليها وكان معها سارية بن زنيم الكناني فساروا وأهل فارس مجتمعون بتَوَّج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه [كل] أمير إلى الجهة التي أمر بها وبلغ ذلك أهل فارس فآفترقوا إلى بلدانهم كما افترق المسلمون [ليمنعوها] فكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم. فقصد مجاشع بن مسعود لسابور واردشيرخره [فيمن معه] فآلتقى هو والفرس بتَوَّج، فاقتتلوا ما شاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا كل قتلة، وغنموا ما في عسكرهم، وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا ما فيها وهذه توج الآخرة، والأولى هي التي استقدمتها جنود العلاء بن الحضرمي أيام طاوس ثم دعوا إلى الجزية فرجعوا وأقروا بها، وأرسل مجاشع بن مسعود السلمي بالبشارة. والأخماس إلى عمر بن الخطاب.

ذكر فتح إصْطَخْر وجور[2] وغيرهما

وقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي لأصطخر فآلتقى هو وأهل إصطخر بجور فآقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم إصطخر وقتلوا ما شاء الله، ثم فرّ منهم من فَرَّ فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمة، فأجابه الهربذ إليها فتراجعوا، وكان عثمان قد

---

(١) تَوَّج: مدينة بفارس قريبة من كازرون ـ الآتية ـ شديدة الحرّ لأنها في غور من الأرض بها نخل.

(٢) جُور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً.

جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها إلى عمر وقسّم الباقي في الناس. وفتح عثمان كازرون[١] والنوبندجان[٢] وغلب على أرضها، وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز[٣] وأرجان[٤] وفتحا سينيز[٥] على الجزية والخراج، وقصد عثمان أيضاً جَنَّابَا[٦] ففتحها ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم[٧] فهزمهم وفتحها.

ثم إنّ شهرك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان، [ونشط أهل فارس ودعاهم إلى النقض] فوجّه إليه عثمان بن أبي العاص [ثانية] وأتته الأمداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر، وشبل بن معبد فآلتقوا بأرض فارس فقال شهرك لابنه وهما في المعركة وبينهما وبين قرية لهما تدعى شهرك ثلاثة فراسخ: يا بني أين يكون غداؤنا ها هنا أم بشهرك؟ قال له: يا أبتِ إنْ تركونا فلا يكون غداؤنا ها هنا ولا بشهرك ولا نكون إلا في المنزل [ولكن والله] ما أراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتىٰ شَبَّ المسلمون الحرب فآقتتلوا قتالاً شديداً وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم، والذي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان، وقيل: قتله سوار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فقتله. وحمل ابن شهرك على سوار فقتله.

وقيل: إن اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين. وقيل: إنّ عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين في ألفين إلىٰ فارس ففتح جزيرة بركاوان في طريقه ثم سار إلى توج، وكان كسرىٰ أرسل شهرك فآلتقوا مع شهرك وكان الجارود، وأبو صفرة على مجنبتي المسلمين، وأبو صفرة هذا هو والد المهلّب فحمل الفُرس على المسلمين فهزموهم فقال الجارود: أيها الأمير فرد الجند. فقال: سترىٰ أمرك. فقال: فما لبثوا حتى رجعت خيلٌ لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤوس [بين يدي ومعي بعض ملوكهم يقال له

---

(١) كازرون : مدينة بين البحر وبين شيراز .

(٢) النوبندجان : مدينة بأرض فارس من كورة سابور ، قريبة من شعب بوان الموصوف بالحسن والنزهة .

(٣) شيراز : بلد عظيم مشهور ، وهو قصبة بلاد فارس .

(٤) أرجان : مدينة كبيرة كثيرة الخير بينها وبين شيراز ستون فرسخاً .

(٥) سينيز : بلد على ساحل بحر فارس .

(٦) جَنَّابا : بلدة صغيرة من سواحل فارس .

(٧) جهرم : مدينة ببلاد فارس بينها وبين شيراز ثلاثون فرسخاً .

المكعبر فارق كسرى ولحق بي فأتيت برأس ضخم] فرأىٰ المكعبر رأساً ضخماً فقال: أيها الأمير هذا رأس الازدهاق ـ يعني شهرك ـ وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ارزنبان(١) فآستعان به الحكم على قتال أهل إصطخر، ومات عمر وبعث عثمانُ بن عفان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيد الله أنّ أرزنبان يريد الغدر به، فقال له: أحبُّ أنْ تتخذ لأصحابي طعاماً وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فإنّي أحبُّ أنْ أتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالفؤوس فيكسره بيده، ويأخذ مخه وكان من أشد الناس، فقام ارزنبان فأخذ برجله وقال: هذا مقامُ العائذ بك وأعطاه عهداً، وأصابت عبيد الله، منجنيق فأوصاهم. وقال: إنكم ستفتحون هذه المدينة إنْ شاء الله فآقتلوهم بني ساعة فيها ففعلوا فقتلوا منهم بشراً كثيراً ومات عبيد الله بن معمر. وقيل: إنّ قتله كان سنة تسع وعشرين.

ذكر فتح فسا(٢) ودار ابَجَرْد(٣)

وقصد سارية بن زنيم الدئلي فسا، ودار ابجرد حتى آنتهىٰ إلىٰ عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله ثم إنهم آستمدوا وتجمعوا وتجمعت إليهم آكراد فارس فدهم المسلمين أمرٌ عظيم، وجمعٌ كثير، وأتاهم الفرس من كل جانب فرأىٰ عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار، فنادىٰ من الغد الصلاة جامعة حتى إذا كان في الساعة التي رأىٰ فيها ما رأىٰ خرج إليهم، وكان ابن زنيم والمسلمون بصحراء إنْ أقاموا فيها أحيط بهم وإنْ استندوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد فقام فقال: « يا أيها الناس إنّي رأيتُ هذين الجمعين وأخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب: يا سارية بن زنيم الجبل الجبل ».

ثم أقبل عليهم وقال: إنّ لله جنوداً ولعل بعضها أنْ تبلغهم. فسمع سارية ومَنْ معه الصوت فلجأوا إلى الجبل ثم قاتلوهم [من وجهٍ واحد] فهزمهم الله وأصاب المسلمون مغانمهم، وأصابوا في الغنائم سفطاً فيه جوهر فآستوهبه منهم سارية وبعث به وبالفتح مع رجل إلى عمر [وكان الرسل والوفد يجازون وتقضى لهم حوائجهم. فقال له سارية:

---

(١) الطبري: ادربيجان.

(٢) مدينة بفارس بينها وبين شيراز أربع مراحل، وهي أكبر مدن دارا بجرد.

(٣) دارا بَجَرْد: ولاية بفارس.

آستقرض ما تبلغ به وما تخلفه لأهلك على جائزتك فقدم الرجل البصرة ففعل، ثم خرج] فقدم علىٰ عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس وأكل، فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظن عمر أنّه لم يشبع، فأمره فدخل بيته فلما جلس أُتِيَ عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا، فلما فرغ قال الرجل: أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين. قال: مرحباً وأهلاً

ثم أدناه حتى مسّ ركبته وسأله عن المسلمين فأخبره بقصة الدرج، فنظر إليه وصاح به [ثم قال]: لا ولا كرامة، حتى يقدم عليّ ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده. فقال: يا أمير المؤمنين إني قد انضيت جملي واستقرضت في جائزتي فأعطني ما أتبلّغ به. فما زال به حتى أبدله بعيراً من إبل الصدقة وجعل بعيره في إبل الصدقة، ورجع الرسول مغضوباً عليه محروماً [حتى قدم البصرة فنفذ لأمر عمر] وسأل أهل المدينة الرسول: هل سمعوا شيئاً يوم الوقعة؟ قال: نعم سمعنا « يا سارية الجبل الجبل » وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا.

ذكر فتح كِرْمَان

ثم قصد سُهَيْل بن عديّ كرمان، ولحقه أيضاً عبد الله بن عبد الله بن عتبان، [وعلى مقدمة سهيل بن عدي النسير بن عمرو العجلي] وحشد لهم أهل كَرْمان واستعانوا عليهم بالقُفْص[1] فآقتتلوا في أداني أرضهم ففضّ الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق. وقتل النُسَيْر بن عمرو العجلي مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم إلى جِيْرَفْت وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء فقوموا الإبل والغنم فتحاصوها بالأثمان لعِظَم البخت على العراب، وكرهوا أنْ يزيدوا وكتبوا إلىٰ عمر بذلك فأجابهم إذا رأيتم أنّ في البخت فضلاً فزيدوا، وقيل: إن الذي فتح كرمان عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر ثم أتى الطبسين من كرمان، ثم قدم على عمر فقال: أقطعني الطبسين فأراد أنْ يفعل فقيل: إنهما رستاقان، فآمتنع عمر من ذلك.

---

(١) القُفْص : ولاية مشهورة ذات بلاد وقرىٰ ومدن واسعة .

ذكر فتح سِجِسْتَان (١)

وقصد عاصم بن عمرو سجستان، ولحقه عبد الله بن عمير فآستقبلهم أهلها فآلتقوا هم وأهل سجستان في أداني أرضهم فهزمهم المسلمون ثم آتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ماشاؤوا،ثم إنهم طلبوا الصلح علىٰ زرنج وما آحتازوا من الأرضين فأعطوا وكانوا قد اشترطوا في صلحهم أنّ فدافدها حِمَىٰ فكان المسلمون يتجنبونها خشية أنْ يصيبوا منها شيئاً فيخفر، وأقيم أهل سجستان علىٰ الخراج وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروجاً يقاتلون القندهار، والترك، وأمماً كثيرة [وكانت فيما بين السند إلىٰ نهر بلخ بحياله] فلم يزل كذلك حتىٰ كان زمن معاوية فهرب الشاه مِنْ أخيه رتبيل إلى بلد فيها يدعىٰ آمُل ودان لسلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان [ففرح بذلك] وعقد لهم وأنزلهم البلاد وكتب إلىٰ معاوية بذلك يرىٰ أنّه فتح عليه، فقال معاوية: إنّ آبن أخي ليفرح بإمارته ليحزنني [وينبغي له أنْ يحزنه] قال: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّ آمُل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم غدر فإذا آضطرب الجبل غدراً فأهون ما يجيء منهم أنهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها وأقرهم على عهد سلم بن زياد. فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل وآعتصم منه رتبيل بمكانه ولم يرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زرنج فغزاها وحصر من بها حَتَّىٰ أتتهم الأمداد من البصرة وصار رتبيل والذين معه عصبة، وكانت تلك البلاد مذللة إلىٰ أنْ مات معاوية، وقيل في فتح سجستان غير هذا، وسيرد ذكره إنْ شاء الله تعالى.

ذكر فتح مُكْرَان (٢)

وقصد الحكم بن عمرو التغلبي مُكْـرَان حتى آنتهى إليها ولحق بـه شهاب بن المخارق، وسهيل بن عدي، وعبدالله بن عبدالله بن عتبان فآنتهوا إلى دوين النهر وأهل مكـران على شاطئـه فآستمـد ملكهم ملك السند، فـأمده بجيش كثيف فـآلتقوا مـع المسلمين فآنهزموا وقتل منهم في المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم

---

(١) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة، وهي أرض سهلة لا يرىٰ فيها جبل.

(٢) مُكْرَان : ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى بفارس غربها كرمان ، وشمالها سجستان ، والبحر جنوبها .

أياماً حتى آنتهوا إلى النهر، ورجع المسلمون إلى مُكْران فأقاموا بها وكتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث إليه بالأخماس مع صحار العبدي، [وآستأمره في الفيلة] فلما قدم المدينة سأل عمر عن مكران [وكان لا يأتيه أحد إلّا سأله عن الوجه الذي يجيء منه] فقال: يا أمير المؤمنين هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وثمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير فيها قليل، والقليل فيها ضائع، وما وراءها شر منها. فقال: أَسَجَّاعٌ أنت أم مُخبر؟ لا والله لا يغزوها جيشٌ لي أبداً. وكتب إلى سهيل والحَكم بن عمرو أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما [واقتصرا على ما دون النهر] وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون ببلاد الاسلام، وقسم أثمانها على الغانمين.

(مُكْرَان) بضم الميم وسكون الكاف.

ذكر خبر بَيْرُوذ من الأهواز

ولما فصلت الخيولُ إلى الكور آجتمع ببيروذ جمعٌ عظيمٌ من الأكراد، وغيرهم، وكان عمر قد عهد إلىٰ أبي موسى أنْ يسير إلىٰ أقصىٰ ذمة البصرة حتىٰ لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشي أنْ يهلك بعض جنوده أو يخلفوا في أعقابهم، فآجتمع الأكراد ببيروذ وأبطأ أبو موسى حتىٰ تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ، فآلتقوا في رمضان بين نهر تيرى ومناذر، [وقد توافىٰ إليها أهل النجدات من أهل فارس والأكراد ليكيدوا المسلمين، وليصيبوا منهم عورة ولم يشكوا في واحدة من اثنتين] فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا، وتقدّم المهاجر فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتِل. ووهَّن اللّهُ المشركين حتىٰ تحصنوا في قلة وذلة، واشتدّ جزع الربيع بن زياد علىٰ أخيه المهاجر وعظم عليه فَقْده فرق له أبو موسى فآستخلفه عليهم في جند.

وخرج أبو موسى حتىٰ بلغ أصبهان وآجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا، فلما فتحت رجع أبو موسىٰ إلىٰ البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثي بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم، ووفد أبو موسى وفداً معهم الأخماس فطلب ضبة بن محصن العنزي أن يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى، وكان أبو موسى قد اختار من سبي بيروذ ستين غلاماً

فانطلق ضبة إلى عمر شاكياً، وكتب أبو موسى إلى عمر ، نبره فلما قدم ضبة على عمر سلم عليه فقال: من أنت؟ فأخبره. فقال: لا مرحباً ولا هلاً. فقال: أما المَرْحَب فمن الله وأما الأهل فلا أهل.

ثم سأله عمر عن حاله فقال: إنّ أبا موسى آنتقى ستين غلاماً من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية تغدى جفنة وتعشى جفنة تدعى « عقيلة »، وله قفيزان وله خاتمان وفوِّض إلى زياد بن أبي سفيان أمور البصرة، وأجاز الحطيئة بألف فآستدعى عمر أبا موسى، فلما قدم عليه حَجَبه أياماً، ثم استدعاه فسأل عمر ضبة عما قال فقال: أخذ ستين غلاماً لنفسه فقال أبو موسى: دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين. فقال ضبة: ما كذب ولا كذبتُ. فقال: له قفيزان فقال أبو موسى: قفيز لأهلي أقوتهم به وقفيز للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم. فقال ضبة: ما كذب ولا كذبت، فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر فعلم أنّ ضبة قد صدقه. قال: وولي زياداً [أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي] قال: رأيتُ له رأياً ونُبلاً فأسندتُ إليه عملي. قال: وأجاز الحطيئة بألف. قال: سددتُ فمه بمالي أن يشتمني فردّه عمر وأمره أنْ يرسل إليه زياداً، وعقيلة ففعل، فلما قدم عليه زياد سأله عن حاله، وعطائه، والفرائض، والسنن، والقرآن فرآه فقيهاً فردّه، وأمر أمراء البصرة أن يسيروا برأيه، وحبس عقيلة بالمدينة، وقال عمر: ألا إنّ ضبة غضب علىٰ أبي موسى وفارقه مراغماً إنْ فاته أمرٌ من أمر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبُه صدقَه فإياكم والكذب فإنه يهدي إلى النار.

(بيروذ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وضم الراء وسكون الواو وآخره ذال معجمة.

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

كان عمر إذا آجتمع إليه جيشٌ من المسلمين أمّر عليهم أميراً من أهل العلم والفقه فآجتمع إليه جيشٌ من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي فقال: « سِرْ بآسم الله قاتِلْ في سبيل الله من كفر بالله فإذا لقيتم عدوكم فآدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفيء نصيب، وإنْ ساروا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم وإنْ أبوا فآدعوهم إلىٰ الجزية فإنْ أجابوا

فاقبلوا منهم، وإنْ أبوا فقاتلوهم، وإنْ تحصنوا منكم وسألوكم أنْ ينزِلوا على حكم الله ورسوله أو ذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فإنكم لا تدرون أتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما أم لا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا تمثلوا » قال: فساروا حتى لقوا عدواً من الأكراد المشركين فدعوهم إلىٰ الإسلام، أو الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم، وقتلوا المقاتلة، وسبوا الذريّة فقسمه بينهم، ورأى سلمة جوهراً في سَفَط[1] فآسترضىٰ عنه المسلمين، وبعث به إلى عمر فقدِم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن أمور الناس وهو يخبره، ، حتىٰ أخبره بالسفط فغضب غضباً شديداً، وأمر به فوجىء به في عنقه، ثم إنّه قال: إنْ تفرّق الناس قبل أنْ تقدم عليهم، ويقسّمه سلمة فيهم لأسوأنك. فسار حتىٰ قدِم على سلمة فباعه وقسّمه في الناس. وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفاً، وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب وحج معه أزواج النبي ﷺ وهي آخر حجة حجها، وفيها قتل عمر رضي الله عنه.

ذكر الخبر عن مقتل عمر رضي الله عنه

قال المسوَّر بن مخرمة [وكانت أمه عاتكة بنت عوف] : خرج عمر بن الخطاب يطوف يوماً في السوق فلقيَه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانياً فقال: يا أمير المؤمنين أعدني[2] علىٰ المغيرة بن شعبة فإنّ عليّ خراجاً كثيراً. قال: وكم خراجُك؟ قال: درهمان كل يوم. قال: وإيش صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حداد قال: فما أرىٰ خراجُك كثيراً على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنك تقول: لو أردتُ أنْ أصنع رحىً تطحن بالريح لفعلتُ قال: نعم قال: فاعمل لي رحى قال: لئن سلمت لأعملنّ لك رحى يتحدث بها مَنْ بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه فقال عمر: « لقد أوعدني العبد الآن »، ثم انصرف عمر إلى منزله فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين آعهد فإنّك ميّت في ثلاث ليال. قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب التوراة. قال عمر: أتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجد حليتك وصفتك وأنك قد فني أجلُك قال: وعمر لا يحس وجعاً، فلما كان الغد

---

(١) السَّفَط: وعاء يوضع فيه الطِّيْب ونحوه من أدوات النساء. والسَّفَط ـ أيضاً ـ: وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها، وجمعه: أسْفاط.

(٢) أي: أعنّي وانصرني.

جاءه كعب فقال: بقي يومان، فلما كان الغد جاءه كعب فقال: مضىٰ يومان وبقي يوم.

فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا آستوت كبّر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نِصَابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وهو خليفة؛ وقتل جماعة غيره. فلما وجد عمر حرّ السلاح سقط، وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلّى بالناس وعمر طريح؛ فآحتمل فأدخل بيته، ودعا عبد الرحمن فقال له: إنّي أريدُ أن أعهد إليك. قال: أتشير عليّ بذلك؟ قال: اللهم لا. قال: والله لا أدخل فيه أبداً. قال: فهبني صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

ثم دعا علياً، وعثمان، والزبير، وسعداً فقال: انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً فإنْ جاء وإلّا فآقضوا أمركم، أنشدك الله يا عليّ إنْ وليتَ من أمور الناس شيئاً أنْ [لا][1] تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس أن [لا][2] تحمل بني أبي مُعَيْط على رقاب الناس، أنشدك الله يا سعد إن وليت مِن أمور الناس شيئاً أن [لا][3] تحمل أقاربك على رقاب الناس. قوموا فتشاوروا، ثم اقضوا أمركم وليصلِّ بالناس صهيب.

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري. فقال: قُمْ علىٰ بابهم فلا تَدَع أحداً يدخل إليهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوأوا الدار والايمان أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وأوصي الخليفة بالعرب فإنهم مادة الاسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم، وأوصى الخليفة بذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت؟ لقد تركتُ الخليفة مِنْ بعدي علىٰ أنقى من الراحة، يا عبدالله بن عمر آخرج فانظر مَنْ قتلني. قال: يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. قال: الحمد لله الذي لم يجعل مَنِيَّتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يا عبد الله بن عمر آذهب إلى عائشة فسَلْها أنْ تأذن لي أن أُدْفَن مع النبي ﷺ وأبي بكر يا عبد الله إن آختلف القوم فكُن مع الأكثر، فإن تشاوروا فكُن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف، يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلّمون عليه ويقول لهم:

---

(١)، (٢)، (٣)، زيادة يقتضيها السياق.

أهذا عن ملأ منكم؟ فيقولون: معاذ الله قال: ودخل كعب الاحبار مع الناس، فلما رآه عمر قال:

تـوعـدني كعبٌ ثـلاثـاً أعـدهـا ... ولا شـك أنّ القول ما قال لي كعب
ومـا بي حـذار المـوت إني لميّت ... ولكن حـذار الـذنب يتبعـه الـذنب

ودخل عليه عليّ يعوده فقعد عند رأسه، وجاء ابن عباس فأثنى عليه فقال له عمر: أنت لي بهذا يا بن عباس؟ فأومأ إلىٰ علي أن قُلْ نعم. فقال ابن عباس: نعم. فقال عمر: لا تغرني أنت وأصحابك؟ ثم قال: يا عبد الله خُذْ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعلّ الله جل ذكره ينظر إليّ فيرحمني. والله لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس لافتديتُ به من هول المطلع، ودعي له طبيب من بني الحارث بن كعب فسقاه نبيذاً[1] فخرجٍ غير متغيّر فسقاه لبناً فخرج كذلك أيضاً فقال له: آعهد يا أمير المؤمنين. قال: قد فرغتُ.

ولما احتُضِرَ ورأسه في حجر ولده عبد الله قال:

ظلومٌ لنفـسي غيـر أني مسـلم ... أصـلي الصـلاةَ كـلها وأصـوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة إلىٰ أنْ توفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. وقيل: طعن يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الأحد هلال محرم سنة أربع وعشرين، وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، وبويع عثمان لثلاث مضين من المحرم وقيل: كانت وفاته لأربع بقين من ذي الحجة وبويع عثمان لليلة بقيت من ذي الحجة واستقبل بخلافته هلال محرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافة عمر على هذا القول عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وصلى عليه صهيب، وحُمِلَ إلىٰ بيت عائشة، ودُفِن عند النبي ﷺ وأبي بكر، ونزل في قبره عثمان، وعلي، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وعبد الله بن عمر.

* * *

---

(١) النبيذ: عنب أو تمر أو نحوهما يوضع في إناء منقوعاً في ماء فإن بقي فوق ثلاثة أيام تخمر وأسكر وحرم شربه.

ذكر نسب عمر وصفته وعمره

فأمّا نسبه: فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رِياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وكنيته أبو حفص، وأمه حنتمة بنت هشام[١] بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهي ابنة عم أبي جهل وقد زعم مَنْ لا معرفة له أنها أخت أبي جهل وليس بشيء، وسماه النبي ﷺ « الفاروق » وقيل: بل سماه أهل الكتاب.

وأمّا صفته: فكان طويلاً آدم، أصلع، أعسر، يسر يعني يعمل بيديه، وكان لطوله كأنه راكب، وقيل: كان أبيض أبهق[٢] يعني شديد البياض تعلوه حمرة طوالاً أصلع أشيب وكان يصفّر لحيته ويرجّل رأسه [بالحناء] وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين، وكان عمره خمساً وخمسين سنة، وقيل: ابن ستين سنة، وقيل: ابن ثلاث وستين سنة وأشهر. وهو الصحيح، وقيل: ابن إحدى وستين سنة.

(رِياح) بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان.

---

(١) كذا في النسخ: (هشام). وفي نسخ الطبري: هاشم وكلاهما صحيح بخلاف ما ذهب إليه ابن عبد البر وتبعه المصنف عليه.

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: (بنت هاشم ويقال: هشام بن المغيرة فمن قال بنت هشام كانت أخت أبي جهل، ومن قال بنت هاشم كانت بنت عمه. أ هـ. (مـ).

(٢) قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: وكان (اي عمر بن الخطاب رضي الله عنه) أبيض يعلوه حمرة وإنما صار في لونه سـرة في عام الرمادة لأنه أَكْثَرَ أكل الزيت وترك السمن للغلاء الذي وقع بالناس فامتنع من أكل اللبن والسمن حتى لا يميز على الضعفة.

وقال زر بن حبيش كان عُمَر آدم. قال الواقدي: لا يعرف عندنا أنّ عمر كان آدم إلا أنْ يكون رآه عام الرمادة أ هـ.

ذكر أسماء ولده ونسائه

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له: عبدالله، وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة. وتزوج مليك بنت جرول الخزاعي في الجاهلية فولدت له: عبيد الله بن عمر، ففارقها في الهدنة، فخلفه عليها أبو جهم بن حذيفة وقتل عبيد الله بصفين مع معاوية.

وقيل: كانت أمه أم زيد الأصغر أم كلثوم بنت جرول الخزاعي وكان الاسلام فرّق بينها وبين عمر.

وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية ففارقها في الهدنة أيضاً، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فكانا سلفي رسول الله ﷺ لأن قريبة أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ. وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي في الاسلام فولدت له: فاطمة فطلّقها. وقيل: لم يطلقها. وتزوج جميلة أخت عاصم [1] بن ثابت بن أبي الأفلح الأوسي الانصاري في الاسلام فولدت له عاصماً فطلّقها. ثم تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأصدقها أربعين ألفاً فولدتْ له: رُقَيَّة، وزيداً. وتزوج فكيهة آمرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأوسط، وقيل: الأصغر. وقيل: كانت عنده فكيهة أم ولد فولدت له زينب وهي أصغر ولد عمر. وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها، فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها أيضاً فخطبها علي فقالت: لا أفعل، إني أضن بك عن القتل فإنّك بقية الناس. فتركها.

وخطب أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق إلى عائشة فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي فيه إنه خشن العيش شديد على النساء.

فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فقال: « أنا أكفيك ». فأتىٰ عمر فقال: بلغني خبر أعيذُك بالله منه.

---

(١) في الأصل ؛ (بنت عاصم) وهو غلط صححناه من كتب السير. أ هـ . (م) .

قال: ما هو؟ قال: خطبتَ أم كلثوم بنت أبي بكر. قال: نعم، أفرغبتَ بي عنها أم رغبت بها عني؟ قال: ولا واحدة ولكنها حدثة نشأت تحت كنف أمير المؤمنين في لِيْن ورِفْق، وفيك غِلظة، ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك فكيف بها إنْ خالفتك في شيء فسطوتَ بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك. وقال: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟ قال: أنا لك بها وأدلك على خيرٍ منها، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب تعلق منها بنسب من رسول الله ﷺ.

وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويَدْخُل عابساً ويخرج عابساً.

ذكر بعض سيرته رضي الله عنه.

قال عمر: إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق. قال نافع العبسي: دخلت حَيْر[1] الصدقة مع عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب قال: فجلس عثمان في الظل يكتب، وقام عليّ علىٰ رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر عليه بُرْدان أسودان آتزر بأحدهما ولَفّ الآخر على رأسه يعد إبل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها.

فقال علي لعثمان: في كتاب الله ﴿ يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[2] ثم أشار علي بيده إلىٰ عمر وقال: «هذا القوي الأمين».

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيتُ عمر أخذ بتبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة، يا ليتني لم أكُ شيئاً، يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت نَسْياً مَنْسِياً.

وقال الحسن: قال عمر: لئن عشتُ إنْ شاء الله لاسيرنّ في الرعية حَوْلاً فإني أعلم أنّ للناس حوائج تقطع دوني، أمّا عمالهم فلا يرفعونها إلي، وأما هم فلا يصلون إليّ فأسير إلى الشام فأقيم شهرين، وبالجزيرة شهرين، وبمصر شهرين، وبالبحرين شهرين، وبالكوفة شهرين، وبالبصرة شهرين، والله لنعم الحول هذا.

---

(١) الحَيْر: شبه الحظيرة أو الحي.

(٢) القصص: ٢٦.

وقيل لعمر: إنّ ها هنا رجلاً من الأنبار [١] له بَصَر بالديوان لو اتخذتَه كاتباً فقال: لقد اتخذتَ إذن بطانة من دون المؤمنين.

قيل: خطب عمر الناس فقال: والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لو أنّ جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه.

وقال أبو فراس: خطب عمر الناس فقال: أيها الناس إني [والله] ما أرسل اليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، وإنما أرسلهم إليكم ليعلّموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوىٰ ذلك فليرفعه إليّ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين أرأيتك إنْ كان رجلٌ من [أمراء] المسلمين على رعية فأدّب بعض رعيته إنك لتقصّه منه؟

قال: أي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي ﷺ يقص من نفسه، **ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم**، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم. قال بكر بن عبد الله جاء عمر بن الخطاب إلى [باب] عبد الرحمن بن عوف [فضربه، فجاءت المرأة ففتحته ثم قالت له: لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسي. فلم يدخل حتى جلست، ثم قالت: آدخل. فدخل، ثم قال: هل من شيء؟ فأتته بطعام فأكل] وهو يصلي في بيته ليلاً، [فقال له: تجوّز أيها الرجل. فسلّم حينئذ ثم أقبل عليه] فقال له: ما جاء بك في هذه الساعة؟ قال: رفقة نزلتْ في ناحية السوق خشيتُ عليهم سراق المدينة فآنطلِق فلنحرسهم.

فأتيا السوق فقعدا علىٰ نشز من الأرض يتحدثان فرُفع لهما مصباح فقال عمر. ألم أنْهَ عن المصابيح بعد النوم؟

فآنطلقا فإذا قومٌ علىٰ شرابٍ لهم قال: انطلق فقد عرفته، فلما أصبح أرسل إليه، قال: يا فلان كنتَ وأصحابك البارحة على شراب.

قال: وما أَعلمك يا أمير المؤمنين؟ قال: شيءٌ شهدته. قال: أو لم ينهك الله عن

---

(١) الأنبار: مدينة قرب بلخ، وهي قصبة ناحية جوزجان.

التجسس؟ فتجاوز عنه.

وإنما نهىٰ عمر عن المصابيح لأنّ الفأرة تأخذ الفتيلة فترمي بها في سقف البيت فتحرقه، وكانت السقوف [إذ ذاك] من جريد، وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن ذلك قبله.

وقال أسلم: وخرج عمر إلى حرة واقم [١] وأنا معه حتى إذا كنا بصِرَار إذ نار تسعر فقال: [يا أسلم إنّي أرى هؤلاء ركباً قصر بهم الليل والبرد] انطلق بنا إليهم.

فهرولنا حتىٰ دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة علىٰ نار وصبيانها يتضاغَون فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أنْ يقول: يا أصحاب النار.

قالت: وعليك السلام. قال: أدنو؟ قالت: آدنُ بخيرٍ أو دَعْ. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون. قالت: من الجوع. قال: وأي شيء في هذه القدر؟ قالت: مالي ما أسكتهم[٢] حتى يناموا فأنا أعللهم وأوهمهم أني أصلح لهم شيئاً حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر. قال: أي رحمك الله ما يدري بكم عمر؟ قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا؟ فأقبل عليّ وقال: انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلاً فيه كبّة شحم فقال: أحمله على ظهري. قال أسلم: فقلت: أنا أحمله عنك - مرتين أو ثلاثاً فقال آخر ذلك: أنت تحمل عني وِزْرِي يوم القيامة لا أم لك.

فحملته عليه، فانطلقَ وانطلقتُ معه نهرول حتى انتهينا إليها. فألقى [٣] ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها: ذُرِّي عليّ وأنا أحرّك لك. وجعل ينفخ تحت القدر، وكان ذا لحيةٍ عظيمةٍ، فجعلتُ أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج، ثم أنزل القدر فأتته بصحفة فأفرغها [فيها]، ثم قال: « أطعميهم وأنا اسطح

---

(١) حرة واقم: إحدى حَرَّتَي المدينة.

(٢) الطبري: (ماء أستكهم به حتى يناموا).

(٣) في المطبوعة ؛ فالتقىٰ - تحريف.

لك »، فلم يزل حتىٰ شَبِعوا، ثم خَلَّىٰ عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه فجعلت تقول: جزاك الله خيراً أنت أولىٰ بهذا الأمر من أمير المؤمنين.

فيقول: قولي خيراً فإنّك إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتيني هناك إن شاء الله.

ثم تنحىٰ ناحية، ثم استقبلها ورَبَض [مربض السبع [1] فجعلت أقول له: إنّ لك شأناً غير هذا]، لا يكلمني حتى رأىٰ الصبية يضحكون ويصطرعون ثم ناموا وهدأوا.

فقام وهو يحمد الله [ثم أقبل علي] فقال: « يا أسلم الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببتُ أنْ لا أنصرف حتىٰ أرى ما رأيتُ منهم».

(صِرَار) بكسر الصاد المهملة ورائين.

قال سالم بن عبد الله بن عمر: وكان عمر إذا نهىٰ الناس عن شيءٍ جمع أهله فقال: إنِّي نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا وإنّ الناس ينظرون إليكم نَظَرَ الطير إلى اللحم، وأُقسمُ بالله لا أجدُ أحداً [منكم] فعله إلاّ أضعفتُ عليه العقوبة. قال سلام بن مسكين: وكان عمر إذا آحتاج أتىٰ صاحب بيت المال فآستقرضه فربَّما أعسر فيأتيه صاحبُ بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتالُ له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه. قال: وهو أول مَنْ دُعِيَ بأمير المؤمنين وذلك أنّه لما وُلِّي قالوا له: يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر: هذا أمرٌ يطول، كلما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة خليفة رسول الله! بل أنتم المؤمنون وأنا اميركم، فسمِّي أمير المؤمنين.

وهو أول من كتب التاريخ، وقد تقدم وهو أول من آتخذ بيت مال، وأول مَنْ عَسّ الليل، وأول مَنْ عاقب علىٰ الهجاء، وأول من نهىٰ عن بيع أمهات الأولاد، وأول مَنْ جمع الناس في صلاة الجنازة علىٰ أربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يصلون أربعاً وخمساً وستاً.

قال الواقدي: وهو أوّل مَنْ جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب به إلى البلدان وأمرهم به، وهو أول من حمل الدُّرَّة وضرب بها، وأول من

(١) يقال رَبَضَتْ الغنم وغيرها من الدواب إذا طَوَت قوائمها ولَصِقَتْ بالأرض وأقامت.

دَوّن في الاسلام [الدواوين وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم العطاء]. قال زاذان: قال عمر لسلمان: أَمَلِكٌ أنا أم خليفة؟ قال له سلمان: إنْ أنتَ جبيتَ من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر ووضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فبكى عمر. وقال أبو هريرة: يرحم الله ابن حنتمة لقد رأيتُه عام الرمادة وإنّه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده، وإنه ليعتقب هو وأسلم، فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً. فأخذتُ أعقبه فحملناه حتى آنتهينا إلى صرار فإذا نحو من عشرين بيتاً من محارب فقال لهم: ما أقدمكم؟

قالوا: الجهد، وأخرجوا لنا جلد الميتة مشوياً كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفُّونها، فرأيتُ عمر طرح رداءه، ثم أتزر، فما زال يطبخ حتى أشبعهم، ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاءنا بأبعرة فحملهم عليها حتىٰ أنزلهم الجبانة ثم كساهم، وكان يختلفُ إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك. قال أبو خيثمة: رأت الشفاء بنت عبدالله فتياناً يقصدون في المشي ويتكلمون رُوَيْداً فقالت: ما هذا؟ قالوا: نُسّاك. فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشىٰ أسرع، وإذا ضرب أوجع وهو والله ناسكٌ حقاً.

قال الحسن: خطب عمر الناس وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعة منها أدم. قال أبو عثمان النهديّ: رأيتُ عمر يرمي الجمرة وعليه إزار مرقّع بقطعة جراب. وقال عليّ: رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى وعشرون رقعة فيها أدم. وقال الحسن: كان عمر يمر بالآية من وِرْدِهِ فيسقط حتىٰ يُعَادَ كما يعادُ المريض.

وقيل: إنه سمع قارئاً يقرأ ﴿ والطور ﴾ فلما آنتهى الى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾[1] سقط، ثم تحامل إلى منزله فمرض شهراً من ذلك. قال الشعبي: كان عمر يطوف في الأسواق، ويقرأ القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم. قال موسى بن عقبة: أتىٰ رهطٌ إلى عمر فقالوا له: كَثُرَ العيالُ واشتدتْ المؤنة فزدنا في عطائنا. قال: فعلتموها! جمعتم بين الضرائر، وآتخذتم الخدم من

---

(١) الطور: ٧.

مال الله [عز وجل؟ أما والله] لوددت أنِّي وإياكم في سفينة في لُجَّةِ البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً فلن يعجز الناس أنْ يولوا رجلاً منهم فإن آستقام آتبعوه، وإن جنف قتلوه. فقال طلحة: وما عليك لو قلت: وإنْ تعوّج عزلوه؟ قال: لا القتل أنكلُ لمن بعده، آحذروا فتى من قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلاّ على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو يتناول من فوقه ومن تحته.

قال مجالد: ذُكر رجلٌ عند عمر فقيل يا أمير المؤمنين فاضلٌ لا يعرف من الشر شيئاً. قال: ذاك أوقع له فيه. قال صالح بن كيسان: قال المغيرة بن شعبة لما دفن عمر: أتيتُ علياً وأنا أحب أنْ أسمع منه في عمر شيئاً، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك أنّ الأمر يصير اليه فقال: يرحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة أبي حنتمة ذهب بخيرها ونجا مِنْ شرِّهَا أو والله ما قالت ولكن قُوِّلت. وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو في عمر:

وفـجـعـنـي فـيـروز لا در دره	بـأبيض تـال للكتـاب منيب
رؤوف على الأدنى غليظ علىٰ العدا	أخي ثقـة في النـائبـات مجيب
متى ما يقل لا يكـذب القول فعله	سـريع إلىٰ الخيـرات غير قـطوب

وقال أيضاً:

عـين جـودي بعبـرة ونـحيـب	لا تملي علىٰ الإمـامِ النجيب
فجعتني المنون بـالفـارس المعـ	ـلم يـوم الـهيـاج والـتلبـيـب
عصمة الناس والمعين على الدهر	وغـيث الـمنتـاب والمحـروب
قـل لأهـل الثـراء والبؤس مـوتـوا	قـد سقتـه المنون كـأس شعوب

قال ابن المسيِّب: وحج عمر فلما كان بضجنان قـال: لا إله إلا الله العـظيم، العَلِيّ، المعطي. ما شاء من شاء. كنتُ أرعىٰ إبل الخطاب في هذا الوادي في مَدْرَعَةِ صُوف وكان فَظَّاً، يتعبني إذا عملتُ، ويضربني إذا قَصَّرتُ، وقد أمسيتُ وليس بيني وبين الله أحد. ثم تمثّل:

لا شيء فيمـا ترى تبقى بشـاشتـه	يبقى الإلـٰه ويودي المـالُ والـولـد
لم تغن عن هـرمز يـومـاً خـزائنـه	والخلد قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياحُ به … والإنس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت نوافلها … من كل أوب إليها راكبٌ يفد
حَوْضاً هنالك مورداً بلا كَذِبِ … لا بد من ورده يوماً كما وردوا

قال أسلم: إنّ هند بنت عتبة استقرضت عمر من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فأقرضها، فخرجتْ فيها إلى بلاد كلب فآشترتْ وباعت، فبلغها أنّ أبا سفيان وآبنه عَمْراً أتيا معاوية فعدلتْ إليه، وكان أبو سفيان قد طلّقها فقال لها معاوية: ما أقدَمَكِ أي أمة؟ قالت: النظر إليك أي بُنَيّ، إنّه عمر، وإنّما يعملُ لله، وقد أتاكَ أبوك فخشيتُ أنْ تخرج إليه من كل شيء وأهل ذلك هو ولا يعلم الناس من أين أعطيتَه فيأنبوك ويأنبك عمر فلا تستقبلهما أبداً.

فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار وكساهما وحمّلها، فتسخطها عَمْرو، فقال أبو سفيان: لا تسخطها، فإنّ هذا عطاء لم تغب عنه هند.

ورجعوا جميعاً، فقال أبو سفيان لهند: أربحتِ؟

قالت: الله أعلم، [معي تجارة إلى المدينة].

فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركتُه لك، ولكنّه مال المسلمين [وهذه مشورة لم يغب عنها أبو سفيان فبعث إليه فحبسه حتى وَفّته].

وقال لأبي سفيان: بِكَم أجازك معاوية. قال: بمائة دينار. قال ابن عباس: بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذاكرون الشِّعْر فقال بعضهم: فلان أشعر، وقال بعضهم: بل فلان أشعر. قال: فأقبلتُ، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها. مَنْ أشعر الشعراء؟ قال: قلت: زهير بن أبي سُلْمى. فقال: هلمّ من شعره ما نستدل به علىٰ ما ذكرت. فقلت: آمتدح قوماً من غطفان فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم … قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم … طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا أمنوا، جنٌ إذا فزعوا … مرزأون بهاليل إذا حشدوا
محسدون علىٰ ما كان من نِعَم … لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر: أَحْسَنَ والله، وما أعلمُ أحداً أولىٰ بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله ﷺ وقرابتهم منه. فقلت: وفقتَ يا أمير المؤمنين، ولم تزل موفقاً. فقال: يا بن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ﷺ ؟

فكرهت أنْ أجيبه فقلتُ: إنْ لم أكن أدري فإنّ أمير المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كَرِهُوا أنْ يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا فآختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت. فقلت: يا أمير المؤمنين إنْ تأذن لي في الكلام وتُمِط عنّي الغضب تكلمتُ. قال: تكلم. قلتُ: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: آختارت قريشٌ لأنفسها فأصابتْ ووفقت: فلو أنّ قريشاً آختارت لأنفسها [حيث] آختار اللّهُ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأما قولك: إنهم أبوا أنْ تكون لنا النبوة والخلافة فإنّ الله عز وجل وصف قوماً بالكراهة فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُم كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم ﴾[1].

فقال عمر: هيهات والله يا بن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنتُ أكره أنْ أقرّك عليها لتزيل منزلتك مني. فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين فإنْ كانت حقاً فما ينبغي أنْ تزيل منزلتي منك، وإنْ كانت باطلاً فمِثْلي أماط الباطل عن نفسه؟ فقال عمر: بلغني أنّك تقول: إنما صرفوها عنك حسداً وبغياً وظُلماً. فقلتُ: أمّا قولك يا أمير المؤمنين، ظُلماً: فقد تبيّن للجاهل؛ والحليم، وأما قولك حسداً: فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون. فقال عمر: هيهات هيهات أَبَتْ واللّهِ قُلوبُكُم يا بني هاشم إلاّ حسداً [ما يحول وضغناً وغشاً] لا يزول. فقلتُ: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تَصِف قلوبَ قومٍ أذهبَ اللّهُ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش. فإنّ قلب رسول الله ﷺ من قلوب بني هاشم. فقال عمر: إليك عني يا بن عباس. فقلت: آفعل.

فلما ذهبتُ أقوم آستحيا مني فقال: يا بن عباس مكانك، فوالله إنّي لراعٍ لحقك، محبٌ لما سرّك.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ لي عليك حقاً، وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظّه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى.

---

(١) سورة محمد: ٩.

ذكر قصة الشورى

قال عمر بن ميمون الأودي: إنّ عمر بن الخطاب لما طُعن قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت.

فقال: [من استخلف]؟ فقال: لو كان أبو عبيدة حَيّاً لاستخلفته وقلت لربي إنْ سألني: سمعتُ نبيك يقول: « إنّه أمينُ هذه الأمة » (١)، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة (٢) حَيّاً آستخلفته وقلت لربي إنْ سَألني: سمعتُ نبيك يقول: « إنّ سالماً شديد الحب لله تعالى ». فقال له رجل: أدلُّك عليه: عبدالله بن عمر. فقال: قاتلك الله. والله ما أردت الله بهذا، ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق آمرأته؟ لا إرب لنا في أموركم، فما حمدتُها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إنْ كان خيراً فقد أصبنا منه، وإنْ كان شراً فقد صرف عنا. بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجلٌ واحد ويُسأل عن أمر أمة محمد.

أما لقد جهدتُ نفسي، وَحَرْمتُ أهلي، وإنْ نجوتُ كَفَافاً لا وزْرَ ولا أجر إنّي لسعيدٌ، أنظر فإنْ استخلف فقد استخلف مَنْ هو خيرٌ مني، وإنْ أترك فقد تَرَكَ مَنْ هو خيرٌ مِنّي، ولن يضيّع الله دينه.

فخرجوا، ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً.

---

(١) وهو ما أخرجه البخاري (٧٢٥٤) بسنده عن حذيفة أنّ رسول الله ﷺ قال لأهل نجران:

« لأبعثن اليكم رجلاً أميناً حق أمين ».

فاستشرف لها أصحابُ النبي ﷺ فبعث أبا عُبَيْدة.

(٢) هو سالم مولىٰ أبي حذيفة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو:

سالم بن عبيد بن ربيعة ـ كان من أهل فارس، وكان من فضلاء الصحابة والموالي، وكبارهم، قتل يوم اليمامة.

فقال: قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتي [لكم] أنْ انظر فأولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أنْ يحملكم على الحق. وأشار إلىٰ علي، فرهقتني غشية فرأيتُ رجلاً دخل جنة [قد غرسها] فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحته، فعلمتُ أن الله غالب أمره، [ومتوفٍ عمر]، فما أردتُ أن أتحمَّلها حياً وميتاً. عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ إنهم من أهل الجنة وهم: عليّ، وعثمان، وعبد الرحمن، وسعد، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله فليختاروا مِنْهم رجلاً، فإذا وَلُّوا والياً فأحسنوا موازرته، وأعينوه، [إن آئتمن أحداً منكم فليؤد إليه أمانته].

فخرجوا فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم. قال: إنّي أكره الخلاف.

قال: إذَنْ ترىٰ ما تكره.

فلما أصبح عمر دعا عَلِياً، وعثمان، وسعداً، وعبد الرحمن، والزبير فقال لهم: إنّي نظرتُ فوجدتُكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قُبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راضٍ، وإني لا أخافُ الناس عليكم إنْ استقمتم، ولكني أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس، فآنهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها. [وآختاروا رجلاً منكم]، ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا حتى آرتفعتْ أصواتُهم، فقال عبد الله بن عمر: سبحانَ الله إنّ أمير المؤمنين لم يمت بعد. فسمعه عمر فآنتبه وقال: أعرِضُوا عن هذا، فإذا متُّ فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصلِّ بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلاّ وعليكم أميرٌ منكم، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر فإنْ قَدِمَ في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم. وإنْ مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فأمضوا أمركم ومَنْ لي بطلحة؟

فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به ولا يخالف إنْ شاء الله تعالى. فقال عمر: أرجو أنْ لا يخالف إنْ شاء الله، وما أظن يلي إلاّ أحدُ هذين الرجلين عليّ أو عثمان، فإنْ ولي عثمان فرجلٌ فيه لِيْن، وإنْ ولي عليّ ففيه دعابة وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق، وإنْ تولوا سعداً فأهله هو وإلاّ فليستعن به الوالي فإنّي لم أعزله عن ضعفٍ ولا خيانة، ونِعْم ذُو الرأي عبد الرحمن بن عوف [مُسَدَّدٌ رشيد، له من الله حافظ]، فاسمعوا منه وأطيعوا.

وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة إنّ الله طالما أعز بكم الاسلام فآختر خمسين رجلاً من الأنصار فآستحثّ هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم. وقال للمقداد بن الاسود: إذا وضعتموني في حفرتي فآجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً [منهم]. وقال لصهيب: صَلِّ بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم، فإنْ آجتمع خمسة وأبىٰ واحدٌ فآشدخ رأسه بالسيف، وإنْ آتفق أربعة وأبىٰ اثنان فآضرب رؤوسهما، وإنْ رضي ثلاثةٌ رجلاً وثلاثة رجلاً فحكّموا عبدالله بن عمر، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إنْ رَغِبُوا عمّا آجتمع فيه الناس.

فخرجوا فقال علي لقومٍ معه من بني هاشم: إنْ أطيع فيكم قومكم لم تؤمَّروا أبداً. وتلقّاه عمه العباس فقال: عدلتْ عنّا. فقال: وما عِلْمُك؟

قال: قرن بني عثمان وقال: كونوا مع الأكثر فإنْ رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعدٌ لا يخالف ابن عمه، وعبد الرحمن صِهْر عثمان لا يختلفون فيوليها أحدهما الآخر، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني.

فقال له العباس: لم أرفعك في شيء إلاّ رجعتَ إليّ مستأخراً لما أكره، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أنْ تسأله فيمن هذا الأمر فأبيتَ، فأشرتُ عليك بعد وفاته أنْ تعاجل الأمر فأبيت، وأشرتُ عليك حين سمّاك عمر في الشورى أنْ لا تدخل معهم فأبيت. آحفظْ عني واحدة: كُلّ ما عَرَضَ عليك القوم فقل: لا، إلاّ أنْ يولوك، وأحذر هؤلاء الرهط فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتىٰ يقوم به لنا غيرنا، وأيم الله لا يناله الا بشر لا ينفع معه خير. فقال علي: أما لئن بقي عثمان لأذكرنه ما أتى، ولئن مات ليتداولونها بينهم، ولئن فعلوا لتجدني حيث يكرهون. ثم تمثل:

حلفت برب الراقصات عشية ... غدون خفافاً فآبتدرن المحصبا
ليختلين رهط ابن يعمر فارساً ... نجيعاً بنو الشداخ ورداً مصلبا

وآلتفتْ فرأىٰ أبا طلحة فكرِه مكانه فقال أبو طلحة: لن تُرَاعَ أبا الحسن.

فلما مات عمر وأُخرجْت جنازته صَلّىٰ عليه صهيب، فلما دُفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة، وقيل: في بيت المال، وقيل: في حجرة

عائشة بإذنها وطلحة غائب وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم، وجاء عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال: تريدان أن تقولا: حضرنا وكنا في أهل الشورى، فتنافس القومُ في الأمرِ، وكثر فيهم الكلام فقال أبو طلحة: أنا كنتُ لأن تدفعوها أخوف مني لأن تتنافسوها، والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر، ثم أجلس في بيتي فانظر ما تصنعون.

فقال عبد الرحمن: أيكّم يُخرج منها نفسه ويتقلّدها علىٰ أن يوليها أفضلكم؟

فلم يُجِبْه أحد، فقال: فأنا أنخلع منها.

فقال عثمان: أنا أول مَنْ رضيَ فقال القوم: قد رضينا. وعليّ ساكت فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني موثقاً لتؤثرنّ الحق، ولا تتبع الهوى، ولا تخصّ ذا رحم، ولا تألوا الأمة نُصْحاً. فقال: أعطوني مواثيقكم علىٰ أنْ تكونوا معي علىٰ من بدّل وغيّر، وأنْ ترضوا مَنْ اخترتُ لكمْ وعليّ ميثاق الله أنْ لا أخصَّ ذا رحم لرحمه، ولا آلو المسلمين. فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، فقال لعلي: تقول إني أحق مَنْ حضر بهذا الأمر لقرابتك، وسابقتك، وحُسْن أثرك في الدين، ولم تبعد في نفسك ولكن أرأيت لو صُرِفَ هذا الأمر عنك فلم تحضر: مَنْ كنتَ ترىٰ من هؤلاء الرهط أحقّ به؟ قال: عثمان.

وخلا بعثمان فقال: تقول شيخ من بني عبد مناف، وصهر رسول الله ﷺ، وابن عمه، ولي سابقة وفضل، فأين يصرف هذا الأمر عني، ولكن لو لم تحضر أيّ هؤلاء الرهط تراه أحق به؟ قال: عليّ.

[ثم خلا بالزبير فكلّمه بمثل ما كلم به علياً وعثمان فقال: عثمان. ثم خلا بسعد فكلمه فقال: عثمان].

ولقي عليّ سعداً فقال له: آتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، آسألك برحم آبني هذا من رسول الله ﷺ وبرَحِم عمي حمزة منك أنْ [لا] تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً [عليَّ].

ودار عبد الرحمن لياليه يلقىٰ أصحاب رسول الله ﷺ ومَنْ وافىٰ المدينة من أمراء الأجناد، وأشراف الناس يشاورهم حتىٰ إذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الأجل

أتىٰ منزل المسور بن مخرمة [بعد آبهيرار من الليل] فأيقظه وقال له: لم اذق في هذه الليلة كبير غمض. آنطلق فآدع الزبير وسعداً.

فدعاهما فبدأ بالزبير فقال له: خلّ بني عبد منافِ وهـذا الأمر. قـال: نصيبي لعلي.

وقال لسعد: آجعل نصيبك لي فقـال: إن اخترت نفسـك فنعم، وإن اخترت عثمان فعليّ أحب إليّ أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وآرفع رؤوسنا.

فقال له: قد خلعتُ نفسي [منها] علىٰ أنْ اختار، ولو لم أفعل لم أُرِدْهَا، إنّي رأيتُ روضةً خضراء كثيرة العُشْب فدخل فَحْلٌ ما رأيت أكرم منه، فمرّ كأنّه سَهْمٌ لم يلتفت إلىٰ شيءٍ منها حتى قطعها لم يعرّج ودخل بعير يتلوه فآتبع أثره حتى خرج منها، ثم دخل فحل عبقري يجرّ خطامه [يلتفت يميناً وشمالاً]. ومضى قصد الأولين، ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة ولا والله لا أكون الرابع ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحدٌ فيرضى الناس عنه.

قال: وأرسل المسور فآستدعىٰ علياً فناجاه طويلاً وهو: لا يشك أنّـه صاحب الأمر، ثم نهض، ثم أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرّق بينهما الصبح. قال عمرو بن ميمون: قال لي عبد الله بن عمر: من أخبرك أنه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف علياً وعثمان فقد قال بغير علم، فوقع قضاء ربك على عثمان.

فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث إلىٰ مَنْ حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار وإلىٰ امراء الأجناد فآجتمعوا حتى آلتجَّ المسجد بأهله فقال: أيُّها الناسُ إنّ الناس قد أجمعوا أنْ يرجعَ أهلُ الأمصار إلىٰ أمصارهم، فأشيروا عليَّ فقال عمار: إنْ أردتَ أنْ لا يختلف المسلمون فبايع علياً.

فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار إنْ بايعت علياً قلنا: سمعنا وأطعنا. وقال ابن أبي سرح: إنْ أردت أنْ لا تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبدالله بن أبي ربيعة: صدقت إنْ بايعتَ عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا.

فتبسم ابن أبي سرح. فقال عمار: متى كنت تنصح المسلمين؟.

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار: أيها الناس إنّ الله أكرمنا بنبيه وأعزّنا بدينه

فأنّى تَصْرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم.

فقال رجلٌ من بني مخزوم: لقد عدوتَ طورك يا بن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها. فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن آفرغ قبل أن يفتتن الناس. فقال عبد الرحمن: إنّي قد نظرتُ وشاورتُ فلا تجعلنَّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً، ودعا علياً وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنَّ بكتاب الله وسنة رسوله وسِيْرَه الخليفتين من بعده؟ قال: أرجو أنْ أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي.

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فقال: نعم نعمل. فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال: اللهم آسمع وأشهد-إنّي قد جعلتُ ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان. فبايعه.

فقال علي: ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا. فصبرٌ جميل والله المستعانُ علىٰ ما تصفون، والله ما وليتَ عثمان إلا ليردَّ الأمرَ إليك، واللّهُ كل يوم في شأن. فقال عبد الرحمن: يا عليّ لا تجعلْ علىٰ نفسك حُجَّة وسبيلاً.

فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال المقداد: يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال: يا مقداد واللّهِ لقد اجتهدتُ للمسلمين. قال: إنْ كنتَ أردتَ الله فأثابك اللّهُ ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيتُ مثل ما أتىٰ إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم إنّي لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضىٰ بالعدل ولا أعلم منه، أما والله لو أجدُ أعواناً عليه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد آتقِ الله فإنّي خائفٌ عليك الفتنة. فقال رجل للمقداد: رحمك الله من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل؟ قال: أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن أبي طالب. فقال علي: إنّ الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر بينها فتقول: إنْ ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً وما كانت في غيرهم تتداولونها بينكم.

وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقيل له: بايَعوا لعثمان. فقال: كُلّ قريش راض به؟

قالوا: نعم. فأتىٰ عثمان فقال له عثمان: أنتَ على رأس أمرك وإن أبيتَ رددتها.

قال: أتردها؟ قال: نعم. قال: أكل الناس بايعوك؟ قال: نعم. قال: قد رضيتُ. لا أرغبُ عما أجمعوا عليه. وبايعه، وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد قد أصبتَ أن بايعت عثمان. وقال لعثمان: ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا. فقال عبد الرحمن: كذبتَ يا أعور لو بايعتُ غيره لبايعتَه ولقلت هذه المقالة. قال: وكان المسور يقول: ما رأيتُ أحداً بذ قوماً فيما دخلوا فيه بمثل ما بذهم عبد الرحمن. قلت قوله: إنّ عبد الرحمن صهر عثمان ـ يعني أنّ عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أخت عثمان لأمه خَلَف عليها عقبة بعد عثمان ـ.

وقد ذكر أبو جعفر رواية أخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة وهي تمام حديث مقتل عمر وقد تقدم، والذي ذكره ها هنا قريب من الذي تقدم آنفاً غير أنه قال: لما دفن عمر جمعهم عبد الرحمن وخَطَبهم وأَمَرَهم بالاجتماع وتَرْك التفرق، فتكلم عثمان فقال: الحمد لله الذي آتخذ محمداً نبياً، وبعثه رسولاً، وصَدَقَه وَعْدَه، ووهب له نصره على كل من بَعُدَ نسباً أو قرب رحماً، صلى الله عليه جعلنا الله له تابعين، وبأمره مهتدين، فهو لنا نور، ونحن بأمره نقوم عند تفرق الأهواء، ومجادلة الأعداء، جعلنا الله بفضله أئمة، وبطاعته أمراء، لا يخرج أمرنا منا، ولا يدخل علينا غيرنا إلا مَنْ سفه الحق، ونكل عن القصد، وأحر بها يا بن عوف أنْ تترك، وأجدر بها أن يكون إنْ خولف أمرك وترك دعاؤك، فأنا أول مجيب [لك]، وداع إليك، وكفيل بما أقول زعيم وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم الزبير بعده فقال: أما بعد فإنّ داعي الله لا يجهل، ومجيبه لا يخذل عند تفرق الأهواء ولي الأعناق ولن يقصر عما قلت إلا غوىٰ، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقي، ولولا حدود الله فرضت، وفرائض الله حُدَّت، تراح على الله أهلها وتحيا ولا تموت لكان الموت من الإمارة نجاة، والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا إجابة الدعوة وإظهار السنة لئلا نموت ميتة عمية، ولا نعمى عمي الجاهلية، فأنا مجيبك إلىٰ ما دعوت، ومعينك على ما أمرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم سعد فقال بعد حمد الله: وبمحمد ﷺ أنارت الطرق وآستقامت السبل، وظهر كل حق ومات كل باطل، إياكم أيها النفر وقول الزور، وأمنية أهل الغرور، وقد سلبت الأماني قوماً قبلكم ورثوا ما ورثتم، ونالوا ما نلتم فآتخذهم الله عدواً، ولعنهم لعناً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيْلَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ﴾[١] إني نكبت قَرَنِي[٢]، وأخذت سهمي الفالج، وأخذت لطلحة بن عبيدالله ما آرتضيت لنفسي، فأنا به كفيل، وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا بن عوف بجهد النفس، وقصد النصح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، وأستغفر الله لي ولكم، وأعوذ بالله من مخالفتكم.

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال: الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً، وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إنْ نعطه نأخذه، وإنْ نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرىٰ، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لانفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحدٌ قبلي إلىٰ دعوة حق وصلة رحم، لا حول ولا قوة إلا بالله، آسمعوا كلامي وَعُوا منطقي، عسىٰ أنْ تروا هذا الأمر بعد هذا المجمع تنتضي فيه السيوف، وتخان فيه العهود، حتى تكونوا جماعة ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة لأهل الجهالة. ثم قال:

فإن تك جاسم هلكت فإنّي ... بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع في الهواجر كل غَيّ ... بصير بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن: أيّكم يطيب نفساً أنْ يُخرج نفسه من هذا الأمر [ويوليه غيره ؟] وذكر قريباً مما تقدم، ثم جلس عثمان في جانب المسجد بعد بيعته، ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان قتل قاتل أبيه أبا لؤلؤة، وقتل جفينة (رجلاً نصرانياً) من أهل الحيرة كان ظهيراً لسعد[٣] بن مالك، وقتل الهرمزان فلما ضربه بالسيف قال: لا إله إلا الله، فلما قتل هؤلاء أخذه سعد بن أبي وقاص وحبسه في داره وأخذ سيفه وأحضره عند عثمان، وكان عبيد الله يقول: والله لأقتلنّ رجالاً ممن شرك في دم أبي يعرّض بالمهاجرين والأنصار.

وإنّما قَتَل هؤلاء النفر لأن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: غداة عمر رأيتُ عشية

---

(١) المائدة: ٧٨.

(٢) أي: كبيت كنانتي، والقَرَن: جعبة صغيرة تقرن إلى الكبيرة. الفالج: السهم الفائز في النضال.
ومراده: إني نظرت في الرأي الصائب منها وهو الرضا بحكم عبد الرحمن.

(٣) الطبري: كان ظئراً لسعد بن مالك.

أمس الهرمزان ، وأبا لؤلؤة، وجفينة وهم يتناجون، فلما رأوني ثاروا وسَقَطَ منهم خنجرٌ له رأسان نِصَابهُ في وسطه وهو الخنجر الذي ضرب به عمر، فقتلهم عبيد الله، فلما أحضره عثمان قال: أشيروا عليَّ في هذا الرجلِ الذي فتق في الاسلام ما فتق فقال علي: أرىٰ أنْ تقتله. فقال بعض المهاجرين: قُتِل عمر أمس ويُقْتل ابنه اليوم؟ فقال عَمْرو بن العاص: إنّ الله قد أعفاك أنْ يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان. فقال عثمان : أنا وليه وقد جعلتها دِيَة وأحتملها في مالي، وكان زياد بن لبيد البياضي الأنصاري [1] إذا رأى عبيد الله [بن عمر] يقول :

ألا يا عبيد الله مالك مهرب ... ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبتَ دماً واللهِ في غير حله ... حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير أن قال قائل ... أتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة: ... نعم أتهمه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد في جوف بيته ... يقلّبها والأمر بالأمر يعتبر

فشكا عبيد الله إلى عثمان زياد بن لبيد فنهىٰ عثمان زياداً فقال في عثمان :

أبا عمرو عبيد الله رهن ... فلا تشكك بقتل الهرمزان
فإنك إنْ عفوت الجرم عنه ... وأسباب الخطا فرسا رهان
أتعفو إذْ عفوت بغير حق ... فما لك بالذي تحكي يدان

فدعا عثمان زياداً فنهاه وشذبه. وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك، قال القماذبان بن الهرمزان كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمرّ فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال: ما تصنع به؟قال:أسنّ به، فرآه رجلٌ فلما أصيب عمر قال رأيتُ الهرمزان دفعه إلى فيروز فأقبل عبيد الله فقلته . فلما ولي عثمان أمكنني منه فخرجتُ به وما في الأرض أحدٌ إلاّ معي إلا إنهم يطلبون إلي فيه. فقلتُ لهم: إلى قتله؟ قالوا: نعم وسبُّوا عبيد الله. قلت لهم: أفلكم منعه؟ قالوا:

---

(١) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر البياضي الأنصاري، أبو عبدالله .
شهد العقبة ، وبدراً ، وأحداً ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله على حضرموت ، وتوفي أول أيام معاوية .

لا. وسبُّوه، فتركته لله ولهم فحملوني فوالله ما بلغت المنزل إلّا علىٰ رؤوس الناس، والاول أصح في إطلاق عبيد الله لأنّ علياً لَمّا ولي الخلافة أراد قتله فهرب منه إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر ولي الدم لم يتعرض له علي.

ذكر عدة حوادث

كان العمال فيها على مكة: نافع بن عبد الحرث الخزاعي، وعلى الطائف: سفيان بن عبد الله الثقفي، وعلى صنعاء يعلىٰ بن أمية، وعلىٰ الجُنْد: عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى الكوفة: المُغِيْرة ين شُعْبة، وعلى البصرة: أبو موسىٰ الاشعري، وعلى مصر: عمرو بن العاص، وعلى حِمْص: عمير بن سعد، وعلى دمشق: معاوية، وعلى البحرين وما والاها: عثمان بن أبي العاص الثقفي.

وفيها غزا معاوية الصائفة [حتى بلغ عَمُّورِيَّة] ومعه [من أصحاب رسول الله ﷺ] عُبَادة بن الصامت. وأبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر، وشداد بن أوس.

وفيها فتح معاوية عسقلان على صُلح، وكان علىٰ قضاء الكوفة: شُرَيْح، وعلىٰ قضاء البصرة: كعب بن سور، وقيل: إنّ أبا بكر وعمر لم يكن لهم قاض.

وفي هذه السنة: توفي قَتَادة بن النعمان الأنصاري[1] وهو الذي رَدّ رسولُ الله ﷺ عينَه وصلىٰ عليه عمر بن الخطاب وهو بدريّ، وقيل: توفي سنة أربع وعشرين، وفي خلافة عمر توفي الحُبَاب بن المنذر بن الجموح الانصاري[2] وهو بدري. وربيعة بن

---

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد الظفريّ، الأوسيّ، الأنصاريّ، أبو عمرو، وقيل أبو عمر، وقيل أبو عبدالله وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه. شهد العقبة، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها. وأصيبت عينه يوم بدر ـ وقيل يوم أحد وقيل الخندق ـ فردها إليه النبي ﷺ فكانت أحسن عينيه.

توفي سنة ٢٣، وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عمر، ونزل في قبره أبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة.

(٢) هو الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عمر، وقيل أبو عمرو.

شهد بدراً وهو ابن (٣٣) سنة. كان يقال له ذو الرأي، وشهد المشاهد كلها.

الحارث بن عبد المطلب[١] وهو أسن من العباس. وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو[٢] وهو بدري. وعمير بن وهب بن خلف الجمحي [٣] شهد أحداً. وعتبة بن مسعود[٤] أخو عبدالله بن مسعود وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحداً. وعدي بن أبي الزغباء الجهني[٥] وهو عين رسول الله ﷺ يوم بدر وشهد غيرها أيضاً. وفيها مات عويم بن ساعدة الأنصاري[٦] وهو عَقَبِيّ بدري. وقيل: إنه من بلى وله حلف في الأنصار.

---

(١) هو ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو أروى، ابن عم رسول الله ﷺ. وأخو أبو سفيان بن الحارث، وكان أسن من عمه العباس بن عبد المطلب. وهو الذي قال فيه ﷺ يوم فتح مكة (ألا كل دم ومأثرة كانت في الجاهلية فهو تحت قدمي وإنّ أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث) وذلك أنه قتل لربيعة في الجاهلية ابن اسمه آدم وقيل تمام.
توفي سنة ٢٣ بالمدينة.

(٢) هو عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو القرشي العامري، خطيب قريش. قال فيه ابن حبان: كان من مولدي أهل مكة. وقال ابن سعد: شهد بدراً فكان قد فرّ من مكة هو وعبدالله بن سهيل وقاتل معه يوم بدر.

(٣) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي، الجمحي، أبو أمية.
كان له قدر وشرف في قريش، وهو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف.
شهد بدراً كافراً مع المشركين، وكان من أبطال قريش وشياطينهم، وهو الذي مشى حول المسلمين يوم بدر ليحرزهم، فلما انهزم المشركون كان فيمن نجا. واسر ابنه وهب بن عمير يوم بدر في قصة مشهورة.
قال فيه عمر:
« والذي نفسي بيده لخنزير كان أحب إليّ من عمير حين طلع ولهو اليوم أحب إليّ من بعض ولدي ».

(٤) هو عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبدالله. هاجر مع أخيه عبدالله إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقدمَ المدينة وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي سنة ٤٤، وقيل سنة ٢٣ في خلافة عمر.

(٥) هو عدي بن أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن زهرة الجهني، خلف بني مالك بن النجار من الأنصار.
شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو الذي أرسله ﷺ مع بسبس بن عمرو ليتجسسان الأخبار من عير أبي سفيان قبل وقعة بدر.

(٦) هو عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد الأوسي الأنصاري
آخى النبي ﷺ بينه وبين حاطب بن أبي بلتعة. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها.
قيل توفي في حياة النبي ﷺ وقيل في خلافة عمر بن الخطاب وهو ابن خمس أو ست وستين.

وفيها مات سُهَيْل بن رافع الأنصاري[١] شهد بدراً.

ومسعود بن أوس بن زيد الأنصاري[٢]. وقيل: بل عاش بعد ذلك وشهد صَفِّين مع عليّ.

وفيها توفي واقد بن عبد الله التميمي[٣] حليف الخطاب، وهو أول مَنْ قَاتَلَ في سبيل الله في الإسلام. وقتل عمرو بن الحضرمي وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

وفيها مات أبو جندل بن سهيل بن عمرو[٤]، وأخوه عبد الله ـ وكان عبد الله بدريًّا ولم يشهدها أبو جندل لأنّ أباه سجنه بمكة، ومنعه من الهجرة إلى يوم الحديبية، وقد تقدم كيف خَلُص.

وفيها مات أبو خالد الحارث بن قيس بن خالد[٥] ـ وكان أصابه جرح باليمامة فاندمل ثم انتقض عليه فمات منه وهو عَقَبِيّ بدريّ.

---

(١) هو سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ الأنصاري النجاريّ. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. كان له ولأخيه سهل مِرْبَد وهو موضع مسجد النبي ﷺ توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) هو مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم الأنصاريّ الخزرجي، أبو محمد، شهد بدراً وما بعدها وشهد فتح مكة.
توفي في خلافة عمر، وقال ابن الكلبي عاش بعد ذلك وشهد صفين مع عليّ رضي الله عنه.

(٣) هو واقد بن عبدالله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي الحنظلي، اليربوعيّ، حليف بن عدي بن كعب.
هو الذي بعثه النبي ﷺ في سرية عبدالله بن جحش. أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وآخى بينه وبين بشر بن البراء بن معرور. شهد أحداً والمشاهد كلها. وتوفي في خلافة عمر.

(٤) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامريّ، من بني عامر بن لؤيّ. اسلم بمكة فسجنه أبوه وقيده ـ في قصة مشهورة.
ولم يشهد بدراً ولا شيئاً من المشاهد قبل الفتح لأن اباه كان قد منعه وتوفي بالشام في خلافة عمر.

(٥) هو الحارث بن قيس بن خالد ـ وقيل ابن خلدة ـ بن مخلد بن عامر الأنصاري الزرقيّ، أبو خالد ـ مشهور بكنيته.
شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وفيها مات أبو خِرَاش الهذلي الشاعر[١]، وخبر موته مشهور .

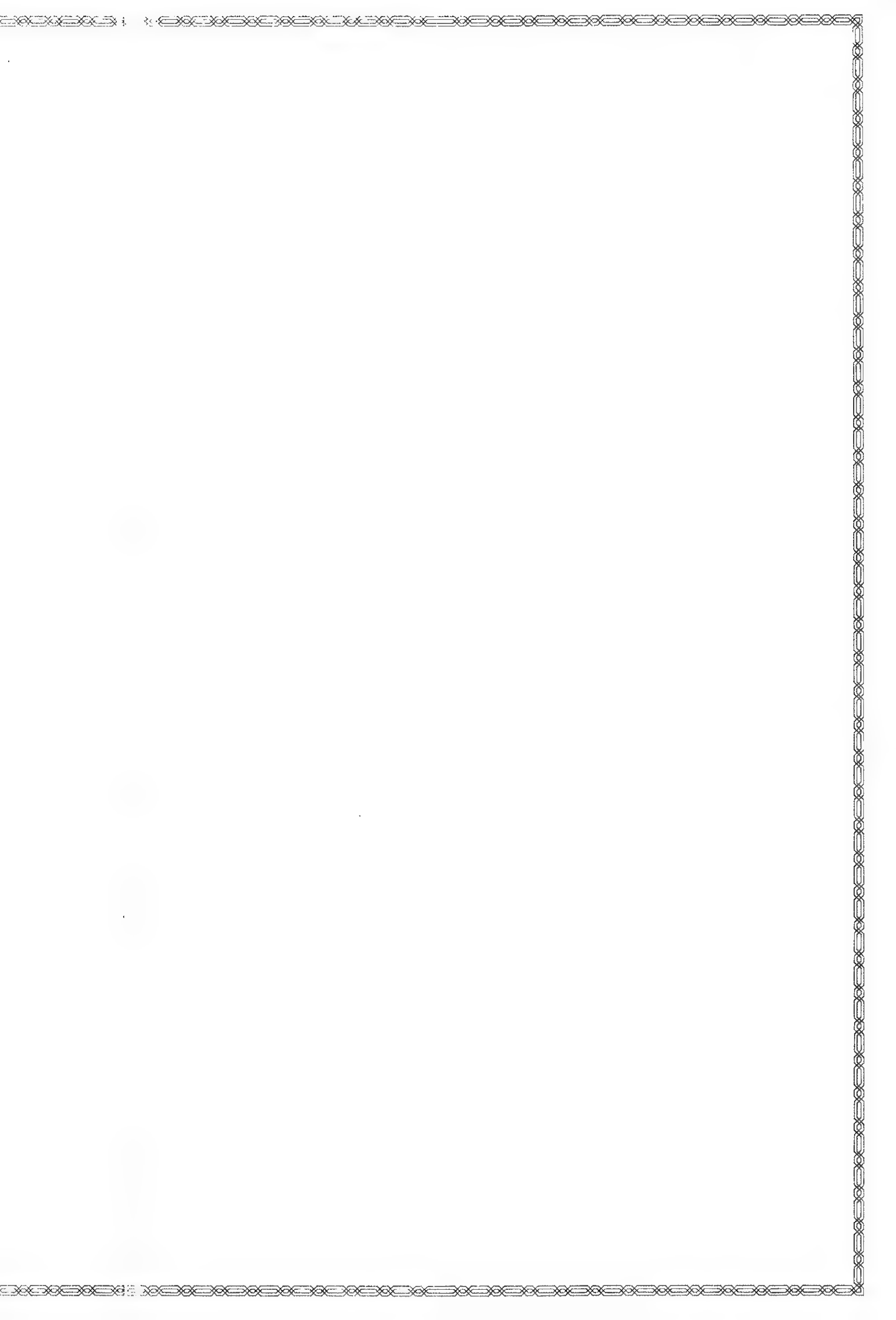
وفيها توفي غَيْلَان بن سلمة الثقفي[٢] وهو الذي أسلم وتحته عشر نسوة . وفيها في آخرها مات الصَّعْب بن جَثَّامَة بن القيس الليثي[٣] .

---

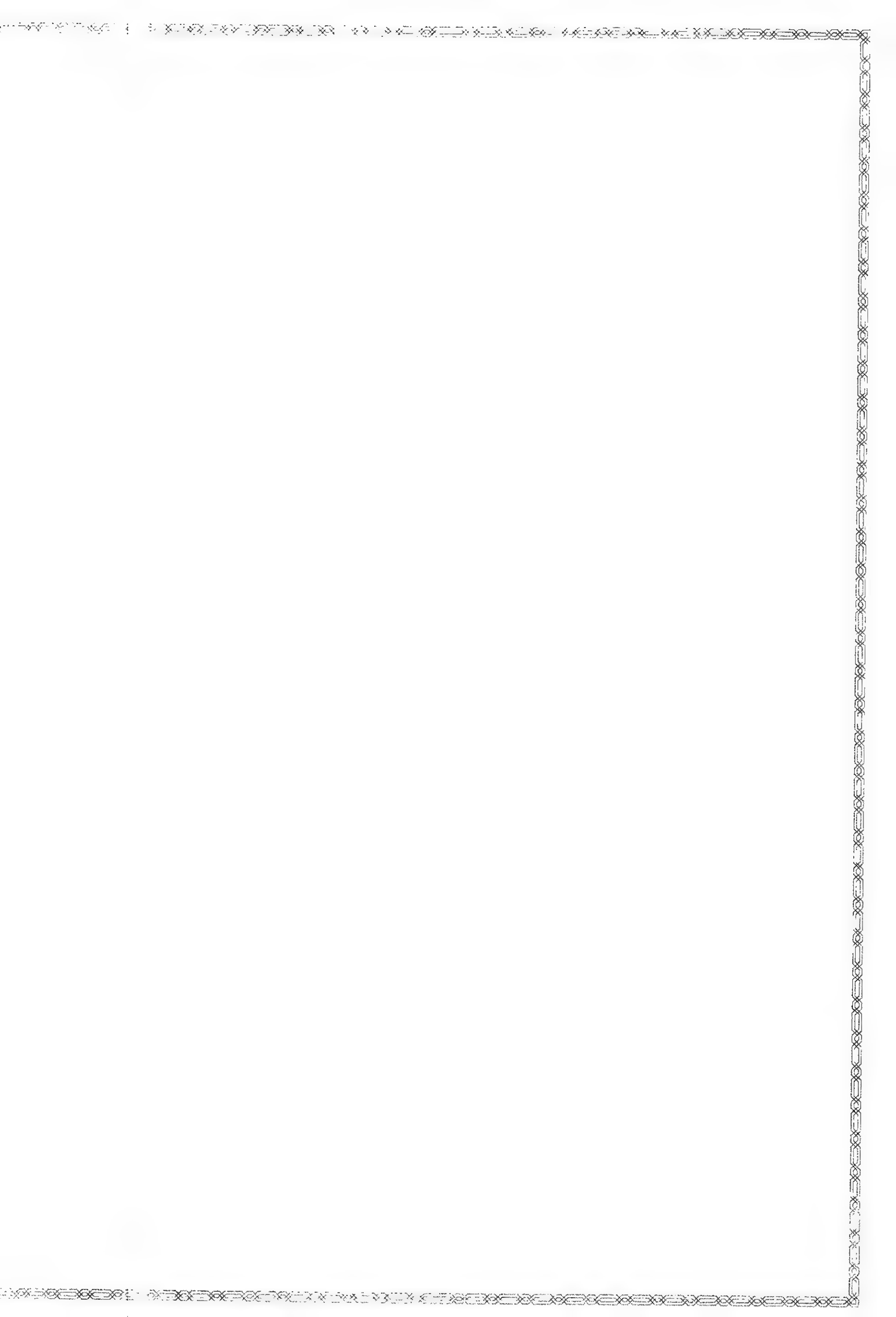
(١) أبو خِرَاش الهذ ليّ الشاعر : اسمه خويلد بن مرة من بني مَرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن هذيل .
كان ممن يعدو على قدميه فيسبق الخيل ، وكان في الجاهلية من فُتَّاك العرب ثم أسلم فحسن إسلامه .
وكان سبب موته أنه أتاه نَفَرٌ من أهل اليمن قدموا حجاجاً فمشى إلى الماء ليأتيهم بماء ليسقيهم ويطبخ لهم فنهشته حية فأقبل مسرعاً وأعطاهم الماء وشاة وقدرة وقال : أطبخوا وكلوا ، ولم يعلمهم ما أصابه . فباتوا ليلتهم حتى أصبحوا فأصبح أبو خراش وهو في الموتى فلم يبرحوا حتىٰ دفنوا .

(٢) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن هوزان اسلم بعد فتح الطائف ، وكان تحته عشر نسوة في الجاهلية فأمره ﷺ أنْ يتخيّر منهن أربعاً .
وكان شاعراً محسناً ، توفي آخر خلافة عمر بن الخطاب .

(٣) الصعب بن جثامة اسمه : يزيد بن قيس بن ربيعة بن عبدالله بن يعمر الكناني الليثي .
كان ينزل وَدَّان والأبواء من أرض الحجاز، وتوفي في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقيل في خلافة عمر .



خِـلاَفَــة
عُثْمَان بــن عَفَّــان
رضي الله عنه
وأرضاه



ثم دخلت سنة أربع وعشرين

ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة

في المحرم منها لثلاث مضين منه بويع عثمان بن عفان، وقيل غير ذلك على ما تقدم، وكان هذا العام يسمى عام الرعاف لكثرته فيه بالناس، واجتمع أهل الشورى عليه وقد دخل وقت العصر فأذّن مؤذن صهيب وآجتمعوا بين الأذان والاقامة، فخرج فصلىٰ بالناس وزادهم مائة مائة، ووفد أهل الأمصار وهو أول من صنع ذلك وقصد المنبر وهو أشدهم كآبة فخطب الناس ووعظهم وأقبلوا يبايعونه.

ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وَقَّاص

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة وآستعمل سعد بن أبي وقاص عليها بوصية عمر فإنّه قال: « أُوصِي الخليفة بعدي أنْ يستعمل سعداً فإنّي لم أعزله عن سوءٍ ولا خيانة » فكان أول عامل بعثه فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرىٰ. وقيل: بل أقرّ عثمان عُمّال عمر جميعهم سنة لأنّ عمر أوصىٰ بذلك، ثم عزل المغيرة بعد سنة وآستعمل سعداً، فعلىٰ هذا القول تكون إمارة سعد سنة خمس وعشرين. وحج بالناس في هذه السنة عثمان. وقيل: عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان، وقد تقدم ذكر الفتوح التي ذكر بعض العلماء أنها كانت زمن عثمان وذكرت الخلاف هنالك. وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الأنصاري[١] وهو بدري وهو أحد البكّائين في غزوة تبوك. وسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي[٢] وقيل: مات بعد ذلك وهو الذي أدرك النبي ﷺ في هجرته.

---

(١) هو عبد الرحمن بن كعب أبو ليلى، الأنصاري، المازني من بني مازن بن النجار. شهد بدراً، وهو أحد البكائين الذين لم يقدروا على المسير إلى تبوك، في القصة المشهورة فنزلت فيه، وفي أصحابه: ﴿ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَناً أن لا يجدوا ما ينفقون ﴾.

(٢) هو سراقة بن مالك بن جُعْشَم بن عمرو بن تيم بن مدلج الكناني المدلجي، أبو سفيان. يعد في أهل المدينة، ويقال سكن مكة، وهو صاحب القصة المشهورة في الهجرة، وكان شاعراً. توفي سنة ٢٤ اول خلافة عثمان، وقيل بعد عثمان رضي الله عنه.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر خلاف أهل الاسكندرية

في هذه السنة خالف أهلُ الاسكندرية ونقضُوا صُلْحَهم، وكان سبب ذلك أنّ الروم عَظُمَ عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنّوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم، فكاتبوا مَنْ كان فيها من الروم ودعوهم إلىٰ نقض الصلح، فأجابوهم إلى ذلك فسار إليهم من القسطنطينية جيشٌ كثير وعليهم منويل الخَصِيّ فأرسوا بها وآتفق معهم مَنْ بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صُلْحِهِ، فلمّا بلغ الخبر إلى عمرو بن العاص سار إليهم وسارَ الروم إليه فآلتقوا وآقتتلوا قتالاً شديداً فآنهزم الروم وتبعهم المسلمون إلىٰ أنْ أدخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصي، وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد اخذوا أموال أهل تلك القرىٰ من وافقهم ومن خالفهم، فلما ظفر بهم المسلمون جاء أهلُ القرىٰ الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص: إنّ الروم أخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد إقامة البينة، وهدم عمر سور الاسكندرية وتركها بغير سور.

وفيها بلغ سعد بن أبي وقاص عن أهل الريّ عزمٌ علىٰ نقض الهُدْنة والغدر فأرسل إليهم وأصلحهم، وغزا الديلم ثم انصرف.

ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة

في هذه السنة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة في قول بعضهم وآستعمل الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط[1]، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأمويّ. =

وآسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس وهو أخو عثمان لأمه أمهما أروىٰ بنت كريز، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب، وسبب ذلك أنّ سعداً آقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد: ما أراك إلا ستلقىٰ شراً هل أنت إلا ابن مسعود عبدٌ من هذيل؟ فقال: أجل والله إنّي لابن مسعود وإنك لابن حمينة.

وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضراً فقال: إنكما لصاحبا رسول الله ﷺ يُنْظَر إليكما. فرفع سعد يده ليدعـو على ابن مسعود ـ وكان فيه حدة ـ فقال: اللهم رب السموات والأرض. فقال ابن مسعود: ويلك قُلْ خيراً ولا تلعن. فقال سعد عند ذلك: أما والله لولا آتقاء الله لَدَعَوْتُ عليك دعوةً لا تُخطِئُك.

فولىٰ عبد الله سريعاً حتى خـرج، ثم استعان عبـد الله بأنـاس على آستخراج المال، واستعان سعد بأناس علىٰ إنظاره فآفترقوا وبعضهم يلوم بعضاً يلوم هؤلاء سعداً وهؤلاء عبد الله، فكان ذلك أول ما نزغ به بين أهل الكوفة، وأول مِصْر نزغ الشيطان بين أهل الكوفة. وبلغ الخبر عثمان فغضب عليهما فعزل سعداً وأقرّ عبد الله، واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط. مكان سعد، وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان بعده، فقدِم الكوفة والياً عليها، وأقام عليها خمس سنين وهو من أحب الناس إلىٰ أهلها.

فلما قدم قال له سعد: أَكِسْتَ بعدَنا أم حمقنا بعدك! فقال: لا تجزعنّ يا أبـا اسحاق كل ذلك لم يكن، وإنما هو المُلك يتغداه قومٌ ويتعشّاه آخرون، فقال سعد: أراكم جعلتموها مُلكاً. وقال له ابن مسعود: ما أدري أصلحتَ بعدنا أمْ فسدَ الناس!

ذكر أهل أرمينية وأذربيجان

لما استعمل عثمان الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان فنقضوا، فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين، وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الأحمسي فأغـار

= أسلم يوم فتح مكة.

اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان ـ وقيل شهد صفين مع معاوية وقيل لم يشهدها ـ وأقام بالرقة إلى أن توفي بها.

علىٰ أهل موقان، والبير، والطيلسان ففتح، وغنم، وسبى، فطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم علىٰ صلح حذيفة وهو ثمانمائة ألف درهم وقبض المال، ثم بث سراياه، وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينية في اثني عشر ألفاً فسار في أرمينية يقتل ويسبي ويغنم، ثم آنصرف وقد ملأ يديه حتىٰ أتىٰ الوليد، فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه علىٰ الموصل، ثم أتىٰ الحديثة فنزلها، فأتاه بها كتاب عثمان فيه أنّ معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يخبرني أنّ الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة، وقد رأيتُ أنْ يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، [فإذا أتاك كتابي هذا] فآبعث إليهم رجلاً له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام.

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي فآنتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم [وعلى جند أهلِ الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة] فشنُّوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ما شاؤوا [من سَبْيٍ ملأوا أيديهم من المغنم] وآفتتحوا حُصُوناً كثيرة، وقيل: إنّ الذي أَمَدَّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، وكان سبب ذلك أنّ عثمان كتب إلىٰ معاوية يأمره أنْ يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية فوجهه إليها فأتىٰ قاليقلا فحصرها وضيّق علىٰ مَنْ بها فطلبوا الأمان علىٰ الجلاء أو الجزية فَجَلا كثيرٌ منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهراً، وإنما سميت قاليقلا لأن آمرأة بطريق أرميناقس كان آسمها قالي بنت هذه المدينة فسمتها قالي قلة تعني إحسان قالي فعربتها العرب فقالت: «قاليقلا» ، ثم بلغه أنّ بطريق أرميناقس وهي البلاد التي هي الآن بيد أولاد السلطان قلج أرسلان وهي ملطية، وسيواس، واقصرا، وقونيّة، وما والاها من البلاد إلىٰ خليج القسطنطينية واسمه الموريان قد توجّه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم، [والترك] فكتب حبيب [بذلك] إلىٰ معاوية يخبره، فكتب معاوية إلىٰ عثمان، فأرسل عثمان إلىٰ سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب، فأمدّه بسلمان [بن ربيعة] في ستة آلاف وأجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت: أين موعدك؟ فقال: سرادق الموريان [أو الجنة].

ثم بيّتهم فقتل مَنْ وقف له، ثم أتىٰ السرادق فوجد امرأته قد سبقته إليه فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق، ومات عنها حبيب فخلفه عليها الضحاك بن قيس فهي أم ولده. ولما انهزمت الروم عاد حبيب إلى قاليقلا، ثم سار منها فنزل مربالاً فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بأمانه فأجراه عليه وحمل إليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط.

ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهي من البسفرجان فقاطعه على بلاده، ثم سار منها إلى أزدشاط وهي القرية التي يكون فيها القرمز الذي يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول إليها فحصرها فتحصن أهلها، فنصب عليهم منجنيقاً فطلبوا الأمان فأجابهم إليه، وبثّ السرايا فبلغتْ خيله « ذات اللُّجُم »[١] وإنما سُمِّيَت ذات اللجم لأن المسلمين أخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل أنْ يلجموها ثم ألجموها وقاتلوهم فظفروا بهم، ووجه سرية إلى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقها على إتاوة[٢] فقدم عليه بِطْريق[٣] البسفرجان فصالحه على جميع بلاده، وأتى السِيْسَجَان[٤] فحاربه أهلها فهزمهم وغلب علىٰ حصونهم، وسار إلى جرزان فأتاه رسولُ بِطْرِيقها يطلب الصلح فصالحه. وسار إلى تَفْلِيْس[٥] فصالحه أهلها وهي من جرزان. وفتح عدة حصون ومدن بجاورها صلحاً. وسار سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أرَّان[٦] ففتح البيلقان صلحاً على أنّ أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم وآشترط عليهم الجزية والخراج.

ثم أتىٰ سلمان مدينة بَرْذَعَة[٧] فعسكر على الثرثور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله أهلها أياماً، وشنّ الغارات في قُرَاهَا فصالحوه علىٰ مثل صلح البيلقان ودخلها.

---

(١) ذات اللُّجُم : موضع بأرض جُرْزَان من نواحي تفليس .

(٢) أي : الجزية .

(٣) البِطْرِيْق : القائد من قواد الروم ، وهو أيضاً : رئيس رؤساء الأساقفة .

(٤) سِيْسَجَان : بلدة بعد أرَّان بينها وبين دبيل ستة عشر فرسخاً.

(٥) تَفْلِيس: بلد بأرمينية الأولى ، ويقال بأرّان ، وهي قصبةُ ناحية جُرْزَان قرب الباب والأبواب ، مدينة قديمة .

(٦) أرَّان: ولاية واسعة منها ، بينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرسّ فما جاوره من جهة المغرب والشمال فهو من أرَّان ، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان .

(٧) بَرْذَعَة: بلد بأقصى أذربيجان وقيل هي قصبة أذربيجان وقيل هي مدينة أرَّان .

ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية، ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقرّ بعضهم علىٰ الجزية وأدىٰ بعضهم الصدقة وهم قليل، ووجّه سرية إلىٰ شمكور ففتحوها وهي مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتىٰ أخربها السناوردية وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن أسد عن أرمينية فعظم أمرهم فعمرها بغا سنة أربعين ومائتين وسماها المتوكلية نسبة إلى المتوكل. وسار سلمان إلىٰ مجمع أرس والكر ففتح قبلة وصالحه صاحب سكر وغيرها على الإتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده.

ذكر غزوة معاوية الروم

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عَمُّورِيَّة فوجد الحصون التي بين أنطاكية، وطرطوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى آنصرف من غزاته ثم أغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك، ولما خرج هدم الحصون إلى انطاكية.

ذكر غزوة افريقية

في هذه السنة سيّر عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أطراف إفريقية غازياً بأمر عثمان، وكان عبد الله من جند مصر فلما سار إليها أمدّه عمرو بالجنود فغنم هو وجنده، فلما عاد عبد الله كتب إلىٰ عثمان يستأذنه في غزو افريقية فأذِنَ له في ذلك.

ذكر عدة حوادث

وفيها أرسل عثمان عبد الله بن عامر إلى كابل وهي عمالة سجستان فبلغها في قولٍ فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وآمتنع أهلُها وفيها ولد يزيد بن معاوية. وفيها كانت غزوة سابور الأولة، وقيل: سنة ست وعشرين وقد تقدم ذلك، وحج بالناس عثمان.

ثم دخلت سنة ست وعشرين

ذكر الزيادة في الحرم

في هذه السنة أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم، وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسّعه، وابتاع من قومٍ فأبىٰ آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم: [أتدرون ما جرّأكم عليّ؟ ما جرّأكم عليّ إلاّ حِلْمي]. قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به! فكلّمه فيهم عبد الله بن خالد بن أَسِيْد فأطلقهم.

(أَسِيْد) بفتح الهمزة وكسر السين.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين[١]

ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر وفتح إفريقية

في هذه السنة عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر، وآستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة فتباغيا فكتب عبد الله إلى عثمان يقول : إنْ عَمْراً كسر عليّ الخراج، وكتب عمرو يقول: إنّ عبد الله قد كسر عليّ مكيدة الحرب. فعزل عثمان عَمْراً، واستقدمه، واستعمل بدله عبد الله علىٰ حرب مصر وخراجها فقدِم عمرو مغضباً فدخل علىٰ عثمان وعليه جُبَّة محشوة [قطناً]. فقال له : ما حشو جبتُك؟ قال: عمرو قال: قد علمتُ ولم أُرِدْ هذا، [إنما سألتُ أقطنٌ هو أم غيره]؟

وكان عبد الله من جند مصر، وكان قد أمره عثمان بغزو إفريقية سنة خمس وعشرين وقال له عثمان : إنْ فتح الله عليك فلَكَ من ألفيء خُمْس الخمس نَفْلاً. وأمَر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحارث على جند وسرحهما [إلى الأندلس] وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد علىٰ صاحب إفريقية وثُمّ يقيم عبد الله في عمله [ويسيران إلىٰ عملهما]. فخرجوا حتىٰ قطعوا أرض مصر، ووطئوا أرضَ افريقية، وكانوا في جيش كثير عُدَّتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين، فصالحهم أهلها علىٰ مالٍ يؤدُّونه، ولم يُقْدِمُوا على دخول إفريقية والتوغّل فيها لكثرة أهلها.

ثم إنّ عبد الله بن سعد لمّا ولي أرسل إلىٰ عثمان في غزو إفريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها، فآستشار عثمان مَنْ عنده من الصحابة فأشار أكثرهم بذلك،

---

(١) من زيادتنا .

فجهز إليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من أعيان الصحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره.

فسار بهم عبد الله بن سعد إلى إفريقية، فلما وصلوا إلى برقة لقيهم « عقبة بن نافع » فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا إلى طرابلس الغرب فنهبوا مَنْ عندها من الروم، وسار نحو إفريقية، وبثّ السرايا في كل ناحية، وكان مَلِكُهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس إلى طنجة، وكان هرقل ملك الروم قد ولّاه إفريقية فهو يحمل إليه الخراج كل سنة، فلما بلغه خبر المسلمين تجهّز وجمع العساكر وأهل البلاد فبَلَغَ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس، وٱلتقىٰ هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم، وراسله عبد الله بن سعد يدعوه إلى الإسلام أو الجزية فٱمتنع منهما وتكبّر عن قَبُول أحدهما، وٱنقطع خبر المسلمين عن عثمان فسيّر عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم ليأتيه بأخبارهم فسار مُجِدًّا، ووصل إليهم، وأقام معهم، ولمّا وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر، فقيل: قد أتاهم عسكر، ففتّ ذلك في عضده.

ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرةٍ إلىٰ الظهر فإذا أذّن بالظهر عاد كلُّ فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد فلم ير ابن أبي سرح معهم فسأل عنه فقيل إنه سمع منادي جرجير يقول: « من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوِّجُه ٱبنتي » وهو يخاف، فحضر عنده وقال له: تأمر منادياً ينادي : « من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته علىٰ بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله».

ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد : إنّ أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في أمداد متصلة وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيتُ أنْ نترك غَداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن والروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملُّوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم، ورجع المسلمون ركب مَنْ كان في الخيام مِن المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غِرّة فلعل الله ينصرنا عليهم.

فأحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك، فلما كان الغد فعل عبد الله ما آتفقوا عليه، وأقام جميعُ شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مُسرجة ومضىٰ الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالاً شديداً فلمّا أذّن بالظهر هَمّ الروم بالانصراف على العادة فلم يمكّنُهم ابن الزبير وأَلَحَّ عليهم بالقتال حتى أتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكلّ من الطائفتين ألقىٰ سلاحه ووقع تَعِباً، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير مَنْ كان مستريحاً مِنْ شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملةَ رجل واحد وكبّروا فلم يتمكن الروم مِنْ لبس سلاحهم حتى غَشِيهُم المسلمون وقتل جرير قتلَه ابن الزبير، وآنهزم الروم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذت ابنة الملك جرجير سبية، ونازل عبد الله بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها ورأىٰ فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار.

ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بثّ جيوشه في البلاد فبلغتقفصة فسبوا وغنموا وسيّر عسكراً إلى حصن الأجمّ، وقد احتمى به أهلُ تلك البلاد فحصره وفتحه بالأمان فصالحه أهلُ افريقية علىٰ ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار، ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وأرسله إلى عثمان بالبشارة بفتح افريقية. وقيل: إن ابنة الملك وقعت لرجلٍ من الأنصار فأركبها بعيراً وارتجز بها يقول:

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك   إنّ عليك بالحجاز ربتك
لتحملن من قباء قربتك

ثم إنّ عبد الله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد من المسلمين إلا ثلاثة نفر قتل منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هناك، وحمل خُمس إفريقية إلى المدينة فآشتراه مَروان بن الحَكَم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا مما أخذ عليه.

وهذا أحسن ما قيل في خمس افريقية فإنّ بعض الناس يقول: أعطىٰ عثمان خمس افريقية عبد الله بن سعد، وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحكم، وظهر بهذا أنّه أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولىٰ وأعطىٰ مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع افريقية والله أعلم.

ذكر انتقاض إفريقية وفتحها ثانية

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي إليه كل ملك من ملوك النصارىٰ الخراج من إفريقية، ومصر، والأندلس، وغير ذلك فلمّا صالح أهلُ إفريقية عبد الله بن سعد أرسل هرقل إلى أهلها بِطْرِيْقاً له وأمره أنْ يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون، فنزل البِطْرِيق في قُرْطَاجَنَّة وجمع أهل افريقية وأخبرهم بما أمره الملك فأبوا عليه، وقالوا: نحن نؤدي ما كان يؤخذ منا، وقد كان ينبغي له أنْ يسامحنا لِمَا ناله المسلمون مِنّا وكان قد قام بأمر إفريقية بعد قتل جرجير رجلٌ آخر من الروم فطرده البِطْرِيق بعد فِتَن كثيرة، فسار إلى الشام وبه معاوية وقد استقرّ له الأمر بعد قتل عليّ، فوصف له إفريقية، وطلب أنْ يرسل معه جيشاً، فسيّر معه معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حُدَيْج السكوني فلما وصلوا إلى الإسكندرية هلك الروميّ ومضىٰ ابن حديج فوصل إلىٰ افريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قَمُّونِيَة[1]، وأرسل البطريق إليه ثلاثين ألف مقاتل، فلمّا سمع بهم معاوية سيّر إليهم جيشاً من المسلمين فقاتلوهم فٱنهزمت الروم، وحصر حصن جلولاء فلم يقدر عليه فٱنهدم سور الحصن فملَكه المسلمون وغنموا ما فيه، وبث السرايا فسكن الناس وأطاعوا وعاد إلى مصر.

(حديج) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم.

ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك حتى دبّ إليهم [دعاة] أهل العراق فٱستشاروهم وشقُّوا العصا وفرّقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، [ولا نَحْمِل ذلك عليهم]. فقالوا لهم: أنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا: حتىٰ نخبرَهم فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلاً فقدِموا علىٰ هشام فلم يؤذَن لهم، فدخلوا علىٰ الأبرش فقالوا: أبلغْ أمير المؤمنين أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنِمنا نَفَلَهم [دوننا] ويقول: « هذا أخلص لجهادكم »، وإذا حاصرنا مدينة قَدَّمَنا وأخَّرَهم ويقول: « هذا آزدياد في الأجر، ومثلنا كفى إخوانه، ثم إنّهم عمدوا إلىٰ ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سِخَالها[2] يطلبون الفِرَاء البيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جِلْدٍ فٱحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا

(١) قَمُّونِيَة: مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان، وقيل هي المدينة المعروفة بسوس المغرب.

(٢) السَّخْلَة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمَعْز ساعة يولد، والجمع: سِخَال.

أنْ يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نَجِدْ هذا في كتابٍ ولا سُنَّة، ونحن مسلمون فأحببنا أنْ نعلَم أعَن رَأْيِ أمير المؤمنين هذا أم لا؟ فطال عليهم المقام ونفدتْ نفقاتُهم، فكتبوا أسماءهم ودفعوها إلى وزرائه وقالوا: إنْ سأل عنا أمير المؤمنين فأخبروه، ثم رجعوا إلىٰ افريقية فخرجوا علىٰ عامل هشام فقتلوه وآستولوا علىٰ إفريقية، وبلغ الخبر هشاماً فسأل عن النفر [فرفعتْ إليه]، فعرف أسماءهم فإذا هم الذين صنعوا ذلك.

ذكر غزوة الأندلس

لما آفتتحت إفريقية أمر عثمان عبدَ الله بن نافع بن الحصين، وعبد الله بن نافع بن عبد القيس أنْ يسيرا إلىٰ الأندلس فأتياها من قِبَل البحر، وكتب عثمان إلى مَنْ آنتدب معهما: «أمّا بعد فإنّ القسطنطينية إنّما تفتح من قِبَل الأندلس [وإنّكم إنْ افتتحتموها كنتم شركاء مَنْ يفتحها في الأجر والسلام] ». فخرجوا ومعهم البربر [فأتَوْهَا من بَرِّهَا وبحرها] ففتح الله على المسلمين وزاد في سلطان المسلمين مثل إفريقية، ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن إفريقية ترك في عمله عبد الله بن نافع بن عبد القيس فكان عليها، ورجع عبد الله إلىٰ مصر وبعث عبد الله إلىٰ عثمان مالاً قد حشد فيه، فدخل عمرو على عثمان فقال له: يا عَمْرو هل تعلم أنّ تلك اللقاح دَرَّتْ بعدك؟ قال عمرو: إنَّ فِصَالَهَا[1] قد هلكتْ.

* * *

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة عثمان. وفيها كان فتح إصْطَخر الثاني على يد عثمان بن أبي العاص. وفيها غزا معاوية بن أبي سفيان قنسرين. وفيها مات أبو ذؤيب الهذلي الشاعر[2] بمصر منصرفاً من افريقية، وقيل: بل مات بطريق مكة في البادية، وقيل: مات ببلاد الروم وكلهم قالوا: مات في خلافة عثمان. وفيها مات أبو رمثة البلوي[3]

---

(١) الفَصِيْل: ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصْله عن أمه، وجمعه، فِصَال. فُصلان، وفِصْلَان.

(٢) أبو ذُؤَيب الهُذَلِيّ الشاعر كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، ولا خلاف أنه جاهلي إسلاميّ. توفي في خلافة عثمان بطريق مكة فدفنه ابن الزبير.
وقيل: مات بمصر منصرفاً من غزوة إفريقية، وقيل: مات غازياً بأرض الروم ودفن هناك.

(٣) هو أبو رِمْثَة التَّيْمِيّ من تيم الرباب، البلويّ.

بإفريقية له صحبة. وفيها ماتت حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي ﷺ، وقيل: ماتت سنة إحدى وأربعين، وقيل: سنة خمس وأربعين.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر فتح قُبْرُس

قيل: في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس علىٰ يد معاوية، وقيل: سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: إنما غزيت سنة ثلاث وثلاثين لأنَّ أهلها غدروا علىٰ ما نذكره فغزاها المسلمون، ولما غزاها معاوية هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر، وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام، [والمقداد]، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس. وكان معاوية قد لج[١] على عمر في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال: إنّ قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم[٢] [حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر]، فكتب عمر إلىٰ عَمرو بن العاص صِفْ لي البحر وراكبه[فإنّ نفسي تنازعني إليه]، فكتب إليه عَمْرو بن العاص: « إني رأيتُ خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير، ليس إلا السماء والماء إنْ ركد خرق القلوب، وإنْ تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة هم فيه كدود على عُود، إنْ مال غرق، وإن نجا برق ».

فلما قرأه [عمر] كتب إلىٰ معاوية « والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لا أحملُ فيه مسلماً أبداً، وقد بلغني أنّ بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فيستأذن الله في كل يوم وليلة في أنْ يُغْرق الأرض، فكيف أحمل بالجنود على هذا الكافر [المستصعب !] وبالله لمسلمٍ [واحد] أحبّ إليّ مما حوتْ الرومُ، وإياك أنْ تعرض إليّ [وقد تقدمتُ إليك]، فقد علمتَ ما لقي العلاءُ مني [ولم أتقدم إليه بمثل ذلك]. قال: وترك ملك الروم الغزو، وكاتب عمر وقاربه، وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي

(١) الطبريّ : وكان معاوية قد ألح .

(٢) هي ليست قبرص ولكنها جزيرة أرواد (م) .

طالب زوج عمر بن الخطاب إلى امرأة ملك الروم بِطيْب وشيء يصلح للنساء مع البريد فأبلغه إليها، فأهدت آمرأة الملك إليها هدية منها عقد فاخر، فلما رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادىٰ الصلاةُ جامعة فآجتمعوا، وأعلمهم الخبر. فقال القائلون: هو لها بالذي كان لها وليست آمرأة الملك بذمة فتصانعك [به، ولا تحت يدك فتتقيك]. وقال آخرون : قد كنا نهدي لنستثيب فقال عمر : لكن الرسول رسولُ المسلمين والبريدُ بريدهم، والمسلمون عظَّموها في صدرها. فأمر بردِّهَا إلى بيت المال، وأعطاها بقَدْر نفقتها.

فلما كان زمن عثمان كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مِرَاراً، فأجابه عثمان بأخرة إلىٰ ذلك وقال له: لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيِّرْهم فمن آختار الغزو طائعاً فآحمله وأعِنْهُ ففعل، واستعمل [على البحر] عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزاوة، وسار المسلمون من الشام إلى قبرس، وسار إليها عبد الله بن سعد من مصر فآجتمعوا عليها فصالحهم أهلها علىٰ جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدُّون إلىٰ الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون عن ذلك، وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم ممن وراءهم، وعليهم أنْ يؤذِنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم، ويكون طريق المسلمين إلىٰ العدو عليهم، قال جبير بن نفير : ولما فُتِحَتْ قبرس ونهبْ منها السبي نظرتُ إلىٰ أبي الدرداء يبكي فقلتُ: ما يبكيك في يوم أعزَّ الله فيه الاسلام وأهله [وأذل فيه الكفر وأهله ؟] قال: فضرب منكبي بيده وقال: [ثكلتك أُمُّك يا جبير] ما أهون الخلق علىٰ الله إذا تركوا أمره بينما هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم المُلك إذْ تركوا أمر الله فصاروا إلىٰ ما ترىٰ فسلَّط عليهم السباء وإذا سلط السباء على قوم فليس له فيهم حاجة.

(وفي هذه الغزاة) ماتت أم حرام بنت ملحان الأنصارية[1] ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فآندقَّت عنقها فماتت تصديقاً للنبي ﷺ حيث أخبرها أنها في أوّل من

---

(١) هي أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية الخزرجية ، وهي خالة أنس بن مالك رضي الله عنه وزوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنه .
توفيت بقبرص ودفنت بها سنة ٢٧ .

يغزو في البحر[١].

وبقىٰ عبد الله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غـزاة من بين شاتيـة وصائفة في البر والبحر لم يغرق [فيه] أحدٌ ولم ينكب، فكان يدعو الله أنْ يعافيه في جنده [وأنْ لا يبتليه بمصابِ أحدٍ منهم] فـأجابه، فلما أراد الله أن يصيبه في جسده خرج في قارب طليعة فأنتهى إلىٰ المرفأ من أرض الروم وعليه مساكين يسألون فتصدّق عليهم، فرجعت آمرأةٌ منهم إلىٰ قريتها فقالت للرجال: هذا عبد الله بن قيس في المرفا فثاروا إليه فهجموا عليه فقتلوه بعد أنْ قاتلهم فأصيب وحده؛ ونجا الملّاح حتى أتىٰ أصحابه فأعلمهم فجاؤوا حتى أرسوا بالمرفا والخليفة عليهم سفيان بن عوف الأزدي فخرج إليهم فقاتلهم فضجر فجعل يشتم أصحابه فقالت جارية عبد الله : ما هكذا كان يقول حين يقاتل. فقال سفيان: فكيف كان يقول؟ قالت: الغمرات ثم ينجلينا. فلزمها يقولها، وأصيب في المسلمين يومئذ وقيل: لتلك المرأة بعد: بأيّ شيء عرفتيه؟ قالت: كان كالتاجر، فلما سألته أعطاني كالمَلِك فعرفته بهذا.

وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم. وفيها تزوّج عثمان نائلة بنت الفَرافصة، وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها. وفيهـا بنىٰ عثمان الزوراء وحج بالناس عثمان هذه السنة.

(حـرام) بـالحـاء المهملة والـراء. (والجـاسي) بـالجيم والسين المهملة، (والفرافصة) بفتح الفاء إلا الفرافصة بن الأحوص الكلبي الذي من ولـده نائلة زوج عثمان.

---

(١) وهو ما أخرجه أحمد (٤٢٣١٦) بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أم حرام بنت ملحان وكانت خالته أن رسول الله ﷺ نام ـ أو قال ـ في بيتها فاستيقظ وهو يضحك وقال : عُرض عليَّ ناسٌ من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرّة .
قالت : فقلت : يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم . قال : إنك منهم .
ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقلت يا رسول الله ما يضحكك فقال : عرض عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة .
قلت : يا رسول الله أدع الله أنْ يجعلني منهم .
قال : أنت من الأولين .
فتزوجها عبادة بن الصامت فأخرجها معه فلما جاز البحر بها ركبت دابة فصرعتها فقتلتها وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص فدفنت بها.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر عزل أبي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها

قيل: في هذه السنة عزل عثمان أبا موسى الأشعريّ عن البصرة، واستعمل عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهو ابن خال عثمان، وقيل: كان ذلك لثلاث سنين مضتْ من خلافة عثمان.

وكان سبب عزله أنّ أهل أيذج، والأكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان، فنادىٰ أبو موسىٰ في الناس وحضّهم على الجهاد، وذكر من فضل الجهاد ماشياً فحمل نفر علىٰ دوابهم وأجمعوا على أن يخرجوا رجالة، وقال آخرون: لا نعجل بشيء حتى ننظر ما يصنع فإنْ أشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل، فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً فتعلقوا بعنانه وقالوا: آحملنا على بعض هذه الفضول، وآرغبْ في المشي كما رغّبتنا [فيه]، فضرب القوم بسَوْطِهِ، فتركوا دابته فمضىٰ وأتوا عثمان فآستعفوه منه وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أنْ تسألنا عنه؟ فأبدلنا به فقال: مَنْ تحبون؟ فقالوا: غيلان بن خرشة في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، أما منكم خسيس فترفعونه؟ أما منكم فقير فتجبرونه؟ يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد؟ فانتبه لها عثمان فعزل أبا موسى، وولّىٰ عبد الله بن عامر بن كريز.

فلمّا سمع أبو موسى قال: يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمّات يجمع له الجندان، وكان عُمْر ابن عامر خمساً وعشرين سنة وجمع له جند أبي موسى، وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي من عمان والبحرين، وآستعمل علىٰ خراسان عمير بن عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثي وهو من ثعلبة فأثخن فيها إلى كابل، وأثخن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها

كورة إلاّ أصلحها، وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر فأثخن فيها حتى بلغ النهر، وبعث على كرمان عبد الرحمن بن عبيس، وبعث إلىٰ الأهواز، وفارس نفراً، ثم عزل عبد الله بن عمير، وآستعمل عبد الله بن عامر فأقرّه عليهـا سنة ثم عـزله، وآستعمـل عاصم بن عمرو وعـزل عبد الـرحمن بن عُبَيْس، وأعاد عـدي بن سهيل بن عـدي، وصرف عبيد الله بن معمر إلىٰ فارس، واستعمل مكانه عمير بن عثمان، وآستعمل على خراسان أُمَيْر بن أحمر اليشكري، واستعمل علىٰ سجستان سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي، ومات عاصم بن عمرو بكرمان.

(عُبَيس) بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة. و (أُمَيْر) بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء، و (كُرَيْز بن ربيعة) بضم الكاف وفتح الراء.

ذكر انتقاض أهل فارس

ثم إن أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعُبَيْد الله بن معمر فسار إليهم فآلتقوا علىٰ باب إصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون، وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فآستنفر أهلَ البصرة وسار بالناس إلىٰ فارس فآلتقوا بإصطخر، وكان علىٰ ميمنته أبو بزرة الأسلميّ، وعلىٰ ميسرته معقل بن يسار، وعلى الخيل عمران بن الحصين ولكلهم صحبة، واشتد القتال فآنهزم الفرس، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفتحت إصطخر عَنْوة، وأتى دارابجرد وقد غدر أهلُها ففتحها، وسار إلىٰ مدينة جور وهي اردشيرخره فآنتقضتْ إصطخر فلم يرجع وتمم السير إلىٰ جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصِراً لها،وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون إصطخر ويغزون نواحي كانت تنتقض عليهم، فلما نزل ابن عامر عليها فتحها.

وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة وإلى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجرّه وعَدَا به حتى دخل المدينة من مدخلٍ لها خفيّ، فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عَنْوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد إلىٰ إصطخر ففتحها عنوة بعد أنْ حاصرها وآشتد القتال عليها؛ ورميت بالمجانيق قتل بها خلقاً كثيراً من الأعاجم وأفنى أكثر أهل البيوتات، ووجوه الأساورة وكانوا قد لجأوا إليها.

وقيل: إن أهل إصطخر لما نكثوا عاد إليها ابن عامر قبل وصوله إلىٰ جور فملكها عنوة وعاد إلى جور، فأتىٰ دار ابجرد فملكها وكانت منتقضة أيضاً، ووطىء أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل، وكتب إلىٰ عثمان بالخبر فكتب إليه أنْ يستعمل علىٰ بلاد فارس هرم بن حيان اليشكريّ، وهرم بن حيان العبدي، والخِرِّيْت بن رَاشِد، والمنجاب بن راشد، والترجمان الهجيمي وأمره أن يفرق كور خراسان على جماعة فيجعل الأحنف علىٰ المروَيْن، وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ [وكانت مما افتتح أهل الكوفة]، وخالد بن عبد الله بن زهير علىٰ هراة، وأُمَيْر بن أحمر على طُوس، وقيس بن هبيرة السلمي علىٰ نيسابور، وبه تخرّج عبد الله بن خازم وهو ابن عمه، ثم جمعها عثمان قبل موته لقيس، واستعمل أُمَيْر بن أحمر على سجستان، ثم جعل عليها عبد الرحمن بن سمرة وهو من آل حبيب بن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها، ومات وعمران علىٰ مكران، وعمير بن عثمان بن سعد علىٰ فارس، وابن كندير القشيري علىٰ كرمان، ثم أوفد قيس بن هبيرة عبدا لله بن خازم إلى ابن عامر في زمن عثمان وكان ابن عامر يكرمه. فقال لابن عامر: اكتُبْ لي علىٰ خراسان عهداً إنْ خرج عنها قيس [بن هبيرة]، ففعل فرجع إلىٰ خراسان فلما قتل عثمان [وبلغ الناس الخبر] وجاش العدو [لذلك] قال ابن خازم لقيس: الرأي أنْ تخلفني وتمضي حتىٰ تنظر فيما ينظرون فيه. ففعل فأخرج ابن خازم بعده عهداً بخلافته وثبت علىٰ خراسان إلىٰ أن قام علي بن أبي طالب، وغضب قيس من صنيع ابن خازم.

(الخِرِّيْت) بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان.

ذكر الزيادة في مسجد النبي ﷺ

في هذه السنة زاد عثمان في مسجد النبي ﷺ في ربيع الأول، وكان ينقل الجصّ من بطن نخل، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عُمُدَه من حجارة فيها رصاص، [وسقفه ساجاً] وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه علىٰ ما كانت أيام عمر ستة أبواب.

---

(١) السَّاج: ضربٌ من الشجر يعظُم جداً ويذهب طولاً وعرضاً وله ورق كبير. وجمعه: سِيجان.

ذكر إتمام عثمان الصلاة بجمع وأول ما تكلم الناس فيه

حج بالناس هذه السنة عثمان وضرب فسطاطه بمنىً، وكان أول فسطاطٍ ضربه عثمان بمنى، وأتمّ الصلاة بها وبعرفة فكان أول ما تكلم به الناس في عثمان ظاهراً حين أتمّ الصلاة بمنىً فعاب ذلك غيرُ واحدٍ من الصحابة، وقال له عليّ: «[والله] ما حدث أمرٌ ولا قدم عهد، ولقد عهدتُ النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر يصلُّون ركعتين، وأنت صَدْراً من خلافَتِكَ فما أدري ما يرجع إليه»؟ فقال: رأيٌ رأيتُه، وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وكان معه فجاءه وقال له: ألم تصلِّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر ركعتين وصليتها أنت ركعتين؟

قال: بلى، ولكني أُخبِرْتُ أنّ بعضَ من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا [في عامنا الماضي]: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان، واحتجُّوا بصلاتي وقد آتخذتُ بمكة أهلاً ولي بالطائف مالٌ. فقال عبد الرحمن: ما في هذا عذر. أما قولك: اتخذتُ بها أهلاً فإنّ زوجك بالمدينة تخرج بها إذا شئتَ [وتقدم بها إذا شئت] وإنما تسكن بسكناك، وأما مالُك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال، [وأنت لست من أهل الطائف]، وأما قولك: عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والإسلام قليل، ثم أبو بكر، وعمر فصلوا ركعتين وقد ضرب الاسلام بجرانه. فقال عثمان: هذا رأيٌ رأيته.

فخرج عبد الرحمن فلقي ابن مسعود فقال: أبا محمد غير ما تعلم قال: فما أصنع قال: آعمل بما ترىٰ وتعلم، فقال ابن مسعود: الخلافُ شرٌّ وقد صليتُ بأصحابي أربعاً فقال عبد الرحمن: قد صليت بأصحابى ركعتين وأما الآن فسوف أصلي أربعاً، وقيل: كان ذلك سنة ثلاثين.

الفهرس

السنة الأولى من الهجرة